المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية
شعبة العقيدة

منهج أبي المظفر الإسفراييني في كتابه

"التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"

- عرض ودراسة -

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الثقافة الإسلامية (عقيدة)

إعداد الطالب

محمد بن عوض بن عبدالله الشهري

الرقم الجامعي (٤٢٠٠٢٠٩٦٣)

إشراف الدكتور

محمد بن عبدالله الوهيبي

العام الجامعي

١٤٢٤/١٤٢٥هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية
شعبة العقيدة

(إجــــــازة)

منهج أبي المظفر الإسفراييني في كتابه

"التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"

- عرض ودراسة -

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الثقافة الإسلامية (عقيدة)

إعداد الطالب
محمد بن عوض بن عبدالله الشهري

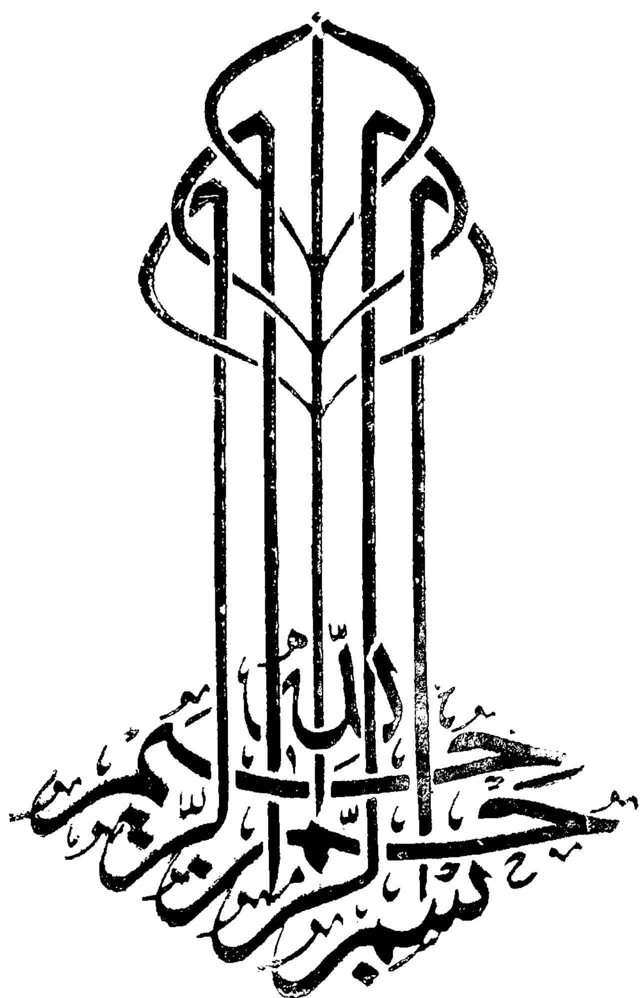
الرقم الجامعي (٤٢٠٠٢٠٩٦٣)



نوقشت هذه الرسالة في يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٤/١١/٢٨هـ
وتم إجازتها

أعضاء لجنة المناقشة والحكم		التوقيع
١ - الدكتور: محمد بن عبدالله الوهيبي	مشرفاً ومقرراً	
٢ - الدكتور: خالد بن عبدالله القاسم	عضوا	
٣ - الدكتور: محمد بن عبدالله السحيم	عضوا	

العام الجامعي ١٤٢٤ - ١٤٢٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

وتشتمل على

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- المنهج المتبع في إعداد البحث.

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وبعد:

فإن البشرية لم تعرف جاهلية لفّت ظلماتها النفوس، ومدَّت غشاوتها على الأبصار، وملأ بها المقت أرجاء الأرض كجاهلية الشرك بالله - تعالى - تلك الجاهلية التي صفّق لها الشيطان جيلاً بعد جيل، وبثّ جنده يملأ الأرض بها، حتى تاه الناس في مفاوز الضلال، وقفار الانحراف.

ولكن ما كان الله ليذر الأمم بلا بيان لأمر الغاية العظمى من الخلق بل من رحمته أن أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق، فجاءوا "بالبيان الكافي وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف"[1].

فبدَّد الله بنور تلك الرسالات ظُلَمَ الجاهلية، وأحيا بها قلوباً ميّتة، وأنار بها أعيناً عمياً، وأسمع بها آذاناً صماً.

فتحررت البشرية من أغلال الوثنية، ونجت من حنادسها، وبقي من لم يرفع بها رأساً ويطهر بها نفساً غريقاً في لجج جاهليته.

وكان مسك الختام لتلك الرسالات رسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فبُعث والناس في أعظم جاهلية وشر واختلاف وتفرّق حتى لم يبق على الأرض من هو على الحق إلا بقايا من أهل الكتاب.

فدعا - عليه الصلاة والسلام - إلى توحيد ربه - عزّ وجلّ - وبلّغ غاية البلاغ، وجاهد حق الجهاد حتى ملأ التوحيدُ الآفاقَ وانقلبت أحوال أتباعه بعد الجهل الذي

---

(١) تلبيس إبليس، ص ١٠.

لفَّ نفوسهم إلى أن صاروا خير النّاس بعد الأنبياء، فتبدَّلت الأرض غير الأرض والنّاس غير النّاس، وتهلّل التاريخ بخير قرن يسطّر على صفحاته.

ولم يمت - صلوات ربي وسلامه عليه - إلا وقد ترك أمته - كما قال - : "على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"(١).

بعد ذلك سار الصحابة - رضوان الله عليهم - على ما عهد إليهم نبيهم فلم يتفرقوا، بل كانوا جماعة واحدة، وإن وقع اختلاف في الرأي فهو عرضي سرعان ما يحسم بالاتفاق ورجوع المخالف إلى الصواب متى ظهر(٢).

وكان من سنن الله الجارية في هذه الأمة، والتي شابهت فيها الأمم السابقة "الافتراق" داء الأمم الغابرة، فظهرت الفرقة والخلاف ودبّت في صفوف المسلمين فانقسم الناس إلى فرق وطوائف كل حزب بما لديهم فرحون. وهذا مصداق لكلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر عن ذلك فقال - عليه الصلاة والسلام - : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعين في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمّد بيده، لتفترقن أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار". قيل: يا رسول الله: من هم؟ قال: الجماعة"(٣).

وأصبحت كل فرقة تدّعي الحق لنفسها، وأنها هي الناجية، وسعت في تدعيم رأيها ومبادئها والدفاع عن ذلك، وإبطال معتقدات غيرها، ولكن الله - سبحانه وتعالى - تكفّل بحفظ هذا الدين، فقيض له رجالاً يدافعون عنه، ويذودون عن حياضه "يدعون

---

(١) من حديث العرباض بن سارية المشهور الذي رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٤|٢٠١، كما رواه الترمذي في سننه وقال حديث حسن صحيح ٥|٤٤، وابن ماجة في المقدمة ١|١٦، وابن أبي عاصم في السنة ١٩/١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم ٦٨٨.

(٢) ينظر: الفتاوى ١٧٢/٢٤.

(٣) سيأتي تخريجه ص ٥١.

من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه"[1].

وكان من أولئك الرجال من انبرى لكشف حقائق الفرق المنحرفة ونذر نفسه لبيان زيفها وباطلها حتى أصبح لهذا الميدان فرسان معروفون لمعت أسماؤهم في سماء ذلك الميدان، بعد أن صالوا وجالوا في مضماره.

فأصبحت مؤلفاتهم درراً لؤلؤية، وحُلَلاً سُنْدُسيَّة نُظمت في سمط الإبداع، فغدت عِقداً فريداً وقلادة بديعة تزين جيد ذلك الفن.

وكان من واسطة ذلك العقد الفريد كتاب سُطِّر بيراع عَلم من أعلام هذا الفن في علم المقالات، ألا وهو: "أبو المظفر الإسفراييني" (ت ٤٧١هـ) في كتابه الموسوم بـ(التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين).

وقد اخترت دراسة هذا الكتاب ومنهج مؤلفه فيه موضوع بحثي ومجال كتابتي، وجعلت عنوان البحث هو:

(منهج أبي المظفر الإسفراييني في كتابه "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين" - عرض ودراسة -).

---

(١) من مقدمة الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة. ت الأنصاري، ص ١٣.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تم اختيار هذا الموضوع لأسباب عدة أجملها فيما يلي :

١ - أهمية دراسة الفرق والطوائف الإسلامية والأديان والمعتقدات الأخرى ، والعلم بها - خاصة لطلبة العلم والمتخصصين في هذا الجانب - لكي لا يلتبس الحق بالباطل وليتميز الغث من السمين ، وليكون طالب العلم على معرفة ودراية بذلك. وما لا يدرك كله لا يترك جلّه.

٢ - أن هذا الكتاب بحاجة إلى إبرازه والتعريف به ككتاب متقدم من كتب الفرق والأديان لاسيما وقد لوحظ عدم شهرته وذيوع صيته كغيره من كتب هذا العلم ، بل لوحظ الجهل به حتى من بعض طلبة العلم المتخصصين ، وكما لا يخفى بأنه كلما تقدم عصر المؤلف كلما ازدادت أهمية دراسة وتقويم كتابه ومنهجه.

٣ - بيان منزلة هذا الكتاب والمنهج الذي سار عليه مؤلفه فيه ، سواء كان ذلك عند ذكره للفرق الإسلامية أو عند ذكره لغيرها من الأديان السابقة للإسلام ، أو في تقريره للمعتقد الصحيح في نظر مؤلفه ، ومن ثم تقويم الكتاب علمياً وعقدياً ، وبيان الجوانب التي أجاد فيها المؤلف والجوانب التي جانب الصواب فيها.

٤ - الفائدة التي سيجنيها الباحث من خلال دراسة هذا الكتاب الذي عرض لمعظم الفرق الإسلامية وآرائها ، وجملة من الأديان والملل الأخرى ، خاصة بالطريقة التي صيغت بها خطة هذا البحث ، حيث سيدرس الباحث كل فرقة على حِدَةٍ ثم يقارن ما كتبه الإسفراييني بما كتبه غيره من علماء هذا الفن وجهابذته الذين صنفوا فيه ، إلى جانب الاطلاع على الدراسات والرسائل العلمية الحديثة عن تلك الفرقة ، فيرتسم بذلك لدى الباحث صورة متكاملة عن كل فرقة تقريباً.

٥ - أن هذا الموضوع لم يسجل فيه رسالة علمية ، ولم يؤلف فيه مؤلف ولم يكتب فيه بحث - حسب علمي - وذلك بعد البحث والسؤال والاستفسار ، ومراجعة المظانّ التي يُعهد مراجعتها في مثل هذا الأمر.

الدراسات السابقة

تنصب هذه الدراسة على منهج أبي المظفر الإسفراييني في كتابه "التبصير في الدين" وذلك بعرض منهجه فيه والسّمات العامة له، والخطوط العريضة التي سار عليها، ثم بعد ذلك دراسة منهجه في الكلام عن كل فرقة أو نحلة على حِدَة.

ولئن كان منهج "أبي المظفر الإسفراييني" في كتابه "التبصير في الدين" لم ينل شيئاً من الدراسة العلمية والطرح البحثي، فإن غيره من كتب هذا الفن حظيت بنصيب وافر من ذلك، فضلاً عن التحقيق العلمي الدقيق. ولعل من أهم البحوث والدراسات العلمية التي اهتمت بمناهج مصنفي كتب الفرق والمقالات في كتبهم - حسب علمي - ما يلي:

١ - (أبو الفضل السكسكي وكتابه "البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان" - دراسة تحليلية نقدية وتحقيق -) رسالة ماجستير (١٤٠٢هـ) إعداد: علي بن حسن بن ناصر عسيري، بإشراف: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي.

٢ - (منهج الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" - عرض وتقويم -)، رسالة ماجستير (١٤١٢هـ) إعداد: محمد بن ناصر السحيباني، إشراف: أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل.

٣ - (عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه "الفَرْق بين الفِرَق" - عرضاً وتقويماً -).، رسالة ماجستير (١٤٢١هـ)، إعداد: هند بنت أحمد العصيمي، إشراف: د. محمد بن عبدالعزيز العلي.

وفي هذه الدراسات العلمية لم يتعرض الباحثون فيها لمنهج "أبي المظفر الإسفراييني" في كتابه، ولا لموقفه من قضية أو فرقة معينة، إذ كان جُلّ اهتمامهم ومدار حديثهم عند المقارنة والموازنة متجهاً نحو كتب المقالات المشهورة(١).

يستثنى من ذلك الموازنة السريعة التي قدمتها الباحثة: هند العصيمي، بين "الفَرْق بين الفِرَق" و"التبصير في الدين" والتي جاءت في أربع صفحات فقط! إلا أنها لا تعدو أن تكون إشارات يسيرة لا يمكن أن تفي بالغرض أو تعطي تصوراً شاملاً ودقيقاً عن الموضوع(٢).

---

(١) مثل: الملل والنحل للشهرستاني، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، التنبيه والرد للملطي.

(٢) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه ص ٢٦٠ - ٢٦٣.

خطة البحث:

وتنحصر في مقدّمة وخاتمة بينهما تمهيد وأربعة فصول، ثم ذُيل البحث بالفهارس العلمية، وهي مفصّلة على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على:

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- المنهج المتبع في إعداد البحث.

التمهيد: ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المنهج.

المبحث الثاني: نشأة الخلاف في الأمة الإسلامية وأسبابه.

المبحث الثالث: أشهر المؤلفات في الملل ومقالات الفرق.

الفصل الأول: وجعلته في:

التعريف بأبي المظفر الإسفراييني وكتابه:

"التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين".

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بأبي المظفر الإسفراييني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عصره.

المطلب الثاني: حياته الشخصية.

المطلب الثالث: حياته العلمية.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التبصير في الدين"، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: توثيق نسبته.

المطلب الثاني: ضبط عنوانه وموضوعه.

المطلب الثالث: سبب تأليفه وتاريخه.

المطلب الرابع: طبعاته.

المبحث الثالث: دراسة تمهيدية للكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السمات العامة لمنهجه في الكتاب.

المطلب الثاني: تقويم الكتاب علميّاً وعقديّاً.

المبحث الرابع: منزلة الكتاب بين كتب المقالات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقارنة بين "الفَرْق بين الفِرَق" و"التبصير في الدين".

المطلب الثاني: أهمية الكتاب ومنزلته بين كتب المقالات.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن:

منهجه في الكلام عن الفرق الإسلامية.

ولأن معظم مادة الكتاب تندرج تحته فقد جاء في ثمانية مباحث هي:

المبحث الأول: منهجه في الكلام عن الشيعة، وفيه مدخل وأربعة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف الشيعة.

المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق الشيعة.

المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء الشيعة.

المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن الشيعة.

المبحث الثاني: منهجه في الكلام عن الخوارج، وفيه مدخل وأربعة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف الخوارج.

المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق الخوارج.

المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء الخوارج.

المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن الخوارج.

المبحث الثالث: منهجه في الكلام عن المعتزلة، وفيه مدخل وأربعة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف المعتزلة.

المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق المعتزلة.

المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء المعتزلة.

المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن المعتزلة.

المبحث الرابع: منهجه في الكلام عن المرجئة، وفيه مدخل وأربعة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف المرجئة.

المطلب الثاني: منهجه في تصنيف المرجئة وذكر فرقهم.

المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء المرجئة.

المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن المرجئة.

المبحث الخامس: منهجه في الكلام عن الجهمية، وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف الجهمية.

المطلب الثاني: منهجه في عرض آراء الجهمية.

المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن الجهمية.

المبحث السادس: منهجه في الكلام عن الكرَّامية، وفيه مدخل وأربعة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف الكرَّامية.

المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق الكرَّامية.

المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء الكرَّامية.

المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن الكرَّامية.

المبحث السابع: منهجه في الكلام عن المشبّهة، وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف المشبّهة.

المطلب الثاني: منهجه في عرض آراء المشبّهة.

المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن المشبّهة.

المبحث الثامن: منهجه في الكلام عن بقية الفرق، وفيه مدخل وأربعة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في تعريف فرق هذا المبحث.

المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق النّجاريّة.

المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء فرق هذا المبحث.

المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن فرق هذا المبحث.

الفصل الثالث: تناولت فيه:

دراسة منهجه في الكلام عن غير المسلمين.

وانحصرت مادة هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: منهجه في الكلام عن الفرق التي تدّعي الإسلام، وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في ذكر الفرق التي تدّعي الإسلام.

المطلب الثاني: منهجه في عرض آراء الفرق التي تدّعي الإسلام.

المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن الفرق التي تدّعي الإسلام.

المبحث الثاني: منهجه في الكلام عن مقالات أقوام كانوا قبل الإسلام، وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

مدخل.

المطلب الأول: منهجه في الكلام عن أهل الكتاب.

المطلب الثاني: منهجه في الكلام عن غير أهل الكتاب.

المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن مقالات الأقوام الذين كانوا قبل الإسلام.

الفصل الرابع: تحدثت فيه عن:

منهجه في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

ويقع هذا الفصل في تمهيد ومبحثين:

التمهيد: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: إطلاق لقب أهل السنة والجماعة على الأشاعرة.

المطلب الرابع: منهجه العام في الكلام عن الفرقة الناجية.

المبحث الأول: منهجه في الكلام عن توحيد الله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهجه في الكلام عن توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: منهجه في الكلام عن توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن توحيد الله.

المبحث الثاني: منهجه في الكلام عن بعض مسائل الاعتقاد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهجه في الكلام عن الرؤية.

المطلب الثاني: منهجه في الكلام عن المعجزة.

المطلب الثالث: منهجه في الكلام عن مسائل متفرقة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج المستخلصة من البحث.

الفهارس: وتحتوي على الفهارس الآتية:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية.
- فهرس الفرق والأديان والطوائف.
- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

المنهج المتبع في إعداد البحث

أما المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذا البحث والذي اتضحت بعض ملامحه من خلال عرض خطة البحث فهو كما يلي:

١ - دراسة منهجه في الكلام عن كل فرقة من الفرق المشهورة على حِدَة في مبحث مستقل، أما الفرق الأخرى فقد أجمع عدداً منها في مبحث واحد إمّا لعدم شهرتها أو لعدم وجود ما يميزها، أو لأن المؤلف جمعها في باب واحد لوصف مشترك بينها.

٢ - التمهيد في مطلع كل مبحث - غالباً - بمدخل أعرض فيه بإيجاز لمحة موجزة عن موضوعه، وحرصت فيه كل الحرص على الاختصار قدر الإمكان، لكن قد يطول أحياناً إذا استدعت طبيعة الموضوع ذلك.

٣ - الالتزام في نهاية كل مبحث بعقد مطلب تعقيبي هو عبارة عن وقفات أورد فيها بعضاً من المآخذ والملحوظات التي ظهرت من خلال دراسة منهجه في موضوع ذلك المبحث.

٤ - العناية بمراجعة كتب المقالات المشهورة عند دراسة كل فرقة من الفرق للمقارنة والتمييز بين ما ذكره مصنفوها وما ذكره الإسفراييني، ومدى موافقته أو مخالفته لهم في ذلك الموضوع أو تلك المسألة، ومن ثَمَّ الإشارة إلى ما أرى أن الحاجة تدعو إليه.

٥ - الإكثار من النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - والإحالة إلى كتبه، وما ذلك إلا لكونه من أبرز علماء الأمة الذين لهم قدم صدق في توضيح العقيدة والدفاع عنها، والذي وقف سدّاً منيعاً في وجه أهل البدع والضلالات والأهواء بدفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حججهم وأضاليلهم فكشف رذائلهم، وزيف دلائلهم ذبّاً عن الملة الحنيفية، والسنة الصحيحة الجلية[1].

٦ - الاعتماد في دراسة الكتاب والإحالة إليه على النسخة التي حققها "كمال يوسف الحوت"، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار عالم الكتب، مع ما فيها من ملحوظات، وذلك للأسباب التالية:

---

(١) ينظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزار ص ٢٣ - ٢٥.

- توفرها لدى كثير من المكتبات العامة والخاصة؛ ولأنها الأكثر رواجاً ووجوداً في المكتبات الأخرى.
- أن تعليقات "الحوت" التي عكرت صفو الكتاب أقل بكثير من التعليقات التي نفثها قلم الكوثري في الطبعة الأخرى، كما أنها أخف وطأة منها.
- أن الطبعة الأخرى - بعناية الكوثري - طبعت مراراً بأنماط مختلفة وأوجه متعددة، فتارة يكون معها كتاب ملحق بها، وأخرى تشتمل على كلمة لأحد الأساتذة، وثالثة بها مقدمة للناشر، وقد تجتمع هذه الأمور أو بعضها في طبعة واحدة كما يحصل التقديم والتأخير لبعضها، فليس هناك اتفاق على الصورة التي خرج بها الكتاب، أما الطبعة التي اعتمدها قد خلت من ذلك كله.

٧ - توثيق المعلومات والنقول من مصادرها الأصلية في الهامش، وأما معلومات النشر - كرقم الطبعة وتاريخها ومكانها - فإني أذكر ذلك في فهارس المراجع والمصادر، وقد أرجع لأكثر من طبعة للكتاب الواحد عند الحاجة وهذا قليل جداً.

٨ - الاختصار في ذكر اسم المرجع والاكتفاء بما يدل عليه أو ما اشتهر به. فمثلاً كتاب "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع" يكتفي بذكر "التنبيه والرد"، ومثله "التبصير في الدين"، وكذلك الحال مع اسم المؤلف؛ لكن ذكره قد يكون عند ورود كتابه لأول مرة.

٩ - الكلام المنقول بنصه يكون بين علامتي تنصيص، وأما المنقول بالمعنى أو بتصرف فيه فلا أضعه بين علامتي تنصيص، ثم أصدر الإحالة بلفظ: "ينظر"، كما يحال بهذا اللفظ إلى المصادر التي تتضمن شيئاً مما ذكر في الأصل.

١٠ - عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية، بعد كتابتها برسم المصحف.

١١ - عزو الأحاديث والآثار الواردة إلى مواضعها من كتب الأحاديث والآثار وذلك قدر الإمكان.

١٢ - الترجمة الموجزة للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة عند أول موطن ذكروا فيه، وإن كان بعضهم من المشاهير لِمَا قد يخفى من تاريخ ولادة أو وفاة بعضهم، إلا من رأيت عدم الحاجة للترجمة له كالأنبياء والرسل، أو من يصعب العثور على ترجمة له كبعض المعاصرين.

١٣ - التعريف الموجز بالديانات والفرق والطوائف، وكذلك الأماكن والبلدان.

١٤ - شرح ما رأيت الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة والمصطلحات.

١٥ - تذييل البحث بالفهارس العلمية على نحو ما جاء في خطة البحث تسهيلاً للوصول إلى ما حواه من مسائل وغيرها.

١٦ - ما أوردته في هذا المنهج هو ما عليه غالب هذا البحث، وما خالف ذلك - إن وقع - فالأمر يقتضيه.

وبعد، فتلك هي خطة البحث الذي خضت غماره، وذلك هو المنهج الذي سرت عليه في تشييد صرحه، ويبقى ما جاء فيه جهد مقل وقليل من قليل، فما كان فيه من صواب وتسديد فهو محض فضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، ولكن حسبي أني بذلت فيه وسعي. فرحم الله أخاً وقف فيه على زلل أو خلل - وهو لابد واجد - فنبهني إليه، إذ الناقد بصير، "والمتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من مُنْشِئه"[(١)]. ومعلوم أن "من قرض شعراً أو وضع كتاباً فقد استَهْدَفَ للخصوم، واستشرف للألسن، إلا عند من نظر بعين العدل، وحكم بغير الهوى وقليل ما هم"[(٢)].

وفي ختام هذه المقدمة، أحمد الله - سبحانه وتعالى - حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ويرضى، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، على ما منّ

---

(١) هذا من كلام إبراهيم الصولي نقلها عنه الزركلي في مقدمة الأعلام ٢٢/١، ونقلها قبله الحموي في "ثمرات الأوراق". ينظر: النظائر، بكر أبو زيد، ص ٦٤.

(٢) ينظر: العقد الفريد لابن عبدربه ١٧/١، ونسبه للعتّابي، وبنحو ذلك قال الإمام الماوردي في: أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٥.

به عليّ من الهداية، والتوفيق إلى طريق طلب العلم الشرعي، ثم بإتمام هذا البحث على هذا الوجه.

كما أزجي الشكر وافراً جميلاً لمن تسنم ذروة الإحسان إليّ، وامتطى صهوة الحنو والعطف عليّ، والديّ الكريمين اللذين لهما الفضل - بعد الله عز وجل - في تربيتي صغيراً، وعطفهما ودعائهما كبيراً، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأوفاه ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1].

والشكر موصول لشيخي وأستاذي فضيلة الدكتور/ محمد بن عبدالله الوهيبي المشرف علىهذا البحث، والذي أتحفني من خلاله بتوجيهاته النيِّرة، وآرائه الثاقبة، وملحوظاته الدقيقة، مما كان له بالغ الأثر في تسديد قوسي وتقويم ساعدي، مع ما غمرني به من لين جانب، ورحابة صدر، وتواضع جَمٍّ، وخلق دَمِث.

فأسأل الله أن يمدَّ في عمره على طاعته، ويهبه الصحة والعافية، وأن يبارك في وقته وعلمه، وأن يقر عينه بصلاح أهله وذريته.

كما أشكر كل من مدّ لي يد العون والمساعدة بنصحٍ أو توجيه أو دعاءٍ أو مشورة في سبيل إخراج هذا البحث بهذه الصورة، وأخص منهم زوجتي التي شاركتني بعض أعباء هذا البحث.

كما لا يفوتني - أيضاً - أن أتوجه بالشكر للأخوة القائمين على جامعة الملك سعود وكلية التربية، وقسم الثقافة الإسلامية بشكل خاص على ما يبذلونه من جهود مذكورة مشكورة في سبيل نشر العلم والرقي بمستوى طلابه وتذليل الصعاب أمامهم.

وأخيراً، آمل أن أكون بعملي هذا قد قدمت لبنة متواضعة تضاف إلى صرح هذا العلم الشامخ، وهو لا يعدو أن يكون جهد مقل، وقليل من قليل، وعمل بشر النقص فيه صفه لازمة إذ الكمال لله وحده، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله منه. ورحم الله أخاً أهدى لي عيوبي، فالناقد بصير، والمؤمن مرآة أخيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

التمهيـــد

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: تعريف المنهج.
- المبحث الثاني: نشأة الخلاف في الأمة الإسلامية وأسبابه.
- المبحث الثالث: أشهر المؤلفات في الملل ومقالات الفرق.

المبحث الأول

تعريف المنهج

وفيـــه :

- المنهج في اللغة.
- المنهج في القرآن الكريم.
- المنهج في السنة النبوية.
- المنهج في الاصطلاح.

المبحث الأول: تعريف المنهج

إن من الأمور ذات الأهمية في البحوث والدراسات العلمية بيان المراد بمصطلحاتها الرئيسة قبل الخوض في غمار تفاصيلها ودقائقها؛ لكي تتضح معالمها وتظهر رسومها. وبذلك تعرف مقاصد الباحث ومراميه وأهدافه.

ولبلوغ هذه الغاية كان التعريف بمصطلح "المنهج" أمراً بالغ الأهمية لكونه موضوع هذه الدراسة التي تدور في فلكه، بل هو قطب رحاها المتجذِّر في جميع مفرداتها تقريباً.

ومما دعا لعقد هذا المبحث في التعريف بهذا المصطلح - إضافة إلى أهميته - ما هو ملموس في عدد الأعمال البحثية والدراسات العلمية التي عُنيت بدراسة المناهج عموماً، وما يتعلق منها بعلم العقيدة وفروعه خصوصاً من قلة الاهتمام المطلوب بتعريف هذا المصطلح، وبيان المقصود به[1].

ومعلوم أن إعداد رسالة علمية تبحث في قضية المنهج - أو لها علاقة به - دون بيان المقصود والمراد بذلك المصطلح قد يُعد من جوانب القصور في ذلك العمل العلمي وأسباب الخلل فيه.

ولتلافي الوقوع في هذا الأمر عمدت إلى التعريف بهذا المصطلح بشيء من التفصيل مع بيان المقصود به في هذه الدراسة.

ولعل مما يجعل هذا الأمر أكثر إلحاحاً ما هو ملموس على صعيد الدراسات العلمية من حرص كثير من المعنيين بها على اختيار الموضوعات المرتبطة بالمناهج أيّاً كان نوعها.

---

(١) يستثنى من ذلك بعض الدراسات والرسائل العلمية مثل:

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن.
- منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجية في العقيدة، خالد إدريس على أمير.
- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة د. عفاف بنت حسن مختار.

وهذا يؤكد ما أشار إليه أحد الباحثين من أن "الموضوعات التي تدور حول مناهج التفكير والبحث العلمي، أصبحت تستقطب اهتمام الدارسين اليوم أكثر من أي وقت مضى، إذ لم يعد مجرد الكشف عن المضامين المودعة في مصنفات وأبحاث العلماء كافياً، بل ينبغي معرفة طرقهم في البحث والتفكير، ومعاييرهم في وزن المعارف الصحيحة، وأدواتهم في النقد والتمحيص، وأسسهم النظرية التي بنوا عليها أبحاثهم"(١).

ومن هنا سيكون تعريفنا لهذا المصطلح بإيجاز من خلال المحاور التالية:

- المنهج في اللغة.
- المنهج في القرآن الكريم.
- المنهج في السنة النبوية.
- المنهج في الاصطلاح.

المنهج في اللغة:

المنهج من مادة نَهَجَ يَنْهَجُ نَهْجاً، والمنهج والمنهاج والنهج بمعنى واحد، ويُجمع المنهج على مناهج.

والنَّهج في اللغة: الطريق، وقيل: الطريق المستقيم.

والمِنْهاج: الطريق الواضح.

يقال: أَنْهجَ الطريقُ: وَضُحَ واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيِّناً.

وطريقٌ نَهِجٌ: بيِّنٌ واضحٌ، ومَنْهَجُ الطريق: وضَحُهُ.

ونَهَجْتُ الطريقَ: أبنته وأوضَحْتُه.

وفلان نَهَجَ سبيلَ فلان: أي سَلَك مسلَكَه(٢).

---

(١) تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، إبراهيم عقيلي، ص ٥٧.

(٢) ينظر مادة "نهج" في كل من:

- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٥/٣٦١.
- لسان العرب لابن منظور ٢/٣٨٣ - ٣٨٤.
- المصباح المنير للفيومي، ص (٣٢٢).
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص (٢٦٦).

من هذا يتبين أن كلمة منهج تطلق على الطريق الواضح والمستقيم والمستبين، الذي يسلكه الإنسان ويلتزمه.

المنهج في القرآن الكريم:

المتتبع لنصوص القرآن الكريم يلاحظ عدم ورود كلمة "منهج" فيه؛ لكن ورد ما يُرادفها ويتضمن دلالتها ألا وهي كلمة "منهاج"، فالمنهاج كالمنهج في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [١]. قال ابن عباس[٢] - رضي الله عنهما - أي: سبيلاً وسنة[٣].

وفسر المنهاج بالسبيل جمع من كبار المفسرين[٤]، قال الطبري[٥]: "معنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمه، وسبيلاً واضحاً يعمل به"[٦].

ورجح ابن كثير[٧] أن المنهاج "الطريق الواضح السهل"[٨].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن عبدمناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وبنو هاشم في الشعب، دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام بالعلم والحكمة وتأويل القرآن مع البركة والصلاح، وكان يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره، وكان عمر رضي الله عنه يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر وفقهه، مات بالطائف سنة ٦٨هـ.
ينظر: الاستيعاب لابن عبدالبر ٣٥٦/٢ - ٣٦٠، الإصابة لابن حجر ٣٣٠/٢ - ٣٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٩٢/٢.

(٤) وذلك: كمجاهد، وعكرمة، وقتادة، والحسن البصري، والضحاك، والسدي وغيرهم.
ينظر: المرجع السابق ٩٢/٢ - ٩٣.

(٥) هو الإمام المؤرخ المفسر الفقيه الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد في آصل طبرستان، واستوطن بغداد حتى توفي فيها ٣١٠هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٧/١٤، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٩١/٤، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٦٢/٢ - ١٦٩، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٧٨/١ - ٧٩.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣٨٨/١٠ - ٣٨٩.
وأحسن ما قيل في التفريق بين كلمتي: "شريعة" و"منهاج" هو: "أن الشريعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال: شرع في كذا، أي ابتدأ فيه، أما المنهاج: فهو الطريق الواضح السهل".
ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦٦/٢، فتح القدير للشوكاني ٧١/٢.

(٧) هو الحافظ المؤرخ الفقيه المفسر إسماعيل بن عمر بن كثير بن ورع، القرشي الدمشقي، أبو الفداء، ولد سنة ٧٠١هـ، طلب العلم من صغره ورحل من أجله، وله تصانيف كثيرة تناقلها الناس في حياته، توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ.
ينظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢٣١/٦، البداية والنهاية لابن كثير ٣١/١٤، طبقات المفسرين للسيوطي ١١٠/١.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٩٣/٢).

وبمثل هذا قال ابن حجر[(١)][(٢)]، كما قال بذلك غيره[(٣)].

المنهج في السنة النبوية:

الناظر في السنة النبوية يرى أن كلمة "منهج" وردت في نصوصها وكذلك وردت كلمة "منهاج"، كما ورد غيرها أيضاً.

- أما "المنهج" ففيما رُوي عن عبدالله بن سلام[(٤)] – رضي الله عنه – أنه قال: رأيت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا، رأيت كأن رجلاً أتاني فقال لي: انطلق، فذهبت معه، فسلك بي منهجاً عظيماً، فعرضت لي طريق عن يساري فأردت أن أسلكها، فقال: إنك لست من أهلها. ثم عرضت لي طريق عن يميني، فسلكتها حتى انتهيت إلى جبل زلق، فأخذ بيدي، فزجَّلَ بي[(٥)]، فإذا أنا على ذروته، فلم أتقار[(٦)] ولم أتماسك، فإذا عمود من حديد في ذروته حلقة من ذهب، فأخذ بيدي فزجَّل بي حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسكت؟ فقلت: نعم، فضرب العمود برجله فاستمسكت بالعروة.

---

(١) هو الحافظ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، من أئمة العلم ومن أشهر العلماء، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد في القاهرة عام ٧٧٣هـ، وأقبل على الحديث ورحل في طلب العلم حتى أصبح شيخ الإسلام في عصره، ولي قضاء مصر، ثم اعتزل، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ.
ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ٣٦/١، والدرر الكامنة لابن حجر ٩٤٢/٤ – ٥٠٠، والأعلام ١٧٨/١ – ١٧٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٤٦/١.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٥٠٦ زاد المسير، لابن الجوزي ٣٧٢/٢.

(٤) هو الصحابي الجليل عبدالله بن سلام الحارث الإسرائيلي، كان اسمه الحصين فغيره النبي صلى الله عليه وسلم، أسلم عند قدوم النبي إلى المدينة، كان حبر بني إسرائيل وأعلمهم، شهد الخندق وما بعدها، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس، مات عام ٤٣هـ.
ينظر: الإصابة ٣١٢/٢ – ٣١٣، طبقات ابن سعد ٣٥٢/٢، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٤٩/٥، سير أعلام النبلاء ٤١٣/٢ – ٤٢٦.

(٥) أي: رماني ودفع بي من: زجَلْت به زجلاً: أي دفعتُه.
ينظر: معجم مقاييس اللغة ٤٧/٣، لسان العرب ٣٠١/١١.

(٦) أي: لم أستقر وأتمكن أو لم ألبث.
ينظر: معجم مقاييس اللغة ٧/٥، لسان العرب ٨٤/٥.

فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "رأيت خيراً، أما المنهج العظيم فالمحشر، وأما الطريق التي عرضت على يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها..." الحديث[١].

كما ورد من مرادفاتها كلمة:

- "المنهاج" وذلك فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاءالله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت"[٢].
- وأيضا كلمة "نهجا" في حديث العباس[٣] - رضي الله عنه - : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا"[٤]. أي بينا واضحا، وفي رواية: "... حتى ترككم على طريق ناهجة" أي واضحة بينة.

---

(١) رواه مسلم عن خرشة بن الحر، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبدالله بن سلام، صحيح مسلم بشرح النووي، ٣٥/١٦ - ٣٦ حديث رقم ٢٤٨٤.
ورواه أحمد في مسنده واللفظ له، ٤٥٢/٥ - ٤٥٣.
ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب تعبير الرؤيا، الباب العاشر، حديث رقم ٣٩٢٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان ٢٧٣/٣. وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات (١٨٩/٥).
وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الحديث رقم (٥).

(٣) الصحابي الجليل العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، قيل أنه كان أسن من الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين، وقيل بثلاث سنين، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ وعمره ٨٦ سنة، وقيل ٨٨ سنة وقيل غيرها. أدرك في الإسلام ٣٢ سنة وفي الجاهلية ٥٦ سنة.
ينظر: الاستيعاب ٣٦٢/٢، تهذيب التهذيب ١٢٢/٥، الأعلام ٧٨/٢.

(٤) رواه الدارمي في سننه، الباب (١٤) ٤٠/١.
وينظر للاستزادة: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٣٤/٥.

ومما سبق يتبين أن كلمة "منهج" ومرادفاتها جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية بالمعنى اللغوي نفسه لهذه الكلمة كما هو ظاهر.

المنهج في الاصطلاح:

اجتهد كثير من الباحثين في وضع تعاريف اصطلاحية للمنهج، وخاصة أولئك الذين عنوا بالكتابة عن البحث العلمي، والناظر في تلك التعاريف يدرك من خلالها مدى الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، ومن أبرز تلك التعاريف:

١ – هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

وبعبارة أوجز: هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية وفي أي مجال[١].

٢ – هو القواعد العلمية التي سلكها العقل في حركته للبحث عن الحقيقة في أي مجال من مجالات المعرفة[٢].

والباحث يجب عليه أن يستصحب معه أمراً مهماً هو أن:

"المناهج تتنوع بتنوع العلوم وتختلف في العلم الواحد من عالم إلى عالم، ومن عصر إلى عصر"[٣].

فلكل علم ما يناسبه، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون – وهو الغالب – مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد[٤].

---

(١) ينظر: العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم، لحسين رشوان، ص ١٤٣ – ١٤٥.
منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى، ص ٢٧٣.

(٢) مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، ص ٣.

(٣) ينظر: الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني، ص ٤٧١.

(٤) ينظر: منهج البحث العلمي عند العرب ص ٣١ – ٣٢.

وبهذا يمكننا اعتبار المنهج ذا علاقة واتصال بأوجه النشاط الإنساني سواء ما كان منها في الجانب النظري أو في الجانب العملي، ذلك أن أي نشاط لا يخلو من منهج ضابط ينظمه ويحقق له أهدافه.

وللمنهج - باعتبار أنواع النشاط التي يُنسب إليها - أنواع عديدة، منها مثلاً: مناهج البحث، ومناهج التفكير، ومناهج العلوم سواء كانت علوماً طبيعية وتجريبية، كعلم الطب، والصيدلة، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، وعلوم الأرض، والأحياء، والحيوان، والنبات، أو علوماً إنسانية: كالدين، واللغة، والأدب، والتربية، والاجتماع، وعلم النفس، والتاريخ، والقانون، والاقتصاد، فلكل علم من هذه العلوم منهج خاص به.

كما أن للمنهج - باعتبار الطريقة التي يتم بها ذلك النشاط - أنواعاً عديدة أيضاً منها على سبيل المثال: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج التجريبي، والمنهج المقارن، والمنهج الكمي، والمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي[1].

ومن هنا يتجلى لنا أيضاً مدى ذلك الارتباط والتقارب بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة "المنهج".

ومما تجدر الإشارة إليه - في هذا الشأن - أنه مع تقارب مدلول كل من كلمة "الطريقة" وكلمة "المنهج" من الناحية اللغوية فإن بعض المعاصرين اصطلحوا على التفريق بين الكلمتين وإن لم يتفقوا على معنى واحد[2].

ويمكن تحديد ذلك بما يلي:

---

(١) ينظر: المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية دراسة وتقويماً - رسالة دكتوراه - مفرح بن سليمان القوسي، ٣٢/١. وللاستزادة في ذلك ينظر كل من:
- المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية ص ١٩٥.
- مناهج البحث العلمي ص ١٣.
- منهج البحث وإعداده، طلال المجذوب، ص ٢٠ - ٢٣.

(٢) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي ٢٢/١، الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، عدنان زرزور، ص ٣٥٣. نقلاً عن: القاسمي ومنهجه في تفسيره: محاسن التأويل، - رسالة ماجستير - ص ١٧٦، إبراهيم الحسن.

- **الطريقـــة**: الشـكل التنظيمـي والـترتيب الـذي يسـير عليـه المؤلـف خـلال عرضـه لجزئية من جزئيات ما يكتبه، أو لجميع ما يكتبه من جزئيات.
- **المنهج**: الكيفيـة الـتي يتنـاول بـها المؤلـف مـا يتطـرق إليـه مـن القضايـا المختلفـة، وموقفه منها، وما لذلك من انعكاسات وآثار على مؤلفه[١].

ومما لا شك فيه أن هذا الاصطلاح الذي يرى التفريـق بـين الكلمتـين قـد يكـون له وجاهته ومبرراته.

إلا أنه - ومن باب عدم المشاحة في الاصطلاح - يبقى عدم التفريـق بينـهما - والله أعلم - قد يكـون أكـثر وجاهـة لما بـين الكلمتـين مـن التداخـل والتقـارب الكبـير - كمـا سبق الإشارة إلى ذلك - وما هذا إلا نتيجة لتقاربهما مـن الناحيـة اللغويـة كمـا أسـلفنا. وهذا الرأي هو الذي سيسار عليه في هذا البحث.

إذن مقصودنا من المنهج في هذا البحث هو:

مفهوم المنهج القائم على المدلول الخاص للمنهج المرتبط بالتعريف اللغوي.

"فمنهج أبي المظفر الإسفراييني[٢] في كتابه التبصير في الديـن" أعـني بـه الطريقـة التي سار عليها في تنظيم وترتيب كتابه، والكيفية التي استخدمها في طرح ما لديـه من مسائل وما ينـدرج ضمـن ذلـك مـن الأسـاليب والخطـوات الـتي اتبعـها، بالإضافـة إلى موقفه مما يعرض له من أمور وآثار ذلك كله في كتابه.

ومن خلال ما سبق يتبـين وبجـلاء مـا للمنـهج مـن أهميـة في بيـان مـراد البـاحث والطرق التي سيسير عليها في بحثه "لكي تصب في الهدف الواحد فتكـون أغنـى فاعليـة وأكثر قدرة على التجديد والإبداع والعطاء"[٣].

وفي مقـابل هـذا نجـد "أن غيـاب المنـهج يعـني - بـالضرورة - بعـثرة الطاقـات وتفتيتها وإحداث التصادم بينها، فلا تكون جديرة بالإضافة والفاعلية والعطاء"[٤].

---

(١) ينظر: القاسمي ومنهجه في تفسيره ص ١٧٦.

(٢) ستأتي ترجمته في مبحث مستقل.

(٣) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، عمادالدين خليل ١٠ - ١١.

(٤) المرجع السابق ١٠ - ١١ بتصرف يسير.

المبحث الثاني

نشأة الخلاف في الأمة الإسلامية وأسبابه

وفيه

- مقدمات.
- نشأة الاختلاف والتفرق في الأمة الإسلامية.
- ذم التفرق والاختلاف.
- حديث الافتراق.
- أسباب الاختلاف والتفرق، وفيه:
  - الأسباب الداخلية.
  - الأسباب الخارجية.

المبحث الثاني

نشأة الخلاف في الأمة الإسلامية وأسبابه

مقدمات:

قبل أن يلج الباحث في مثل هذا الموضوع المهم يحسن به أن يقدم بين يديه مقدمات يوضح بها بعض جوانبه ويميط اللثام عنها؛ ليتم بها إدراك أمور ذات علاقة به لا غنى له عن فهمها واستيعابها. لأجل ذلك كانت هذه المقدمات التي حرصت فيها على الإيجاز - قدر المستطاع - مع الإعراض عن ذكر ما قد تطول به تلك المقدمات مما قد تم جمعه.

الأولى:

إن الاختلاف والتنازع من سنن الله الكونية، الواقعة في القديم والحديث، كما دلت على ذلك الأدلة، وليس ذلك قاصراً على بني آدم فحسب بل تعداهم إلى أهل العصمة كالملائكة والأنبياء - عليهم السلام - أما الملائكة فإن الله - سبحانه - يقول على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1].
ذكر المفسرون أن المراد بالآية اختصام الملائكة في شأن آدم - عليه السلام -[2] وكاختلافهم في قاتل المائة نفس[3].

أما الأنبياء فمن ذلك اختلاف سليمان وداود، ومحاجَّة موسى لآدم، وكذلك ما حصل لموسى مع كل من هارون والخضر - عليهم السلام -، وما أجمل ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية[4] - رحمه الله - عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ

(١) سورة ص، الآية: ٦٩.

(٢) ينظر:تفسير القرآن العظيم ٥٦/٤، معالم التنزيل للبغوي ١٠١/٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٧/١٥، فتح القدير ٦٣٠/٤.

(٣) كما جاء ذلك في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل.

(٤) هو المحدث الفقيه الحافظ المفسر المجتهد، قامع البدع، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله ابن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي الحنبلي، تقي الدين أبو العباس. ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي - رحمه الله - سنة ٧٢٨هـ، له مؤلفات كثيرة. =

وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[1].

حيث يقول: إن الخلاف وقع بين الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء، فهذان نبيان كريمان حكما في قصة فخص الله أحدهما بالفهم، ولم يعب الآخر، بل أثنى عليهما جميعاً بالحكم والعلم. وهكذا حُكْم العلماء المجتهدين ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل العالمين بالكتاب[2]. وكأنه يؤكد بكلامه هذا على أن من لوازم هذه الوراثة وقوع الخلاف بينهم، بل هو من باب أولى. وهذا راجع إلى علة - أشار إليها ابن الوزير[3] - رحمه الله وهي: التفاضل في العلم... فإن العوائد التجريبية والأدلة السمعية دلت على امتناع الاتفاق في تفاصيل الحكم[4].

ويمكن أن يضم إلى ذلك أسباب أخرى كثيرة "منها ما يعود إلى الإنسان المجتهد، ومنها ما يعود إلى الوحي المنزل، ومنها ما يعود إلى اللغة التي نزل بها الوحي، ومنها ما يعود إلى طريق نقل الوحي، ومنها ما يعود إلى طبيعة الأحداث والنوازل التي يبحث عن حكمها في الشرع شرعا وقدرا"[5].

لأجل ذلك حكم الله على عباده أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم، وإلا فهو قادر على جعلهم أمة واحدة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[6].

= ينظر: البداية والنهاية ١٣٨/١٤، الدرر الكامنة ١٤٤/١، دائرة المعارف الإسلامية ١٠٩/١، الوافي بالوفيات ١٥/٧، جلاء العينين، للألوسي ص ١٧ وما بعدها، فوات الوفيات ٧٤/١ - ٨٠، الأعلام ١٤٠/١.

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ١٥٩/٣٣، وينظر: المرجع نفسه ٢٩/٣٣، ٤١/٣٣.

(٣) هو الإمام المجتهد العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الشهير بابن الوزير، من أعيان أهل اليمن. نبذ التقليد وتحرر من الزيدية، واعتنق مذهب السلف، وألف في ذلك تواليف تعد من غرر المؤلفات علما وإنصافا وحسن صياغة، من أشهرها: إيثار الحق، والعواصم والقواصم، عاداه علماء الزيدية حتى اعتزل في جبل إلى أن مات، كان - رحمه الله - صاحب نسك وعبادة وعلم جم واتباع للسنة، توفي سنة ٨٤٠هـ.
ينظر: البدر الطالع للشوكاني ٨١/٢، معجم المؤلفين عمر كحالة ٢١٠/٨، الأعلام ٣٠٠/٥، الضوء اللامع ٢٧٢/٦.

(٤) ينظر: إيثار الحق على الخلق ٨٧، وينظر: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية لعلي الحربي ١٦٥/١.

(٥) أدب الخلاف، عوض القرني، ص ٥٢.

(٦) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

قال ابن كثير – رحمه الله – : "يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان وكفر كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[١]. وقوله : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾. أي ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقاداتهم ومللهم ونحلهم، ومذاهبهم وآرائهم..."[٢]

من هذا نخلص إلى أن الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت إراداتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم[٣]. وهو سنة كونية وطبيعة بشرية اقتضتها حكمة الله – تعالى – في خلقه حسب تكوينهم في عقولهم ومآدبهم وتأثراتهم وتأثيراتهم[٤].

الثانية:

إن الاختلاف منه ما هو مذموم، ومنه ما هو سائغ غير مذموم.

وبالتالي فيمكن تقسيمه إلى قسمين، ومع أن هذا التقسيم يكاد يكون مجمعاً عليه بين العلماء، إلا أن آراءهم ونظراتهم متباينة في الأساس الذي يبنى عليه هذا التقسيم.

- فمنهم من نظر إليه باعتبار المنشأ، فإن كان منشأ الخلاف الهوى فهو اختلاف مذموم، وإن كان منشؤه الاجتهاد وتفاوت الأفهام والمدارك فهو اختلاف غير مذموم[٥].
- ومنهم من نظر إلى الاختلاف باعتبار ذوات المختلفين، فإن كان الشخص قد اجتهد في الوصول إلى الحق سواء أصابه أم لا، فإن أصابه فهو محمود، وإن أخطأه فهو محمود على اجتهاده معفو عن خطئه. وأما إن كان الشخص قد أخطأ الوصول إلى الحق مع تفريطه وعدوانه وعدم اجتهاده فهو مذموم.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٠٤/٢.

(٣) ينظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم ٥١٩/٢.

(٤) ينظر: موقف المسلم من الخلاف، للعلامة عبدالرحمن البراك، ص ١٣.

(٥) ينظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد ٤، عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ (ص ٢٧٥)، بحث: نشأة الفرق الإسلامية، أسبابها وطبيعتها، الشيخ/ عبدالرحمن المحمود.

وقد أشار إلى هذا كل من شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم[١][٢].

- وهناك من نظر من العلماء إلى هذا الموضوع من زاوية الحكم من حيث التحريم وعدمه، كالإمام الشافعي[٣] - رحمه الله - حيث رده إلى قسمين: محرم، وغير محرم، فكل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان رسوله منصوصاً بيناً فلا يحل الاختلاف فيه لمن علمه، والاختلاف في هذا محرم.

وما كان يحتمل التأويل ويدرك قياساً، فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس وإن خالفه فيه غيره فهذا غير محرم[٤].

والخلاصة التي يمكن الوصول إليها مما سبق: إن الاختلاف أيّاً كانت نظرتنا له فلا يخلو من حالين: إما أن يكون مذموماً أو سائغاً غير مذموم.

فالسائغ ما كان ناشئاً عن اجتهاد وحسن نية وقصد للحق ولم يكن في أصول الدين، فإن أصاب صاحبه الحق مع اجتهاده فله أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن أخطأه فله أجر الإصابة وخطأه مغفور له ومعفوٌّ عنه - إن شاءالله -.

وذلك مصادقاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد"[٥].

---

(١) الإمام العلامة الحافظ محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين المعروف بابن القيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ برع في علوم كثيرة ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية مدة طويلة، له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم والفنون، وتوفي سنة ٧٥١هـ.

ينظر: البداية والنهاية ٢٣٤/١٤ - ٢٣٥، طبقات الحفاظ، للسيوطي ص ٥٥٠، الدرر الكامنة ٤٠٠/٣، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٤٧/٢ - ٤٥٢، شذرات الذهب ١٦٨/٦ - ١٧٠، البدر الطالع ١٤٣/٢ - ١٤٦.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١٣٠/١. الصواعق المرسلة ٥١٤/٢.

وينظر الافتراق وأصول الفرق في القرن الأول الهجري - رسالة ماجستير - حمود الحربي ص ١٧ - ١٨.

(٣) الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبدالله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه ينسب مذهب الشافعية، توفي - رحمه الله - سنة ٢٠٤هـ.

ينظر: تذكرة الحفاظ ٣٦١/١، تهذيب التهذيب ٢٥/٩، وفيات الأعيان ٤٤٧/١، تاريخ بغداد ٥٦/٢، البداية والنهاية ٢٦٢/١، تهذيب الأسماء واللغات ٤٤/١ - ٦٧.

(٤) ينظر: الرسالة للإمام الشافعي ص ٥٦٠ بتصرف. نقلاً عن الافتراق وأصول الفرق ص ١٨.

(٥) رواه البخاري في كتاب الاعتصام باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. ورواه مسلم في كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، كلاهما من رواية عمرو بن العاص.

والمذموم ما كان منشؤه الهوى والجهل وكان سببا في التشرذم والفرقة وإفساد ذات البين وصحبه الإفراط والتعدي، أو كان واقعا في أصول الدين.

ومن خلال هذه المقدمة ننتقل إلى المقدمة الثالثة التي تعد منبثقة منها ومتفرعة عنها.

الثالثة:

أن هناك فرقا بين الخلاف في الأصول والخلاف في الفروع.

فالخلاف في الفروع هو الذي جاءت على أثره المذاهب الأربعة المشهورة وغيرها وهو خلاف طبيعي له ما يبرره[١]، وهو ما عناه الشافعي بالقسم الثاني - غير المحرم - في كلامه السابق.

وهو الذي جعله ابن العربي[٢] من محاسن هذه الشريعة[٣].

وقد أيد بعض العلماء ذلك بما نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: "اختلاف أمتي رحمة"[٤] وغيره مما في معناه[٥]. ومن أولئك أبو المظفر الإسفراييني في كتابه التبصير في الدين[٦].

وقد نقل شيخ الإسلام في هذا الصدد قول بعض العلماء: "اختلافهم رحمة واسعة"[٧] وقال كذلك: "وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط"[٨]. وهذا

---

(١) ينظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد ٤، ص ٢٧٨، البحث السابق.

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي الفقيه، برع في علوم وفنون عديدة، وكان فصيحاً ثاقب الذهن كامل السؤدد وافر المال، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٥٤٣هـ.
ينظر: السير ٢٠٤/٢٠، طبقات الحفاظ ٤٦٨، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٨١، وفيات الأعيان ٤٨٩/١، شذرات الذهب ١٤١/٤، الصلة لابن بشكوال ٥٩٠/٢ - ٥٩١، بغية الملتمس للضبي ٩٢ - ٩٩.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢٩٢/١.

(٤) ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٥٧) وقال: "لا أصل له، ونقل المناوي عن السبكي أنه قال: وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع".

(٥) ينظر: أسباب اختلاف العلماء، د. عبدالله التركي ص ٤٩.

(٦) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٥، وذكره بلفظ: "الخلاف بين أمتي رحمة" وهو خلاف اللفظ المشهور على الألسنة "اختلاف أمتي رحمة" السابق.

(٧) مجموع الفتاوى ٨٠/٣٠.

(٨) المرجع السابق ١٧٣/٢٤، وينظر نحواً من ذلك في المرجع نفسه ١٥٩/١٤.

النوع من الاختلاف يعتبر من اختلاف التنوع[١] الذي يعذر المختلفون بوقوعه، ولا يذم فيه أحد منهما لاجتهاده فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد – كما سبق – ولكن ذلك لا يتحقق إلا بكون ذلك الخلاف مبنياً على سلامة النية، والبحث عن الحق والصواب، خالياً من الانقياد للهوى والتعصب[٢].

أما إذا اقترن به التعصب والهوى والحسد أو صحبه التأويل الفاسد المخالف للنصوص الشرعية فحينئذ يكون مذموماً[٣].

وقد بُسِطَ الكلام عن مثل هذا النوع من الخلاف وأسبابه وأحواله في عدة كتب قديماً وحديثاً[٤].

أما الخلاف في الأصول فهو الذي نشأت عنه الفرق الإسلامية، وكان سبباً في الافتراق والتشرذم والتحزب، وهو الذي يكون فيما لا يسوغ الاختلاف فيه من أصول الدين، سواءً كانت الأصول في الاعتقاد أو في المسائل العملية المجمع عليها وذات الدلالة القطعية التي لا يسوغ الخلاف فيها. ويمكن أن تعرّف الأصول بأنها "التي ثبتت بنص قاطع أو بإجماع أو استقرت منهجاً عملياً لأهل السنة والجماعة لا يختلفون عليه"[٥].

وهذا النوع من الاختلافات منشؤها التفاوت في الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١٣٢/١ – ١٣٤.

(٢) ينظر: الافتراق وأصول الفرق ص ١٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢٣، اقتضاء الصراط المستقيم ١٣١/١ – ١٣٢ وما بعدها.

(٤) ومن ذلك: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية، الإنصاف في أسباب الاختلاف لولي الله الدهلوي، التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين لأبي محمد البطليوسي، الخلاف بين العلماء وأسبابه وموقفنا منه، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

(٥) قضايا عقدية معاصرة، د. ناصر العقل ص ١١ – ١٢.

وينظر: مجلة منار السبيل العدد ٣، ص ٥، مقال "دراسة الفرق" للدكتور/ الحسين شواط، وأشار الشاطبي إلى مثل لك، ينظر: الاعتصام لشاطبي ٢٠٠/٢ – ٢٠١.

وأهل السنة إن اختلفوا في شيء فإنه لا يكون في مسائل الاعتقاد ألبتة إلا في مسائل جزئية قليلة وإنما اختلافهم في المسائل العملية[١].

لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "من خالف الكتاب المستبين ، والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه ، فهذا يعامل معاملة أهل البدع"[٢].

كما أنه نقل عبارة جامعة فيها إشارة إلى هذين النوعين من الخلاف – في الأصول والفروع – وهي قول بعض العلماء في اختلاف الأئمة : "اتفاقهم حجة قاطعة ، واختلافهم رحمة واسعة"[٣].

---

(١) ينظر: موقف المسلم من الخلاف، ص (١٩ – ٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٤.

(٣) المرجع السابق ٨٠/٣٠، وقد حكى هذا القول ولم ينسبه لقائل معين، وبعد البحث عثر عليه ضمن كلام ابن قدامة في مقدمته لكتابه المغني ٤/١.

وللإمام القسطلاني في المواهب اللدنية نحواً منه حيث يقول: "إجماعهم حجة، واختلافهم رحمة".

ينظر: أبحاث ندوة أدب الاختلاف في الإسلام التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الزيتونة.

بحث: آداب الاختلاف لدى الصحابة – رضوان الله عليهم – لأحمد محمد هاشم ص ١٥٨.

نشأة الاختلاف والتفرق في الأمة الإسلامية

بعث الله رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس وهم يتخبطون وسط دياجير ظلام الجاهلية، اجتالتهم الشياطين وتلاعبت بهم حتى وقعوا في براثن الشرك وأوحال الضلال، فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وانطمس بنور هديه ما كان فاشياً من حنادس الانحرافات العقدية التي نكست فطرهم وغلفت قلوبهم، وأعمت أبصارهم.

فاهتدوا واتحدوا بعد ضلال فرقة، واجتمعوا بعد شتات، وامتلأت قلوبهم بنور الإيمان وبرد اليقين، وطهروا من أدران الشرك والخذلان. كل ذلك والرسول – صلى الله عليه وسلم – بينهم على مدى ثلاث وعشرين سنة، يبلغ ويعلم، يرشد ويعظ، يقتدون به ويهتدون بهديه، ويستنون بسنته، وساروا معه على عقيدة صافية ومنهج واحد في أصول الدين وفروعه لا يحيدون عنه قيد أنملة.

وما من خلاف يطرأ أو إشكال يحصل أو ميل يظهر – وما أقله – خلال تلك المدة إلا وينتهي فور وصوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذلك إلا "لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه وأزال عنهم ظلم الشكوك والأوهام"[١]. إضافة إلى ما في ذلك من الحِكَم الإلهية والمقاصد التعليمية. ولم يلتحق بالرفق الأعلى حتى تركهم على مثل البيضاء ليلها كنهارها. ثم سار الصحابة من بعده على ما كانوا عليه حال حياته جماعةً واحدةً، وصفّاً واحداً غير متفرقين ولا مبتدعين.

إن وقع بينهم خلاف في مسألة مما يسوغ فيه الخلاف من مسائل الاجتهاد لا يلبث حتى يحسم ببيان الحق ورجوع المخالف دون تفرق أو تحزب[٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٢٦٢.

(٢) ومن تلك المسائل على سبيل المثال:

اختلافهم في موته صلى الله عليه وسلم، وفي موضع دفنه، وفي الخليفة بعده، وفي قتال مانعي الزكاة، وتسيير جيش أسامة، وجمع المصحف. =

إلا أن مما ينبغي الإشارة إليه هنا أن اختلافهم لم يكن قط في مسألة من مسائل الاعتقاد أو قواعده، ولا أصل من أصول الدين. يقول الإمام ابن القيم مشيراً إلى ذلك:

"وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم ينازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين"[١].

كما أومأ إلى ذلك أبو المظفر الإسفراييني عندما بين أن الخلاف لا يكون خطراً إلا إذا كان في أصول الدين حيث قال:

"ولم يكن اختلاف بينهم في ذلك بل كان اختلاف من يختلف في فروع الدين، مثل مسائل الفرائض، فلم يقع خلاف يوجب التفسيق والتبري"[٢]. وعلى هذا كان عهد أبي بكر[٣] وعمر[٤]– رضي الله عنهما– وشطراً من خلافة عثمان – رضي الله عنه –

= ينظر في ذلك وغيره: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٤ – ١٧، التبصير في الدين، ص ١٩ – ٢٠، الملل والنحل للشهرستاني ٢٢/١ – ٢٧.

(١) أعلام الموقعين لابن القيم ٣٩/١.

(٢) التبصير في الدين ص ٢٠.

(٣) أبو بكر الصديق هو عبدالله بن أبي قحافة، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله من الرجال، ولد بمكة ونشأ سيداً من سادات قريش وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياساتها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف عظيمة وكبيرة، دامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر، توفي ١٣هـ.
ينظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣٠٩/٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧، تذكرة الحفاظ ص ٢١١، شذرات الذهب ٢٧/١، طبقات ابن سعد ١١٩/٣، العبر للذهبي ١٦/١، الاستيعاب ٩٦٣/٣.

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله بن فرط بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم بعد أربعين رجلاً، وكان إسلامه في السنة =

ولا يعني هذا أن تلك الحقبة كانت خلواً من محاولة بروز بعض الانحرافات العقدية، لكنها ما إن تطل برأسها أو تستهل صارخة حتى توأد في مهدها كما حدث في قصة "صبيغ بن عِسل"[١] الذي كان يثير بعضاً من الإشكالات حول متشابه القرآن، فبعث إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فضربه وأدبه حتى زال ما كان يجد في رأسه من الشبه[٢].

لذا عاش المجتمع الإسلامي إبان عهدهما في صفاء يسوده، ونقاء يحفه[٣]، حيث كان بينه وبين الفتن باباً مغلقاً فهو بذلك في حصن حصين عنها، لا تنفذ إليه أو تتسلل.

لكن ذلك الباب كسر بموت الفاروق عمر - رضي الله عنه - الذي كان بمثابة صمام الأمان ضد كل ذلك، كما في الصحيحين عن حُذيفة بن اليمان[٤] - رضي الله عنه - أنه قال: كنا جلوساً عند عمر - رضي الله عنه - فقال: أيّكم

= السادسة، وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم الفاروق، تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وفتحت الفتوح في عهده، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٤هـ.

ينظر: أسد الغابة ١٤٥/٤ - ١٨١، تهذيب التهذيب ٢٢٢/١٤، الجرح والتعديل للرازي ٢٠٨/١، تذكرة الحفاظ ٥/١ - ١٠، طبقات الحفاظ ص ١٣، الاستيعاب ١١٤٤/٣، صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢٦٨/١، الإصابة ٢٧٩/٤.

(١) صبيغ - على وزن عظيم - بن عِسل - بكسر العين وسكون السين - ويقال: بالتصغير: صُبيغ، له إدراك، وقصته مع عمر مشهورة، وقد نفاه إلى البصرة، وأمر بهجره ومنع عطائه، حتى صلح أمره، وحسن حاله، وصدقت توبته، فعفا عنه.

ينظر: الإصابة ٤٥٨/٢ - ٤٦٠. الاشتقاق لابن دريد ٢٢٨.

(٢) أورد القصة عدد من المتقدمين ينظر:
- البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٥٦.
- الشريعة للآجري ٤٨١/١.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٧٠٣/٤.

(٣) يشير بعض الباحثين إلى جملة من الأسباب التي أدت إلى عدم ظهور الافتراق في ذلك العهد وأسهمت في عدم إيجاد تربة خصبة وأرض صالحة تنبت فيها الفتن. وقد تركت الإشارة إليها خشية الإطالة.

ينظر: الافتراق وأصول الفرق ١٥٥ - ١٥٩.

(٤) هو حذيفة ابن اليمان، أبو عبدالله، اسم أبيه حسيل، صحابي جليل، صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم، من نجباء الصحابة وأعيان المهاجرين، شهد أحداً وما بعدها، توفي سنة ٣٦هـ.

ينظر: الإصابة ٣١٦/١، السير ٣٦١/٢، والعبر ٢٧/١، تجريد الصحابة للذهبي ١٢٥/١.

يحفظ قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الفتنة؟ قلت: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه أو عليها لجرئ، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذن لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط، فَهِبْنَا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً[١] فسأله، فقال الباب عمر"[٢].

بدأت بعد ذلك خلافة ذي النورين عثمان بن عفان[٣] – رضي الله عنه – وأخذت الفتن تدبّ إلى جسد الأمة، وظهرت لها بعض الإرهاصات ثم لم تلبث حتى أطلت برأسها، وما فتئت تنمو وتزداد خاصة عندما وجدت من يذكي نارها

---

(١) هو مسروق بن الأجدع، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، يقال: إنه سُرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً. إمام قدوة من كبار التابعين، روى عن كثير من الصحابة، بل إنه من المخضرمين الذين = = أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. يروى عنه أنه قال: "ما آسى على شيء إلا السجود لله تعالى" توفي سنة ٦٣هـ. قال عنه يحيى بن معين: مسروق ثقة لا يسأل عن مثله".
ينظر: طبقات ابن سعد ٢٧٦/٦، تاريخ بغداد ٢٣٢/١٣، تذكرة الحفاظ ٤٦/١، السير ٦٣/٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، وكذلك في كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الفتنة من قبل المشرق.
ينظر: فتح الباري ٩/٢، ٩٦/٨. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، وكذلك في كتاب الفتن باب في الفتنة التي تموج كموج البحر.
ينظر: شرح صحيح مسلم ١٢٨/١، ٢٢١٨/٣.

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدالشمس بن عبدمناف بن قصي القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، جمع الناس على مصحف واحد، كان ينفق ماله في سبيل الله، ثالث الخلفاء الراشدين، استشهد سنة ٣٥هـ، وعمره ٨٢ سنة.
ينظر: الاستيعاب ١٠٣٧/٣، الحلية لأبي نعيم ٥٥/١، صفة الصفوة ٢٩٤/١، تذكرة الحفاظ ٨/١، أسد الغابة ٥٨٤/٣ – ٥٩٦، الإصابة ٤٥٦/٤ – ٤٥٩.

ويؤججها، وذلك على يد "عبدالله بن سبأ"[١] اليهودي الذي أظهر الإسلام وبدأ يؤلب الناس على عثمان ويقدح في خلافته ويحرض على قتله، فتلقف ذلك أشياعه كما تأثر به طغام الناس ورعاعهم، وانتهى الأمر بهم إلى حصاره واقتحام داره وقتله وذلك سنة خمس وثلاثين للهجرة.

بهذه الفاجعة ارتفعت درجة حرارة الفتنة و "بدأ طوفان الفتن بالتدفق وبشكل أقوى من ذي قبل"[٢]. وفي تلك الأثناء بويع لعلي[٣] – رضي الله عنه – بالخلافة والناس لايزالون مختلفين تحت تأثير المصيبة، منهم من يرى الدخول تحت بيعة خليفة، ثم الثأر لخليفة المسلمين بالقصاص من قتلته، ومنهم من يرى أن الثأر والقصاص مقدم على البيعة، وطائفة أخرى اعتزلت تلك الفتنة، إضافة إلى أن هناك قوماً كانوا بعيدين عن موقع الأحداث ثم جاؤوا إليه بعد أن أنشبت الفتنة أظفارها[٤].

وقد تمخض عن معمعة ذلك الخلاف نشوب القتال، فكانت موقعة الجمل عام ستة وثلاثين للهجرة، تلتها وقعة صفين عام سبعة وثلاثين للهجرة التي شهدت حادثة التحكيم والتي ظهر على أثرها أول فرقة في تاريخ الأمة وهي فرقة "الخوارج" الذين انفصلوا عن علي – رضي الله عنه – وأشعلوا شواظ الفتنة ضده وكفروه وانتهجوا

---

(١) عبدالله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية، وكان يقول بألوهية علي رضي الله عنه، وأصل عبدالله بن سبأ من اليمن، كان يهودياً ثم أظهر الإسلام، دخل دمشق فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته، ويقال: أن علياً رضي الله عنه أحرقه بالنار.

ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٤٢٦/٢، لسان الميزان لابن حجر ٢٨٩/٣، الأعلام ٢٢٠/٤.

(٢) الافتراق وأصول الفرق ص ١٦٠.

(٣) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، من أوائل الناس إسلاماً، ولد قبل البعثة بعشرة سنين، تربى في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوَّجه ابنته فاطمة رضي الله عنها، وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، فضائله كثيرة، ومناقبه جمة، قتل سنة ٤٠هـ.

ينظر: أسد الغابة ١٦/٤، الاستيعاب ١٠٨٩/٣، صفوة الصفوة ٣٠٨/١، الإصابة ٢٦٩/٣، التهذيب ١٧٦/٢، البداية والنهاية ٣٣٤/٧، ميزان الاعتدال ٤٥٠/١، مروج الذهب للمسعودي ٣٥٨/٢ – ٣٥٩.

(٤) ينظر: الإشارة إلى هذا التقسيم في: العمل وعلاقته بالإيمان عند الفرق الإسلامية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة – بحث ماجستير – شريفة الحازمي ص ٥٦ – ٥٧.

مبدأ تكفير مرتكب الكبيرة، وقد تزامن ذلك مع ظهور فرقة الشيعة الذين بالغوا في محبة علي، كما بالغ الخوارج في بغضه، فأصبح "الفريقان متقابلان تقابل التضاد"[(١)].

ثم توالت بعد ذلك البدع واتسعت دائرة الافتراق، وبرزت فرق تبنت بعضا من تلك البدع كالقدرية والمرجئة، تبعها بدعة القول بنفي الصفات، وتفرع عن كل منها فرق أخرى.

ومن المهم هنا بيان هل تعد تلك الفتن والأحداث الآنفة الذكر والتي نتج عنها استشهاد الخليفتين عمر وعثمان – رضي الله عنهما – بداية لتفرق الأمة الإسلامية؟

لعل الصواب أنه لا يمكن أن تعد كبداية تاريخية لنشأة الفرق، بيد أنه يمكن عدها تمهيدا وتوطئة لظهور الفرق فيما بعد.

فلابد أن نبين الفرق بين الافتراق كبداية نتجت عن الاختلاف في الآراء تجاه قضية معينة دون الانتماء إلى حزب معين أو فرقة معينة، وبين الافتراق كمفهوم يطلق على بداية ظهور الفرق الرئيسية في القرن الأول الهجري.

فالافتراق بالمعنى الأول يعد تمهيدا وتوطئة للافتراق بالمعنى الثاني؛ إذ إنه نتج عن الاختلافات في الآراء تكون أحزاب لها معتقداتها ورجالها[(٢)].

وبناء على هذا التقسيم نستطيع القول أن بداية التفرق والافتراق في الأمة الإسلامية حصل بشكل واضح ملموس بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – لكنه لم يأخذ شكل حزب له مفاهيمه الخاصة وميزاته المنفردة.

ونستطيع كذلك القول بأن بداية ظهور الفرق كان في زمن علي – رضي الله عنه – حيث وجدت عدة فتن تمخض عنها ظهور أول فرقة في الإسلام وهي فرقة الخوارج، ومن هذه الفتن وقعتا الجمل وصفين[(٣)].

---

(١) ينظر: الملل والنحل ١/٤٣.

(٢) ينظر: الافتراق وأصول الفرق ١٦٠ – ١٦١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١٦٢.

ذم التفرق والاختلاف:

لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على ذم كل من الاختلاف والافتراق والتحذير منهما والنهي عنهما وأنهما من أسباب الفشل وذهاب الريح، إلى جانب كونهما من صفات الأمم الهالكة التي حادت عن الصراط المستقيم وطريق الحق القويم.

وتبعاً لذلك جاءت أقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف المهديين مؤكدة ومؤيدة.

وفي مقابل ذلك كله نجد الحث على الاجتماع والائتلاف والأمر بالاعتصام بحبل الله المتين، والاتباع لهدي المرسلين وأن ذلك من أسباب النجاة والفلاح.

- **القرآن الكريم:**

- قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢].

- وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[٣].

- وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٣ – ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

- وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[1].

- وكذلك قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۢ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[2].

من خلال ذلك يتبين بجلاء أنه "ما جاء التفرق في الكتاب العزيز إلا مذموماً ومتوعداً عليه، وما جاء الاجتماع على الحق والهدى إلا محموداً وموعوداً عليه بالأجر العظيم، لما فيه من المصالح العاجلة والآجلة"[3].

- **السنة النبوية:**

- عن أبي هريرة[4] ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "دعوني ما ترتكتم فإنما أهلك من كان قبلم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"[5].

- عن جندب بن عبدالله[6] – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) لمحة عن الفرق الضالة للشيخ صالح الفوزان ص ١٠ – ١١.

(٤) الصحابي الجليل والمحدث الحافظ والإمام الفقيه عبدالرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، أسلم في أول سنة سبع عام خيبر، وحمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وحدث عنه خلق كثير يصلون إلى ثمانمائة، وذكره الذهبي، توفي سنة ٥٨هـ، وقيل ٥٩هـ ولما مات حضر جنازته عبدالله بن عمر – رضي الله عنه – فبكى وأكثر الترحم عليه، وقال: كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين.
ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢، طبقات ابن سعد ٣٦٢/٢، البداية والنهاية ١٠٣/٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ٦٨٥٨، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب توقيره صلى الله عليه وسلم رقم ١٨٣٠.

(٦) هو الصحابي الجليل جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة ثم البصرة، قدمها على مصعب بن الزبير، مات بعد الستين.
ينظر: تجريد أسماء الصحابة ٩١/١، الإصابة ٢٠٥/١، تهذيب التهذيب ١١٧/٢.

وسلم – : "اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا"[١].

- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته جاهلية"[٢].

- عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر وجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"[٣].

- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكاب والسنة، باب كراهية الاختلاف رقم ٦٩٣١، ومسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن رقم ٢٦٦٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم ١٨٤٨.

(٣) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة، وفي كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ ورواه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة رقم ١٧١٥.

قال الإمام النووي [١] - رحمه الله - "وأما قوله - صلى الله عليه وسلم - (ولا تفرقوا) فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام.

واعلم أن الثلاثة المرضية، إحداها: أن يعبدوه، الثانية: أن لا يشركوا به شيئاً، الثالثة: أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا"[٢].

- عن عرفجة الأشجعي[٣] - رضي الله عنه -قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب الناس فقال: "سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد يفرق أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - كائناً من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض"[٤].

- عن الحارث بن الحارث الأشعري[٥] - رضي الله عنه -أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "...أنا آمركم بخمس أمرني الله تعالى بهن، الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه، إلا أن يراجع"[٦].

---

(١) هو الإمام الفقيه يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الشافعي، أبو زكريا، عالم جمع بين الفقه والحديث، اشتهر بالصلاح والعبادة، ولد سنة ٦٣١هـ في نوا من قرى حوران، وتوفي فيها سنة ٦٧٦هـ.
ينظر: شذرات الذهب ٣٥٤/٥، طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٦/٢، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧٦٧/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٢.

(٣) عرفجة بن شريح الكندي، ويقال الأشجعي، ويقال عرفجة الأسلمي، وقد اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، ليس له عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث.
ينظر: الاستيعاب ١٧٣/٣ - ١٧٤، الإصابة ت ٥٥٢٤.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٨٥٢)، وأبو داود: باب من قتل الخوارج (٤٧٦٢). والنسائي: كتاب تحريم دم المسلم، باب قتل من فارق الجماعة (٤٠٣٢) واللفظ له.

(٥) الصحابي الجليل الحارث بن الحارث الأشعري أبو مالك، قيل أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً، وهو حديث حسن جامع لفنون من العلم، وقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً.
ينظر: الاستيعاب ٣٤٩/١، أسد الغابة ت ٨٦١، الإصابة ٢٧٥/١ ت ١٣٨٩، الوافي بالوفيات للصفدي ٣٤١/١١، ٣٤٥، تهذيب التهذيب ٢١٨/١٢ - ٢١٩ ت ١٠٠٢.

(٦) أخرجه الترمذي في الأدب وقال: "حسن صحيح غريب" (٢٨٦٣) (٢٨٦٤) ١٤٨/٥، والإمام أحمد في مسنده ١٣٠/٤ - ٢٠٢، ٣٤٤/٥. كما أخرجه غيرهم. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٠/٢ (١٧٢٠).

- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد"(١).

• الآثار:

- عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: "أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله تعالى"(٢).

- عن ابن مسعود(٣) - رضي الله عنه - قال: "أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة"(٤).

- عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: "من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية"(٥)، وقريباً منه يقول: "من أقرّ باسم من هذه الأسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"(٦)، والأسماء المحدثة أسماء أهل الأهواء: كالخوارج والشيعة والقدرية والله أعلم(٧).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٨/١، والترمذي، وقال: "صحيح غريب من هذا الوجه" (٢١٦٥) ٤٦٦/٤.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٣٩٦/٥ - ٣٩٧، والآجري في الشريعة ٢٨١/١ - ٢٨٣ كما ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٦٠/٣.

(٣) هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود بن غافل أبو عبدالرحمن الهذلي المكي المهاجري، صحابي من كبار الصحابة فضلاً وقرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هاجر الهجرتين، وشاهد المشاهد كلها، ولي قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر رضي الله عنه، ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها سنة ٣٢هـ.

ينظر: الإصابة ٣٦٨/٢، السير ٤٦١/١، الاستيعاب ٩٨٧/٣ - ٩٩٤، أسد الغابة ٣٨٤/٣ - ٣٩٠، الأعلام ١٣٧/٤.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٧٥/٧، ٧٦، والآجري في الشريعة ٢٩٨/١ - ٢٩٩، واللالكائي في شرح الأصول ١٢١/١.

(٥) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل في السنة ٣٥٢/١ - ٣٥٣.

(٦) رواه ابن بطة في الإبانة ٣٥٤/١.

(٧) ينظر: مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع للدكتور ناصر العقل ٦٤.

- وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وكل بدعة ضلالة"(١). وقال كذلك: "إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإن الرجل يكون تابعاً في الخير خير من أن يكون رأساً في الضلالة"(٢).

- وقال سفيان الثوري(٣)– رحمه الله – عندما سئل عن الكلام: "دع الباطل، أين أنت عن الحق، اتبع السنة، ودع البدعة" وقال: "وجدت الأمر الاتباع"(٤).

- وعن الزهري (٥)– رحمه الله – قال: "الاعتصام بالسنة نجاة"(٦).

والآثار الواردة في هذا الباب كثيرة.

من خلال ما سبق نرى أن كلاً من نصوص الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة وأئمتها متواترة ومتعاضدة على النهي عن الفرقة والابتداع والأمر بلزوم الجماعة والاتباع(٧).

يقول الإمام الآجري(٨) – رحمه الله – مشيراً إلى هذا الأمر: "أمرنا – عز وجل – بلزوم الجماعة ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذرنا النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة ٢٢٧/١ – ٢٢٨. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٩٦/١.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة ٣٢٩/١.

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ورأس أهل السنة والحديث، توفي سنة ١٦١هـ.
انظر: طبقات ابن سعد ٢٢٩/٦، سير أعلام النبلاء، ٢٢٩/٧، وفيات الأعيان ٣٨٦/٢، الجرح والتعديل: ٥٥/١، تهذيب التهذيب ١١١/٤.

(٤) رواه البغوي في شرح السنة ٢١٧/١.

(٥) هو الإمام الحافظ محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري، نسبة إلى بني زهرى بطن من قريش، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي المدني، نزيل الشام، من أعلام التابعين، متفق على جلالته وإمامته وإتقانه، ولد سنة ٥٠ بالمدينة، مات سنة ١٢٥هـ.
ينظر: سير النبلاء ٣٢٦/٥، حلية الأولياء ٣٦٠/٣، تهذيب الأسماء واللغات ٩٠/١ – ٩٢، تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ – ٤٥٠، تذكرة الحفاظ ١٠٨/١، شذرات الذهب ١٦٢/١.

(٦) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٩٢/١.

(٧) وقد عقد جمع من الأئمة لذلك أبواباً في كتبهم.
ينظر: الشريعة للآجري ٢٧٥/١ – ٣٠١، وجعل تلك الأبواب أول كتابه. الإبانة لابن بطة ٢٥٠/١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٧٦/١ – ١٢٧.

(٨) هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري، نسبة إلى قرية من قرى بغداد يقال لها آجرا. كان صالحاً ثقة صدوقاً ديناً، إمام محدث فقيه، له تصانيف كثيرة. توفي سنة ٣٦٠هـ. =

الفرقة وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذرنا أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة، وينهون عن الفرقة"[١].

ومع ذلك كله فقد جاء أمر الله الكوني القدري بوقوع التفرق والاختلاف في هذه الأمة كغيرها من الأمم السابقة.

تحقيقاً لسنة من سننه التي أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث الافتراق المشهور.

= ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣٣/١٦ – ١٣٦، شذرات الذهب ٣٥/٣، وفيات الأعيان ٢٩٢/٤. طبقات السبكي ١٤٩/٣، العقد الثمين ٥٠٣/٢، المنهج الأحمد للعليمي ٦٥/٢ – ٦٦.

(١) الشريعة للآجري ٢٧٦/١.

حديث الافتراق:

لقد أخبر الصادق المصدوق – عليه الصلاة السلام – أن أمته ستفترق حتماً لا محالة، وهذا التفرق من الابتلاء لهذه الأمة، وهذا ذم لمن زاغ وابتعد عن أهل السنة والجماعة، وتحذير من التفرق والانحراف(١).

لذا عده بعض العلماء من معجزاته – صلى الله عليه وسلم – ودلائل نبوته حيث أخبر عن أمر غيبي وقع(٢).

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"(٣).

وفي رواية: "وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"(٤).

وفي رواية أخرى: "واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله: من هم؟ قال: الجماعة"(٥).

وقد تعددت طرق هذا الحديث وتنوعت رواياته(٦).

وقد وقف العلماء وغيرهم قديماً وحديثاً من هذا الحديث مواقف متباينة، إلا أن بالإمكان ردها – بعد سبرها – إلى موقفين(٧).

---

(١) حديث افتراق الأمة للصنعاني ص ٢٠.

(٢) ينظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري ٣٩٨/٧.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة ٢٥/٥، رقم ٢٦٤٠ من طريق أبي هريرة، وقال: "حديث حسن صحيح".

(٤) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة ٢٦/٥ رقم ٢٦٤١ من طريق عبدالله بن عمرو.

(٥) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افترق الأمم ١٣٢٢/٢ رقم ٣٩٩٢.

(٦) للتوسع في دراسة أحاديث الافتراق سنداً ومتناً ينظر: الافتراق وأصول الفرق لحمود الحربي ٧١ – ١٥٢، صفة الغرباء لسلمان العودة ٢٠ – ٥١.

(٧) من الباحثين من جعلها ثلاثة مواقف، والبعض أوصلها إلى أربعة. ينظر في ذلك كل من: مقدمة محمد محي الدين عبدالحميد لكتاب الفرق بين الفرق ص ٦، فرق معاصرة، د.غالب عواجي ٤٢/١، تاريخ الفرق وعقائدها، د. محمود عبيدات ص ٨، الفرق الإسلامية، د. محمود مزروعة ص ٣٠.

- **الأول:** من شك في صحته، أو طعن في ثبوته.

وممن وقف هذا الموقف من المتقدمين الإمام ابن حزم[(١)] – رحمه الله – فبعد ذكره لهذا الحديث السابق وحديث "إن القدرية والمرجئة مجوس هذا الأمة"[(٢)].

قال: "هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به"[(٣)].

ولم يكن ابن حزم الوحيد في ذلك بل وافقه غيره من المتقدمين[(٤)]، وتابعهم على ذلك جمع من المتأخرين[(٥)].

كما أن هناك من قدح في لفظ: "كلها في النار إلا واحدة" واعتبرها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة، ولا يُؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة[(٦)].

---

(١) هو الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي الفارسي الأصل، الأندلسي، القرطبي عالم الأندلس في عصره، أحد أئمة الإسلام، كان من رؤوس الباحثين، فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، وكان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة، والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب، وكان من أجمع الناس قاطبة لعلوم الإسلام، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ومات مشرداً عن بلده سنة ٤٥٦هـ.

ينظر: العبر ٣٠٦/٢، سير أعلام النبلاء، ١٨٤/١٨، شذرات الذهب ٢٩٩/٣، وفيات الأعيان ٣٢٥/٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة باب في القدر ٢٢٢/٤، ورواه الإمام أحمد في المسند ٨٦/٢، ٤٠٧/٥، وابن ماجه في المقدمة ص ١٠.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٩٢/٣. ونقل ذلك عنه شيخ الإسلام في عدة مواضع ينظر: مجموع الفتاوى ٤٩١/١٦، منهاج السنة ٤٨/٥، ٤٩.

(٤) ومن أولئك: أبو عبدالله المقدسي في أحسن التقاسيم ص ٣٩، وفخر الدين الرازي في التفسير الكبير ١٩٣/٤.

(٥) ومن أولئك:

- الكوثري في مقدمة التبصير في الدين ص ٧، ونقل ذلك عن الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩٨/١ رقم ٢٠٣.
- د. عبدالرحمن بدوي في مذاهب الإسلاميين ٣٤/١.
- د. محمد علي أبو ريان في تاريخ الفكر الفلسفي ١١٧.
- د. أحمد محمود صبحي في علم الكلام ٢٩٣/٢ – ٢٤٠.
- د. محمد فتح الله بدران في المدخل إلى كتاب الملل والنحل ٢٠٥.
- د. محمد عمارة في تيارات الفكر الإسلامي ٣٥٢.
- د. يوسف القرضاوي في الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ٥١ – ٥٥.

(٦) وقد قال بذلك ابن الوزير في العواصم والقواصم ١٧٠/١ – ١٧٣ ونقلها عنه الكوثري في مقدمته للتبصير ص ٧.

وانظر: تفصيلاً لذلك في: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية لعلي الحربي ١٧٠/١ وما بعدها.

• **الثاني:** من تلقاه بالقبول دون القدح في ثبوته أو تضعيفه وهذا الذي عليه جمهور الأئمة، وهو الصواب عند النظر بموازين النقد العلمي ومعاييره الحديثية، "ولذلك تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به"(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: "الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد"(٢).

كما يؤكد ذلك المقبلي(٣) – رحمه الله –بقوله: "وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناه"(٤).

وبهذا تتهاوى أقوال وحجج من شكك في الحديث أو ضعفه. إذ لا قيمة لها في الموازين والمعايير العلمية – كما سبق -. كما أن "الحقيقة الدامغة التي غابت عن هؤلاء أو ذهلوا عنها أن الواقع التاريخي والواقع المعاش اليوم خير دليل عملي مشاهد وأقوى حجة وبرهان على صحة هذا الحديث... بل إن أكثر الذين شككوا في حديث الافتراق وصحته إنما بثوا كلامهم هذا أثناء حديثهم عن الفرق التي يخالفونها ويردون عليها، فهل بعد هذا من عجب؟"(٥).

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩٨/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤٥/٣.

(٣) هو صالح بن مهدي بن علي المقبلي اليماني، عالم مجتهد كان على مذهب الزيدية فتركه ونبذ التقليد، وناظره بعض علماء الزيدية في صنعاء فحصلت بينهم منافرة، وحصل عليه تضييق عاف من أجله اليمن، فرحل بأهله إلى مكة، وكتب فيها مؤلفاته، ومن أشهرها العلم الشامخ. توفي بمكة عام ١١٠٨هـ. انظر: البدر الطالع ٢٨٨/١، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، عبدالله الحبشي، ص ٦٣، الأعلام ١٩٧/٣.

(٤) العلم الشامخ للمقبلي ٤١٤، وقد نقل كلامه هذا بنصه محمد أبو زهرة دون الإشارة إلى موضعه أو عزو لقائله، ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ١١. ولذا ظن بعض الباحثين أنه من كلامه فنسبه إليه. ينظر: القضاء والقدر للمحمود ٩٣.
وكلام المقبلي السابق قريب من كلام للإمام ابن كثير – رحمه الله -.
ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٩١/٤.

(٥) ينظر مقال: إشكالية التعامل مع المصادر الأصلية والثانوية للفرق الإسلامية. د. جمال بادي، مجلة البيان عدد ١٥٤ ص ١٥.

وما من شك في أن الافتراق الوارد في الحديث ما هو إلا نتاج للاختلاف[1]، وأن المراد بالاختلاف هنا المذموم منه، وهو ما كان في أصول الدين لا ما وقع منه في الفروع.

يقول الإمام الشاطبي[2] - رحمه الله -بعد ذكره لبعض روايات الحديث: "فلا يصح أن يراد مطلق الافتراق، بحيث يطلق صور لفظ الاختلاف على معنى واحد، لأنه يلزم أن يكون المختلفون في مسائل الفروع داخلين تحت إطلاق اللفظ وذلك باطل بالإجماع"[3].

إلى أن يقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[5]. وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على التفرق الذي صاروا به شيعاً، ومعنى "صاروا شيعاً" أي جماعات بعضهم قد فارق البعض"[6].

وبما أن الكلام هنا عن حديث الافتراق فلا بأس بالإشارة إلى أمرين:

الأول: أن عدداً من علماء الفرق - وكذلك غيرهم - اهتموا بحصر تلك الفرق الواردة في الحديث، واجتهدوا في تعدادها بما يتوافق مع العدد الوارد في الحديث،

---

(١) لمعرفة ما بين كل من لفظ الاختلاف والافتراق من فروق ينظر: قضايا عقدية معاصرة، د. ناصر العقل ص ١١ - ١٢. تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف محمد مختار ٤٣/١ - ٤٦.

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق أصولي فقيه لغوي محدث مفسر، من أئمة المالكية من غير تقييد أو تقليد، اشتهر بالورع والصلاح والزهد واتباع السنة والدعوة إليها، يعد من أفراد العلماء المحققين الأثبات، وأكابر الأئمة المتفننين الثقات مع حرص على السنة ومجانبة البدعة وأهلها، منصرفاً عن كل ما ينحو للبدع وأهلها، فوقع له بسبب ذلك فتن، توفي سنة ٧٩٠هـ.

ينظر: مقدمة الاعتصام ١٠/١ - ١٥، الديباج المذهب ص ٤٦، معجم المؤلفين ١١٨/١، الأعلام ٧٥/١ ص ٤٦.

(٣) الاعتصام ٢٢٢/٢.

(٤) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩

(٦) الاعتصام للشاطبي ٢٢٢/٢، وينظر نحواً من هذا الكلام في: أعلام الموقعين ٣٩/١، بذل المجهود في حل أبي داود للسهارنفوري ١١٧/١٨.

وبالغوا في ذلك حتى أدى بهم ذلك إلى الاختلاف والتناقض وذلك نتيجة وقوعهم تحت تأثير التكلف في موافقة ذلك العدد[١].

يقول الطرطوشي[٢] - رحمه الله -مشيراً إلى ذلك: "واعلم أن هذا الحديث قد طاشت فيه أحلام الخلق وفي معرفة هذه الفرق وهل كملوا بعد أم لا"[٣].

وهذا الأمر إضافة إلى كونه من الأمور التي لا طائل من ورائها لا يمكن ضبطه أو تحديده ولهذا يقول الشهرستاني[٤] مشيراً إليه "اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونص"[٥].

فكان أولئك الذين سلكوا هذا المسلك قد "وقفوا عند زمانهم ونسوا أن الليالي حبلى بالمذاهب والآراء والفرق والمعتقدات، وأن الاجتهادات لا تتوقف"[٦]. إضافة إلى أن الحديث تحدث عن افتراق أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فمحاولة إيجاد هذا العدد من

---

(١) أشار إلى هذا د. أحمد جلي في دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ٢٣ - ٢٤، وممن وقع في ذلك من مصنفي كتب الفرق: الملطي، والبغدادي، والإسفراييني، والشهرستاني، وابن الجوزي، والسكسكي، والمقريزي، والعراقي، والجيلي، والإيجي، والكرماني، والعلوي.
ينظر: آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها، الخوارج والشيعة د. محمد السحيباني - رسالة دكتوراه - ٦٩/١.

(٢) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي أبو بكر الطرطوشي، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس، تفقه ببلاده ثم رحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ، فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان وأقام مدة في الشام ثم سكن الإسكندرية فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي بها سنة ٥٢٠هـ.
ينظر: الأنساب ٦٩/٩، السير ٤٩٠/١٩، الصلة ٥٧٥/٢، الديباج المذهب ٢٤٤/٢، الأعلام ١٣٣/٧.

(٣) كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ص ٩٧، ونقله عنه الشاطبي في الاعتصام ٢٣٨/٢.

(٤) محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني، الشافعي، أبو الفتح، فقيه، حكيم متكلم على مذهب الأشعري، توفي سنة ٥٤٨هـ، وأحد أعلام الأشاعرة ومتكلميهم.
ينظر: وفيات الأعيان ٢٧٣/٤ - ٢٧٥، السير ٢٨٦/٢٠ - ٢٨٨، لسان الميزان ٢٦٣/٥ - ٢٦٤، معجم البلدان ٣٧٧/٣. طبقات السبكي ١٢٨/٦، شذرات الذهب ١٤٩/٤، وفي منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، ص ٢٥ - ١٩٦ دراسة مستفيضة عن شخصيته..

(٥) الملل والنحل ١٤/١.

(٦) مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية د. محمد المسير ص ٤٧.

الفرق من أهل القرون الثلاثة الأولى التي جاء في أعقابها هؤلاء المؤلفون قصور وتقصير وقصر نظر[١].

كما أن ذلك الحصر والتعيين - كما يقول الإمام الشاطبي رحمه الله - : "ليس عليه دليل، والعقل لا يقتضيه"[٢].

إلا أنه - رحمه الله - يستثني بعد ذلك فيقول: "اللهم إلا في موطنين: أحدهما: حيث نبه الشرع على تعيينهم كالخوارج.

والثاني: حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة..."[٣].

وما أجمل ما أشار إليه الصنعاني[٤] - رحمه الله - حيث يقول: "ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين، وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وشعبها، ووحدة طريق الحق، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[٥]. أنه جمع السبل المنهي عن اتباعها لبيان شعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها، وأفرد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدده"[٦]. ومع ذلك كله فإن "هذا لا يدل على أن هذه الأمة أشر من غيرها من الأمم، بل فيه بيان أن ما يوجد من الافتراق في تلك الأمم يوجد في هذه الأمة مثله في الافتراق وأكثر"[٧].

---

(١) ينظر: مقدمة محقق كتاب الفرق بين الفرق محمد محي الدين عبدالحميد ص ٧.

(٢) الاعتصام ٢/٢٥٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/٢٥٥ - ٢٦٠ بتصرف.

(٤) محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كما ذكر ذلك الشوكاني، ولد سنة ١٠٩٩هـ، قال الشوكاني: برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد، وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن، توفي سنة ١١٨٢هـ.
ينظر: البدر الطالع ٢/١٣٣، الأعلام ٦/٣٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٦) حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة ص ٦٧ - ٦٨.

(٧) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ ١/٢٠٠ جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط ١، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ.

وهنا ملحظ يستحق الوقوف عليه والتأمل فيه وهو موقف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وموقف من بعدهم حيال هذا الحديث "فالصحابة حين سمعوا هذا الخبر المؤلم عن تفرق الأمة واختلافها بادروا بالسؤال عن الفرقة الناجية وخصائصها، وكان السائل عن ذلك عمر بن الخطاب كما في حديث جابر[1] وغيره، فكانت عنايتهم بمعرفة الفرقة الناجية وصفاتها للتشبث بها ومباعدة ما عداها، لأن معرفة الناجية تعني أن ما سواها هالكة، أما مَنْ بعدهم - وخاصة من صَنَّفَ في الفرق من المتأخرين - فكثير منهم اشتغلوا بالفرق الهالكة الضالة يعددونها ويدونون مقالاتها أكثر مما اشتغلوا بتعيين الفرقة الناجية وبيان خصائصها والتمسك بها"[2].

• **الثاني:** أن الحديث وإن لم يعيّن الفرق الهالكة فإنه إزاء ذلك عين الفرقة الناجية وحددها، وأنها كما في بعض الروايات للحديث "الجماعة"[3] أو "ما أنا عليه وأصحابي".

وبهذا يتأكد كونها فرقة واحدة وأصحابها هم "أهل السنة والجماعة" وبما أن كل فرقة – أيّاً كانت – ستدّعي أنها هي الجماعة وأن أتباعهم هم أهل السنة والجماعة، وبالتالي تزعم أنها هي الفرقة الناجية!

كان لابد من بيان صفات الفرقة الناجية وتحديد ضوابطها وهذا ما عمد إليه العلماء وفعلوه ومنهم:

---

(١) هو الصحابي الجليل جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري السلمي أحد المكثرين لرواية الحديث، وشهد أكثر المشاهد، وكان من أعيان الصحابة وفقهائهم ومجتهديهم، وكانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه فيها العلم توفي سنة ٧٤هـ وقيل ٧٦هـ.
ينظر: الإصابة ٢١٣/١، الاستيعاب ٢١٩/١ – ٢٢٠، أسد الغابة ٣٠٧/١ - ٣٠٨.

(٢) غربة الإسلام ٣١٣/١ – ٣١٤ للشيخ/ سلمان العودة، نقلاً عن: الافتراق وأصول الفرق ص ١٥١.

(٣) حكى الإمام الشاطبي اختلاف الناس في معنى "الجماعة" المرادة، وحصره في خمسة أقوال.
ينظر: الاعتصام ٢٩٢/٢ – ٢٩٦، وستأتي الإشارة إليها ص ٤٦٦.

- الإمام النووي - فيما نقل عنه ابن حجر - حيث يقول: "يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدّث ومفسّر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأول، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله..."(١).

- وكذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية - أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها"(٢).

- كما أن للشيخ عبدالرحمن بن حسن(٣) كلاماً نفيساً حيث قال بعد ذكره لحديث الافتراق: "فتبين بهذه الأحاديث، أن الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين هي التي تمسكت بكتاب الله، وأخلصوا العبادة، واتبعوا رسوله، فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبدوا إلا الله، وأن لا يُعْبَد إلا بما شرع"(٤).

---

(١) فتح الباري ٢٩٥/١٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣.

(٣) العالم الرباني والمجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة ١١٩٣هـ، وقيل ١٣٩٦هـ إمام عصره وشيخ وقته، تولى القضاء في الدرعية وكان من أئمة المجاهدين، وجلس للتدريس وله اليد الطولى في التأليف والرد على المخالفين، وخلف في ذلك مآثر خالدة، توفي سنة ١٢٨٥هـ.
ينظر: عنوان المجد ١٩١/١ - ١٩٢، الدرر السنية ٦٠/١٢ - ٦٦، مشاهير علماء نجد ٥٨ - ٦٤، علماء نجد خلال ستة قرون ٥٦/١ - ٦٢، وروضة الناظرين في مآثر علماء نجد ٢٢٠/١ - ٢٢٤.
وقد أعدت عنه رسالة ماجستير بعنوان (الشيخ عبدالرحمن بن حسن وجهوده في تقرير العقيدة مع إخراج كتاب القول النفيس في الرد على داود بن جرجيس) للشيخ ناصر الغنيم.

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٧٤/٢.

إلا أن من الجدير بالذكر أن هذا الحديث كان محط عناية ومحل اهتمام لكثير من العلماء والأئمة حيث سلطوا عليه الضوء بالبيان والشرح، ولكن يُعدُّ الإمام الشاطبي أبرز أولئك وأدقهم وذلك في كتابه الاعتصام[1].

ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن للتفرق والتنازع آثاراً سيئة وعواقب وخيمة أثّرت على الأمة الإسلامية في دينها ودنياها وعاقبة أمرها، لكن ليس هذا محل بسطها واستعراضها وتجاذب أطراف الحديث عنها[2].

---

(١) الاعتصام ١/٢٢٠ - ٣١٩.

(٢) للتوسع في هذا المجال ينظر:

- الافتراق وأصول الفرق ١٦٧ - ١٧٧.
- الخلل في العقيدة وأثره على الأمة الإسلامية للباحث ١٦ - ٢٤، بحث مقدم لمسابقة جامعة الإمام في البحوث في العام الجامعي ١٤١٦/١٤١٧هـ.

أسباب الاختلاف والتفرق في الأمة الإسلامية

لا غرو أن الاختلاف الذي أدى إلى الافتراق وظهور الفرق كان وليد أسباب متعددة فتَّت في عضد الأمة، وصدَّعت بنيانها بشكل يصعب رأبه.

وقد وقف الباحثون حيال تلك الأسباب وتقسيمها مواقف مختلفة، منهم من يحصرها في نوع واحد، ومنهم من يجعلها في ثلاثة أنواع، وآخرون توسطوا فجعلوها تعود في النهاية إلى نوعين.

وبالتالي يمكن إجمالها في ثلاثة آراء هي:

١ - أن أسباب الاختلاف والتفرق راجع في الأصل إلى عوامل داخلية - أو ذاتية - فقط، وأن ما عدا ذلك من الأسباب الخارجية أو الأجنبية جاء تالياً ولاحقاً.

يقول أحد أتباع هذا الرأي معبراً عن وجهة نظره هذه ومبيناً أثر العوامل الداخلية وأن العوامل الأخرى جاءت تالية لها:

"فالذي نميل إليه ويقرره واقع الأحداث هو أن أثر هذه الثقافات الأجنبية جاء تالياً ولاحقاً، وانحصر في تطوير هذه المذاهب وإثرائها، لا في خلقها وإبداعها، بحيث صارت هذه المذاهب - ومن خلال تطورها الزمني - تستوعب عناصر فلسفية ودينية من مصادر مختلفة ومتنوعة ومتباينة"[1].

وقد مال إلى هذا بعض المستشرقين[2]، وتابعهم في ذلك عدد من الباحثين[3].

فهؤلاء حصروا الأسباب في نوع واحد فقط[4].

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبدالحميد ص ١٧.

(٢) وذلك من أمثال: كرادي فو، ورينان.
ينظر: دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، حسام الألوسي ص ٨١ - ٨٢.

(٣) ومن أولئك: عبدالرحمن بدوي، ومحمد إقبال، وعرفان عبدالحميد.
ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص ١٧، الماتريدية دراسة وتقويماً أحمد الحربي ص ٢١ - ٢٢.

(٤) ذكر الدكتور/ أحمد الحربي في الماتريدية دراسة وتقويماً ص ٢٢ عند ذكره لهذه المسألة أن هناك من أرجع الاختلاف والتفرق إلى أسباب خارجية فقط! ونسبه ذلك إلى الدكتور/ علي سامي النشار في =

٢ – أن هناك أسبابا عامة وأخرى داخلية وثالثة خارجية. كان لكل منها إسهام في وجود الخلاف ونشأة الفرق سواء قل ذلك أو كثر.

وهذا رأي لعدد من الباحثين[١]، إلا أن بعضهم يذكرها بشكل عام، ويسميها عامة ويدخل في طياتها كلا من الأسباب الداخلية والخارجية[٢].

والبعض الآخر يستبدل الأسباب المنهجية بالعامة[٣].

بيد أن القاسم المشترك بينهم هو جعلهم أسباب الاختلاف والتفرق ترجع إلى ثلاثة أنواع.

٣ – أن التفرق والاختلاف يعود إلى عوامل ومؤثرات داخلية وأخرى خارجية اجتمعت "وتفاعلت فيما بينها وتداخلت حتى أصبح من الصعب على الباحث أن يفصل بينها، أو يركز على واحد دون الآخر"[٤].

ولعل هذا الرأي – والله أعلم – هو الأقرب إلى الصواب؛ لأن العوامل العامة عند التأمل فيها نجدها – غالبا – تابعة للعوامل الداخلية وداخلة ضمنها.

وهذا ما ذهب إليه أكثر الباحثين[٥]. لذلك يرى البعض أنه ليس من الصواب أن نرجع كل ظاهرة في بيئة ما إلى عوامل خارجة عنها، فنهمل بذلك العوامل

= كتابه: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. والصواب أن النشار يقسم الأسباب إلى خارجية وداخلية، لكنه يدعو إلى القول بأهمية العوامل الخارجية مع تقدير العوامل الداخلية – على حد تعبيره –.
ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٥٩ – ٦٣.

(١) ومنهم: د/ عبدالرحمن المحمود، القضاء والقدر ١٠٠ – ١٠٥، مقال: دراسة الفرق. د/ الحسين شواط، مجلة منار السبيل، العدد ٣ ص ٥ – ٦.

(٢) ينظر: فرق معاصرة، د/ غالب عواجي ١/٦٦ – ٨٣.

(٣) ينظر: الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام، د/ ناصر العقل ص ٩٩.

(٤) الماتريدية دراسة وتقويما ص ٢٢.

(٥) ينظر: تاريخ الفرق وعقائدها د/ محمود عبيدات ١٨ – ٢٥.
الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية د/ عبدالفتاح فؤاد ١٩ – ٢٤.
الافتراق وأصول الفرق، ١٨١ – ٢٣٨.
الماتريدية دراسة وتقويما، ٢٢ – ٥٧.

=

الداخلية[١].

لأجل ذلك سيكون الحديث المفصل عن تلك الأسباب معتمداً على هذا الرأي والتقسيم الذي جاء فيه.

فنقول وبالله التوفيق:

- **الأسباب الداخلية:**

حينما يأتي الحديث عن الأسباب الداخلية فإن المراد بها "تلك التي تنشأ في داخل كيان الأمة نتيجة للتركيب الاجتماعي أو الانحراف الفكري أو الأغراض الشخصية... إلى غير ذلك من أسباب تؤدي إلى انقسام الأمة على نفسها..."[٢].

والمطالع لما ذُكر في هذا الجانب يرى تنوعاً وتداخلاً فيما بينها. إضافة إلى تعددها، لكن أبرز تلك الأسباب ما يلي:

١- الجهل:

يعد الجهل سبباً رئيساً لوجود الافتراق، والجهلاء هم مادة الفرق، وهم وقودها، فهو إذن داءٌ عضال وقاسم مشترك يشكل كل الأسباب، والجهل المقصود هنا هو عدم التفقه في الدين عقيدة وشريعة[٣].

ويندرج تحت هذا السبب الجهل باللغة العربية وأساليبها وقواعدها والجهل بالكتاب والسنة وبمذهب السلف ومقاصد الشريعة. لا أدل على ما سبق من أن أول افتراق أحدث شرخاً في جسد الأمة وشق صفها، كان وراءه الجهل، والذي تمثل في ظهور الخوارج الذين كان من أبز سماتهم "الجهل وقلة العلم". يقول شيخ الإسلام عنهم: "فهم جُهَّال فارقوا السنة والجماعة عن جهل"[٤].

= مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبده، طارق عبدالحليم ٣٧ - ١٢٥.

(١) ينظر: التفكير الفلسفي في الإسلام، ص ٢٤٩، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٨ - ٩، تاريخ الفرق وعقائدها ص ١٦.

(٢) ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٢٧.

(٣) ينظر: قضايا عقدية معاصرة، د/ ناصر العقل، ص ٣١ بتصرف.

(٤) منهاج السنة ٣/٤٦٤.

وقل مثل ذلك في الرافضة، حيث قال عنهم أيضاً: "كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها"[١].

ومن الملاحظ أن شيخ الإسلام - رحمه الله - أولى هذا الأمر عناية خاصة، وأكد على ذلك فقال في معرض حديثه عن الاختلاف المذموم:

"ويكون سببه - تارة - جهل المختلِفَيْن بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر مع الحق في الحكم أو في الدليل. وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً"[٢].

ثم يقول بعد ذلك: "والجهل والظلم: هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [٣] [٤].

وقد أكد على هذا في مواضع أخرى من كتبه[٥].

وهاهو الإمام الشاطبي - رحمه الله - كذلك عندما ذكر عدداً من أسباب الاختلاف والتفرق جعلها "راجعة في التحصيل إلى وجه واحد هو: الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبُّت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول ولا يكون ذلك من راسخ في العلم. ألا ترى أن الخوارج خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؟ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصفهم بأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يعني - والله أعلم - أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم؛ لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم"[٦].

---

(١) المرجع السابق ١/١٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٣٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٤) المرجع السابق ١/١٣٢.

(٥) ينظر: الفتاوى ١٤/٣٨، فله هناك كلام نفيس جدير بالمراجعة.

(٦) الاعتصام ٢/٢١٢.

من خلال ما سبق يتبين أن الجهل بفروعه المتعددة وأنواعه المختلفة[١] أصبح ضربة لازبٍ[٢] ضمن الأسباب والعوامل الداخلية التي أسهمت في تفريق الأمة واختلافها.

٢- اتباع الهوى:

الهوى في الأصل: ميل النفس إلى ما تهواه[٣].

فإن مالت إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم، وإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الممدوح، وإذا ذكر الهوى مطلقاً أو ذكر ذمه فإنما يراد به الهوى المذموم لأنه الغالب والله أعلم[٤].

لذلك ذمه الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم، وجاء التحذير منه على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك من بعده على لسان علماء الأمة وأئمتها[٥].

وهو نوعان:

أ - **هوى شبهة:** وهو ما يتعلق بأصول الدين وأحكامه.

ب - **هوى شهوة:** وهو ما يتعلق بمطامع الدنيا وشهواتها.

ومن من شك في أن هوى الشهوات "أهون القسمين وأظهرهما لصاحبه وللناس"[٦]. كما أن هوى الشبهة "أخطر القسمين على صاحبه وعلى الناس"[٧].

ولعل مما يعضد هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات، فإن الأول حال الذين

---

(١) في إشارة لأنواع الجهل وفروعه ينظر: حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد الغامدي ١/١٧٧ - ١٧٨.

(٢) يقال للشي الثابت، يقال طين لازب أي: لازق، واللازب أيضاً الثابت.

ينظر: مختار الصحاح ص ٣٢٢، المصباح المنير ٢٨٥.

(٣) ينظر: مختار الصحاح ص ٣٧٥، المصباح المنير ص ٣٣١.

(٤) ينظر: اتباع الهوى مظاهره خطره علاجه، د. سليمان الغصن، ص ٨. وينظر كذلك: روضة المحبين لابن القيم ص ٤٠١، والتعريفات للجرجاني ص ٣٢٠.

(٥) ينظر: طرف من ذلك في: اتباع الهوى د. سليمان الغصن، ص ١١ - ١٦.

(٦) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٤٧.

(٧) المرجع السابق ص ٥١.

كفروا من أهل الكتاب والمشركين، كما قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾(١).

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله"(٢).

وهذا النوع هو المقصود في هذه المسألة، إذ هو الذي يجعل الناس "على أديان مختلفة، ومقالات متباينة، ومذاهب متفرقة، وآراء متدافعة ثم تراهم كما قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(٣)(٤).

لذا نجد كثيراً من علماء السلف وأئمة المسلمين يسمونهم "أهل الأهواء"(٥)، من ذلك قول الإمام الشاطبي – رحمه الله – : "ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك"(٦).

فاتباع الهوى له أثر كبير في إحداث الشقاق والافتراق في صف الأمة، لا أدل ذلك من أنه "عندما خالط الهوى القلوب واستقر في سويدائها ثار الثائرون على عثمان – رضي الله عنه – وانتهى بهم اتباع الهوى إلى مقتله، ثم قادهم مرة أخرى إلى زرع الفتن وبث الخلاف وإثارة الشقاق والافتراق في صفوف الأمة الإسلامية،

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٢) الفتاوى ١٣٢/٢٨ – ١٣٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٤) القائد إلى تصحيح العقائد ص ١٤ للمعلمي.

(٥) ينظر: الفتاوى ١٣٣/٢٨، النبوات لابن تيمية ص ١٢٩، الاستقامة لابن تيمية ٢٥٤/٢، إغاثة اللهفان لابن القيم١٣٨/٢، روضة المحبين لابن القيم ص ٤٠٤، جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٢٦/٣.

(٦) الاعتصام ٢٠٦/٢.

فظهرت أول فرقة تكفر عليّاً ومعاوية[1] وغيرهم من الصحابة الأجلاء - رضي الله عنهم جميعاً - وهكذا فعل الهوى مع غير تلك الفرقة من الفرق الإسلامية هوى بها إلى الضلال"[2].

ومظاهر اتباع الهوى كثيرة ومتداخلة[3] إلا أن من أبرزها وأقربها للموضوع الذي هو مدار الحديث: "كثرة التفرق والاختلاف وتعدد الطوائف والأحزاب وتنافرها وطعن كل فريق في الآخر والزعم بأن الحق معه، والباطل مع من خالفه ونحو ذلك"[4].

٣- الغلـو:

يعرف شيخ الإسلام الغلو بأنه: "مجاوزة الحد، بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه ما يستحق"[5].

ويمكن القول بعبارة أخرى أنه: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"[6].

وقد عُرّف الغلو بتعريفات كثيرة لا تبعد كثيراً عن التعاريف السابقة[7]، ولما للغلو من أثر في إشعال فتيل الاختلاف وإذكاء نار الافتراق، جاء النهي عنه في كتاب الله - عز وجل - وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وتبعاً لذلك حذر منه

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ولد قبل البعثة بخمس سنين، من كتّاب الوحي، كان فصيحاً حليماً وقوراً، ولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد، وبقي على ذلك خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهم حتى آلت إليه الخلافة عام الجماعة، مات سنة ٦٠هـ.
ينظر: الإصابة ٤١٢/٣ - ٤١٤، سير أعلام النبلاء ١١٩/٣ - ١٣٢، تهذيب التهذيب ٢٠٧/١٠، الأعلام ٢٦١/٧ - ٢٦٢.

(٢) الافتراق وأصول الفرق ص ١٩٢.

(٣) فصّل الحديث عنها د/ سليمان الغصن في كتابه: اتباع الهوى ١٧ - ٤٥، وذكر ستة عشر مظهراً.

(٤) المرجع السابق ص ٣٧.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٩٣/١.

(٦) فتح الباري ٢٧٨/١٢.

(٧) ينظر: الغلو والفرق الغالية في العقيدة الإسلامية د/ علي الصالحي ١٥٤/١ - ١٥٥، الغلو والفرق الغالية د/ عبدالله السامرائي ص ١٥.

سلف الأمة الصالح، وذلك إما مباشرة وإما عن طريق بيان كونه سبباً لضلال من قبلنا من الأمم[١].

كما أن الغلو المتعلق بمسائل الاعتقاد – سواء ترتب عليه عمل للجوارح أم لا – هو الذي يُعدّ سبباً لخلاف وفرقة الأمة فيكون هو المقصود هنا، دون الغلو العملي المتعلق بجزئية أو أكثر من جزئيات الشرع في باب الأعمال، والذي يُعدّ محصوراً في الفعل.

وقد أومأ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى هذين النوعين بعد إيراده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين"[٢]. فبيَّن أن ذلك "عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال"[٣].

لكن ما من شك في أن الاعتقادي منه أشد خطراً، وأعظم ضرراً[٤].

بهذا يتبين أن "الدين وسط بين الغالي فيه والجافي عنه"[٥]. وأن الغلو من وسائل الشيطان التي يضل بها العباد ويتوصل بها إلى تفريق الأمة وتبديد جمعها.

يشهد لذلك قول الإمام ابن القيم: "فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر"[٦].

---

(١) ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين". وسيأتي تخريجه في الفقرة التالية.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢١٥/١، ٣٤٧، سند عبدالله بن عباس، وابن ماجه في سننه كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، حديث رقم ٣٠٢٩، والنسائي في سننه، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى.

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢٩٣/١، وبدع الاعتقاد لمحمد الناصر ٩٥.

(٤) ينظر للاستزادة: بصائر للمسلم المعاصر لعبدالرحمن الميداني ٢٦٥ وما بعدها، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د/ عبدالرحمن اللويحق ص ٧٠ - ٧١.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك من قسم الغلو إلى قسمين: محمود، ومذموم، كما عند الزمخشري في الكشاف ٦٣٥/١، والسامرائي في الغلو والفرق الغالية ص ١٥، ولكن الصواب - والله أعلم - أن الغلو بشتى صوره وجميع أحواله مذموم، كما بين ذلك شيخ الإسلام في كلامه السابق في اقتضاء الصراط المستقيم ٢٩٣/١.

(٥) الفتاوى ٣٨١/٣.

(٦) إغاثة اللهفان ١١٦/١، وقال مثل هذا الكلام في مدارج السالكين ٥١٧/٢.

كما أنه وباستقراء صفحات التاريخ، والتأمل في أحداث الفتن التي ظهرت على أثرها بعض الفرق يلاحظ أن الغلو قد لعب دوراً فاعلاً في ذلك.

فالخوارج: غلوا في حكم مرتكب الكبيرة فكفّروه بناءً على غلوهم في فهم أدلة الوعيد.

والرافضة: غلوا في محبة آل البيت وأئمتهم ووصلوا بهم إلى درجة التقديس والعصمة، بل رفعوا بعضهم إلى مراتب الألوهية.

من خلال ما سبق يتبين أن هذا النوع من الغلو له شقان:

أ - **غلو في المبادئ**: وهو ما كان موجوداً عند الخوارج.

ب - غلو في الأشخاص: وهو ما كان موجوداً عند الرافضة(١).

بقي أن نشير إلى أنه لخطورة الغلو وعظيم أثره وفداحة عواقبه - خاصة في العقيدة - تناوله الباحثون بالدراسة والبحث في عدد من الرسائل العلمية وغيرها(٢).

٤- التوجهات والاختلافات السياسية:

هذا السبب يعني به بعض أصحاب المقالات والفرق: الأحزاب السياسية المتعارضة التي نتج عنها فيما بعد اعتقادات تكونت منها الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة. ويعني به عند البعض الآخر الخلافة أو الإمامة، أو الخلاف الذي نشب حول مسألة الإمامة(٣).

---

(١) ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية للرازي، ملحق بكتاب الغلو والفرق الغالية للسامرائي ٣٠٤ - ٣٠٥، الافتراق وأصول الفرق ١٨١ - ١٨٤.

(٢) ومن تلك الدراسات العلمية إضافة إلى ما سبق ذكره والإحالة إليه:

- ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبدالحكيم حامد - رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية.
- الغلو وأثره في عقائد الرافضة، جازي بخيت الجهني - رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية.
- غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية، عرضاً ونقداً، ثامر بن ناصر الغشيان - رسالة ماجستير - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) ينظر: الافتراق وأصول الفرق ص ١٩٩.

يقول الشهرستاني – في هذا الشأن – مؤكداً على ضلوع هذا السبب ودوره في ظهور الفرق وافتراق الأمة واختلافها : "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة ، إذا ما سل سيف الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان"(١).

ولعل هذا ناشئ من كون موضوع الإمامة "من أهم الأمور وأخطرها ؛ لأنه الحارس لهذا الدين ، واليد الطولى لنشره والذود عن حماه من عبث العابثين وطمع الطامعين"(٢).

فالإمامة لها اتصال وثيق بالعقيدة حيث إن لها جوانب عقدية ، إضافة إلى الجوانب الفقهية والتأريخية "ولذلك فعلماء السلف – رحمهم الله – عند ذكرهم لعقائدهم يذكرون ذلك ، فلا تكاد تجد أحداً ذكر عقيدته إلا وينص على التربيع بالخلفاء الأربعة ، وأن ترتيبهم في الخلافة على ترتيبهم في الفضل ، كما ينصون على أن الإمامة في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله في النار ، وينصون على الصلاة خلف كل إمام بَرٍّ أو فاجر والجهاد والحج معه ، وعلى تحريم الخروج على الأئمة ، وعلى السمع والطاعة لهم في غير معصية ، وهذه كلها من مباحث الإمامة ولذلك نجد المتكلمين ينصون على باب الإمامة في أواخر كتبهم في العقيدة. كما أنهم يوردون ذلك في مسائل العقيدة للرد على الانحرافات والبدع التي نشأت حول هذا الموضوع ، كبدعة الروافض واعتقاداتهم الفاسدة في الإمامة ، وأنها من أركان الدين ، واعتقاد العصمة والرجعة وعلم الغيب ونحو ذلك في أئمتهم ، فيذكرها علماء السلف للرد عليهم ، ولتبيين مخالفتهم في ذلك ، ومع بدعة الروافض بدعة الخوارج في وجوب الخروج على الأئمة الفسقة ونحو ذلك"(٣).

---

(١) الملل والنحل ٢٤/١.

(٢) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ، عبدالله الدميجي ص ٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٩.

فالتنازع على الخلافة يعد من الأسباب الجوهرية التي أحدثت الخلاف السياسي منذ وقت مبكر وذلك عقب وفاة النبي- صلى الله عليه وسلم - مباشرة، ولكنه سرعان ما حُسم في وقته ولم يظهر له أثر، ثم اشتدت الخلافات بعد ذلك حول الخلافة[١].

وبالنسبة لظهور الفرق فإن مشكلة الإمامة - وهي مشكلة سياسية في أصلها - هي السبب في ظهور الخوارج والشيعة"[٢].

وقد أشار شيخ الإسلام - ابن تيمية - إلى ذلك في عدة مواضع من كتبه[٣].

فالشيعة بفرقها المختلفة متعددة النواحي في صورتها الاثنا عشرية[٤] أو الإسماعيلية[٥] أو غيرها، إنما نشأت وتطورت نتيجة لأصل سياسي، كما أن الخوارج بطوائفها المتعددة إنما نشأت عن عامل سياسي، والمعتزلة - كذلك - في نشأتها سياسية وهي في تطورها كذلك، ويفسر الإرجاء نفس التفسير"[٦].

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٢٧.

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية ٣٠٦/١، مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٣ - ٢١٠.

(٤) الاثنا عشرية: من الإمامية، وهي إحدى فرق الشيعة، وهم قائلون بإمامة علي - رضي الله عنه - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصاً ظاهراً. وهم فرق متعددة، وغالبية الشيعة اليوم منهم.
ينظر: الملل والنحل ٣٢٤/١، الفرق بين الفرق ص ٦٤. مختصر التحفة الاثنا عشرية نشره عبدالعزيز الدهلوي، اختصره وهذبه: محمود الألوسي، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية - عرض ونقد - د. ناصر القفاري.

(٥) تنسب الإسماعيلية إلى محمد بن إسماعيل، وبعض أصحاب المقالات يرون أن الإسماعيلية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، يقولون بالتفسير الباطني، وإن الله اختص بالعلم علي بن أبي طالب، ويقولون بكفر من خالف علياً. وأمرهم ينتهي إلى تعطيل الشريعة وسقوط التكاليف.
ينظر: البرهان ص ٨٣ - ٨٥، مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص ١٣٠ - ١٣١، الملل والنحل ٢٢٦/١، التبصير في الدين ص ٨٣ - ٨٤، الفتاوى ٦٤/٤ - ١٦٣، الرد على الرافضة للمقدسي ص ١٤١، بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص ٢٣.

(٦) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢٢٥/١.

يؤكد ذلك بعض الباحثين مبيناً أثر ذلك في ظهور المعتزلة والمرجئة إلى جانب أثره في ظهور الخوارج والشيعة قبل ذلك فيقول:

"لم يقف أمر الافتراق عند هذه الفرق التي رأت رأياً معيناً في الإمامة، بل سرعان ما تحولت تلك الأحزاب إلى مذاهب، ذلك أن النزاع السياسي حول الخلافة ومن هو أولى بأن يكون خليفة للمسلمين وأيهما كان على حق في موقفه علي أو معاوية – رضي الله عنهما – تحول إلى خلاف فكري حول الحكم على هؤلاء والحكم على أتباعهم. وقد أثار هذه المشكلة بهذه الصورة جماعة الخوارج الذين كفروا كثيراً من المسلمين وأخرجوهم من دائرة الجماعة المسلمة (أي جماعتهم كما كانوا يعتقدون). ومن هنا بدأت محاولات فكرية لتحديد معنى الإيمان وأركانه، أو الشروط التي ينبغي توفرها حتى يعد الشخص مؤمناً، والعلاقة بين الإيمان والإسلام، وحكم مرتكب الكبيرة، هل هو مؤمن عاصٍ أو كافر خارج عن الملة كما زعمت الخوارج، إلى غير ذلك من الأبحاث المتعلقة بهذا الجانب العقائدي، وظهر في إطار هذه الأبحاث جماعة المرجئة الذين اتخذوا رأياً في الطرف المقابل لآراء الخوارج، ثم نشأت مذاهب عقائدية كلامية كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، تعلقت مباحثها بقضايا العقيدة والبرهنة عليها والدفاع عنها"[1].

بهذا يتبين – من خلال ما سبق – أن الأسباب السابقة تعد أبرز وأقوى الأسباب والعوامل الداخلية التي تجعل داء الفرقة يصيب الأمة ويستشري في جسدها. إلا أن هناك أسباباً أخرى – ضرب عنها الذكر صفحاً – خشية الإطالة، إضافة إلى أن بعضها يندرج تحت ما ذكر أو يدخل فيه، ومنها على وجه الإشارة فقط:

١ – العصبية للقوم والجنس[2].

٢ – الرغبة في الرئاسة وحب السلطة[3].

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ٤٩، وينظر نحواً منه في: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٢٩.

(٢) ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٧٩ – ٩٥، الافتراق وأصول الفرق ص ٢٠٢ – ٢٠٧، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٩. الأهواء والفرق والبدع عبر التاريخ، د/العقل، ص ١٨٣ – ١٨٩.

(٣) ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠، القضاء والقدر، المحمود ص ١٠١.

• الأسباب الخارجية

شهد المسلمون في القرن الأول بشكل عام، وفي عهد الخلفاء الراشدين بشكل خاص عدداً من الفتوحات في بقاع شتى، واتسعت دائرة تلك الفتوح فشملت عدداً من الأمصار والأصقاع. وقد كان من لوازم تلك الفتوح احتكاك المسلمين بغيرهم من الأمم على اختلاف أجناسهم وعاداتهم، وبما يحملونه من معتقدات وأفكار.

ومع تأثير المسلمين في أهل تلك البلاد وتأثرهم بالمسلمين خاصة باعتناق كثير منهم للإسلام والدخول فيه عن قناعة ووعي، إلا أن منهم من دخل فيه لكنه لم يستطع التخلص من رواسب المعتقدات والآراء الفاسدة التي كان عليها قبل إسلامه، كما أن منهم من أظهر الدخول في الإسلام وأبطن الكيد والمكر له.

ومما سبق يتبين لنا أن المقصود هنا تلك الأسباب التي وجدت جذورها خارج البيئة الإسلامية، والتي رُمي بها الإسلام من قبل الديانات الأخرى، والثقافات الأجنبية، وذلك من خلال عدد من الطرق والوسائل تختلف كيفاً وكماً.

١ – اليهود[1]:

منذ أن بزغ فجر الإسلام واليهود لا يألون جهداً في الكيد له والحقد عليه.

---

(١) اليهود: هم أمة موسى – عليه السلام – يقرون بنبوة موسى وهارون، وكتابهم التوارة. وأصل تسميتهم بذلك مختلف فيه، والراجح – والله أعلم – أنه من الهود وهو الرجوع والتوبة، كما حكى الله عنهم ذلك بقوله: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦). أي رجعنا وتبنا، وقيل بل نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وقيل غير ذلك.

يزعم اليهود أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وأنه لا يجوز النسخ في الشرائع، لأن ذلك يلزم منه البداء على الله، لذا يقولون: إن الشريعة ختمت بموسى، فلا يجوز أن تكون بعده شريعة أخرى. اشتهر في شريعتهم المحرفة أباطيل وخزعبلات، إذ وصفوا الله بصفات يتنزه عنها وشبهوه بخلقه، إلخ، كما اشتهر عنهم إيذاء الأنبياء وقتلهم وإلصاق التهم بهم، وهم فرق شتى منها: العنانية، العيسوية، السامرية.. إلخ.

ينظر: الملل والنحل ١/٢٥٠ ـ ٢٦٢، البرهان ص ٨٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٢ ـ ٨٣، إغاثة اللهفان ٢/٢٩٨ ـ ٣٦٧.

وحسبنا التذكير بأن أول من وضع بذور التفرق والانشقاق في أرض الأمة الإسلامية وتعاهدها حتى نمت وترعرعت هو عبدالله بن سبأ اليهودي ، وذلك في ظل الفتنة التي أشعل نارها ثم أججها من بعده أتباعه.

وكان من الثمار الخبيثة لتلك الفتنة ظهور أول فرقتين على مسرح افتراق الأمة فشقت صفها وبددت جمعها ، وفرقت وحدتها وهما : الخوارج والرافضة. وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام بقوله : "فإن الذي ابتدع الرفض كان يهودياً أظهر الإسلام نفاقاً ، ودس إلى الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان"[١].

فقد كان لليهود وعقائدهم الباطلة بصمات واضحة على بعض الفرق الإسلامية – خاصة الرافضة –.

فإن المتأمل في "أفكار الرجعة والبداء والمهدي والأسباط وغيرها من آراء الشيعة الغالية قد تأثرت أشد تأثر بالآراء اليهودية"[٢].

لذلك تعد أوجه مشابهة الرافضة لليهود كثيرة[٣].

إضافة إلى أن هناك عدداً من الشخصيات اليهودية أو ذات الصلة باليهود كانت وراء نشأة عدد من الفرق الغالية ، أو أسهمت في ظهور الأقوال الضالة والآراء المنحرفة. فلا غرابة إذن أن تجد عدداً من الفرق الإسلامية تشبه في بعض أصولها الديانة اليهودية كالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة والجهمية[٤].

كما أن من صور كيد اليهود للإسلام وسعيهم الدؤوب لتوسيع هوة الاختلاف والافتراق بين المسلمين تسللهم إلى حياض الحديث الشريف ، وذلك عن طريق وضع الأحاديث المكذوبة مما أسهم في ظهور فرق المشبّهة والمجسّمة[٥].

(١) مجموع الفتاوى ٤/٤٢٨.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٦٨.

(٣) وقد ألف في هذا رسالة قيمة بعنوان: "بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود" د/ عبدالله الجميلي. تقع في مجلدين.

(٤) ينظر على سبيل المثال: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة ٢/٧٢٩ - ٧٤٠، الماتريدية دراسةً وتقويماً ص ٤٥ – ٤٨.

(٥) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٦٩ – ٧١ بتصرف.

كذلك نجد اليهود يقفون خلف أعظم المحن والفتن التي حدثت عبر تاريخ الأمة كفتنة القول بخلق القرآن وغيرها.

فقد كان قول المعتزلة بذلك نابعاً من تأثير اليهود عليهم حيث أخذه المعتزلة عن بشر المريسي(١) عن جهم بن صفوان(٢) عن الجعد بن درهم(٣) عن بيان بن سمعان(٤) عن طالوت(٥) عن لبيد بن الأعصم(٦) اليهودي الذي سحر النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) بشر بن غياث أبو عبدالرحمن المريسي العدوي بالولاء، كان من أصحاب الرأي، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي، إلا أنه اشتغل بعلم الكلام، جد في القول بخلق القرآن وناظر عليه واحتج له ودعا إليه، حُكي عنه أقوال شنيعة، كفَّره أهل العلم بسببها، منها القول بخلق القرآن وتعطيل صفات الله ورده للأحاديث الثابتة، كان والده يهودياً صباغاً بالكوفة، هلك سنة ٢١٨هـ.
ينظر: تاريخ بغداد ٥٦/٧ - ٦٧، السير ١٩٩/١٠، ميزان الاعتدال ٣٢٢/١، لسان الميزان ٣٢٢/١، الأعلام ٢٧/٢ - ٢٨.

(٢) الجهم: هو أبو محرز الراسبي رأس الضلالة ورأس الجهمية الكاتب، المتكلم، نشأ بالكوفة وكان رجلاً فصيحاً ولم يكن له نفاذ في العلم، فاتصل ببعض الزنادقة فبلغوا به إلى أن أنكر صفات الله، لأن الله فيما زعموا له لا ينبغي أن يوصف بصفات يوصف بها خلقه، ثم ذهب إلى أن الإنسان مجبور على أفعاله، وقد قتله سلم بن الأحوز سنة ١٢٨هـ.
ينظر: السير ٢٦/٦، الأعلام ١٤١/٢.

(٣) الجعد بن درهم من الموالي، أصله من خراسان، مبتدع، له أخبار في الزندقة، أخذ عنه مروان بن محمد، لما ولي الجزيرة أيام هشام بن عبدالملك ونسب إليه، هو أول من قال بخلق القرآن، وأنكر أن يكون الله قد تكلم به على الحقيقة، وأنكر أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً، قتله خالد بن عبدالله القسري يوم النحر سنة ١٢٤هـ
ينظر: السير ٤٣٣/٥، الميزان ٣٩٩/١، البداية والنهاية ٣٥٠/٩، لسان الميزان ١٠٥/٢.

(٤) بيان وقيل بنان بن سمعان النهدي من بني تميم، قال بإلهية علي ومحمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم ولد محمد ابن الحنفية، ثم ادعى النبوة والإلهية لنفسه فقتله خالد بن عبدالله القسري بالنار عام ١٢٦هـ، وقيل قبل ذلك. ينظر: الملل والنحل ٢٠٣/١، التبصير في الدين ص ١٢٤، ميزان الاعتدال ٣٥٧/١.

(٥) هو طالوت ابن أخت اليهودي لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، كان زنديقاً يظهر زندقته ويفشيها بين الناس، أخذ عن خاله القول بخلق التوراة فصنف في ذلك، وعزم أن القرآن مخلوق. وتلقى عنه بيان بن سمعان ذلك، فعلمه الجعد بن درهم شيخ جهم بن صفوان، وأخذ بشر المريسي عن جهم ذلك. ينظر: الكامل ٢٩٤/٥، البداية والنهاية ٣٥٠/٩.

(٦) هو اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. وبقي على ذلك ستة أشهر، حتى أنزل الله سورتي المعوذتين رقية له، وكان لبيد يقول بخلق التوراة، فألقى ذلك على ابن أخته طالوت، فألف في ذلك وأفشاه. ينظر: الفتاوى ٢٠/٥ - ٢١، الكامل ٢٩٤/٥، البداية والنهاية ٣٩/٦ - ٣٥٠/٩.

وقد كان لبيد يقول بخلق التوراة..."[١].

كما أن بشراً المريسي كان يهودياً صباغاً بالكوفة[٢].

"وهكذا فاليهود كانت لهم أدوار خطيرة في نشوء كثير من الفرق، وخاصة الغالية منها، ولايزال اليهود وإلى الآن يكيدون للإسلام والمسلمين بشتى الوسائل والأساليب على شكل لا يجاريهم فيه أحد"[٣].

إلى هنا بالإمكان أن نخلص إلى "أن اليهود أقاموا "بدء الفتنة" بين المسلمين في موضوعات الإمامة ثم أشعلوا أوارها دينياً حول "الذات الإلهية" بما أدخلوه من عقائد وأحاديث في التجسيم والتشبيه"[٤]. ومروراً بغيرها من المسائل في أبواب العقيدة المختلفة، ولايزال المسلمون يكتوون بنار كيدهم ومكرهم حتى هذه الأيام.

٢- النصارى[٥]:

لئن كان اليهود قد لعبوا دورهم في إغماد خنجر الافتراق المسموم في جسد الأمة - وذلك منذ وقت مبكر - فإن النصارى قد أسهموا في توسيع دائرة ذلك الجرح، حيث كانوا وراء ولوج العديد من الانحرافات العقدية التي نشأ عن بعضها

---

(١) ينظر: الكامل لابن الأثير ٢٦/٧، وقد ذكر سلسلة التعطيل هذه شيخ الإسلام في الفتوى الحموية ص ٢٤٤ - ٢٤٥، وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٠/٩، ١٩/١٠.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد ٦١/٧ وسير أعلام النبلاء ٢٠٠/١٠ - ٢٠١، وقد ورد ذلك في كل من الماتريدية للحربي ٤٧ - ٤٨، والمعتزلة للمعتق ص٣٥.

(٣) القضاء والقدر للمحمود ص ١١١.

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٨٩/١.

(٥) النصارى: هم أمة المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - بعث إليهم بعد موسى، وقد غلوا في عيسى حتى زعموا أنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، واليهود والنصارى من أكبر أمم أهل الكتاب، واختلف في أصل تسميتهم بهذا الاسم (نصارى) فقيل: نسبة إلى (الناصرة) بلد في الأردن، كما كان مبدأ خروجهم منها، وقيل نسبة إلى الحواريين حيث قالوا (نحن أنصار الله)، وهم فرق شتى منهم: الملكانية، اليعقوبية، الفريسيون.

ينظر: الملل والنحل ٢٦٢/١ - ٢٧٣، البرهان ص ٩١ - ٩٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٤ - ٨٥، إغاثة اللهفان ٢٧٠/٢ - ٢٩٨، وانظر كتاب: محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة.

فرق شقت صف الأمة وفرقت شملها، من ذلك على سبيل المثال: بدعة القول بالقدر عند القدرية الأوائل، يقول الأوزاعي[١]: "أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له "سوسن"[٢] كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني[٣]، وأخذ غيلان[٤] عن معبد"[٥].

ولعل هذا هو أرجح الأقوال في أول من قال بالقدر[٦].

وقد امتد هذا التأثير وأخذ في التطور حتى طال إحدى الفرق التي حملت لواء هذه البدعة ونشرتها، مع أنها "تختلف قليلاً عن الطائفة الأولى، وذلك بإثباتها أن الله تعالى عليم بلا علم مع نفيها للقدر"[٧]. وهي فرقة المعتزلة!

---

(١) عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمر، إمام الديار الشامية وأحد الأئمة الأعلام الثقات، ولد في عهد الصحابة سنة ٨٨هـ، وتوفي ببيروت سنة ١٥٧، وقيل غير ذلك.
ينظر: حلية الأولياء ١٣٥/٦ – ١٤٩، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ – ١٣٤، تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ – ٢٤٢.

(٢) هو سوسن وقيل سنسويه البقال، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، ويقال أنه الذي زرع بدعة إنكار القدر في عقل معبد الجهني فنشرها.
ينظر: نبأ سوسن هذا في تهذيب التهذيب ٢٢٦/١٠، الآجري في الشريعة ٢٤٢، واللالكائي ٧٤٩/٤ – ٧٥٠، سير أعلام النبلاء ١٨٧/٤.

(٣) معبد الجهني: بضم الجيم نسبة إلى جهينة، معبد بن عبدالله بن عكيم أو عويم وقيل عويمر، ضال مبتدع، هو أول من تكلم في القدر بطريقة بدعية، قد نهى الحسن البصري الناس عن مجالسته، مات مقتولاً سنة ٨٠هـ.
ينظر: ميزان الاعتدال ١٤١/٤، تهذيب التهذيب ٢٢٥/١٠ – ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ١٨٥/٤، البداية والنهاية ٣٤/٩.

(٤) هو غيلان بن مسلم الدمشقي القبطي، اختلف في اسم أبيه، درس على الحسين بن محمد بن الحنفية في المدينة، قال الذهبي (ضال مسكين) كان مبشراً حقيقياً بمذهب العدل الذي صار من أصول المعتزلة فيما بعد، كان مالك قد نهى عن مجالسته، دعا عليه عمر بن عبدالعزيز بعد أن استتابه، ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله وقتل بعد سنة ٧٥هـ.
ينظر: ميزان الاعتدال ٢٢٨/٣، الفهرست ص ١٣١، الأعلام ٣٢٠/٥، لسان الميزان ٣٢٤/٤، البداية والنهاية ٣٤/٩ – ٣٥.

(٥) رواه اللالكائي ٨٢٧/٤، والآجري في الشريعة ٩٥٩/٢، وابن بطة في الإبانة ٤١٤/٢ – ٤١٥.

(٦) ينظر: القضاء والقدر للمحمود ص ١٦٢ – ١٦٨، علماً بأن هناك من ينكر أثر النصارى في ذلك. ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٣١٩/١.

(٧) ينظر: القضاء والقدر للمحمود ١٦٨.

لذا يسمى المعتزلة بالقدرية عند كثير من علماء الفرق وغيرهم[١].

ولعل ذلك هو الذي حدا بأحد المستشرقين إلى القول بـ"أن مذاهب المتكلمين الاعتقادية تأثرت بعوامل نصرانية أبلغ تأثير"[٢]. إلى أن يقول:
"ونحن نجد بين مذاهب المتكلمين الأولى في الإسلام وبين العقائد النصرانية شبهاً قوياً، لا يستطيع معه أحد أن ينكر أن بينهما اتصالاً مباشراً، وأول مسألة كثر حولها الجدل بين علماء المسلمين هي مسألة الاختيار"[٣].

ولم يتوقف تأثيرهم على المعتزلة عند هذا الحد، بل تعداه إلى مسائل أخرى متعددة[٤].

كما أن للنصارى أثراً جلياً في عقائد الرافضة، يظهر ذلك بوضوح من خلال ما قالوه وذهبوا إليه من الغلو في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومَنْ بعده مِنَ الأئمة، وفي قولهم بالرجعة، ورأيهم في المهدي فكل هذه الآراء والمعتقدات الرافضية هناك ما يقابلها عند النصارى بما يوحي بوجود قدر كبير من التأثر[٥].

ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً في شأن الصوفية[٦]، حيث كانت "نظرة النصارى إلى الدنيا واحتقارهم الكامل لها - في ظاهر الأمر - واعتبار أن النجاة في

---

(١) ينظر في أسماء المعتزلة وعلة تلقيبهم بها، المعتزلة للمعتق ص ٢٢ - ٢٦.

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٨٣.

(٤) ينظر: المعتزلة للمعتق ٣٧ - ٤٠، تناقض أهل الأهواء والبدع ٧٤٥/٢ - ٧٤٨.

(٥) ينظر في ذلك: تناقض أهل الأهواء والبدع ٧٤٢/٢ - ٧٤٥ وعقيدة المسلمين للبليهي ٣٩٦/٢.

(٦) الصوفية نسبة إلى لبس الصوف - على القول الصحيح - عرفوا بادئ الأمر بالعبادة والزهد، ولم يكن هذا الاسم معروفاً في القرون الثلاثة الأولى، وانتهى المطاف ببعض فرقهم إلى الغلو والتطرف، حتى خرجوا عن دائرة الإسلام والقول بمذهب الباطنية، وأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، من أقطاب غلاتهم: ابن عربي، والحلاج، وابن سبعين وغيرهم.
ينظر: الفتاوى ٥/١١ وما بعدها، كتاب مصرع التصوف للبقاعي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٢ - ٧٤، نقض التأسيس ٣٦٠/٢، حاشية الصواعق المرسلة ٤٠٧/٢.

الرهبانية، مما أدى إلى التأثير على الزهاد والعباد المسلمين – الذين كانوا كنواة للصوفية – فانحرف بهم بعد ذلك إلى الرهبانية"(١).

كذلك نجد تأثير النصارى على الصوفية في جوانب أخرى كقولهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وما يسمى بالعشق الإلهي(٢).

أما المعتزلة فقد كان تأثير النصرانية فيها بالغاً لدرجة عدّ معها أثرها في الاعتزال أكثر من أثر غيرها – كما يرى أحد الباحثين – (٣).

لذا يقول بعد أن ذكر بعضاً من أوجه الشبه(٤) الدالة على التأثر والتأثير: "فلا يعقل أن يكون ذلك الشبه وليد الصدف أو من قبل توارد الأفكار، لأنه لا يقتصر على قول واحد أو فكرة واحدة بل يظهر جلياً في مسائل متعددة"(٥). وقد يكون بعض ذلك – مما ذكر هنا – من قبيل التشابه.

ولعلنا نكتفي بهذه الإشارات، لأننا لو ذهبنا نستقصي أثر النصارى على كل فرقة لطال الحديث، لكن أود الإشارة لأمر لا يمكن إغفاله في مثل هذا السياق وهو ما قام به النصارى من جهود كبيرة في ترجمة الكتب الفلسفية وغيرها خاصة الفلسفة اليونانية – كما سيأتي – ومعلوم أن تلك الكتب كانت تحمل في طياتها المعتقدات الوثنية والآراء المنحرفة التي كان لها أبلغ الأثر على ثوابت العقيدة الصحيحة عند الفرق الإسلامية.

وقد عمدوا إلى ذلك إدراكاً منهم بأن "في هذه الفلسفة ونقلها إلى المسلمين إحدى الوسائل لتقويض العقائد الإسلامية"(٦).

---

(١) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢٤ بتصرف.

(٢) وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى شيء من ذلك، ينظر: الفتاوى ٧/١١، الجواب الصحيح ٧٣/٣، ١٩٩/٣، ١٦٤/٢.

(٣) ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ٢٣.

(٤) ينظر: بعض أوجه التشابه في: تناقض أهل الأهواء والبدع ٧٤٥/٢ – ٧٤٨.

(٥) ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ٢٧.

(٦) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١٠٩/١.

من خلال ما سبق يتبين لنا المدى الذي وصل إليه تأثير النصارى والديانة النصرانية في الفرق الإسلامية وقبل ذلك ما كان لهم من دور في نشأة الفرق، سواء كان ذلك عن طريق العامل الفردي الشخصي، أو عن طريق المفاهيم العامة والعقائد[١].

٢-المجـــوس[٢]:

يشير الإمام ابن حزم - في كلام جميل عن ظهور الفرق - إلى دور المجوس في عرض تاريخي وتحليل نفسي فيقول: "الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم حتى إنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - واستشناع ظلم علي - رضي الله عنه - ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام... ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة[٣] وهما طائفتان مجاهرتان بترك

---

(١) ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢٤.

(٢) المجوس هم الذين أثبتوا أصلين للعالم، هما النور والظلمة، وأن النور أزلي والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها، ومن عقائدهم: عبادة النار، السجود للشمس إذا طلعت، استحلال نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر المحرمات، وقد ذكر الشهرستاني أن المجوسية يقال لها: "الدين الأكبر والملة العظمى".

ينظر: الملل والنحل ٥٥٩/١، اعتقادات فرق المسلمين ص ١٢٠، البرهان ص ٩٠، إغاثة اللهفان ٢٣٧/٢، تلبيس إبليس ص ٧٥، رسالة في الرد على الرافضة ص ١٣٤.

(٣) القرامطة: أتباع حمدان القرمطي، من سواد الكوفة، قال المقريزي: حمدان الأشعث، المعروف بقرمط، من أجل قامته، وقصر رجليه، وتقارب خطوه. وقيل نسبة إلى قرمط إحدى قرى واسط - صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعاه إلى معتقدهم، فقبل دعوته، ثم صار يدعو الناس إليها، وضل بسببه خلق كثير، وهم طائفة من طوائف الإسماعيلية الباطنية كان ظهورهم في سنة ٢٨١هـ، وقيل ٢٧٨، =

الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة"[١].

فقد ساهم الفرس كما ساهمت ديانتهم المجوسية في دفع عجلة افتراق الأمة الإسلامية، وضربوا في ذلك بحظ وافر، حيث استطاعوا أن يجعلوا بعضا من مبادئ المجوسية تنفذ إلى بعض الفرق وتتغلغل في آراءها، فليس غريبا بعد ذلك أن نرى جملة من آراء تلك الفرق قد تأثرت إلى حد كبير بالأفكار الوثنية المجوسية وأصبحت ذات صبغة مجوسية بمختلف أنماطها[٢].

وبسبب نظرة الفرس إلى ملوكهم وأسرهم المالكة وما يخلعونه عليهم من التعظيم والتقديس في ظل الديانة المجوسية كانت "الفكرة الشيعية أكثر الأفكار ملاءمة لعقولهم – لما تتضمنه من غلو في آل البيت – فليس من المبالغة في شيء أن يقال أن البيت النبوي وقد مثله (آل علي) قد حل في قلوب هؤلاء الفرس، واعتبروهم محل بيت (آل ساسان)" [٣].

فلا غرو إذن أن تكون بلاد فارس هي المحضن الطبيعي لتلك البدعة الشنعاء، وفيها أثمرت ومنها انطلقت الطموحات الرافضية من الدولة البويهية إلى دولة الرافضة بإيران في عصرنا الحالي[٤].

وقد ظهرت الآثار المجوسية جلية في عقائد الشيعة بمختلف فرقها كالقول بتأليه الأئمة والغلو فيهم، إلى إباحة نكاح بعض المحارم الموجود عند بعض فرق

= ودخلوا مكة سنة ٣١٧، وقتلوا من كان في الطواف، واقتلعوا الحجر وحملوه إلى البحرين، ثم رد منها إلى الكوفة، ومنها إلى مكة على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد النيسابوري سنة ٣٣٩هـ.
ينظر: تلبيس إبليس ١٠٢، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٨٧/٤، الخطط ٣٥٧/٢، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ١٦/٣.

(١) الفصل في الملل والنحل ٢٧٣/٢ – ٢٧٤، وقد نسبه البعض للمقريزي، ينظر: فجر الإسلام ص ٧٧، وينظر: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ص ١٨٧ – ١٨٨.

(٢) وذلك: كالزرادشتية، والمانوية، والمزدكية.

(٣) ينظر: النظريات السياسية الإسلامية لضياء الدين الريس ص ٧١ بتصرف، نقلاً عن مقدمة في اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١١٧.

(٤) ينظر: مقدمة في اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١١٨.

الباطنية[(١)(٢)]، بل ذكر بعض أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجرؤا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس..."[(٣)]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً على ذلك: "وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس"[(٤)].

ولئن كان النصارى قد أسهموا في ظهور القدرية – كما سبق – فإن المجوس قد كان لهم دور في ذلك حيث يرى شيخ الإسلام أن أول من ابتدع القول بالقدر رجل يقال له سيسويه من أبناء المجوس[(٥)]، ويقول مؤكداً على ضلوع المجوس في نشأة القدرية: "وإنما حدثت القدرية من الملتين الباطلتين: المجوس والذين أشركوا"[(٦)].

ولهذا جاءت الآثار بذم القدرية ووصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة[(٧)]. وإنما سموا قدرية لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم، ونفوه عن الله سبحانه وتعالى، ونفوا عنه

---

(١) الباطنية: سموا بذلك لأنهم ادعوا أن لنصوص الشريعة ظاهراً وباطناً وزعموا أن العامة هم المرادون بظواهر النصوص، أما من ارتقى إلى علم الباطن فقد انحطت عنه التكاليف، وأطلقوا عليها: الأغلال وقالوا: هم المرادون من قوله: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) وغرضهم من ذلك إبطال الشرائع، ونفي أن يكون هناك جزاء وجنة ونار بل إنكار الخالق بالكلية.

وقد ذكر العلماء أنهم أشر الطوائف على المسلمين، بل هم شر من الدجال، وأول من دعا إلى هذا المذهب عبدالله بن ميمون القداح مولى جعفر الصادق زمن المأمون.

ينظر: التبصير في الدين ص ٨٣، رسالة في القرامطة لابن الجوزي ص ٣٦، الفتوحات المكية لابن عربي ٢٦٣/٤ – ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٥.

(٢) ينظر الفرق بين الفرق ص ٢٨١، والتبصير في الدين ص ١٤٢ – ١٤٣.

(٣) الفرق بين الفرق ٢٨٤ – ٢٨٥.

(٤) بغية المرتاد ١٩٤، وانظر نحواً من هذه النصوص وبيان علاقة الباطنية بالمجوسية في: آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها – الباطنية – رسالة دكتوراه للدكتور/ حمود الحربي.

(٥) ينظر: الفتاوى ٣٨٤/٧، بهذا يتبين أن هناك خلافاً في ديانة سنسويه، هل كان نصرانياً أو مجوسياً؟ وهل كانت بدعة القدر بتأثير مجوسي أم نصراني أم بهما معاً. ينظر: القدرية والمرجئة د/ ناصر العقل ص ٣٥ – ٣٨.

(٦) الفتاوى ٢٦١/٨.

(٧) الأحاديث والآثار الواردة في هذا المعنى كثيرة، ولكن كما قال الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية بعد أن ذكر بعضاً من تلك الأحاديث: "لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها" شرح الطحاوية ٣٥٨/٢. =

خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس، في قولهم بالأصلين: النور، والظلمة، وإن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة"(١).

وقد أشار شيخ الإسلام إلى مثل هذا(٢)، وجعل من أصناف القدرية: "القدرية المجوسية"(٣).

٤- اليونان:

إذا كانت العوامل الخارجية السابقة ذات تأثير مباشر - غالباً - فقد جاء تأثير اليونان بفلسفتهم بطريق غير مباشر، وذلك عن طريق كتبهم التي ترجمت إلى اللغة العربية "إلا أن هذه الترجمة لم تكن صحيحة تماماً... فلقد شابها بعض الأخطاء والتشويه والتحريف والتلفيق والتوفيق بين بعض المذاهب اليونانية"(٤). وكان السبب في كثير من ذلك الواسطة بين التراث اليوناني والعربي وهم السوريان(٥) الذين كانوا يجيدون اليونانية ونقلوا الكثير من التراث اليوناني إلى السوريانية قبل العربية، وفي هذا الوسط السورياني شوهت المذاهب اليونانية"(٦).

= ينظر كذلك: السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ٤١٧/٢، ٤٣٣، الشريعة للآجري ٨٠١/٢ - ٨٠٧، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٧٠٧/٤ - ٧١٥.

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٣١٦، وينظر: الفرق بين الفرق ٢٨٥، التبصير في الدين ص ٩١، والنهاية لابن الأثير ٢٩٩/٤.

(٢) ينظر: الفتاوى ٢٥٨/٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢٥٦/٨، ٢٥٨.

(٤) الفرق الكلامية الإسلامية د/ المغربي ص ٩٦.

(٥) السوريان: هم المسيحيون من أبناء اللغة السوريانية، والسوريانية: لغة من اللغات المتفرعة عن الآرامية التي هي من اللغات السامية، كالعربية والعبرانية، وكان بعض اليهود في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتكلمون السريانية.
ينظر: المنجد في الآداب والعلوم، حرف الألف "الآرمية" ص ١٢، وحرف السين (السريان) ص ٢٥٣.

(٦) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١١٠/١ بتصرف، وينظر كذلك: تاريخ الفكر الفلسفي ص ٩١ وما بعدها.

وقد بدأت الترجمة منذ أواخر القرن الأول الهجري، إلا أنها مرَّت بمراحل متعددة ومتفاوتة، لكنها بلغت أوج ازدهارها في عهد المأمون[١] حيث اكتمل عقدها إبان خلافته. وقد ألمح شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك فقال: "ولم يسمع سلفاً بذكر هذا المنطق اليوناني وإنما ظهر في الإسلام لما عُرِّبت الكتب الرومية في عهد دولة المأمون أو قريباتها"[٢].

لكن الترجمة لم تكن قاصرة على موضوع المنطق فحسب، بل شملت الترجمة موضوعات الفلسفة اليونانية الأخرى كالطبيعيات، والإلهيات، والأخلاقيات وذلك بمختلف اتجاهاتها[٣].

"ولا شك أن تلك الترجمة بذلك المستوى كان لها أثر كبير جداً على الفكر الإسلامي عموماً، وعلى كثير من الفرق بوجه أخص"[٤]. حيث أسهمت بشكل كبير في انتشار الأهواء والفرق والبدع، والمقالات الفاسدة وكانت رافداً قوياً لأهل الأهواء ومصدراً مهماً من مصادرهم[٥].

إلى ذلك يشير شيخ الإسلام – رحمه الله – بقوله: "فعرّبت بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية، ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعرّبت ودرسها الناس وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر"[٦].

(١) هو الخليفة أبو العباس عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي، سابع الخلفاء من بني العباس، قال الذهبي: "كان كلامه في القرآن سنة ٢١٢هـ فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت، وقال في موضع آخر: أما مسألة القرآن فما رجع عنها وهم على امتحان العلماء في سنة ٢١٨ وشدد عليهم فأخذه الله". ولد سنة ١٧٠هـ وتوفي سنة ٢١٨هـ.
ينظر: البداية والنهاية ٢٤٤/١٠، سير أعلام النبلاء ٢٧٢/١٠، تاريخ بغداد ١٨٣/١٠، الأعلام ١٤٢/٤، تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦.

(٢) الفتاوى ٢٣١/٩.

(٣) كالاتجاه الأرسطي، والأفلاطوني، والأفلوطيني الحديث، والفيثاغورسي.
ينظر: الماتريدية – دراسة وتقويماً – ص ٥٢ – ٥٥.

(٤) القضاء والقدر للمحمود ص ١١٣.

(٥) ينظر: الأهواء والفرق والبدع د/ العقل ص ١٩٥.

(٦) الفتاوى ٨٤/٢.

ولعل من أبرز آثار تلك الفلسفة وأدرانها على الفرق ما يلي :

- ظهور أقوام شكّيّين ينزعون في الشك منزع السوفسطائيين[١] الذين ظهروا في اليونان والرومان[٢].
- شيوع فكرة العدد وقداسته خاصة عند بعض طوائف الشيعة[٣].
- استخدام بعض صيغ الجدل والدفاع عن الدين والتي كان لها شبه في المنطق الأرسطي[٤].
- الكلام عن الطفرة والتولد والجوهر والعرض عند بعض المعتزلة وكل ذلك من صميم الفلسفة اليونانية[٥].

إلى غير ذلك من النظريات والمبادئ الكلامية والفلسفية التي تعدُّ من رواسب الفكر اليوناني والفلسفة اليونانية[٦].

---

(١) أطلق هذا الاسم على طائفة من اليونانيين ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان مركزهم أثينا، وأصبح "السوفسطائي" عنواناً على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة مع تعمد النصر على الخصم.

وقيل: هي كلمة معربة من اللغة اليونانية ومعناها: الحكمة المموهة، يعنون الكلام الباطل الذي قد يشبه الحق، وذكر بعض المؤلفين أن السوفسطائية انقسمت إلى ثلاثة مذاهب هي: العنادية، واللاأدرية، والعندية.

ينظر: مجموع الفتاوى ١٣٥/١٩، تلبيس إبليس ص ٤٠٠، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٧، الموسوعة الفلسفية د/عبدالمنعم حنفي ص ٢٤٩.

(٢) ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، أبو زهرة ص ١٤.

(٣) ينظر: القضاء والقدر، المحمود ص ١١٥.

(٤) ينظر: الفرق الكلامية الإسلامية د/ المغربي ص ٩٨.

(٥) ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين ٨/٣ – ٩.

(٦) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١٠٢/١ – ١٨٥، تاريخ الفكر الفلسفي ص ٦٨ – ٧٧. الماتريدية – دراسة وتقويماً – ص ٥١ – ٥٦. يقول ابن القيم في نونيته مشيراً إلى شيء من ذلك عند حديثه عن الرافضة:

إذ هم مشبهة مجسمة وما ... دانوا بدين أكابر اليونان

ينظر: شرح النونية لابن عيسى ٢٤٣/١.

ولكن لابد من أن نشير إلى أمر بـالغ الأهمية وهـو أنـه علـى الرغـم مـن ظـهور الأثـر اليونـاني أشـد مـا يكـون في فكـر مـا يسـمون فلاسـفة الإسـلام كالفـارابي[١] وابن سينا[٢]، وفي فكر المعتزلة، إلا أنه قد أثر كذلك في مناهج الفكر بشكل عام علـى الفرق الكلامية وبعض من علمائها الذين دافعوا عن علم الكلام الذي استقوه من المنهج المنطقي اليوناني، وقد تجلى ذلك في كتابات أئمة الأشاعرة[٣].

٥ - الهنـــود:

كـانت هنـاك حركـات اتصـال بـين المسلمين والهنود، خاصـة في مجـال الطـب باستقدام الأطباء، وفي مجال التجارة بالتبادل التجاري. وإبان العصر العباس اتسعت دائرة ذلك التواصل، وعلى إثر ذلك التواصل نُقلت كثير من كتب الطـب وغيرهـا إلى اللغة العربية[٤]، وعبر تلك الكتب المترجمة تسربت بعض الآراء والأفكار والمعتقدات الهندية إلى بعض الفرق وسرت في آراءها.

وما من شك في أن عقيدة "التناسخ"[٥] هي أبرز ما يميز الديانات الهنديـة، حتـى أصبحت علماً عليها، بـل لـو قـال قـائل أنهـا قطـب رحاهـا ومحـور ارتكازهـا لما أبعـد

---

(١) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي، أبو نصر الفارابي، الفيلسوف المنطقي، قال عنه الذهبي: "له تصانيف مشهورة من ابتغى منها الهدى ضل وحار، منها تخريج ابن سينا، نسأل الله التوفيق" يسمى المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول، ولد حوالي ٢٥٧هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ، ينظر: وفيات الأعيان ١٥٣/٥ - ١٥٧، العبر ٢٥١/٢، السير ٤١٦/١٥ - ٤١٨، شذرات الذهب ٣٥٠/٢ - ٣٥٤، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٣٦٤.

(٢) الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، ولد سنة ٣٧٠هـ، قال الذهبي: ما أعلمه روى شيئاً من العلم، ولو روى لما حلت الرواية عنه، لأنه فلسفي النحلة ضال، لا رضي الله عنه" توفي سنة ٤٢٨هـ.

ينظر: ترجمته في: السير ٥٣١/١٧، ميزان الاعتدال ٥٣٩/١، لسان الميزان ٢٩١/٢، تاريخ حكماء الإسلام ص ٥٢ - ٧٢، وغيرها.

(٣) ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢٠.

(٤) ينظر من أمثلة ذلك: الفهرست لابن النديم ص ٤٢١، وينظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام دي بور ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) التناسخ: عقيدة يعنون بها انتقال الروح - بعد موت صاحبها - من جسد إلى جسد آخر في دورات متتالية، وتعيين الجسد الذي تحل فيه ثانية رهن بسلوكها في حياتها الأولى. =

النجعة. يقول أبو الريحان البيروني[١] – وهو الخبير ببلاد الهند وأديانها – "كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث[٢] علامة النصرانية، والإسبات[٣] علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها"[٤].

لأجل ذلك "كان من أهم ما أثّر به فكر الهنود في الفرق المبتدعة في الإسلام، هي فكرة التناسخ، فقد نشأت عدة فرق تقول بهذه الفكرة"[٥].

كما يظهر تأثير عقائد الهنود بوضوح أيضاً في التصوف المنحرف بطرقه ومدارسه وشيوخه، وما يتضمنه من المآخذ لعل من أعظمها القول "بوحدة الوجود"[٦].

= ينظر: التعريفات ص ٨١، الملل والنحل ٦١/١ – ٦٢، الفصل ٩٠/١ – ٩١.

(١) محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، أبو الريحان، حكيم، رياضي، فلكي، طبيب، أديب، لغوي، مؤرخ، ولد سنة ٣٦٢، تبصر في الفلسفة اليونانية والهندية، وتخصص بأنواع الرياضيات، توفي سنة ٤٤٠هـ، ينظر: معجم الأدباء ١٨٠/١٧، تاريخ حكماء الإسلام ص ٦٢، بغية الوعاة ٢١/٢، روضات الجنات ص ١٧٩، معجم المؤلفين ٢٤١/٨.

(٢) التثليث: من معتقدات النصرانية بعد التحريف، وهي بزعمهم أن الإله له ثلاث حالات تسمى الأقانيم فالإله عندهم ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس.
ينظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ٤٠٩، الموسوعة الميسرة ١٠١٠/٢، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ٢٢٦ وما بعدها.

(٣) الإسبات: إشارة إلى سبت اليهود، وهو عيد الأسبوع عندهم، بمثابة يوم الجمعة للمسلمين. وقد حرم الله الصيد، صيد البحر يوم السبت على اليهود امتحاناً، فخالفوا أمر الله تعالى في ذلك، كما أن اليهود زادوا في السبت من العوائد والتقاليد ما لم يشرعه الله.
نقلاً عن اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل ص ٤٧٥.

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٣٩.

(٥) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢٠، وينظر: البدء والتاريخ ١٩٨/١، ٨/٤ – ١٩.

(٦) وحدة الوجود مذهب يقوم على أن الوجود كله واحد، وأن وجود المخلوقات عين وجود الخالق، ولا فرق بينهما من حيث الحقيقة، ويرى أكثر الباحثين أن محمد بن علي بن عربي هو واضع المذهب وإليه ينسب وبه اشتهر لأنه أول من تجرأ على الجهر به والإلحاح عليه، للمزيد عن هذا المذهب.
ينظر: الفتوحات المكية لابن عربي، ٤٤/٢ – ٤٥، الصوفية في نظر الإسلام، ص ٤٥٩.

يقول أحد الباحثين : "كان للمذاهب الهندية بعض التأثير الذي يبدو في نظرية وحدة الوجود الصوفية"[١].

كذلك نجد عقيدة التناسخ عند الصوفية الغلاة[٢].

يؤكد هذا البيروني – الخبير بديانات الهند – حيث بيَّن أن بعض الطرق الهندية قد ذهبت إلى الصوفية ، وأشار إلى بعضها[٣].

إلا أنه – ومع ذلك كله – تظل فكرة التناسخ الأكثر تأثيراً في عقائد الفرق الإسلامية ؛ حيث لم يقتصر أثرها على فرقة أو فرقتين بل تعدى ذلك إلى فرق كثيرة.

فبينما يشير الباحثون إلى أن فرقة السبئية من أوائل من عرف عنها القول بالتناسخ لدعواهم أن علياً صار إلهاً حين حل روح الإله فيه ، وأن الجانب الإلهي في علي ينتقل عن طريق التناسخ إلى أبنائه. نجد أن هذه العقيدة الفاسدة التي نادى بها ابن سبأ انتقلت إلى فرق الرافضة الغالية من بعده[٤].

كما نجد أن هذه العقيدة عرفت أيضاً عند الإسماعيلية ، والدروز[٥]،

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفي ص ٨٩.

(٢) ومن أولئك: الحلاج، وابن عربي، والسهروردي، وابن سبعين، والشلمغاني، والششتري وغيرهم. ينظر: القضاء والقدر للمحمود، ص ١٢٠ – ١٢١، ومجلة جامعة الإمام، العدد ٣٧ محرم ١٤٢٣هـ، بحث: "الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ" د/ محمد العلي ص ٢٥.

(٣) ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤٣ – ٤٤.

(٤) مثل: الجناحية، والخطابية، والبيانية، ينظر: مجلة جامعة الإمام عدد ٣٧، البحث السابق ص ٢٤ – ٢٥. وقد أفرد البغدادي فصلاً في ذكر أصحاب التناسخ من أهل الأهواء وذلك في الفرق بين الفرق ٢٧٠ – ٢٧٦.

(٥) الدروز فرقة من الشيعة سموا بذلك نسبة إلى رجل يقال له نوشتكين الدرزي وهم طائفة من الإسماعيلية قالوا بألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ويلقبونه أحياناً بالحاكم بأمر الله، والطائفة الدرزية فرقة باطنية تعتبر نفسها منذ ما يقرب من ألف سنة في دور الستر فلا يكشفون أمر عقائدهم بما يلقي الضوء على مذهبهم، يقوم مذهبهم على ألوهية الحاكم بأمر الله، ويعتقدون أنهم الموحدون، ويزعمون أن الحاكم بأمر الله قد نسخ شريعة الإسلام وأسقط التكاليف، يأخذون صفات الله عز وجل ويطبقونها على الحاكم بأمر الله. فالإله عندهم هو الحاكم بأمر الله.
ينظر: عقيدة الدروز د/ محمد الخطيب، ص ١٢، مذاهب الإسلاميين د/عبدالرحمن بدوي ٥٠٩/٢، الموسوعة الميسرة ص ٢٢١ – ٢٢٩.

والنصيرية[١]، والبهائية[٢][٣].

كما نجدها أيضاً عند الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام[٤].

(١) النصيرية فرقة من فرق الشيعة وهي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدون من غلاة الشيعة، ومؤسس هذه الفرقة هو أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري المتوفى سنة ٢٧٠هـ، وليس كما تزعم النصيرية أن مؤسسها هو نصير، غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد كانت بدايتهم في الأردن وطبرية والآن يعيشون في سوريا.
ينظر: البرهان ص ٦٧، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٧٥، ٧٦، الموسوعة الميسرة ص ٥٠٩ - ٥١٩، طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها د/ سليمان حلبي ص ٧١، العلويين، عبدالمحسن مهدي العسكري ص ١٠٤ - ١٠٩.

(٢) البهائية نابعة من الاعتقاد في الميرزا حسين علي الألوهية. وهو ما يعتقده البهاء نفسه القائل في كتابه الأقدس وهو متداول بين أيدي البهائيين: "يا أهل الأرض إذا غربت شمس جمالي وسترت سماء هيكلي لا تضربوا، أنا معكم في كل الأحوال، وننصركم بالحق إنا كنا قادرين" وفي العموم فإن البهائية وغيرها من الفرق كالبابية والنصيرية والدروز والشيعة يجمعهم القول بالاعتقاد الباطني لحكمهم بأن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل.
ينظر: الملل والنحل ١/١٩٢، البهائية، هاشم عقيل عزوز، ص ١١، البهائية وموقف الإسلام منها - رسالة ماجستير - دخيل الله الأزوري.

(٣) ينظر: مجلة جامعة الإمام، العدد ٣٧، ص ٢٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٢٥، وذلك من أمثال: الكندي، ومحمد بن زكريا الرازي، والفارابي.

المبحث الثالث

"أشهر المؤلفات في الملل ومقالات الفرق"

وفيه الحديث عن :

- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ)
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي (ت ٣٧٧هـ)
- الفَرْق بين الفِرَق لأبي منصور البغدادي (ت ٤٢٩هـ)
- الفَصْل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)
- الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)

المبحث الثالث

أشهر المؤلفات في الملل[1] ومقالات الفرق[2]

لقد أسهم علماء المسلمين في أبواب مختلفة من العلوم، ومجالات متعددة من المعارف، حتى ضربوا في ذلك بحظ وافر. ولايزال ما خلفوه من تراث علمي خير شاهد على ما وصلوا إليه وما حققوه في كل مضمار منها.

وكان من ضمن تلك العلوم علم مقالات الفرق وعلم الملل والنحل حيث ناله نصيب من ذلك الاهتمام والإسهام منذ وقت مبكر. حتى ذهب كثير من الباحثين في دراسات علم الأديان إلى أن علم الملل إسلامي النشأة، وأن المسلمين أول من جعله علماً مستقلاً، قائماً بذاته، بعد أن كان مبثوثاً في ثنايا العلوم الأخرى، فكان بذلك للمسلمين فضل السبق والريادة[3].

أما عن بداية التدوين والتصنيف في هذا الفن.

---

(١) علم الملل: عرفه بعض الباحثين بعد دراسة لما كتب في تعريفه فقال: "هو علم يبحث في الملل من حيث منشأها وتطورها وانتشارها وأتباعها، وفي العقائد والأصول التي ترتكز عليها الملل المختلفة وفي أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينها مع المقارنة والمناقشة والرد". علم الملل أهميته وضوابطه الشرعية، إعداد: أحمد جود، - رسالة ماجستير - قسم العقيدة بجامعة الإمام عام ١٤١٨/١٤١٩هـ. ص ١٣.

وينظر: المفردات للأصبهاني ص ٤٧١، الأديان دراسة تاريخية مقارنة - القسم الأول - ص ١٨.

(٢) علم مقالات الفرق: عرفه صاحب أبجد العلوم ٥١٥/٢ فقال: "هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية، وهي على ما أخبرنا به نبينا - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الأمة اثنتان وسبعون فرقة" ثم قال: "وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة جداً...". وقد نقل هذا التعريف صاحب مفتاح السعادة ٢٩٨/١. وعلى ذلك فالذي يظهر - والله أعلم - أن بينهما علاقة عموم وخصوص فعلم مقالات الفرق خاص بالفرق الإسلامية التي تنسب إلى الإسلام، وعلم الملل يعم الديانات والعقائد والملل والنحل الصحيحة وغيرها، ومن ضمنها الإسلام، وما يدخل تحته من الفرق المنتسبة إليه. فعلم الملل يشمل علم مقالات الفرق وغيره. وعلم مقالات الفرق يعد فرعاً من فروعه.

(٣) ينظر: الدين لدرّاز ص ١٤، مقارنة الأديان - اليهودية - ص ٣١، مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي الشرقاوي ص ٥٠٨ - ٥٠٩، علم الملل أهميته وضوابطه الشرعية ص ١٧٤.

فجملة من الباحثين مالوا إلى أن ذلك بدأ منذ منتصف القرن الثاني الهجري[١].

وآخرون ذهبوا إلى أنه بدأ قبل هذا التاريخ فأعادوا ذلك إلى بدايات النصف الثاني من القرن الأول، مؤكدين ذلك بأن "أول مؤلف عقائدي جدلي نعرفه هو "رسالة في ذم القدرية" لأبي الأسود الدؤلي[٢] المتوفى سنة ٦٩هـ، وبعد هذا الكتاب تتابعت المؤلفات في "الرد على القدرية".. أما الكتب التي جاءت دفاعاً عن آراء القدرية، فأقدم ما نعرفه منها كتاب "القدر" لوهب بن منبه[٣] المتوفى سنة ١١٠هـ.

وأقدم كتاب في عرض عقيدة المرجئة هو كتاب "الإرجاء" لحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب[٤] المتوفى سنة ٩٩هـ.

وأقدم ما وصلنا من كتب الخوارج كتاب في "العقيدة" لزعيم الإباضية عبدالله بن إباض[٥] المتوفى سنة ٨٦هـ، وهذا نفسه هو كتاب السيرة المشهورة التي هي

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان – اليهودية – ص ٣١، ابن حزم الأندلسي، د. عبدالحليم عويس ص ٣١٥، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان. د. محمود حمايه ص ١٤٥. علم الملل أهميته وضوابطه الشرعية ١٧٤ – ١٧٥.

(٢) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، ولد في أيام النبوة وروى عن جمع من الصحابة، يعد من التابعين وهو واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، مات في طاعون الجارف سنة ٦٩هـ.
ينظر: السير ٤/٨١، صبح الأعشى ٣/١٦١، الأعلام ٣/٢٣٦ – ٢٣٧.

(٣) وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري، أبو عبدالله، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين، وأخبار بني إسرائيل، يعد من التابعين، اتهم بالقدر ورجع عنه، وتوفي عام ١١٠هـ.
ينظر: تهذيب التهذيب ١١/١١٦، طبقات ابن سعد ٥/٥٤٣، حلية الأولياء ٤/٢٣، شذرات الذهب ١/١٥٠.

(٤) أبو محمد الحسن بن محمد – المعروف بابن الحنفية – بن علي بن أبي طالب الهاشمي، تابعي، كان من العلماء وحدث عن جمع من الصحابة، أول من تكلم في الإرجاء، وقيل أنه تراجع عنه، توفي بالمدينة سنة ١٠٠هـ، وقيل سنة ٩٩هـ.
ينظر: السير ٤/١٣٠، تهذيب التهذيب ٢/٣٢٠، الأعلام ٢/٢١٢.

(٥) عبدالله بن إباض التميمي، كان معاصراً لمعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – وعاش إلى أواخر أيام عبدالملك بن مروان، رأس الإباضية وإليه نسبتهم، اضطرب المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته، قيل أنها كانت سنة ٨٦هـ.
ينظر: لسان الميزان ٣/٢٤٨، الحور العين ص ١٧٣، الأعلام ٤/١٨٤.

عبارة عن رسالة بعث بها إلى عبدالملك بن مروان[١]، وهي تقع في إحدى عشرة صفحة"[٢].

ومع أنه قد يكون ظاهر هذه الأقوال التعارض، إلا أنه عند التأمل فيها وسبرها ينزاح وهم هذا التعارض بما يلي:

الذين ذهبوا إلى أن بداية التصنيف في هذا الفن بدأ من منتصف القرن الثاني إنما قصدوا بذلك علم الملل والنحل أو مقالات الأديان، سواء كان مصنفات مستقلة بملل ونحل وديانات غير الإسلام أو جمعت إلى ذلك الحديث عن مقالات الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

لذلك نجد الخلاف بينهم في أول كتاب ظهر في هذا العلم.

فمنهم من يرى أن كتاب "الآراء والديانات" للنوبختي[٣]، (ت ٣١٠هـ) هو أول كتاب في هذا المجال.

ومنهم من يرى أن أول كتاب هو "المختار في الرد على النصارى" للجاحظ[٤]، (ت ٢٥٥هـ)، كما نجد من يرى أن كتاب "الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد" لعلي بن

---

(١) عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، ولد سنة ٢٦هـ، ونشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً. ولي الخلافة سنة ٥٦هـ، وتوفي في دمشق سنة ٨٦هـ.

ينظر: سير النبلاء ٢٤٦/٤، فوات الوفيات ٣٠٥/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٣٠٩/١، ٣١٠، ميزان الاعتدال ٦٦٤/٢، شذرات الذهب ٩٧/١.

(٢) مقدمة محمد عثمان الخشت لكتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٤، وقد وجدت الإشارة إلى هذه الكتب في: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين المجلد الأول ٣/٤ – ٥، وهو المصدر الذي استقى منه الخشت هذه المعلومات فيما يبدو، علماً بأنه لم يشر إلى ذلك، والذي يظهر من كلام سزكين أنه لم يصل إلينا منها شيء.

(٣) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، الشيعي المتفلسف صاحب التصانيف كانت تدعيه المعتزلة والشيعة وهو من أهل بغداد. من كتبه: "كتاب الآراء والديانات" و"فرق الشيعة" توفي سنة ٣١٠هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٧/١٥، لسان الميزان ٢٥٨/٢، الأعلام ٢٤٤/٢، معجم المؤلفين ٢٩٨/٣.

(٤) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المشهور بالجاحظ، من أئمة المعتزلة، كان أحد الأذكياء مع مجون وقلة دين وابتداع، له تصانيف كثيرة تدل على تبحره في الأدب واللغة وغيرها، توفي سنة ٢٥٥هـ. =

رين الطبري[١] (ت ٢٤٧هـ) هو أول كتاب ظهر في هذا العلم.

وقد تناول أحد الباحثين هذه المسألة بالدراسة وتوصل إلى أن هذه الكتب ليست أوّل ما ألفه المسلمون في علم الملل بل هناك رسائل ألفها المسلمون قبل ذلك[٢].

وخَلُصَ إلى "أن مرحلة تدوين علم الملل بكتب مستقلة قد بدأت في القرن الثاني وإن كانت تلك الكتب عبارة عن رسائل عني بها جوانب معينة، ولم تستوعب كل جوانب هذا العلم وهذا شأن كل فن في بداية نشأته"[٣].

أما الذين ذهبوا إلى أن بداية التصنيف في هذا الفن تعود إلى القرن الأول بعد نصفه الأول على وجه التحديد إنما عَنَوا بذلك علم مقالات الفرق الإسلامية بدليل أن الكتب التي أوردوها كلها تصب في هذا المجال[٤].

ولعل السبب في وقوع هذا الاختلاف هو أن علم الملل والنحل متضمن لعلم مقالات الفرق وداخل ضمنه، يتجلى ذلك من خلال النظر في تعريف كل منهما.

ومهما يكن من أمر فإن ذلك كله يؤكد ما سبق الإشارة إليه من أن المسلمين كان لهم قصب السبق في هذا العلم، فلا غرابة إذن أن يكون كثير "من المشتغلين بدراسة الأديان - في الشرق والغرب - يكادون يتفقون على أن المسلمين كانوا أول من

= ينظر: السير ٥٢٦/١١، وفيات الأعيان ٤٧٠/٣، شذرات الذهب ١٢١/٢، معجم الأدباء ٧٤/١٦.

(١) أبو الحسن علي بن رين الطبري طبيب حكيم، مولده ومنشأه بطبرستان، قيل أنه أسلم على يد المعتصم، وظهر فضله فأدخله المتوكل في جملة ندمائه، من أشهر كتبه "الدين والدولة" توفي سنة ٢٤٧هـ.

ينظر: الفهرست ص ٣٥٨، تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٢، الأعلام ٢٨٨/٤.

(٢) ينظر: علم الملل أهميته وضوابطه الشرعية ص ١٧٤ - ١٧٦، وقد أورد على كلامه عدداً من الأمثلة.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٦.

(٤) يؤيد هذا ما أشار إليه بعض الباحثين: من أن الدراسات حول الفرق الإسلامية وصفاً ونقداً، تحليلاً وتعقيباً بدأت منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام حيث صاحبت نشأة الفرق، فما من إمام من أئمة الفرق إلا وله أو عنه كتاب أو كتب تبين دعوته وتشرح طريقته وتقدم أدلة على ما يرى. فنشطت حركة التأليف دفاعاً وهجوماً.

ينظر: مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية ص ١٣٩.

وضع بعض القواعد المنهجية لدراسة الملل والنحل، وأن غيرهم ممن اشتغل بهذه العلوم اتبع قواعدهم، واستفاد من محاولاتهم"[١].

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى المراحل التي مرَّ بها هذا العلم، حيث قسمها بعض الباحثين إلى خمس مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة التكوين.

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين.

المرحلة الثالثة: مرحلة الازدهار والاستمرار.

المرحلة الرابعة: مرحلة الهبوط والضعف.

المرحلة الخامسة: مرحلة العودة إلى الساحة الإسلامية[٢].

ولكل مرحلة من هذه المراحل بداية ونهاية ومؤلفات مشهورة تعد نتاج لتلك المراحل ليس هذا مجال تفصيل الحديث عنها[٣].

وبهذا الخصوص لا يفوتنا أن نذكر بما جاء على لسان أحد الباحثين من أن "منهج العلماء المسلمين في دراسة الفرق والملل والنحل لازال مجهولاً باستثناء إشارات خفيفة تمر في ثنايا فصل أو باب أو مبحث"[٤].

كما يردف ذلك فيقول: "فهذا الفن لم ينل نصيبه لا بإيجاز ولا تفصيل من قبل الباحثين كالعلوم الأخرى... وعندي أن الكتابة عن منهج علماء المسلمين قديماً في الكتابة عن الفرق تحتاج إلى دراسة موضوعية استقرائية لكل ما كتب قليلاً كان أو كثيراً"[٥].

---

(١) مقدمة محققي كتاب الفصل لابن حزم ص ١٣.

(٢) ينظر: مقدمة في علم الأديان د. السيد محمد عقيل المهدي ص ٣٠ – ٣١، علم الملل ص ١٧٤.

(٣) ينظر تفصيل ذلك في: علم الملل ص ١٧٤ – ١٨٦.

(٤) الافتراق وأصول الفرق ص ٢٦.

(٥) المرجع السابق ص ٢٦، وكلام الباحث هنا يعود إلى سنة ١٤١٠هـ تقريباً، وقد ظهرت بعد ذلك دراسات جادة وقيمة في هذا المجال عنيت به وأولته قدراً لا بأس به من الرعاية، وستأتي الإشارة إلى كثير منها عند الحديث عن أشهر مؤلفات هذا الفن.

ولو عدنا إلى الوراء قليلاً ونظرنا إلى علم مقالات الفرق - على وجه التحديد، بحكم أن الكتاب الذي هو موضوع دراسة هذا البحث يعد أقرب إلى علم مقالات الفرق منه إلى علم الملل والنحل - وتأملنا خط سيره ومراحل تطوره وحظه من العناية وعدمها وكتبه بالذات لوجدنا أن هذا العلم "من العلوم التي لم تجد من جانب المشتغلين بإحياء التراث الإسلامي ما تستحق من عناية"[١]، وذلك مقارنة بالعلوم الأخرى.

حتى وصل أمر العناية بهذا العلم - في فترة من الفترات المتأخرة - إلى الأوربيين فبدؤوا يعنون بالمؤلفات العربية في الفرق، ومنذ ذلك الحين شارك الأوربيون في العناية بنشر آثارنا في علم مقالات الفرق في الإسلام[٢].

ولعل مما يبين أهمية هذه العلم ويجعله ذا شأن يستحق من أجله العناية والاهتمام علاقته واتصاله بعلم أصول الدين[٣] الذي هو مدار رحى كتب هذا العلم وموطن الاختلاف بين الفرق على تنوع مشاربها وتباين آرائها.

وعلى الرغم من كثرة الكتب التي صنفها العلماء في هذا المجال منذ وقت مبكر إلا أن كثيراً منها في عداد المفقود الذي لم يصل إلينا[٤]، ومنها من لايزال ينتظر حظه من العناية وإظهاره إلى حيز الوجود، ومنها ما وصل إلينا ولكن بعد أن دنسته أيدي

---

(١) الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم، كلمة للدكتور/ محمود الخضيري - أستاذ تاريخ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية، وكلية أصول الدين بالأزهر - ملحقة بكتاب التبصير في الدين بعناية الكوثري ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٢٠٣. وكان الدكتور في كلامه قد ذكر تفوق الأوربيين، وهذا فيه نظر؛ فجعلتها مشاركتهم في ذلك.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٠٦.

(٤) ومن ذلك على سبيل المثال:

- المقالات للكرابيسي ٢٤٥هـ.
- المقالات للوراق ٢٤٧هـ.
- الاستقامة في السنة والرد على أهل الأهواء لخشيش بن أصرم ٢٥٣هـ.
- الآراء والديانات للنوبختي ٣٠٢هـ.
- المقالات للكعبي ٣١٩هـ

العابثين من المبتدعة وأرباب الفرق المحرفة. والتوجهات المشبوهة، كما أن منها ما وصلنا عن طريق بعض المستشرقين[١]. فهو لأجل ذلك يحتاج إلى تطهير من تلك الأدران، والقليل منها ما سلم من ذلك كله.

ولعلنا من خلال هذا المبحث نسلط الضوء على بعض كتب الملل والنحل ومقالات الفرق المشهورة من خلال تناولها بالعرض والبيان في إلماحة سريعة وموجزة نتناول عبرها أهم جوانب كل منها.

وسنضع هنا على منضدة الدراسة والبيان الكتب التالية:

- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ).
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي (ت ٣٧٧هـ).
- الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي (ت ٤٢٩هـ).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ).
- الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ).

وقد وقع الاختيار على هذه الكتب للأسباب الآتية:

١ - تفوقها على غيرها من كتب هذا العلم في الشهرة والانتشار.

٢ - كونها من أهم ما كتب في هذا الفن، ولذلك تعدّ من كتبه الرئيسة.

٣ - وجودها في فترات مختلفة موزعة على ثلاثة قرون تعدّ من أهم المراحل التي مرّ بها هذا العلم، وذلك ابتداءً من القرن الرابع (الأشعري والملطي)، ومروراً بالقرن الخامس (البغدادي وابن حزم)، وانتهاءً بالقرن السادس (الشهرستاني).

---

(١) ومما يؤسف له أن غالب ما وصلنا من كتب هذا العلم لم يسلم من ذلك ومنها على سبيل المثال: "التنبيه والرد"، و"الفرق بين الفرق"، و"التبصير في الدين"، كلها بعناية: الكوثري، و"التبصير في الدين" بتحقيق: كمال الحوت.

ومن كتب هذا الفن التي اعتنى بها بعض المستشرقين وتركز جهدهم فيها على إخراج نص الكتاب غالباً "مقالات الإسلاميين" نشره: هلموت رتر، و"مختصر الفرق بين الفرق" للرسعني، اعتنى به فليب حتى. وكتاب "الملل والنحل" للبغدادي بعناية ألبير نصري.

٤ - تنوع التيارات التي ينتسب إليها مؤلفو هذه الفرق، فمنهم من هو في عداد أهل السنة وآخرون يعتبرون من أعلام المذهب الأشعري الذي ينتسب إليه غالبية مؤلفي كتب هذا الفن.

٥ - اختلاف المناهج التي سار عليها مؤلفوها وتنوعها وتباين طرقهم من حيث العرض والترتيب.

٦ - أن منها ما يعدّ من كتب مقالات الفرق (الأشعري، والملطي، والبغدادي) ومنها ما يعدّ من كتب الملل والنحل (ابن حزم، والشهرستاني). وهذا ما يمكن تسميته باختلاف موضوع الكتاب أو تنوع مادته.

٧ - الشمولية والتوسع في تناول موضوع الكتاب ومادة كل موضوع على حد سواء - في الجملة - فكتب مقالات الفرق منها تعدّ شاملة لجميع الفرق إلى جانب الطرح الموسع لكل فرقة تتناولها، وذلك مقارنة بنظائرها من كتب ذلك العلم. وكذلك الحال في ما يتعلق بكتب الملل والنحل منها.

٨ - اعتبارها المراجع المعتمدة لمن جاء بعدهم سواء عند مؤلفي كتب هذا الفن، أو عند المتأخرين من الباحثين والمهتمين بهذا العلم.

"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين[١]"

لأبي الحسن الأشعري[٢] (ت ٣٣٠هـ)

يعد هذا الكتاب من طلائع ما وصلنا من الكتب الشاملة التي صنفت في مقالات الفرق، حيث يرجع تأليفه إلى ما بعد سنة ٢٩١هـ، لأن من آخر الحوادث التي ذكرها حادثة خروج القرمطي المقتول على الدكة[٣] التي وقعت في تلك السنة.

كما أن الكتاب يُعدّ - بحق - موسوعة شاملة وجامعة لمقالات الفرق المنتسبة للإسلام.

يقول مؤلفه عنه: "وألفنا كتاباً في مقالات المسلمين يستوعب جميع اختلافهم ومقالاتهم"[٤].

كما يقول شيخ الإسلام كذلك: "ومن أجمع الكتب التي رأيتها في مقالات الناس المختلفين في أصول الدين كتاب أبي الحسن الأشعري، وقد ذكر فيه من

---

(١) هذه هي التسمية المشهورة والمعروفة للكتاب، إلا أن هناك من شكك في هذه التسمية ورأى أن الاسم الصحيح "مقالات المسلمين" وذلك لأمرين:
- أن هذه التسمية هي الواردة في الأثبات التي للكتاب.
- أن استعمال هذا التعبير "الإسلاميين" استعمال غير مألوف لا نعرف له نظيراً عند غيره لا في عصر الأشعري ولا قبله.

ينظر: مذاهب الإسلاميين ٥٢٧ – ٥٢٨، وهذا كلام وجيه، بدلالة ما جاء على لسان مؤلفه عندما تحدث عنه حيث يقول: "وألفنا كتاباً في مقالات المسلمين يستوعب جميع اختلافهم ومقالاتهم" تبيين كذب المفتري ص ١٠٦ – ١٠٧. كما قد يسميه البعض "المقالات" اختصاراً. ينظر: منهاج السنة ٦٠٨/٢، ٣٠١/٦، ٢٦٨/٥، ٢٧٧، أو يسمى "اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين" ينظر: الفتاوى ٩٠/٥.

(٢) علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله الأشعري، وكنيته أبو الحسن، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ، وسكن بغداد وتوفي بها، وإليه ينتسب الأشاعرة. كان إماماً متكلماً، تبحر في كلام الاعتزال أول حياته وبرع فيه ثم تركه وذمه وصنف في الرد عليه، كانت وفاته سنة ٣٣٠هـ. ينظر: السير ٨٥/١٥، تاريخ بغداد ٣٤٧/١١، الفتاوى ٢٠٥/١٢، تبيين كذب المفتري ص ٥٦.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين ١٦٦/١.

(٤) تبيين كذب المفتري ص ١٠٦ – ١٠٧.

المقالات وتفصيلها ما لم يذكره غيره"[١]، كما يقول في موضع آخر: "وهو أجمع كتاب رأيته في هذا الفن"[٢].

لذلك اعتبر الأشعري "من أوائل المؤرخين للفرق الإسلامية"[٣].

علماً بأن هذا الكتاب ليس سوى حلقة من حلقات الكتب والمؤلفات التي خطها يراعه في هذا المضمار، حيث صنف أسفاراً قيمة في الملل والنحل والديانات الأخرى لكنها في حكم المفقود، إذ لم يصل إلينا شيء منها. ومن ذلك:

- مقالات غير الإسلاميين:

والذي يبدو أنه أضخم من "مقالات الإسلاميين" كما يظهر من كلام شيخ الإسلام عنه في عدة مواطن[٤]، إذ يقول في واحد منها في سياق حديثه عن كتاب مقالات غير الإسلاميين "وهو كتاب كبير أكبر من مقالات الإسلاميين"[٥].

وموضوع الكتاب ظاهر من عنوانه، ويؤكد ذلك إشارة شيخ الإسلام إليه في معرض حديثه عن الفلاسفة وبيان أنهم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى[٦].

- الفصول:

وهو كما ذكر مؤلفه: "في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين، وأهل التشبيه والقائلين بقدم الدهر على اختلاف مقالاتهم

---

(١) منهاج السنة ٢٧٥/٥.

(٢) النبوات ٦٣١/١، ص ٢١٩، كما كان - رحمه الله - يذكر كتابه هذا وينقل عنه في كثير من كتبه. ينظر: الفتاوى (٣٨٦/٥)، (١٢/٩)، الصفدية (٢٤٦/١)، (٥٨/٢). درء التعارض (٢٦١/١، ١٦/٢، ١٩، ٢٥، ١٧٤، ٢٨٩، ٣٦٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٧) (٢١١/٤)، منهاج السنة (١٠٤/٢، ٢١٧، ٢٢٨، ٥٥٢) (٢٦٨/٥، ٢٨٣).

(٣) علماء الملل والنحل، د. نجاح الغنيمي ص ١٧.

(٤) ينظر: الصفدية ٢٩٤/٢، الدرء ١٥٨/١.

(٥) منهاج السنة ٢٨٣/٢.

(٦) ينظر: الدرء ١٥٨/١.

وأنواع مذاهبهم، ثم رد فيه على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس..."[١]. لكن من المحتمل أن يكون هذا الكتاب والكتاب السابق كتاباً واحداً عرف بكلا الاسمين، خاصة مع اتفاقهما في المادة والمضمون.

والأشعري وإن كان قد ألف في مقالات الإسلاميين ومقالات غيرهم كتباً مستقلة، فإنه قد جمع بين كلا النوعين في كتابه:

- جمل المقالات:

دل على ذلك قوله عنه: "وألفنا كتاباً في جمل مقالات الملحدين، وجمع أقاويل الموحدين سميناه كتاب (جمل المقالات)" [٢].

ومما يدل على أهمية الكتاب ومنزلته أن جمعاً من العلماء رجعوا إليه وذكروه في كتبهم كالإمام ابن القيم[٣].

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق من كتبه:

- الموجـــز:

ويبدو أنه على غرار كتابه السابق - جمل المقالات - "وذلك أنه يشتمل على اثنى عشر كتاباً على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين على الملة والداخلين فيها[٤].

تكلم عنه ابن القيم في عدة مواضع من كتبه بما يفيد اطلاعه عليه، يقول في أحدها: "وهو من أجل كتبه المتوسطات"[٥].

كما أشار إليه قبله شيخ الإسلام ابن تيمية[٦].

ومهما يكن من أمر فإن ذلك كله يدل على علو كعب أبي الحسن الأشعري، وطول باعه ورسوخ قدمه في هذا العلم.

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ١٠٥، وينظر: مقدمة كتاب الإبانة عن أصول الديانة، د. فوقيه حسين محمود ص ٤٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧. وينظر: مقدمة كتاب الإبانة ص ٤٩.

(٣) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٢٩٦، حيث نص ابن القيم على اسم الكتاب ونقل عنه نصاً طويلاً، ولكن ذلك النص موجود في كتابه مقالات الإسلاميين ٢٣/١ وتابع الإمامُ السفاريني الإمامَ ابن القيم في ذلك. ينظر: لوامع الأنوار ١٩٧/١.

(٤) تبيين كذب المفتري ص ١٠٥.

(٥) الصواعق المرسلة ١٢٤٣/٤، وينظر كذلك: اجتماع الجيوش ص ٢٨٦.

(٦) ينظر: درء التعارض ١٩/٢، ١٩٧/٦. وقد أشار إلى ذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٢٨٤.

وهذا ما أحببت التأكيد عليه من خلال هذه المقدمة بين يدي الحديث عن كتابه "مقالات الإسلاميين"، وذلك لإظهار هذه الحقيقة التي قد تغيب عن كثير من الباحثين ظناً منهم أن أبا الحسن ليس له إسهام في هذا العلم سوى كتابه المشهور "مقالات الإسلاميين".

ومع ذلك يبقى كتابه هذا ذا "أهمية بالغة في وصف الفرق وبيان آرائها وتعداد طرقها، نظراً لسبقه الزمني، ومكانة مؤلفه فهو مؤسس مذهب الأشاعرة، وكان من قبل معتزلياً على مدى أربعين عاماً"(١) تقريباً، ثم رجع عن أشعريته واقترب من مذهب أهل السنة إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب(٢)،
كما رجَّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره(٣).

• موضوعــه:

ظاهر بيّن من عنوان الكتاب، فقد قصره على الحديث عن الفرق الإسلامية دون التطرق للملل أو الديانات الأخرى(٤).

يؤكد ذلك ما جاء على لسانه في وصف كتابه هذا إذ يقول عنه:

---

(١) مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية ص ١٤٦.

(٢) عبدالله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري، أبو محمد، متكلم، محدث، وهو زعيم الكلابية، قيل إنه سمي ابن كلاب لأنه كان يخطف الذي يناظره. كما يجتذب الكلاب الشيء وهو مفرد كلاليب. توفي قيل: قبل أو بعد: ٢٤٠هـ بقليل.
ينظر: الفهرست ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٧٤/١١، لسان الميزان ٢٩٠/٣، الفصل ٧٧/٥، تاريخ بغداد ٥٦/٧ – ٦٧، هدية العارفين ٤٤٠/١، طبقات الشافعية للعبادي ٢٧، ٧٠.

(٣) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٤٠٩/١. وللتوسع في الأطوار العقدية لحياة أبي الحسن الأشعري. ينظر: المرجع السابق ٣٦١/١ – ٤٠٩.

(٤) يقول أحد الباحثين في إشارة لهذا: "فالتسميات التي أعطاها المؤلفون لكتبهم، تعكس بصورة جزئية لكل من التطور التاريخي للمؤلفات ومضامينها".
إلى أن يقول بعد ذلك: "فالأشعري لا يورد إلا مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أي الأطروحات التي مثلتها مختلف الاتجاهات الإسلامية مما يعكس طابع الأطروحات الموضوعي لآراء المفكرين، حتى دون أن يعرضها لانتقاد مباشر أو غير مباشر..."
علم الملل والنحل: ميثم الجنابي ص ٩٩ – ١٠٠.

"وألفنا كتاباً في مقالات المسلمين يستوعب جميع اختلافهم ومقالاتهم"[١].

وقد استهل كتابه ببيان أول اختلاف بين المسلمين بعد وفاة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - والذي كان في الإمامة - حسب رأيه - ، ثم ما وقع بعد ذلك أيام عثمان وعلي - رضي الله عنهما - [٢].

- تقسيمه وترتيبه:

لقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين:

الأول: في الجليل من الكلام ورتبه على الفرق، وقد جعل فيه أصحاب المسائل أصولاً، فقسم الفرق إلى عشرة أصناف هي أمهات الفرق - في نظره - وتكلم عن كل فرقة على حده يذكر مقالاتها وفرقها ابتداءً بالشيعة والخوارج وانتهى بأصحاب الحديث والكلابية[٣].

وقد استغرق هذا القسم الجزء الأول من الكتاب.

الثاني: في الدقيق من الكلام، وقد جعل فيه المسائل أصولاً، فأورد فيه العديد من المسائل والمصطلحات والأمور الدقيقة التي وقع الاختلاف فيها.

"وقد أكثر من التفريعات والتقسيمات للمسائل في هذا الجزء، بل يمكن القول بأن هذا الجزء تفصيل لما أجمل في الجزء الأول"[٤].

أما من حيث ترتيبه لهذا القسم فقد "سرد ذلك دون أن يسلك منهجاً معيناً في ترتيبها وإيرادها"[٥].

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٣٤ - ٦٤.

(٣) الكلابية: هم أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب المتوفى بعد سنة ٢٤٠هـ، له آراء كلامية اشتهرت عنه. من أبرز آرائهم: نفي الصفات الفعلية الاختيارية، وقولهم بالكلام النفسي، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهم أسلاف الأشعرية.
ينظر في شأنها: المقالات ١/٢٤٩ - ٢٥٣، ٢/٢٢٥ - ٢٢٧، الفصل ٤/٢٠٨، موقف ابن تيمية ١/٤٣٧ - ٤٧١، آراء الكلابية العقدية لهدى الشلالي.

(٤) منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٢٦٠.

(٥) تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، يوسف الطريف - رسالة دكتوراه - ٢/٦٩٤ - ٦٩٥.

وجاء هذا القسم في الجزء الثاني من الكتاب.

وبهذا يكون المؤلف قد جمع بين طريقتين في العرض، ويمكن تقييم هذا التقسيم الذي سلكه الأشعري من جانبين:

الجانب الأول: يعد منقبة له، حيث أصبح الكتاب بمثابة كتابين مختلفين، ضُم أحدهما إلى الآخر، فمن أراد آراء الفرق في مسألة ما أمكنه ذلك، ومن أراد آراء فرقة ما أمكنه ذلك.

الجانب الثاني: قد يعد مثلبة للكتاب، حيث أحدث ذلك المنهج اضطراباً في ترتيب الكتاب، واقتضى تكرار بعض الآراء في أكثر من موضع(١).

- **منهجه:**

اتسم منهجه فيه بالعرض الموجز دون المناقشة أو الرد لما يذكره من آراء، وهو ما يسمى بالمنهج الوصفي المقابل للمنهج النقدي، وهذا ما أطلق عليه شيخ الإسلام النقل المجرد حينما قال: "وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس إما نقلاً مجرداً مثل كتاب المقالات لأبي الحسن الأشعري..."(٢).

وبهذا يكون الأشعري قد "ترك إصدار الإحكام وتناطح الحجج لفطنة القارئ، ولجهاد العلماء في كل زمان ومكان"(٣).

هنا تجدر الإشارة إلى أمرين:

- أن ذلك مخالف لمنهجه الجدلي الذي سلكه في كتبه الأخرى، مما حدا بالبعض إلى التشكيك في النسخ التي بين أيدينا، وأنها ليست أصلاً للكتاب بل هي مجردة من أصله(٤). ولكن هذه الدعوى ليس لها حظ من الصحة لافتقارها إلى الدليل، إضافة إلى عدم وجود ما يمنع أن يغير المؤلف أسلوبه وطريقته من كتاب لآخر.

---

(١) ينظر: منهج الشهرستاني ص ٢٦٠ بتصرف.

(٢) منهاج السنة ٢/٢٦٨.

(٣) مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية ١٥٣.

(٤) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٥٢٧.

- أن هذا المنهج فيه مخالفة لمنهج القرآن الكريم، الذي لا يعرض للأديان الباطلة دون نقد ورد، وهو مجانب لغاية دراسة الأديان التي تتلخص في بيان الحق من الباطل بإظهار الحق وتقريره، وكشف الباطل وهدمه[١].

ولا شك أن المسلم مطالب بنصرة الحق والدعوة إليه ورد الباطل والتحذير منه.

لذلك لو أن الأشعري سلك هذا المنهج لعلا شأن الكتاب وارتفعت منزلته، لكن قد يلتمس له العذر في ذلك بكونه قد سلك هذا المنهج في كثير من كتبه الأخرى حتى إنه قد أفرد بعض مصنفاته المستقلة في الرد على بعض الفرق كما فعل مع المعتزلة وغيرهم.

- **مميزاته[٢]:**

تميز الكتاب ببعض المميزات عن غيره من أبرزها:

١ - الدقة في وصف الفرق وتصنيفها وبيان آرائها - وهذا ما يمكن تسميته بالدقة والموضوعية - لدرجة عدَّ معها الكتاب من أوثق كتب المقالات وأدقها وأكثرها أهمية، لذلك عوَّل عليه كثير من أصحاب كتب المقالات ممن جاء بعده.

شهد له بذلك شيخ الإسلام[٣]، فقال: "ولهذا تجد نقل الأشعري أصح من نقل هؤلاء لأنه أعلم بالمقالات وأشد احترازاً من كذب الكذابين فيها، مع أنه يوجد في نقله ونقل عامة من ينقل المقالات بغير ألفاظ أصحابها ولا إسناد عنهم من الغلط ما يظهر به الفرق بين قولهم وبين ما نقل عنهم. وكتاب المقالات للأشعري أجمع هذه الكتب وأبسطها، وفيه من الأقوال وتحريرها ما لا يوجد في غيرها"[٤].

---

(١) ينظر: علم الملل أهميته وضوابطه الشرعية ص ١٨٧.

(٢) سبق الإشارة إلى بعض المميزات في ثنايا حديثنا السابق عن الكتاب.

(٣) أوردت كثيراً من النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم من كتبهما تتعلق بأبي الحسن الأشعري وكتبه خاصة "مقالات الإسلاميين" لأنهما ممن عرفوا حق الكتاب وأنزلوه منزلته. وقد أشار إلى هذا وأشاد به المستشرق هلموت ريتر! وفي المقابل عرّض بما قام به بعض أعلام الأشاعرة كالبغدادي والشهرستاني الذين نقلوا منه ولم يصرحوا بهذا في جميع مواضع النقل!
ينظر: مقدمة "ريتر" لمقالات الإسلاميين - بدون ترقيم -.

(٤) منهاج السنة ٣٠١/٦ - ٣٠٢. وينظر مقارنته بالشهرستاني وتفضيله عليه في النبوات ص ٢١٩ - ٢٢٠.

٢ - ما ذكره عن المعتزلة يعتبر عمدة في هذا الباب لتوسعه في الحديث عنها بشكل ملحوظ يختلف عن غيرها من الفرق، وذلك في قسمي الكتاب، وما ذلك إلا لمعرفته التامة بمذهبهم وإلمامه بتفاصيله حيث كان معتنقاً له حيناً من دهره يقارب الأربعين سنة، وقد ألمح إلى ذلك شيخ الإسلام بقوله: "... وهذا مما مدح به الأشعري فإنه بين من فضائح المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره، لأنه كان منهم وكان قد درس الكلام على أبي علي الجبائي[١] أربعين سنة، وكان ذكياً، ثم إنه رجع عنهم وصنف في الرد عليهم..."[٢] كما أشار بذلك غيره[٣].

٣ - يعد من أقرب مؤلفي كتب هذا الفن إلى أهل الحديث والسنة، حيث أشار في كتابه هذا إلى مذهبهم بإيجاز، ثم قال بعد ذلك: "وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب"[٤]، وهذا كما أن فيه إشادة بمذهبهم، فهو أيضاً يعتبر وثيقة تؤكد رجوعه إلى مذهب أهل السنة وإن لم يكن خبيراً بذلك على حقيقته. يقول ابن تيمية في هذا الشأن: "وذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم. وليس في جنسه أقرب إليهم منه، ومع هذا نفس القول الذي جاء به الكتاب والسنة وقال به الصحابة والتابعون لهم بإحسان: في القرآن والرؤية، والصفات والقدر وغير ذلك من مسائل أصول الدين ليس في كتابه، فإنه لم يكن خبيراً بالسنة والحديث أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم. وتفسير السلف للقرآن. والعلم بالسنة المحضة"[٥].

---

(١) محمد بن عبدالوهاب أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة، كان إماماً في الكلام، له تصانيف كثيرة، وهو شيخ أبي الحسن الأشعري وزوج أمه، كان على بدعته متوسعاً في العلم، سيّال الذهن، توفي الجبائي سنة ٣٠٣هـ.
ينظر: السير ١٨٣/١٤، وفيات الأعيان ٢٦٧/٤، العبر ٤٤٥/١، البداية والنهاية ١٢٥/١١، شذرات الذهب ٢٤٢/٢.

(٢) منهاج السنة ٢٧٦/٥ – ٢٧٧.

(٣) ينظر: مقدمة هلموت ريتر لكتاب مقالات الإسلاميين، تدوين علم العقيدة للطريف ٦٩٦/٢.

(٤) مقالات الإسلاميين ٣٥٠/١.

(٥) منهاج السنة ٢٧٥/٥ – ٢٧٧.

- المآخذ:

من أبرز تلك المآخذ ما سبق الإشارة إليه بإيجاز وهو التداخل والتكرار خلال حديثه عن الفرق، وما أحدث ذلك من الاضطراب في ترتيب الكتاب.

يضاف إلى ذلك:

١ - عدم ترابط أجزاء الموضوع الواحد - في بعض المواضع - وذلك بإدخال موضوعات جانبية تقطع تسلسل الحديث في ذلك الموضوع، وهذا ما يمكن أن نسميه انعدام الوحدة الموضوعية وترابطها.

٢ - لئن كان حديثه عن المعتزلة من مميزات الكتاب من حيث هو عمدة في هذا الباب - كما سبق الإشارة لذلك - فإنه من جانب آخر عيب عليه في حديثه عنهم اختلاف منهجه عندما تحدث عنهم وذلك من نواحٍ:

أ - عدم تقسيم المعتزلة إلى فرق، كالفرق الأخرى، وقد انبنى على ذلك:

ب - اختلاف طريقته في عرض آرائهم، فلم تكن بجعل أصحاب المذاهب أصولاً، كما هو في سائر الفرق، وإنما عرضها وفق الطريقة الأخرى فقط، وهي جعل المسائل أصولاً.

جـ - التوسع والإطناب في عرض آرائها توسعاً ملحوظاً، حيث إن ما يقرب من نصف الجزء الأول كان خاصاً بهم، إضافة إلى معظم الجزء الثاني[(١)].

- طبعاته:

- الطبعة التي بتحقيق هلموت ريتر[(٢)]، وقد استند في نشره إلى خمس مخطوطات للكتاب، وقد نشرت ضمن سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية

---

(١) ينظر: منهج الشهرستاني ص ٢٦٢.

(٢) من أعلام المستشرقين الألمان الذين عنوا بالثقافة الإسلامية، تولى عدة مهام في تحقيق أمهات الكتب العربية منها: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري، توفي سنة ١٩٧١م.
ينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي ٢/ ٤٦٠ - ٤٦٢.

المستشرقين الألمانية. ظهرت طبعتها الأولى عام ١٩٢٩م عن مطبعة الدولة بإستانبول في ثلاثة مجلدات.

- الطبعة الأشهر والأكثر تداولاً وهي التي بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد[١]، لكنه لم يذكر نسخاً اعتمد عليها في التحقيق! مع أنه أشار إلى اجتهاده في تحقيق أصله! وقد قام فيها بالضبط، كما أكثر من الشرح والتعليق في مواضع عدة. والحق أنها تعتبر - كما ذكر بعض الباحثين - إعادة للطبعة السابقة[٢].

وقد ظهرت الطبعة الأولى لها عام ١٩٥٠م، وجاءت في جزئين[٣].

هذه أبرز معالم كتاب مقالات الإسلاميين للأشعري باختصار[٤].

---

(١) محمد محي الدين عبدالحميد، مدرس مصري، له اهتمام بتحقيق التراث والعناية به، من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر، توفي سنة ١٣٩٣م.
ينظر: معجم الأعلام ٧٩٤.

(٢) ينظر: مذاهب الإسلاميين ص ٥٢٤، ومما ذكره أيضاً عنها: أنها دون فهارس ولا ذكر للفروق بين النسخ، ثم مع مزيد من الأخطاء والتحريفات ومع حواش لا قيمة لها بل هي مجرد لغو وحشو!! ولهذا ينبغي الاقتصار على نشرة ريتر، لكن البعض وصف حواشيه بأنها جيدة.
ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣٤٦/١

(٣) وهي التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

(٤) تجدر الإشارة ختاماً إلى أنه تم تسجيل بحث علمي - ماجستير - في دراسة منهج المؤلف في كتابه وذلك ضمن سلسلة البحوث والرسائل العلمية المتعلقة بدراسة مناهج مؤلفي كتب المقالات والملل. وقد سجل بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية في جامعة الملك سعود وهو بعنوان: "منهج الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين - عرض ودراسة - للطالب/ عبدالعزيز البرادي، سجل عام ١٤٢٣هـ.

"التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع"[١]

لأبي الحسين الملطي[٢] (ت ٣٧٧هـ)

يعتبر هذا الكتاب من أوائل الكتب المصنفة في المقالات، كما أنه قد يكون أول كتب هذا الفن - التي وصلت إلينا - لمؤلف من أهل السنة سار في كتابه على منهج السلف[٣].

وما من شك في أن هذا كله مما يضفي على الكتاب قيمة علمية عالية، يؤكد ذلك أيضاً ما قيل عنه من أنه "من أقدم ما ألف في شرح أحوال الفرق، وقد حوى من الفرق ما لم تذكره باقي كتب الملل والنحل"[٤].

ومع ذلك لم يقتصر فيه على ذكر مقالات الفرق وأحوالها فحسب - كما قد يتوهم البعض - بل ضم بين دفتيه - إضافة إلى ذلك - الحديث عن اليهودية والنصرانية، وقد يكون تحدث عن غيرها!

حيث إن الكتاب يتكون من أربعة أجزاء، لم يصل إلينا سوى الجزء الثالث منه - الذي خصصه للحديث عن الفرق وآرائها - أما أجزاؤه الأخرى - الأول والثاني والرابع - فإنها لاتزال في عداد المفقود إذ لم يصل إلينا شيء منها.

---

(١) وقد يسمى "التنبيه" اختصاراً، كما جاء على لسان المؤلف في مقدمته: "رسمت لكم في كتابنا هذا الملقب بكتاب "التنبيه" ما فيه دليل وكفاية تقنع متدبرها - إن شاءالله - " ص ١٣، والبعض يسميه "رد أهل الأهواء والبدع" ينظر: مقدمة الكوثري لكتاب تبيين كذب المفتري ص ١٩، ٢٧.

(٢) محمد بن أحمد بن عبدالرحمن، أبو الحسين الملطي، الفقيه المقرئ، حدث عن عدي بن عبدالباقي، وخيثمة بن سليمان، وأحمد بن مسعود الوزان، وجماعة، وروى عنه إسماعيل بن رجاء وعمر بن أحمد الواسطي وغيرهما. وأخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وأبي بكر بن الأنباري وجماعة، توفي بعسقلان سنة ٣٧٧هـ.

ينظر: طبقات السبكي ٧٧/٣، الأعلام ٣١١/٥، الفهرست لابن خير ص ٧٣ - ٧٤، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٦٧/٢، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٤٥/٤ - ٤٦.

(٣) وذلك خلافاً لمن عده من الأشاعرة!

ينظر: مقدمة محقق كتاب: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩.

(٤) مقدمة التنبيه والرد ص ١ بتحقيق الكوثري.

لكن الذي "يظهر من إحالات المؤلف في القسم الموجود أن معظم بحوث الجزئين الأول والثاني عن فرق اليهود والنصارى وما إلى ذلك"[١].

أما الجزء الثالث فقد أشار إليه المؤلف بقوله: "وأنا أذكر لك في هذا الجزء الثالث الفرق الاثنتين والسبعين فرقة، ومن هي بأسمائها وما تنتحل من كفرها وعدوانها وأنها بانتحالها وفعالها في النار كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ذكره الأمم"[٢].

ثم قال عن الجزء الرابع مبيناً مضمونه: "وأختم الكتاب بجزء رابع فيه الحجاج على الجميع"[٣].

وقد اعتمد المؤلف في كتابه على كتاب "الاستقامة" لخشيش بن أصرم[٤]، وهو من أجلّ كتب أهل السنة؛ لسبقه الزمني وتقدمه ومكانه ومؤلفه، إلا أنه لايزال مفقوداً لم يصل إلينا شيء منه عدا ما نقله لنا العلماء من نصوصه، خاصة الملطي في كتابه، لدرجة عَدَّ معها بعض الباحثين كتاب الاستقامة بأنه وصل إلينا في كتاب التنبيه والرد للملطي[٥].

---

(١) مقدمة محقق المرجع السابق ص: د، ووافقه في ذلك صاحب رسالة الافتراق وأصول الفرق ص ٤٣، وكذلك محقق الكتاب الذي حققه في رسالة علمية – ماجستير – صالح الدخيل، ينظر: قسم الدراسة ص ٣٨، إلا أن بعض الباحثين ذهبوا إلى أن الجزئين الأولين من الكتاب ذكر فيها المؤلف مذهب أهل الحق الذي هو مذهب السلف. وقد استنبط ذلك من بعض أقوال المؤلف!

ينظر: تدوين علم العقيدة للطريف ٧٠١/٢ – ٧٠٢، ومع هذا فيظل الحكم بمضمون الجزء الأول والثاني للكتاب محتملاً، إلا أن القول الأول أقرب إلى الصواب بدليل إشارة المؤلف إلى ذلك في رده على بعض فرق الشيعة إذ يقول: "وأما قولهم أن علياً هو الإله القديم، فقد ضاهوا بذلك قول النصارى وقد تقدم بالرد على النسطورية من النصارى أن ذا جسم وكيفية لا يكون إلهاً". التنبيه والرد ص ٣٠.

(٢) التنبيه والرد ص ٢٢، بتحقيق المياديني.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣.

(٤) خشيش بن أصرم بن الأسود النسائي، أبو عاصم، من حفاظ الحديث، له كتاب "الاستقامة" في الرد على أهل البدع، توفي في رمضان سنة ٢٥٣هـ بمصر.

ينظر: تذكرة الحفاظ ١١٩/٢، السير ٢٥٠/١٢، الأعلام ٣٠٦/٢.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي ٤١٩/٢، تاريخ التراث العربي المجلد الأول ٣٠/٤.

- موضوعه:

ما من شك في أن عنوان الكتاب ينبئ عن موضوعه ومضمونه. أما الجزء الثالث - وهو الذي بين أيدينا منه - فقد خصصه للتنبيه والرد على الفرق الإسلامية ومقالاتها التي خالفت بها المذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة، حيث تناولها بالكشف والبيان، ثم التعقيب بالحجة والبرهان.

- تقسيمه وترتيبه:

عند التأمل فيما وصلنا من كتابه نرى أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول والثالث: جعله للحديث عن الفرق الإسلامية ومقالاتها وفرقها.
- القسم الثاني: تحدث فيه عن متشابه القرآن، وأورد فيه كثيراً من الآيات المندرجة تحت هذا الموضوع، مع التفسير الصحيح لها، والجواب عما قد يتوهمه أهل البدع والأهواء.

والذي يعنينا هنا القسمان اللذان تحدث فيهما عن الفرق الإسلامية - وهما القسم الأول والثالث - .

أما الأول فقد تحدث فيه عن أربع فرق رتبها على النحو التالي:

١ - الرافضة: وقسمها إلى ثمان عشر فرقة.

٢ - المعتزلة: ذكر أنها تنقسم إلى عشرين فرقة، إلا أنه لم يتحدث إلا عن معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة، وذكر أصولهم الخمسة.

٣ - المرجئة: ولم يشر في هذا القسم إلى فرقهم.

٤ - الخوارج: وعد منهم عشر فرق.

- أما القسم الثالث فقد عنون له بـ"الفرق وذكرها وشرحها ومذهب كل فرقة منها" وتحدث فيه عن ست فرق رتبها كما يلي:

١ - الزنادقة[١] : قسمهم خمس فرق.

٢ - الجهمية : قسمهم ثمان فرق.

٣ - القدرية : وجعلهم سبع فرق.

٤ - المرجئة : وجعلهم اثنتا عشرة فرقة.

٥ - الرافضة : وعدهم خمس عشرة فرقة.

٦ - الحرورية : وأوصلهم إلى خمس وعشرين فرقة.

وقد لخص المؤلف ذلك كله بما ذكره في أول هذا القسم قائلا :

"واعلموا - رحمكم الله -: أن أول افتراق من هذه المذاهب : الزنادقة وهم خمس فرق ، والجهمية ثماني فرق ، والقدرية سبع فرق ، والمرجئة اثنتا عشرة فرقة ، والرافضة خمس عشرة فرقة ، والحرورية خمس وعشرون فرقة فذلك اثنتان وسبعون فرقة ، فهذه جملتهم"[٢].

ومن خلال التمعن فيما سبق من تقسيم وترتيب لكلا القسمين تتجلى بعض الأمور يمكن حصرها فيما يلي :

١ - الاختلاف في التقسيم للفرق ، فهناك فرق ذكرت في القسم الأول كررت في القسم الثالث - الرافضة والمرجئة والخوارج - وفرق أخرى على العكس من ذلك - الزنادقة ، والجهمية ، والقدرية - وفرقة لم ترد في القسم الثالث مع ذكرها في القسم الأول - المعتزلة - وإن كان قد تطرق في القسم الثالث للكلام عن القدرية ، لكنه ركز على القدرية الأوائل وذكر الآثار والأحاديث الواردة فيهم.

٢ - الاختلاف في عدد وترتيب الفرق الأصول والفرق المتفرعة عنها ، التي تكررت في كلا القسمين.

---

(١) الزنادقة جمع زنديق وهو القائل ببقاء الدهر - فارسي معرب - وهو بالفارسية (زند) بفتح ثم سكون ثم كسر ، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان.

ينظر: لسان العرب ١٠/١٤٧ ، القاموس المحيط مادة (زنديق) ، فتح الباري ١٢/٢٧٠ - ٢٧١ ، الزندقة والزنادقة ص ١١٢ عاطف شكري أبو عوض.

(٢) التنبيه والرد ص ١٠٦.

٣ - الاختلاف في المنهج الذي يسير عليه في القسم الواحد، فضلاً عن وجود الاختلاف منهجياً بين كلا القسمين وذلك من حيث وجود النقد وعدمه ومن حيث قوته وضعفه[(١)].

• منهجـــه:

ألمح المؤلف إلى المنهج الذي اتبعه وسار عليه في كتابه، وفي الجزء الثالث - الذي بين أيدينا - على وجه التحديد بقوله: "وأنا أذكر في هذا الجزء الفرق على ما أنبأتك - إن شاءالله - وأختم الكتاب بجزء رابع فيه الحجاج على الجميع، وأختصر في هذا الجزء، وقدمت في الجزء الأول والثاني من الذكر وسقت السبب، ودللتك على منهج السلامة، وجعلت كتابي هذا معقلاً للمسلمين - إن شاءالله - "[(٢)].

بهذا يتبين أن المؤلف لم يقتصر على العرض فقط، أو ما يسمى بالمنهج الوصفي. بل أردفه بالرد والنقد والمناقشة وهو ما يسمى بالمنهج النقدي.

فهو يعرض لآراء الفرق الإسلامية ثم يتناولها بالمناقشة والتفنيد، معتمداً في ذلك على الآيات والأحاديث والآثار الواردة في كل موضع.

وقد أضفى ذلك على الكتاب قيمة علمية عالية، وبوأه منزلة رفيعة تذكر له وتشكر.

كما أن من منهج المؤلف أيضاً: الاختصار، فقد جعل ذلك شرطاً له فيه وأكد على ذلك مراراً في أكثر من موضع، من ذلك قوله: "وشرطي فيه الاختصار، وليس تكراري للبيان بمخرجي فيه إلى تطويل فلا تنسبني فيه إلى ذلك"[(٣)].

وقوله: "وإني لعمرك؛ أحب الإيجاز في الأمر كله..."[(٤)].

---

(١) ينظر في ذلك: الافتراق وأصول الفرق ص ٤٥ – ٤٦.

(٢) التنبيه والرد ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٣.

(٤) المرجع السابق ص ٢٣.

- **مميزاته:**

١ - لعل من أعظم ما يميز هذا الكتاب عن غيره من كتب هذا الفن، كون مؤلفه على مذهب أهل السنة والجماعة، المتبعين لمنهج السلف؛ وما ذلك إلا لأن كثيراً من الكتب المصنفة فيه لمؤلفين على خلاف ذلك المنهج القديم - متفاوتين في القرب منه والبعد عنه - .

وقد بدت هذه الميزة بَيِّنَةً وواضحة من خلال ذكر المؤلف لمذهب أهل السنة في المسائل التي عرض لها أو تطرق إليها، شافعاً ذلك بإيراد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة[١].

٢ - اعتماد المؤلف على منهج العرض والنقد - وهو المنهج النقدي المعروف - والذي افتقدته جملة من كتب هذا العلم مخالفة بذلك الأولى والأحرى بها، سيما وأن هذا المنهج هو المنهج القرآني - كما سبق الإشارة إلى ذلك - فهو إذن الأولى بالاتباع خاصة في هذا العلم.

٣ - التقدم والسبق الزمني للكتاب، حيث ظهر منذ وقت مبكر من جانب النظر إلى حركة التأليف في هذا الفن وازدهارها، ومن جانب النظر إلى حركة التأليف في هذا الفن على مستوى أهل السنة والجماعة!

٤ - رجوع المؤلف إلى كتب مفقودة لم تصل إلينا حتى الآن، ومن أشهرها كتاب "الاستقامة" لخشيش بن أصرم، والإكثار من النقل عنه[٢]، حيث كان خشيش من أجلّ علماء أهل السنة وكان صاحب سنة واتباع، لذلك يعد كتاب الملطي وثيقة مهمة في الدلالة على ما جاء في ذلك السفر العظيم الذي لم يصل إلينا حتى الآن. ومما يدل على أهمية ذلك الكتاب أن كثيراً من الأئمة الأعلام نقلوا عنه وأشادوا به، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]،

---

(١) ينظر: على سبيل المثال مناقشته الطويلة للجهمية في مسائل كثيرة تتعلق بالصفات الذاتية والعقلية، ومسائل الإيمان واليوم الآخر التي انحرفت فيها الجهمية عن منهج السلف. التنبيه والرد ص ١١٠ - ١٥٤.

(٢) ينظر: بعض تلك النصوص الطويلة في المرجع السابق ص ١١٣، ١١٨، ١٢١.

(٣) ينظر على سبيل المثال: منهاج السنة ١/٢٨ - ٣٤، حيث نقل منه نصاً طويلاً، درء التعارض ١٠٨/٧.

وتلميذه ابن القيم[1].

إلا أن البعض عدَّ ذلك الاعتماد الكثير من الملاحظات على كتابه!! [2]

ويضاف إلى الكتاب السابق كتاب "متشابق القرآن لمقاتل بن سليمان"، وهو كذلك في حكم المفقود.

- المآخذ:

١ - التكرار لحديثه عن بعض الفرق - كما مرّ - في كلا القسمين اللذين تحدث فيهما عن الفرق، ولا شك أن هذا يعدُّ عيباً يقلل من قيمة الكتاب، إضافة إلى أن ذلك يجعل المَلل يتسلل إلى قارئه.

ولعل المؤلف كان يشعر بذلك مما دفعه إلى تبرير ذلك بقوله:

"وإنما تكراري للبيان، وجمعي له في موضع وتلويحي به في آخر لألفاظ ترد مختلفة، وأشياء لا وجه لتركي لها ملقاة على سبيل الحذر من التطويل"[3]. ومن ذلك قوله: "ومنها ما قد اكتفيت عن شرحه بما أعدت من ذكره، فجاء في موضعه على كماله وفي موضع على التلويح به بدليل فيه قائم، أردت بذلك أن يأخذ بحظ منه من كتبه عن آخره، ومن كتب بعضه أن يدرك بعض ما فاته من كماله، فإلى هذا عزوت، وإليه أشرت، فلا يقولن أحد ينظر في كتابنا هذا: إنه قد كرر فيه ما قد أتي به في موضع قد كفى ذلك عن تكراره، فأعلمتك ما قصدت، ودللتك على ما أردت، لتزيل ببياني شيئاً إن خامرك من ذلك، ولتعلم أنه لم يخف عليَّ ذلك"[4].

٢ - اعتماده على حديث الافتراق، وبناءً عليه حاول تقسيم الفرق لتصل إلى العدد المذكور في الحديث مما حدا به إلى الوقوع في التكلف! لدرجة أدخل معها فرقاً من

(١) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٠٩.

(٢) ومن أولئك: الكوثري في مقدمته للكتاب، وقد عدَّ ذلك مما يبعد الملطي عن الجادة!! وكذلك حمود الحربي في رسالته الافتراق وأصول الفرق ص ٤٨، ومما ذكره أن الملطي نقل عن خشيش صفحات كثيرة وذلك مثل ص ٩٩ إلى ص ١٠٩، وكذلك ص ١٥٧ – ص ١٦٥ حسب طبعة الكوثري!

(٣) التنبيه والرد ص ١٣.

(٤) المرجع السابق ص ٢٣.

فرق المجوس وغيرهم ضمن تلك الفرق[١]، ومعلوم أن تلك الفرق المجوسية لا تدخل ضمن ذلك الحديث ؛ لأنهم ليسوا من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

٣ - خروجه في بعض المواضع عن منهجه في دراسة الفرق كإتيانه بكليات مقاتل وإطنابه في أخبار الحديبية، وإن كان قد اعتذر عن ذلك[٢].

٤ - لم يسر على منهج موحد في ترتيبه للفرق وفي حديثه عنها. فلم يرتب الفرق التي ذكرها لا حسب ظهورها ونشأة كل منها - أي زمن حدوثهم - ولا حسب بدعها التي قالت بها من حيث غلظ أمرهم وخفته.

كذلك نجد أن هناك تبايناً في حديثه عن الفرق من حيث طول الكلام وقصره، ومن حيث وجود الرد وعدمه أو قوته وضعفه.

وهنا نقول: إن هذه الأمور التي أخذت على الكتاب - بمجموعها وامتزاجها - أحدثت اضطراباً وتداخلاً في الكتاب كله يظهر ذلك في: تقسيم الكتاب وترتيبه وتسلسله ومنهجه!

- طبعاتـــه:

١ - أشهرها التي بتحقيق الكوثري، أخرجها على نسخة خطية، وقد دس فيها - كعادته - عبارات القدح واللمز لأهل السنة وأئمتهم والنيل منهم والوقيعة فيهم[٣]! وبها فهارس متعددة تخدم الكتاب.

٢ - بتحقيق: يمان بن سعد الدين المياديني، أخرجها على نسخة خطية، وقابلها على طبعة سابقة، وقد خرج بعض الأحاديث، وعزا إلى بعض كتب الفرق، لكن ليس له جهد يذكر في تحقيق النص أو التعليق عليه[٤]!

---

(١) ومن تلك الفرق: المانوية - المزدكية - العبدكية - الروحانية وهم أصناف.
ينظر: التنبيه والرد ص ١٠٦ - ١١٠.

(٢) دراسة وتحقق كتاب التنبيه والرد لأبي الحسين الملطي - رسالة ماجستير - تحقيق صالح الدخيل ص ٣٢.

(٣) ينظر: التنبيه والرد ص ٧٠، ٧٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٨، ١٢١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٦٢.

(٤) وهي التي رجعت لها وأحلت إليها في هذه الرسالة، نشرتها: رمادي للنشر، الدمام، ط ١، ١٤١٤هـ.

والكتاب له طبعات أخرى[١]، كما أنه حقق في رسالة علمية لم تطبع حتى الآن[٢].

(١) ومنها طبعة بتحقيق د. محمد زينهم محمد عزب.

(٢) وهي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية إعداد وتحقيق: صالح بن عبدالرحمن الدخيل، عام ١٤١٤هـ، بإشراف الدكتور/ غالب عواجي، وقد جاء قسم الدراسة فيها في ٣٢ صفحة فقط!!، ١٠ صفحات منها لدراسة الكتاب!! والأخرى عن المؤلف.
كما سجل بحث علمي – ماجستير – لدراسة منهج المؤلف في كتابه بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية في جامعة الملك سعود، بعنوان: "منهج أبي الحسين الملطي في كتابه "الرد على أهل الأهواء والبدع – عرض ودراسة – " يعده الطالب/ محمد بن علي المطرود، سجل عام ١٤٢٢هـ.
وبذلك ينتظم الكتاب في سلسلة الرسائل العلمية المختصة بدراسة مناهج مؤلفي كتب الملل ومقالات الفرق.

"الفَرْقُ بين الفِرَق"[١]

لأبي منصور البغدادي[٢] (ت ٤٢٩هـ)

لا يكاد يُذْكر البغدادي إلا ويُذْكر "الفَرْق بين الفِرَق"، ولا يأتي ذكر لكتاب "الفَرْق بين الفِرَق" إلا ويتبادر إلى الذهن مؤلفه البغدادي؛ إذ العلاقة بينهما وطيدة، وليس من المبالغة إذا قلنا إن كلاً منهما قد أسهم في شهرة الآخر وذيوع صيته. فكما أن المؤلف يُعَدّ من أعلام الأشاعرة، وعلماء القرنين الثالث والرابع الهجري المشهورين، فإن كتابه يشكل سجلاً حافلاً بآراء الفرق الإسلامية، وقد ضم بين دفتيه كمّاً هائلاً من المعلومات فيما يتعلق بمقالات الفرق.

فهو بحق "كتاب قيم في تاريخ الفرق... يمتاز بتتبع مصادر المذاهب، وكثير ما ينجح صاحبه في اقتناص المصادر بذكاء نادر المثال"[٣].

لذا قيل عنه بأنه "خير ما ألف في هذا الموضوع: حُسْنُ ضَبْطٍ، واستيعاب بَحْث، وإتقان تبويب، ودقة عرض"[٤].

ولقد حظي هذا الكتاب منذ وقت مبكر بعناية واهتمام بالغين تعود إلى القرن السابع تقريباً، حيث اختصره: عبدالرزاق الرسعني[٥].[٦]

---

(١) عرف بهذا الاسم واشتهر به، ولمعرفة المراد بهذا العنوان ينظر: رسالة عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفَرْق بين الفِرَق لهند العصيمي ص ٥٣ – ٥٥.

(٢) سيأتي الحديث عنه ضمن شيوخ المؤلف في الفصل الأول، ص ١٩٤.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٥٢٨/١.

(٤) مقدمة محمد محي الدين عبدالحميد للفَرْق بين الفِرَق ص ٨.

(٥) هو: عبدالرازق – وقيل عبدالرزاق – بن خلف الرسعني، فقيه حنبلي، كانت وفاته سنة ٦٦١هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢٧٤/٢، الأعلام ٢٩٢/٣.

(٦) وقد طبع عام ١٩٢٤هـ، نشره: فيليب حتى في القاهرة.

علماً بأنه ليس هو الكتاب الوحيد للمؤلف في هذا الفن، بل ألف قبله كتاباً وسمه بـ"الملل والنحل" وأشار إليه في الفرق في عدة مواضع[١]. كما أن له كتباً مفردة في الرد على بعض الفرق، أو بعض الشخصيات[٢].

- موضوعه:

الكتاب - كغيره من كتب هذا العلم - يتبين لنا من عنوانه الخطوط العريضة لموضوعه، فيكون بذلك دالاً على مضمونها.

وهذا ما يظهر عند التأمل في عنوانه "الفَرْق بين الفِرَق".

فموضوعه التمييز بين الفرقة الناجية - في نظر المؤلف - وبين غيرها من الفرق الإسلامية الهالكة وذلك في ضوء حديث الافتراق المشهور.

وهذا ما أفصَح عنه المؤلف في مقدمة كتابه عند بيانه السبب الذي دفعه لوضع كتابه - وقد مرَّ معنا في سبب التأليف - .

فهو مقصور إذن على الفرق الإسلامية فقط، وذلك ببيان الضالة منها وعرض آرائها والرد عليها ثم بيان الفرقة الناجية وتحقيق نجاتها ومحاسنها.

وقد قدم المؤلف قبل ذلك عرضاً عن الاختلاف والافتراق وكيفية وقوع كل منهما.

- تقسيمه وترتيبه:

بادر المؤلف في بداية كتابه بذكر التقسيم الذي سيسير عليه في كتابه، مراعياً في ذلك الهدف والغاية التي من أجلها صنف هذا الكتاب "وهي تعيين الفرقة الناجية - في نظره - وهذه هي طريقة السبر والتقسيم[٣]"[٤].

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١٠٩، ٢٣٠، ٢٧٢، ٢٧٦، ٣٣٤، ٣٥٨.

(٢) ينظر مؤلفاته في رسالة: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٣٧ - ٤٤.

(٣) السبر والتقسيم: هي حصر - أو إيراد - الأوصاف في الأصل، وإلغاء - أو إبطال - بعضها ليتعين الباقي للعلية. ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٥٥، كشاف اصطلاحات الفنون ٣٦٢/٢ - ٣٦٣، حاشية البناني على شرح جلال الدين المحلي ٢٧١/٢، البحر المحيط، للزركشي ٢٢٢/٥.

(٤) ينظر: عبدالقاهر البغدادي، ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٨٩.

لذلك فقد قسمه إلى خمسة أبواب وذلك على النحو التالي:

"١ - باب في بيان الحديث المأثور في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة.

٢ - باب في بيان فِرَق الأمة على الجملة ومن ليس منها على الجملة.

٣ - باب في بيان فضائح كل فرقة من فرق الأهواء الضالة.

٤ - باب في بيان الفِرَق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منها.

٥ - باب في بيان الفرقة الناجية، وتحقيق نجاتها، وبيان محاسن دين الإسلام"[١].

وقد ضمن المؤلف كل باب مجموعة من الفصول.

وقد سلك في كتابه طريقة التقسيم على الفِرَق وهي التي يوضع فيها أصحاب المقالات أصولاً ومن ثمَّ إيراد مذهب كل فرقة عند ذكرها، وهذه الطريقة قد تكون أكثر ضبطاً لأنها كما قال عنها الشهرستاني: "أضبط للأقسام وأليق بأبواب الحساب"[٢].

وقد جعل المؤلف أمهات الفرق عشر فرق موافقاً بذلك أبا الحسن الأشعري إلى حدّ كبير إلا أنه خالفه في تعيين بعضها[٣].

إلا أنه لم يسلك في ترتيب تلك الفرق منهجاً معيناً، حيث ابتدأ بالروافض مروراً بالخوارج ثم المعتزلة ثم المرجئة ثم النجارية ثم الجهمية والبكرية والضرارية ثم الكرامية وانتهى بذكر مذاهب المشبهة.

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٤.

(٢) الملل والنحل ٢٢/١، وجاء في رسالة البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٨٩ أنه قد خالف في ذلك بعضهم وذكر أن الترتيب على المسائل الأصولية أضبط لمعرفة الخلاف في المسألة، وأن الترتيب على أصحاب المقالات أضبط لأسماء الفرق. ينظر: الفرق الإسلامية لإسحاق عزوز ص ١٥.

هذا والذي يظهر – والله أعلم – أن لكل طريقة مميزات عن الأخرى تختلف باختلاف الباحث وأهدافه من الاطلاع على الكتاب ومراده من ذلك.

(٣) حيث اختلفا في بعض الفرق: فبينما ذكر الأشعري: العامة وأصحاب الحديث، والكلابية، فأوصلها بذلك إلى أحد عشر فرقة!!، ذكر البغدادي: الكرامية والمشبهة.

وقد ذكر المؤلف تحت كل فرقة من الفرق الكبار ما تفرع عنها من فرق، "ويورد غالباً هذه الفرق مرتبة على حسب ظهورها تاريخياً"(١).

ومما ينبغي أن يشار إليه كون الكتاب تميز حقاً بحسن الترتيب وجودة التنظيم - إلى حد ما - وهذا ما افتقدته بعض كتب هذا الفن السابقة له، لذا جاءت الإشادة بذلك على لسان كثير ممن تطرقوا للحديث عن الكتاب(٢).

- منهجـــه:

سلك المؤلف في كتابه هذا منهج التقرير والمناقشة أو العرض والنقد، فهو ينقل الرأي ويعرضه ثم يتناوله بالمناقشة والنقد، فلم يكتف بمنهج النقل المجرد(٣)، ومع ذلك فقد لوحظ على المؤلف بعض الملحوظات في هذا الجانب لعل أبرزها:

١ - اللجوء عند العرض والمناقشة إلى أساليب السب والتعنيف مقرونة بالسخرية والشماتة والتهكم بالخصوم وآرائهم وأنسابهم بل وخلقتهم أحياناً(٤)، إلى درجة عدم التورع عن الاتهام في الأعراض والتوسع في الحكم بالتكفير والخروج عن دائرة الإسلام على من قد لا ينطبق عليه هذا الحكم أو ذلك الوصف(٥)!

---

(١) عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ١١١.

(٢) ينظر: مقدمة محمد محي الدين عبدالحميد للفرق بين الفرق ص ٨. منهج الشهرستاني في الملل والنحل ٢٥٧. عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٧٣، ٢٧١.

(٣) البعض يرى أن البغدادي استخدم في كتابه عدة مناهج هي: المنهج البرهاني -أقلها استخداماً- والمنهج الخطابي، والمنهج الجدلي. ينظر: مقدمة الخشت للفرق بين الفرق ١٠ - ١١. وعند التأمل فيما ذكر نجد أن تلك المناهج يجمعها منهج العرض والنقد الذي سبقت الإشارة إليه.

(٤) ومن ذلك انتقاده للجاحظ مستشهداً بقول الشاعر فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ... ما كان إلا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بنفسه ... وهو القذى في كل طرف لاحظ

ينظر: الفرق بين الفرق ١٧٧، ١٧٨، ولمطالعة بعض الأمثلة على ما انتقد عليه في هذا الجانب ينظر: الفرق بين الفرق ١٢٠ - ١٢١، ١٤٩ - ١٥٠، ١٥٥.

(٥) ومن ذلك ما قاله عن ثمامة بن الأشرس بعد ذكره لأحد أقواله: "وهذا إقرار منه على نفسه بأنه ولد زنى..." الفرق بين الفرق ص ١٧٣ ومثله ص ٦٨، ٦٩، ١٣٨، وينظر كذلك في حكمه بالكفر: ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٥٦، ١٢١، ١٢٢، ١٥٧، ١٦٦، ٢٠٨، ٢١٣.

ولذلك وصف أسلوبه بالشدة والقسوة، كما عرف عنه واشتهر مهاجمته العنيفة لخصومه حتى قال عنه البعض: "كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه"[(١)]، خاصة مع المعتزلة - حسب رأي بعض الباحثين - [(٢)].

٢ - إكثاره من الرد بلازم القول، بل قد يستطرد فيجعل لازم القول لازما ومذهباً[(٣)]، وأدى به هذا إلى الحكم على المخالف بناء على ذلك اللازم[(٤)].

٣ - التوسع في مقارنة بعض الآراء بالأديان والمذاهب المنحرفة.

وقد أدت هذه الأمور إلى خروج انتقاداته ومناقشاته عن الموضوعية العلمية وكانت أقرب إلى الانفعالية والعاطفية، كما ابتعدت عن المنهج القرآني في مجادلة الخصوم ومحاورتهم كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[(٥)] [(٦)].

وما كان ذلك ليقع لولا وقوع المؤلف تحت وطأة التعصب الشديد لمذهبه ومعتقده.

- مميزاته:

تميز الكتاب بمميزات عدة من أهمها:

١ – الشمولية في حديثه عن الفرق، حيث يتناول الفرقة بالحديث من عدة جوانب عقدية وتاريخية وفقهية وغيرها، إلا إن الجوانب العقدية تأتي في مقدمتها.

---

(١) هذا من كلام الرازي في: مناظرات جرت في بلاد ما وراء النهر ص ٢٥، كما أشير إلى ذلك في: مذاهب الإسلاميين ص ٦٧١، ٦٧٢.

(٢) ينظر: مقدمة الكوثري للفرق بين الفرق ص ٣، واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية لسليمان الشواشي ص ١٨، ١٩. وقد عزوا ذلك إلى اعتماد البغدادي على كتاب فضيحة المعتزلة لابن الراوندي عند حكايته لأقوال المعتزلة وهذا فيه نظر، ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ١٢٩، ١٣٢.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٤) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٦) ينظر: مقدمة الخشت للفرق بين الفرق ص ١٢ – ١٣ بتصرف.

٢ - التكامل في موضوعه - حسب عقيدة المؤلف - "حيث مهد قبل الحديث عن الفرق بمقدمات ضمنها الحديث عن الافتراق في الأمة ثم الحديث عن الفرق، إجمالاً وتفصيلاً، والرد على آرائها الباطلة، وختم كتابه بالحديث عن الفرقة الناجية، وتحقيق نجاتها، وبيان محاسن دين الإسلام، فجاء الكتاب متكامل الجوانب في موضوعه"[١].

٣ - حسن الترتيب وجودة التنظيم - وقد سبق الإشارة إلى هذا - وهنا نضيف ما علل به البعض أن ذلك كان بسبب اتقان المؤلف لعلم الحساب[٢].

٤ - اتباعه لمنهج التقرير والنقد والمناقشة - موافقاً بذلك المنهج القرآني - لذلك جاء الكتاب غنياً بكثرة الردود على المخالفين، خاصة فيما يتعلق بالردود العقلية، وهذا ما تفتقده بعض كتب الملل. ويمكن الإفادة من بعض ردوده لموافقتها لمذهب أهل السنة والجماعة كرده على الرافضة المكفرين للصحابة[٣].

٥ - حديثه عن الباطنية يعد مما يميز الكتاب عن غيره من كتب هذا الفن، وبخاصة الكتب السابقة له، فحديثه عنهم كثير إذا ما قورن بأولئك، "ولعل ذلك يعود إلى أن البغدادي كان معاصراً لهذه الفرقة وهي في عزّ ظهورها وهو صاحب صولات وجولات وردود ومناظرات مع الباطل عامة، والفرق المبتدعة خاصة. والباطنية من هؤلاء الذين تصدى لهم، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم"[٤].

ومما يظهر قيمة هذه الميزة أن هناك بعض الكتب التي أتت بعده حكت مقالات الباطنية وكان ما ذكرته قريباً مما ذكره البغدادي عنهم[٥].

---

(١) منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٦٧.

(٢) عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٧٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٧١.

(٤) آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها - الباطنية ص ٣٥٤.

(٥) ومنها: الأنساب للسمعاني ٤٢/٢، المنية والأمل لابن المرتضى ٩٦ - ٩٨، فضائح الباطنية للغزالي ١٧٠ - ١٧١.

ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٢٧٣.

- **المآخذ:**

١ - أن تقسيمه للفرق بُني على حديث الافتراق، لذا وقع التكلف في تقسيمها حتى توافق العدد المذكور فيه، كما وقع التكلف أيضاً في عرض بدايات الافتراق.

٢ - حكمه بأن الفرقة الناجية هي فرقة الأشاعرة، وأنهم - كما يزعم - هم أهل السنة والجماعة، وهو بهذا يعد مخالفاً للحق والصواب، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لمذهب السلف الصالح الذين خالفهم البغدادي في بعض مسائل الاعتقاد، كغيره من الأشاعرة.

٣ - اتسام ردوده بالعنف والحدة مع استخدام أساليب السب والشتم والسخرية والتهكم والتوسع في تكفيره للمخالفين وتعميم الأحكام عليهم - كما سبق - .

- **طبعاته:**

حظي هذا الكتاب بمزيد عناية من قبل الناشرين فطبع عدة مرات وتعاقبت عليه أيدي المحققين والمعتنين ومن أهم تلك الطبعات:

١ - الطبعات المتتالية تحت إشراف المحققين والمعتنين سواء كان ذلك على مستوى الأفراد[١] أو اللجان[٢]، وقد وصل عددها تقريباً إلى ست طبعات، إلا أنه لا تكاد تخلو واحدة من هذه الطبعات من وجود هنات وملحوظات[٣].

---

(١) ومن أولئك الذين تناولوا الكتاب بالعناية والتحقيق:

- محمد بدر عام ١٣٢٨هـ، مطبعة المعارف في القاهرة.
- محمد زاهد الكوثري عام ١٣٦٧هـ، طباعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة.
- محمد محي الدين عبدالحميد عام ١٩٦٤م، طبعته مكتبة صبيح بالقاهرة، وهي أشهر الطبعات وأكثرها انتشاراً.
- محمد عثمان الخشت عام ١٤٠٩هـ، نشر مكتبة ابن سينا بالقاهرة.
- إبراهيم رمضان عام ١٤١٥هـ، دار المعرفة ببيروت.

(٢) وهي لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق عام ١٩٧٨م، طبعتها دار الآفاق الجديدة ببيروت.

(٣) ينظر تفصيل ذلك إضافة إلى ما سبق في:

عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ٧٧ - ٧٩.

٢ - الطبعات التي كانت تحت عناية المستشرقين، حيث ترجم الكتاب أكثر من مرة إلى اللغة الإنجليزية[١].

وقد أعدت رسالة علمية تم فيها دراسة منهج البغدادي في كتابه عنوانها: "عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق - عرضاً وتقويماً - "[٢].

(١) ينظر تفصيل ذلك في: المرجع السابق ص ٧٩.

(٢) أعدتها الباحثة: هند بنت أحمد العصيمي - رسالة ماجستير - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤٢٠/١٤٢١هـ.

كما أن هناك بحث علمي - ماجستير - تناول منهج البغدادي في كتابه الملل والنحل سجل بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بعنوان: "منهج البغدادي في كتابه الملل والنحل - عرض ودراسة - " يعده الطالب/ محمد بن ناصر القديري، سجل عام ١٤٢٢هـ

"الفصل في الملل والأهواء والنحل"[١]

لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)

وصل إلينا هذا الكتاب كاملاً بلا نقص كما قد يظن البعض ممن كتبوا عنه وعن مؤلفه[٢]. ويعد من أعظم كتب علم الملل من حيث الشمولية والدقة والمنجهية"[٣].

لذا قيل عنه: "أنه مؤلف ديني تاريخي عظيم، وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الأدب العالمي"[٤]، واعتبر البعض ابن حزم بكتابه هذا مؤسساً لعلم مقارنة الأديان[٥]. فهو بذلك يعتبر سبقاً من نوعه في عرض الأديان ومناقشتها واستقصائها مع التحقيق والمقارنة بشهادة الكثيرين[٦].

فلا غرابة إذن أن يوصف بأنه "من أنفس الكتب، وألزمها للعصر الحاضر، وأجمعها للبحث المستقصي في الديانات والنبوات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليّين، والرد على منكري الألوهية ومعتنقي الأديان المخالفة

---

(١) وقع الخلاف بين الباحثين في ضبط عنوان الكتاب هل هو: الفِصَل - بكسر الفاء وفتح الصاد - كما هو المشهور والشائع عند الكثيرين، أم هو الفَصْل - بفتح الفاء وسكون الصاد -، لكن د. محمود حماية قام بدراسة هذا العنوان وأثبت أن اسم الكتاب الفَصْل بفتح الفاء وسكون الصاد وأن ذلك هو الصواب، وقد برهن على ذلك بعدد من الأدلة.

ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ٩٧ - ١٠٣، وينظر: ابن حزم لأبي زهرة ص ٢٥٣.

(٢) ينظر: التنبيه إلى ذلك في كتاب: ابن حزم خلال ألف عام ٤٧/٢.

(٣) علم الملل والنحل ص ١٨١.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص ٣١٣.

(٥) وهو المستشرق "جب" نقلاً عن: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان د. محمود حمايه ص ١٥٠.

(٦) ينظر: رسالة "ابن حزم الأندلسي ومنهجه في إثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - إعداد: علي جابر - رسالة ماجستير - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤٠٤هـ ص ١٢٧.

وممن شهد له بذلك تلميذه الحميدي في جذوة المقتبس ص ٢٩١.

لدين الإسلام، وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل، ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل"(١)(٢).

- موضوعه:

من خلال النظر في عنوان الكتاب يتبين أن عنوانه قد كشف عن موضوعه إذ هو في ذكر الملل والأهواء والنحل المخالفة للإسلام، إضافة إلى الفرق التي ظهرت في الملة الإسلامية.

وسيتضح ذلك أكثر عند الحديث عن تقسيمه وترتيبه لكتابه.

- تقسيمه وترتيبه:

معظم الباحثين الذين درسوا كتاب "الفصل"، يؤكدون على ناحية مهمة، تتعلق بتصميم الكتاب، وهي أنه يتكون من عدة رسائل جمعت في "ديوان" واحد - حسب تعبير ابن حزم - ، وعند دراسة هذا الجانب نجد أنه واضح أشد الوضوح في كتابه(٣).

أما الترتيب والتقسيم الذي سار عليه ابن حزم في كتابه هذا فهو على النحو التالي:

بدأ المؤلف بذكر رؤوس الفرق المقرين بملة الإسلام، فذكر بأنها خمس هي: "أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج"(٤)، ثم تفرق كل منها

---

(١) من كلام عبدالرحمن خليفة في مقدمته للفصل المطبوع بهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٥.

(٢) فيما يتعلق بسبب تأليف الكتاب، نرى بعض الباحثين قد أسهب في ذكر الأسباب التي دفعته لوضع كتابه، وذلك استنباطاً من كلامه السابق ومن خلال دراسته لعصره ومراحل حياته، كما قسمها البعض إلى أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة.

ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ص ١٠٨ – ١١٢. ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، د. مجيد خلف منشد، ص ١١٥ – ١٢١.

(٣) ينظر: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية ١١٣ – ١١٥. وقد برهن الباحث على ما ذهب إليه بذكر أدلة تؤكد ذلك.

(٤) الفصل ٢/٢٦٥.

إلى عدة فرق، وقبل الخوض في تفصيل الحديث عنها أورد باباً قال أنه جامع مختصر في البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق، بعد ذلك بين رؤوس الفرق الست.

ثم شرع في الحديث عن اليهود والنصارى وفرقهم، وعرض لتاريخ بني إسرائيل وتفرقهم، ثم تطرق إلى الأناجيل وانتقدها وبيّن ما وقع فيها من تحريف، بعد ذلك أورد مباحث تتعلق بحقيقة المسيح - عليه السلام - وأمه ونبوته وغير ذلك.

انتقل بعد ذلك للحديث عن الفرق الإسلامية فذكر أصولها وذكر أنها خمسة: أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والخوارج، والشيعة، وذكر تفرقها ومدى قربها أو بعدها عن الحق، وعمدة كل منها فيما ذهبت إليه وأبرز أقوالها.

ثم ذكر المسائل التي هي العمدة في افتراق المسلمين وهي: التوحيد، والقدر، والإيمان، والوعيد، والإمامة، والصحابة.

ثم أفرد الشنع والعظائم التي خالفت تلك الفرق فيها أهل السنة كل فرقة على حدة، بعد ذلك ختم كتابه بمناقشة أهل الكلام في عدد من المسائل التي اشتملت عليها مذاهبهم[1].

لكن ابن حزم أطال في حديثه عن أهل الكتاب والرد عليهم ومناقشتهم فاستغرق ذلك من الكتاب جزءاً كبيراً، فجاء حديثه عن الفرق - مقارنة بذلك - مختصراً وموجزاً.

- منهجه:

المقدمة التي قدم بها ابن حزم لكتابه ذاكراً فيها دوافعه لوضع الكتاب - التي سبق إيرادها - تدلنا على المنهج الذي أخذ به نفسه من حيث الوضوح في الحديث عن الآراء واجتناب التعقيد عند ذكر الأفكار، مع استيفاء حجج خصومه عند عرضها[2].

فقد سلك المنهج الجدلي المعتمد على العرض والتقرير مع النقد والمناقشة.

---

(١) ينظر: تدوين علم العقيدة للطريف ٧٢٤/٢ - ٧٢٦.

(٢) ينظر: الفصل ١٧/١.

وقد تميز بالدقة في المناقشة حتى يسد كل مسلك على معارضيه ولا يترك لهم منفذاً ينفذون منه، لاستيفاء الحجج العقلية والمنطقية[١].

- المميزات:

كثيرة هي مناقب هذا الكتاب ومميزاته إلا أن أبرزها:

١ - اعتماده على منهج التقرير والنقد مع المناقشة وهو ما يسمى بالمنهج الجدلي، وهو مسلك محمود في هذا الفن لموافقته للمنهج القرآني.

وقد استخدم في ذلك عدداً من الأساليب والطرق مدعمة بالبراهين والأدلة النقلية والعقلية - خاصة مع أهل الكتاب - يقول صاحب "تحفة الأريب": "ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين - رضي الله عنهم - محتوية على ما لا مزيد عليه، إلا أنهم - يرحمهم الله - قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول، إلا الحافظ أبا محمد بن حزم - رحمه الله - فقد رد عليهم بالمعقول والمنقول"[٢].

٢ - اشتمال الكتاب على نقد علمي دقيق للتوراة والإنجيل وبذلك يُعدّ أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس.. [٣]

٣ - وضوح الأسلوب وسهولة الألفاظ وانسياب العبارات سواء كان ذلك في العرض أو المناقشة، ولذا وُصِفَ بأنه أبسط من غيره من كتب هذا العلم[٤]، وقد أرجع بعض الباحثين هذه الظاهرة عنده إلى أساليب استخدمها ابن حزم وسمات عُرف بها[٥].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ٢٩/١.

(٢) ينظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبدالله الترجمان ص ٥٤ - ٥٥. وقد نقل النص نفسه محققا كتاب الفصل فصححت بعض الألفاظ مما نقلاه لضبط المعنى! ينظر: الفصل ٢٢/١.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق الرد الجميل ص ٨١، نقلاً عن ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ص ١٤٩.

(٤) وقد جاء ذلك على لسان السبكي، ينظر: طبقات السبكي ٧٨/٤.

(٥) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ص ١٣٨ - ١٤٠.

٤ - موافقته لأهل السنة والحديث في كثير من المسائل، وتقديره لسلف الأمة وأئمتها، يقول ابن تيمية منصفاً له في ذلك: "وكذلك أبو محمد فيما صنفه من الملل والنحل إنما يستحمد بموافقته السنة والحديث مثل ما ذكر في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك... وكذلك ما ذكره في باب الصفات فإنه يستحمد فيه بموافقته أهل السنة والحديث لكونه يثبت الأحاديث الصحيحة ويعظم السلف وأئمة الحديث ويقول إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن وغيرها ولا ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك"(١).

- المآخذ:

١ - مع اعتماده على منهج النقد والمناقشة إلا أن مما أخذ عليه فيه عنفه وتجاوزه - أحياناً - على خصومه وعلى الآراء التي يناقشها، مخالفاً بذلك ما يجب أن يتحلى به العالم وطالب العلم الذي يملك الحق ويرحم الخلق. ولذا أصبحت قسوته وشدته في عبارته وألفاظه مضرب المثل حتى قيل: "سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان"(٢).

٢ - افتقاده للتنظيم وللترتيب، مما أوجد الاضطراب في الكتاب وهو ما يسمى بتشعب الآراء وتداخلها. لذا يقول عنه السبكي في معرض مقارنته بكتاب الملل والنحل للشهرستاني: "ومصنف ابن حزم وإن كان أبسط منه، إلا أنه مبدد ليس له نظام..."(٣).

كما أشار إلى ذلك غيره وأرجع علة ذلك الاضطراب إلى كون الكتاب عبارة عن رسائل مستقلة جمعت في ديوان واحد، جاء في دائرة المعارف الإسلامية: "إن

---

(١) نقض المنطق لابن تيمية ص ١٧ - ١٨، وينظر: مجموع الفتاوى ١٨/٤ - ٢٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ١١٤٥/٣. وقد ذكر د. محمود حماية أسباباً جعلت ابن حزم يلجأ لهذا اللون من العنف! ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ١٤٠ - ١٤٣.

(٣) طبقات السبكي ٧٨/٤.

الترتيب المنطقي لهذا الكتاب - الفصل - مضطرب إلى حد ما، بسبب إدماج رسائل مستقلة فيه..."(١).

٣ - مع موافقته لأهل السنة في مسائل كثيرة نجد أن له آراء واجتهادات فيها مخالفة صريحة لمذهب أهل السنة، كما يوحي بذلك كلام ابن تيمية السابق، كإنكاره كثير من الصفات، وزعمه أن أسماء الله الحسنى أعلام محضة لا تدل على معانٍ، ويتعلق بذلك رأيه في مسألة القرآن، والرؤية، والكلام، ونحو ذلك. وأشياء لا يوافق عليها في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما وقع بين الصحابة - رضي الله عنهم - وكذلك في مسألة الإمامة، والمفاضلة، إلى غير ذلك(٢).

- طبعاته:

من أشهر طبعات الكتاب: الطبعة التي حققها د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبدالرحمن عميرة وهي الأشهر والأكثر رواجاً، ولذا اعتمدت عليها في هذا البحث. وقد حققا الكتاب اعتماداً على نسختين خطيتين وبذلا في تحقيقه جهداً طيباً.

وقد ترجمت أجزاء منه إلى اللغة الإسبانية(٣).

كما أن هناك دراسات علمية عنيت بمنهج المؤلف في كتابه أهمها:

- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود علي حماية.
- ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، د. مجيد خلف منشد.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٥٤.

(٢) ينظر: تدوين علم العقيدة للطريف ٢/٧٢٧ - ٢٢٨.
ابن حزم الأندلسي وموقفه من إثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ص ١٥٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ص ٧ - ٨.
ابن حزم الأندلسي ومنهجه في إثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - ص ١٢٧.

- ابن حزم وموقفه من الإلهيات - عرض ونقد - د. أحمد بن ناصر الحمد. وكل هذه الرسائل مطبوعة[1].

(١) وهناك دراسات ورسائل علمية تناولت أجزاء أو مسائل أو فرق من خلال كتابه هذا، من أبرزها:
- ابن حزم ومنهجه في إثبات نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - علي جابر مفرح.
- منهج ابن حزم في الرد على أهل الكتاب - دراسة وتقويم - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام كلية أصول الدين، قسم العقيدة، إعداد: حسين بركات حسين، ١٤١٤هـ
- موقف ابن حزم من المعتزلة - رسالة ماجستير - سعود بن صالح السرحان سجلت بتاريخ ١٤٢١/٣/٢هـ بقسم العقيدة بجامعة الإمام.
- موقف ابن حزم من الأشاعرة -رسالة ماجستير- أحمد أبانمي، سجلت بتاريخ ١٤٢٠/٩/٤هـ بقسم العقيدة بجامعة الإمام.
- موقف ابن حزم من المذهب الأشعري كما في كتابه الفصل في الملل والنحل، عبدالرحمن دمشقية.
- التوراة واليهود في فكر ابن حزم، إبراهيم الحاردلو.

"الملل والنحل"(١)

لأبي الفتح الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)

إذا ما ذكر علم الملل والنحل أو علم المقالات فإن أول ما يتبادر إلى الذهن - عند الكثيرين - كتاب الشهرستاني "الملل والنحل".

فقد تسنم ذروة الشهرة من بين كتب هذا العلم، وما مِنْ متحدث يطرق باب هذا الفن - ممن أتى بعد الشهرستاني قديماً أو حديثاً - إلا واستفاد من كتابه ونهل من معينه واقتبس من نوره.

إذ يشكل مرجعاً مهماً لا غنى عنه لكل مشتغل بتاريخ الأديان ومقالات الفرق، لذلك وصفه أحد الباحثين بأنه: "من أهم كتب المؤلف وأشهرها... فما من حديث يدور حول تأريخ الأديان والفرق إلا ويأتي ذكر هذا الكتاب ومؤلفه في أول ما يذكر من مصادر ذلك الفن"(٢).

كما يقول أيضاً: "وقد سد ثغرة مهمة في بابه وأصبح مرجعاً متميزاً لكثير من الباحثين والمؤلفين عبر العصور الماضية والحاضرة، فلا يكاد يستغني عنه باحث أو كاتب في فنه، وقد اعتمد عليه كثيرون، واقتبسوا منه كثيراً في بيان مقالات أهل الملل والنحل، على مختلف مشاربهم وأصنافهم"(٣).

ومما يؤكد ذلك ويؤيده ما نقل عن كثير من العلماء والباحثين - قديماً وحديثاً - من الثناء على الكتاب والإشادة به، حتى جاء بعض ذلك على لسان الغربيين(٤).

---

(١) هذا هو الاسم المشهور للكتاب دون خلاف في ذلك حيث نص المؤلف على اسمه هذا في مقدمة كتابه فأصبح ذلك محل اتفاق، أما ما جاء خلافاً لهذا العنوان في الطبعات الحديثة فهو من تصرف الناشر واجتهاده كوسمه بـ"موسوعة الملل والنحل".

(٢) منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٠١.

(٣) المرجع السابق ص ٢١٣.

(٤) ينظر نماذج من تلك النقول في المرجع السابق ص ٢١٣ – ٢١٧.

- سبب تأليفه:

وردت في ذلك عدة أقوال يمكن حصرها فيما يلي:

١ - أنه كتبه إجابة لسؤال أحد الحكام[(١)]، وتنفيذاً لطلبه.

٢ - أنه أهداه لأحد الوزراء[(٢)] بعد كتابته، لا عن طلب منه.

٣ - أنه لم يكتبه لأحد وإنما وضعه ابتداءً بدافع رغبة شخصية منه.

إلا أن هناك وجهاً آخر يمكن به الجمع بين تلك الأسباب وهو: أن المؤلف ألف الكتاب إجابة لنقيب ترمذ وتحقيقاً لرغبته، ثم بدا له أن يهديه أيضاً لأحد الوزراء ولم يكتب الكتاب لأجله أو تحقيقاً لطلبه، ثم وضع بعد ذلك نسخة أخرى غير النسختين السابقتين لتكون مقدمة للناس كافة[(٣)].

- موضوعه:

"الملل والنحل" كغيره من كتب هذا الفن ينبئ عنوانه عن موضوعه ومضمونه.

وقد أفصح المؤلف عن مراده بذلك العنوان مبيناً في الوقت نفسه موضوعه وذلك عند حديثه - في المقدمة الأولى - عن أقسام أهل العالم فقال: "وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى: أهل الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل.

فأرباب الديانات مطلقاً مثل: المجوس، واليهود، والنصارى، والمسلمين.

وأهل الأهواء والآراء مثل: الفلاسفة[(٤)]، والدهرية[(٥)]،

---

(١) وهو: نقيب ترمذ أبو القاسم علي بن جعفر الموسوي.

(٢) وهو: أبو القاسم محمود بن مظفر المروزي.

(٣) ينظر في ذلك كله: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٠٥ - ٢١٠.

(٤) الفلاسفة هم من ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين: "فيلا" أي محب، و"سوفيا" أي الحكمة، فمعناها محب الحكمة، ومن آراء معظمهم: القول بقدم العالم، إنكار النبوات، إنكار البعث الجسماني.

ينظر: الملل والنحل ٧٩٥/٢، إغاثة اللهفان ٢٥٦/٢، مبادئ الفلسفة ص ١٦، المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٤٥، هداية الحيارى ص ٩.

(٥) الدهرية: هم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون يستحيل هذا في العقول، ويقولون بقدم العالم، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر. وقد ذكر ابن القيم أنهم طائفتان =.

والصابئة[١]، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة[٢]" [٣]

وقد تحدث إلى جانب ذلك كله عن آراء العرب في الجاهلية، وآراء الهند، ويدخل في ذلك البراهمة، كما أدخل الصابئة وعبدة الكواكب ضمن أهل الأهواء والنحل.

لأجل ذلك يُعد كتابه "موسوعة جامعة وموجزة لمختلف المقالات والملل، والأهواء والنحل"[٤].

حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إنه "أجمع من أكثر الكتب المصنفة في المقالات وأجود نقلاً..."[٥].

كما يقول عنه أحد المهتمين به: "فهو دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب والفرق والآراء الفلسفية المتعلقة بما وراء الطبيعة التي عرفت في عصر المؤلف"[٦].

= ينظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٥٥، البرهان ص ٨٨، المقالات والفرق ص ١٩٤.

(١) الصابئة: صبأ في اللغة الخروج من دين إلى دين، فالصابئة هم الخارجون من دين إلى دين، وهم قسمان: مشركون وهم عبدة الكواكب، وصابئة حنفاء وقد جاء ذكرهم في القرآن مع الأمم التي تنقسم كل أمة منهم إلى مؤمن وكافر.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: ٦٢). والحنفاء هم قوم إبراهيم وأهل دعوته. ينظر: الملل ٢/٣٠٧ وما بعدها، البرهان ص ٩٢، إغاثة اللهفان ٢/٢٤٩ - ٢٥٥، تفسير القرآن العظيم ١/١٠٤.

(٢) البراهمة: هم المنسوبون إلى (براهما) أكبر الآلهة عند الهندوس. وقيل سموا براهمة لإقرارهم بالله وتكذيبهم بالوسائط وهم الرسل إلا إبراهيم عليه السلام فإنهم يقولون برسالته فسموا بذلك براهمة، وهم سبعة أصناف، والبراهمة من أقدم الديانات في الأمم الآرية.
ينظر: الملل والنحل ٢/١٥٧ - ١٥٨، التبصير في الدين ص ١٥٠ - ١٥٣، البرهان ص ٨٧ - ٨٨، الهندوسية ص ٣٢٦، تلبيس إبليس ص ٦٥.

(٣) الملل والنحل ١/١٢ - ١٣.

(٤) مقالات في المذاهب والفرق د. عبدالعزيز آل عبد اللطيف ص ٤٦. وينظر: مجلة البيان عدد ٣٠، الشهرستاني وكتابه الملل والنحل.

(٥) منهاج السنة ٦/٣٠٤.

(٦) مقدمة تحقيق الملل والنحل ١/٤.

- **تقسيمه وترتيبه:**

الاهتمام بالتقسيم والعناية بالترتيب والتنظيم أبرز ما يميز هذا الكتاب عن غيره من كتب هذا الفن حتى "أن المطلع على كتاب "الملل والنحل" ليأخذه العجب في حسن التنظيم، وجودة الترتيب، ويشيد بعقلية المؤلف التي أبدعت ذلك التقسيم والتبويب الحسنين، إذ يلحظ أن المؤلف سبك الكتاب سبكاً حسناً ونظمه تنظيماً تدريجياً، يسهل على القارئ الوصول إلى مراده بكل يسر ووضوح"[١].

وقد بنى ترتيبه له على طريقة الحساب لتحقيق الحصر والاختصار، كما بيَّن ذلك في المقدمة الخامسة لكتابه[٢].

كما حرص على الحديث المركز المختصر الخالي من الحشو والتكرار.

لذا جاء حجم الكتاب صغيراً مقارنة بمادته وموضوعه الذي شمل ملل وديانات وأهواء وآراء أهل العالم.

وقد افتتح كتابه بخمس مقدمات ضمنها خلاصة منهجه، والخطوط العريضة لكل ما جاء في كتابه، ثم عرَّف ببعض المصطلحات مع بيان المراد منها.

وسبق أن بيَّن المؤلف في المقدمة الأولى أنه قسم أهل العالم إلى قسمين وبنى عليهما كتابه.

وقد بدأ بالحديث عن القسم الأول وهم: أهل الديانات والملل وجعله في ثلاثة أبواب:

الأول: عن المسلمين جعله في سبعة فصول.

الثاني: عن أهل الكتاب وعنى بهم اليهود والنصارى وذلك في فصلين.

الثالث: عمن لهم شبهة كتاب: وعنى بهم المجوس والثنوية وذلك في فصلين.

---

(١) منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٧٩.

(٢) ينظر: الملل والنحل ١/٣٣.

ثم تحدث عن القسم الثاني وهم أهل الأهواء والآراء وجاء في أربعة أبواب على النحو التالي:

الأول: أهل الأهواء والنحل (الصابئة - أصحاب الروحانيات - أصحاب الهياكل والأشخاص - الحرنانية).

الثاني: الفلاسفة.

الثالث: آراء العرب في الجاهلية.

الرابع: حكماء الهند.

- منهجه:

المنهج التقريري الوصفي، أو ما يسمى بمنهج النقل المجرد، هو المنهج الذي سار عليه الشهرستاني في كتابه، بناءً على شرطه الذي وضعه في أول كتابه حيث يقول: "وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله"[١].

لكن المتأمل في مجموع كتابه نجد أنه لم يلتزم بذلك الشرط الذي ألزم نفسه به، لذا نراه يتعقب بعض المقالات والآراء بالنقد والمناقشة ويتناولها بالرد والسخرية أحياناً[٢].

كما يفهم من كلامه السابق أنه ألزم نفسه بإيراد مذهب كل فرقة على ما وجده في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم، وهذا أمر غاية في الدقة والموضوعية والأمانة العلمية، ومما ينبغي للباحث أن يتحلى به في هذا العلم وفي سواه من العلوم.

والشأن فيه كسابقه إذ لم يستطع المؤلف الالتزام به فنجده - أحياناً - ينقل آراء الفرقة من كتب خصومها[٣].

---

(١) الملل والنحل ١٦/١.

(٢) ينظر تفصيل الحديث عن هذا الأمر والذي يليه في: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٨٦ - ٢٨٨.

(٣) ذهب بعض الباحثين إلى أن الشهرستاني التزم بشرطه الذي قطعه على نفسه، وأن ما ذكره من تعقبات ومناقشات، وإيراد بعض الآراء من غير كتب الفرقة نفسها لا يخرجه عما التزم به، وكأنهم يعدون ذلك في حكم النادر أو أنه لم يفصل في ذلك. =

- **المميزات:**

للكتاب كثير من المميزات التي جعلته يتفوق على كتب المقالات الأخرى فتبوأ بها منزلة عالية ورفيعة عند المهتمين بهذا العلم لعل من أبرزها:

١ - حسن التنظيم وجودة الترتيب: فلم تسرد مضامينه كيفما اتفق، وعلى الوجه الذي وجد بل على قانون مستقر وأصل مستمر، فأبدع مؤلفه تنظيماً رائعاً وترتيباً حسناً، واستحدث قوانين في ذكر الطوائف والفرق وعددها، وهذا مما ينوه ويشاد له به، كما أنه اختار من طرق عرض الآراء والمقالات أحسنها وأجودها.

وهذا كله مما يجعل القارئ يصل إلى مراده ويظفر بحاجته بكل يسر وسهولة(١).

٢ - الشمولية والاستيعاب مع الوضوح والإيجاز: فقد شمل مقالات أهل العالم على اختلاف مللهم ونحلهم ودياناتهم، واستوعب آراءهم وأهواءهم إلى جانب وضوحه وإيجازه في كلامه وعباراته. كما أنه اقتصر على ذكر المقالات والآراء ذات العلاقة بالعقيدة دون غيرها من الأمور الأخرى مما ليس له صلة بذلك - غالباً -.

"ولذا جاء الكتاب صغير الحجم كبير المحتوى والمضمون"(٢).

٣ - اتباعه لطريقة: جعل أصحاب المقالات أصولاً ثم إيراد مذاهبهم. وهذه الطريقة - ولا شك - قد تكون أفضل من غيرها من عدة جوانب - سبق الإشارة إليها - .

٤ - تعريفه بالفرق ابتداءً، ثم إيراد الأصول التي اتفقت عليها إحدى الفرق الإسلامية الكبار، ثم يذكر ما يختص بكل طائفة من طوائف هذه الفرقة(٣).

٥ - أن الكتاب يُعدّ مرجعاً جيداً ومتميزاً في بيان أقوال الأشاعرة والفلاسفة وتوضيح آرائهم. يقول ابن تيمية مشيراً إلى ذلك: "ولما كان الشهرستاني خبيراً بقول

= ينظر: مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية ص ١٧٥.
وينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٨٨.

(١) ينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٦٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٦٦٥.

(٣) ينظر: مقالات في المذاهب والفرق ص ٤٩.

الأشاعرة وقـول ابـن سينا ونحوه مـن الفلاسفة، كـان أجـود مـا نقلـه قـول هـاتين الطائفتين"(١).

- المآخـذ:

مع ما تميز به الكتـاب ورغـم مـا قيـل عنـه في مدحـه والثنـاء عليـه، ظلـت هنـاك جوانب قصور أخذت عليه، لكنها مـع ذلـك لا تقلـل مـن قيمـة الكتـاب ومـا فيـه مـن الجوانب الإيجابية، ومن أبرز تلك المآخذ:

١ - اعتماده على حديث الافتراق وتقسيمه للفرق بناءً عليه.

٢ - عدم نقده للفرق الضالة والآراء المنحرفة والمقالات الباطلـة وعـدم التحذير منها، وقد اشترك معه في ذلك غـيره مـن كتـب هـذا العلـم الـتي سبق الحديـث عنـها فـلا داعي للإطالة فيهما، إلا أن ذلك لا يُعدّ مأخذاً قادحاً؛ إذا كان المؤلـف قـد جعـل ذلك منهجاً له كما بـين ذلـك في بدايـة كتابـه، وإنمـا يعتـبر مـأخذاً باعتبـار الأفضـل والأولى.

٣ - أنه لم ينقل مذهب الصحابة وسلف الأمة، لا تعمداً منه لتركه، بل لأنه لم يعرفه وذلك لقلة خبرته بنصوص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والتابعين. وقـد أدى بـه ذلـك إلى الوقـوع في جملـة مـن المخالفـات منـها النقـل عـن الشـيعة والمعتزلة بلا تمحيص ولا توثيق، كإيراده لبعض النقول بلا خطام ولا زمام.

وقـد أشـار إلى ذلـك ابـن تيميـة فقـال: "والشهرستاني لا خـبرة لـه بـالحديث وآثـار الصحابـة والتـابعين"(٢)، كمـا يقـول أيضـاً عنـه وعـن غـيره مـن مصنفـي كتـب المقالات: "ثم إن غالب كتب أهل الكلام والناقلين للمقالات، ينقلـون في أصـول الملل والنحل من المقالات مـا يطـول وصفـه. ونفـس مـا بعـث الله بـه رسـوله، ومـا يقوله أصحابه والتابعون لهم في ذلك الأصل، الذي حكوا فيـه أقـوال النـاس، لا

(١) منهاج السنة ٣٠٤/٦.

(٢) منهاج السنة ٣١٩/٦. وينظر كذلك: المرجع السابق ٣٠٦/٦، ٣٢٣/٦، ودرء التعارض ١٣٢/٣.

ينقلونه، لا تعمُّداً منهم لتركه؛ بل لأنهم لم يعرفوه، بل ولا سمعوه، لقلة خبرتهم بنصوص الرسول وأصحابه والتابعين"(١).

٤ - فات المؤلف ذكر بعض الديانات والفرق الإسلامية(٢). ولم يؤخذ عليه هذا إلا لأنه صرح بما يفيد استقصاءه لجميع ما يدخل في ذلك الباب حيث قال في مطلع كتابه: "أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تديَّن به المتدينون وانتحله المنتحلون"(٣)، كما قال أيضاً: "فإذا نجزت المقدمات على أوفى تقرير وأحسن تحرير شرعنا في ذكر مقالات أهل العالم من لدن آدم إلى يومنا هذا، لعله لا يشذ من أقسامها مذهب"(٤).

٥ - اضطرابه في تحديد أصول الفرق، حيث ذكر في موضع أن كبارها أربع(٥)، وفي موضع آخر عدّها وجعلها ثمان فرق(٦)، ومع ذلك فالمتأمل في كتابه يجد رؤوس الفرق ست فرق هي: المعتزلة والجبرية والصفائية والخوارج والمرجئة والشيعة(٧). وهي التي فصَّل الحديث عن كل واحدة منها بشكل مستقل.

---

(١) منهاج السنة ٣٠٣/٦..

(٢) ومن جملة الديانات التي لم يذكرها: أديان أهل الصين، البوذية، الهندوسية، ديانة قدماء المصريين.
أما الفرق الإسلامية فمنها: الصوفية، الماتريدية، الكلابية، السالمية، البكرية.
ينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٦٧٠ - ٦٧٥.

(٣) الملل والنحل ١١/١.

(٤) المرجع السابق ٣٦/١.

(٥) وهي: القدرية والصفاتية والخوارج والشيعة. ينظر: الملل والنحل ١٥/١.

(٦) يقول في ذلك الموضع: "والفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل التضاد، وكذلك القدرية والجبرية، والمرجئة والوعيدية، والشيعة والخوارج" الملل والنحل ٤٣/١.

(٧) يشير أحد الباحثين أنه قد يلتمس وجه لتبرير هذا الاضطراب، ولكنه لا يخلو من تكلف.
ينظر: منهج الشهرستاني ص ٢٩٩.

- **طبعاته[١]:**

طبع هذا الكتاب بعدة لغات، في عدة طبعات متفوقاً على غيره من كتب هذا العلم في هذا الشأن. وسيتم الاقتصار على الإشارة إلى اللغات التي ترجم إليها الكتاب، مع ذكر أشهر الطبعات التي باللغة العربية.

فقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية، واللغة التركية، وإلى كل من اللغتين الإنجليزية والألمانية.

أما أشهر طبعات الطبعة التي باللغة العربية:

- الطبعة التي بتخريج وعناية د. محمد فتح الله بدران ١٣٦٥هـ في جزئين، وهي أفضل الطبعات على الإطلاق، وما جاء بعدها فهو عالة عليها.
- الطبعة التي بتحقيق محمد سيد كيلاني ١٣٨١هـ في جزئين، وهي أكثر الطبعات تداولاً بين القراء[٢]، لأجل ذلك اعتمدت عليها في هذا البحث.

الجدير بالذكر أن هناك بحوثاً ورسائل علمية عنيت بدراسة الكتاب وشخصية مؤلفه، لكن من أفضلها وأحدثها رسالة بعنوان "منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل - عرض وتقويم"[٣]، وقد تناول فيها شخصية المؤلف بالدراسة والتحليل، والكتاب بالعرض والتقويم[٤].

---

(١) ينظر في ذلك:

- مقدمة الطبعة الثانية للملل والنحل تحقيق د. محمد بدران ١٣/١.
- المدخل إلى كتاب الملل والنحل د. محمد بدران ص ٦٩.
- الشهرستاني وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ١١١.
- منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٢) ينظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٣) إعداد: د. محمد بن ناصر السحيباني - رسالة ماجستير - وهي مطبوعة.

(٤) ومن تلك الدراسات:

- المدخل إلى كتاب الملل والنحل تأليف: محمد فتح الله بدران.
- الشهرستاني وآراؤه الكلامية والفلسفية - رسالة دكتوراه - إعداد: سهير محمد مختار.

الفصل الأول

تعريف بأبي المظفر الإسفراييني وكتابه:

"التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بأبي المظفر الإسفراييني.
- المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التبصير في الدين".
- المبحث الثالث: دراسة تمهيدية للكتاب.
- المبحث الرابع: منزلة الكتاب بين كتب الفرق.

المبحث الأول

التعريف بأبي المظفر الإسفراييني

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: عصره.
- المطلب الثاني: حياته الشخصية.
- المطلب الثالث: حياته العلمية.

المطلب الأول

عصر الإسفراييني

لا يمكن للإنسان - أيّاً كان - أن يعيش بمعزل عن ظروف عصره، وأحداث وقته، فهو ابن زمانه وسليل دهره، وبالتالي فلابد أن يكون لعصره بصمات في حياته، وآثار في تكوين شخصيته، ودور في آرائه ومواقفه وكتاباته، لذا كان لزاماً على الباحث الذي يريد دراسة عَلَمٌ من الأعلام أو أثر من آثاره أن يسبر غور ذلك العصر الذي عاش فيه بمختلف جوانبه - السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية - ليرى ما تركته من الآثار على شخصيته.

والقرن الخامس الهجري كان محط رحل حياة أبي المظفر الاسفراييني الذي عايش سنينه وتقلب بين أيامه ولياليه عدا الربع الأخير منه.

وحسبنا في هذه العجالة أن نفتح كوة على ذلك العصر لنطلع من خلالها على أحواله مع ما بينها من العلاقة والترابط.

الحالة السياسية:

بما أن أبا المظفر الإسفراييني قد عاش في الثلاثة الأرباع الأُوَلْ من القرن الخامس الهجري فيكون بذلك قد قضى حياته في ظل الخلافة العباسية التي بدأ حكمها للعالم الإسلامي من سنة ١٣٢هـ وامتد حتى سنة ٦٥٦هـ، وذلك بسقوط عاصمتهما بغداد[1]. وكانت قد بدأت قوية حيث أحكمت قبضتها على جميع الأقطار التابعة لها، ثم ما لبثت أن دبّ الضعف في جسدها وأصبح ينخر في عظامها منذ القرن الثالث الهجري.

---

(١) بغداد: كانت قبل أن يفتحها المسلمون سوقاً للفرس يجتمع فيها التجار مرة كل شهر، ففتحها المثنى بن حارثة – رضي الله عنه – وأول من بناها أبو جعفر المنصور وذلك سنة ١٤٥هـ، وأصبحت حاضرة العالم الإسلامي وعاصمة الخلافة الإسلامية إلى أن سقطت وضربت على يد التتار سنة ٦٥٦هـ، وهي الآن عاصمة الدولة العراقية.

ينظر: معجم البلدان ٤٥٦/١، مراصد الاطلاع ٢٠٩/١، اللباب في تهذيب الأنساب ١٦٢/١، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣١٣.

لذا قُسمت الخلافة العباسية - سياسياً - إلى خمسة عصور هي :

١ - عصر القوة والعمل : من سنة ١٣٢ - ٢٣٢هـ.

٢ - عصر استبداد المماليك الأتراك : من سنة ٢٣٢ - ٣٣٤هـ.

٣ - عصر النفوذ البويهي : من سنة ٣٣٤ - ٤٤٧هـ.

٤ - عصر النفوذ السلجوقي : من سنة ٤٤٧ - ٥٣٠هـ.

٥ - عصر الاستقلال واستعادة الخلافة شيئاً من نفوذها مع تغلب القواد : من سنة ٥٣٠ - ٦٥٦هـ(١).

وبهذا يتبين أن أبا المظفر عاش في العصر الثالث - البويهي - وجزء من العصر الرابع - السلجوقي - ويكون قد عاصر ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية وهم :

١ - القادر بالله أبوالعباس(٢) (٣٨١ - ٤٢٢هـ).

٢ - القائم بأمر الله أبو جعفر(٣) (٤٢٢ - ٤٦٧هـ).

٣ - المقتدي بأمر الله أبو القاسم(٤) (٤٦٧ - ٤٨٧هـ).

ومما يلحظ على الحقبة التي عاش فيها أبو المظفر أو القرن الخامس الهجري بشكل أوسع أن العالم الإسلامي يحكمه عدد من الدول، منها المعترف بالخلافة

---

(١) ينظر: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، لمحمد الحضري ص ٤٨٦.

(٢) القادر بالله، أبو العباس، أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله، مدة خلافته ٤١ سنة وأشهراً (٣٨١ - ٤٢٢هـ)، قال الذهبي عنه: "إنه كان ديناً، عالماً، متعبداً، وقوراً، من جلة الخلفاء وأمثالهم". وقال ابن كثير عنه: "وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في مصنفات كانت تقرأ على الناس، محباً للسنة وأهلها، يبغض البدعة والقائمين بها" توفي سنة ٤٢٢هـ، وله من العمر ٨٧ سنة.
ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢٧/١٥، البداية والنهاية ٦٣٧/١٥، تاريخ بغداد ٣٧/٤ - ٣٨، المنتظم ١٦٠/٧ - ١٦٥، ٦٠/٨، الكامل ٨٠/٩.

(٣) القائم بأمر الله، أبو جعفر، عبدالله بن القادر بالله، مدة خلافته ٤٤ سنة، (٤٢٢ - ٤٦٧هـ)، كان حسن السيرة، ديناً، زاهداً، له في الكتابة والأدب، وفيه عدل وسماحة، توفي سنة ٤٦٧هـ. ينظر: تاريخ بغداد ٣٩٩/٩ - ٤٠٤، الكامل ٤١٧/٩، البداية والنهاية ٤٧/١٦ - ٤٨.

(٤) المقتدي بأمر الله، أبو القاسم، عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله، بويع له بالخلافة بعد موت جده القائم، وله من العمر ١٩ سنة، مدة خلافته ١٩ سنة و٨ أشهر (٤٦٧ - ٤٨٧هـ)، كان حسن السيرة، وافر الحرمة، فيه نجابة وقوة، وعلو همة، توفي سنة ٤٨٧هـ.
ينظر: المنتظم ٢٩١/٨ - ٢٩٤، الكامل ٩٤/١٠، ٩٦، ٢٢٩ - ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٣١٨/١٨.

العباسية ولكنه اعتراف شكلي ليس له أثر على أرض الواقع، ومنها من لم يعترف بها، بل اتخذت العلاقة معها طابع العداء[١].

ومن أهم تلك الدول في المشرق الإسلامي الذي عاش فيه أبو المظفر ما يلي:

- الدولة البويهية:

تنسب هذه الدولة إلى رجل فارسي يدعى "أبا شجاع بويه"[٢] وكان رجلاً فقيراً يعمل في صيد السمك، وكان له أبناء ثلاثة[٣]: وقد تطور بهم الحال حتى أصبحوا قواداً في جيوش الديلم، ثم ملكوا بقاعاً كثيرة إلى أن استولى "أحمد" ـ معز الدولة ـ على كل من بغداد، وطرق الترك - الذين كانوا يسيطرون عليها - وقد كان البويهيون من الشيعة الزيدية[٤].

وعندما استولوا على بغداد سيطروا على الخليفة العباسي، وحصروا صلاحيته في أمور محدودة[٥]، وقاموا بتدبير شؤون الدولة، وأسسوا ببغداد إمارتهم التي توارثوها، وقد بسطوا نفوذهم وحكمهم على بلاد العراق وفارس ومنها خراسان[٦].

---

(١) ينظر: ظهر الإسلام، لأحمد أمين ١/٩١.

(٢) هو أبو شجاع فنا خسرو بن حسن بن بويه، الملقب بعضد الدولة. أول ملوك بني بويه، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، توفي سنة ٣٧٢هـ.

ينظر: البداية والنهاية ١١/٣٦١، والسير ١٦/٢٤٩.

(٣) وهم: علي والحسن وأحمد، أما علي فلقب فيما بعد ب: "عماد الدولة"، والحسن: لقب بـ"ركن الدولة" وأحمد: لقب بـ"معز الدولة".

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم ٣/٣٧ – ٦٢، الزمن العباسي ١١٣ – ١١٦، والكامل ٦/٢٣٠ – ٢٣٣، والبداية والنهاية ١١/١٨٥ – ١٨٦، المبتدأ والخبر ٣/٤٩٠، ٥٢٠ – ٥٢٢.

(٥) حتى أصبح الخلفاء كالدمى في أيديهم يخلعون وينصبون من يشاؤون بل وصل الأمر إلى تحديد نفقات الخليفة. ومن صور ذلك التسلط ما حدث سنة ٣٣٤هـ للخليفة المستكفي في عهد معز الدولة.

ينظر: الكامل ٦/٣٣٤، والمبتدأ والخبر ٤/٥٧٥، والبداية والنهاية ١١/٢١٢، وتاريخ الخلفاء ٣٩٧.

(٦) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخرها مما يلي الهند، وتشمل بلاد كثيرة منها: نيسابور، وهراة، ومرو.

ينظر: معجم البلدان ٢/٣٥٠.

وكان لتمتعهم بالقوة العسكرية وكثرة الجند الفضل في ذلك كله. وبما أنهم كانوا على مذهب الشيعة فلم يكونوا يعترفون بسيادة الخليفة العباسي -السني- على العالم الإسلامي لاختلاف ما بين المذهبين. إلا أنهم كانوا يتظاهرون باحترام الخليفة وتقديره لتحقيق مآربهم وليضفوا على حكمهم ودعوتهم الصبغة الشرعية فيقتنع بها الناس، حتى إن معز الدولة البويهي فكر في إزالة اسم الخلافة عن العباسيين وجعلها في العلويين - لاتفاقهم في التشيع - ! ولكن بعض خواصه أشار عليه أن لا يفعل وقال: "ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه ولو أمرت بقتله لم تُطَعْ لذلك"(١). فأعرض عن هذه الفكرة، وآثر إبقاء اسم الخلافة في العباسيين وتكون زمام الأمور الفعلية بيده.

وقد نشط البويهيون في نشر مذهبهم - الشيعي - وإنشاء مراكز علمية لهم وإظهار بدعهم والدعوة إليها، بل وإجبار الناس عليها حتى أدى ذلك إلى نشوب القتال وتجدد الثورات بين السنة والشيعة وانتشرت الفتن وكثرت الشرور، وحصلت مفاسد كثيرة عاش الناس خلالها ظروفاً قاسية ولقيهم بسبب ذلك عَنَتٌ شديد، مما حدا بالكثيرين إلى النزوح من بغداد ومفارقتها(٢).

ويعد هلاك أبناء بويه الثلاثة المؤسسين لهذه الدولة سرى الخلاف واستشرى النزاع داخل البيت البويهي، فقوض أركانه وضعفت بذلك قوتهم وكسرت شوكتهم، فتسنى بذلك للسلاجقة الترك - السنة - إسقاط دولتهم سنة ٤٤٧هـ(٣).

---

(١) ينظر: الكامل ٤/٣١٥، البداية والنهاية ١١/٢١٢.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ١٢/٣٠، ٦٧، ٤٥٨، ١١/٢٦٠، المنتظم ١٥/٣٢٩ - ٣٣٥، الكامل ٧/٣٢٣.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ٣/٣٧ - ٦٣، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ٣٧١.

- **الدولة الغزنوية[١] (٣٣٦ - ٥٨٢هـ):**

أصبحت هذه الدولة إحدى الدول الإسلامية الكبرى بالمشرق والتي عمَّرت طويلاً وكان لها دور في نشر الإسلام في بلاد الغور[٢] وما حولها. وأعظم من ساهم في ذلك هو أشهر رجال هذه الدولة وأقواهم السلطان الصالح محمود بن سبكتكين[٣]، وقد توجه بعد ذلك إلى الهند وفتح عدداً من بلادها وكسر ما بها من أصنام ومنها صنمهم الأكبر "سومنات"[٤] حتى بلغ الإسلام فيها مبلغاً لم يسبق من قبل.

كما ساهم هذا السلطان الصالح ودولته في الوقوف في وجه الطوائف الضالة وأهل البدع وطردهم[٥]، كما ساعدوا في نشر العلم فيما تحت سلطانهم من البلاد ومنها خراسان التي كان عليها أحد عماله.

وقد كان السلطان قد سمح للسلاجقة بالعبور إلى خراسان والإقامة بها، فبعد أن مات دبَّ الضعف في هذه الدولة خاصة عندما نشب النزاع بشأن الملك بين ابنيه، فأغرى ذلك السلاجقة باستعادة قواهم وجمع صفوفهم فما لبثوا أن دخلوا

---

(١) تنسب إلى سبكتكين وهو من الموالي الأتراك، وكان مملوكاً لأبي إسحاق ابن البتكن الذي كان أبوه عاملاً للسامانيين في تلك البلاد ثم ما لبثا أن استقلا عنهم فلما توفي إسحاق لم يخلفه من أهله وأقاربه من يصلح للحكم فاجتمع عسكره واتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته، فأحسن السيرة فيهم وساس أمورهم سياسة حسنة.
ينظر: الكامل ٢٤٧/٨، تاريخ الإسلام ٨٥/٣.

(٢) الغور: جبال وولاية بين هراة وغزنة في أفغانستان، وهي بلاد باردة واسعة موحشة وهي مع ذلك لا تنطوي على مدينة مشهورة. ينظر: معجم البلدان ٢٤٦/٤ – ٢٤٧، مراصد الاطلاع ١٠٠٥/٢.

(٣) هو: السلطان الملك يمين الدولة فاتح الهند، أبو القاسم، محمود بن سيد الأمراء، ناصر الدولة سبكتكين، كان صادق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو، صائب الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء، ولد سنة ٣٦١هـ، توفي – رحمه الله – سنة ٤٢١هـ، وكان على رأي الكرامية في الاعتقاد.
ينظر: المنتظم ٢١١/١٥ – ٢١٢، الكامل ٣٤٦/٧ – ٣٤٧، سير أعلام النبلاء ٤٨٣/١٧ – ٤٩٥، البداية والنهاية ٢٩/١٢ – ٣٠، معجم الأدباء ٢٥٩/٦، شذرات الذهب ٢٢٠/٣، وفيات الأعيان ١٧٥/٥.

(٤) ينظر: الكامل ٦٨٤/٧، البداية والنهاية ٢٤/١٢ – ٢٥، المنتظم ٢٩/٨.

(٥) ينظر: المنتظم ٢٨٧/٧.

في صراع مع ابنه الذي آل أمر الدولة إليه، وكانت الحرب سجالاً بينهم، فلما آل أمر السلاجقة إلى "طغرلبك"(١) زادت قوتهم واستطاعوا هزيمة الجيش الغزنوي هزيمة ساحقة واستولوا بذلك على إقليم خراسان سنة ٤٣١هـ(٢).

وبهذه الأحداث أفل نجم الغزنويين عن تلك البلاد، وبزغ نجم السلاجقة في سماء العالم الإسلامي.

كما كانت هذه الأحداث بمثابة الإرهاصات لزوال هذه الدولة على يد الغوريين الذين سيروا جيشاً جراراً(٣) واستولى على كثير من البلاد حتى وصل إلى لاهور واستولى عليها من يد صاحبها الغزنوي(٤). وبذلك زالت الدولة الغزنوية سنة ٥٨٢هـ(٥)، وذلك بعد أن قدمت للإسلام خدمات جليلة حيث كان ملوكهم كما ذُكر "من أحسن الملوك سيرة، ولاسيما جدهم محمود الغزنوي فإن آثاره في الجهاد معروفة، وأعماله للآخرة مشهورة"(٦).

- الدولة السلجوقية:

السلاجقة قوم من الترك ينتسبون إلى أحد رؤساء الأتراك(٧) وكان ذا رأي وتدبير، وقد أسلم وحسن إسلامه، وبدأ يغيْرُ على الترك الذين ساءت علاقته معهم وكانوا لايزالون على الكفر ثم قويت بعد ذلك شوكته(٨).

---

(١) هو محمد بن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين، قيل: كان يحافظ على الجماعة ويصوم الخميس والاثنين ويبني المساجد ويتصدق، وكانت له يد عظيمة على القائم في إعادة الخلافة إليه، توفي سنة ٤٥٥هـ. وعاش ٧٠ سنة.
ينظر: المنتظم ٨٤/١٦ – ٨٥، الكامل ٩٤/٨ – ٩٥، سير أعلام النبلاء ١٠٧/١٨ – ١١١، البداية والنهاية ٩٤/١٢ – ٩٥، النجوم الزاهرة ٣٧/٥. وفيات الأعيان ٦٣/٥ وما بعدها، الوافي بالوفيات ١٠٢/٥ – ١٠٤، شذرات الذهب ٢٩٤/٣ – ٢٩٦.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ٩٨/٣.

(٣) بقيادة شهاب الدين.

(٤) وهو خسرو شاه الغزنوي.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام ١٠٢/٣، ١٦٧/٤ – ١٦٨.

(٦) ينظر: الكامل ٦٩/١١.

(٧) وهو سلْجُوق بن تُقَاق.

(٨) ينظر: الكامل ٢١/٨ – ٢٦، المبتدأ والخبر ٩٣٤/٦ وما بعدها، تاريخ الإسلام ١/٤ – ٢.

وقام أبناؤه من بعده بتوسيع رقعة نفوذهم وذاع صيتهم، وعظم ملكهم خاصة على يد كبيرهم "طغرلبك" حتى سيطروا على بلاد فارس وهزموا جيش الدولة الغزنوية وأصبحوا على حدود العراق[١]، حيث كانت السلطة هناك بيد بني بويه وقد آلت إلى السقوط بعد أن عانى المسلمون منهم حتى كادت تندرس معالم الخلافة العباسية خاصة بعد فتنة "البساسيري"[٢] الذي كان يريد جعل الخلافة للمنتصر العبيدي الرافضي[٣] حاكم مصر، فاستنجد الخليفة العباسي "القائم بأمر الله" بالسلاجقة وقائدهم "طغرلبك" فجهز جيشاً ودخل به بغداد عام ٤٤٧هـ وقضى على نفوذ البويهيين، ثم تمكن من قتل البساسيري[٤]. وبذلك بدأ العهد السلجوقي واعترفوا بالخلفاء العباسيين ومنحوهم عدداً من الصلاحيات، إلا أن زمام الأمور والسلطة الفعلية كانت بأيديهم، لكن معاملتهم وتقديرهم للخلفاء كان أفضل بكثير مما كان عليه أيام بني بويه، حيث كانوا يرون شرعية الخلافة العباسية؛ لاتفاقهم معهم في المذهب السني. فكان للسلاجقة دور في نَصْر السنة وموالاة أهلها، كما حاربوا البدع وأهلها وعلى رأسهم الرافضة[٥].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الدولة مرت بطورين مختلفين:

---

(١) ينظر: الكامل ٥/٨ – ١٤، أخبار السلاجقة ١٩٤.

(٢) هو أبو الحارث الملقب بالمظفر أرسلان التركي البساسيري، نسبة إلى تاجر من أهل فسا، كان مقدماً على الأتراك ترقت به الأحوال إلى أن نابذ الخليفة، وخرج عليه، وكاتب صاحب مصر المستنصر، وتوثب على بغداد، وأقام الدعوة بالعراق للمستنصر، وفعل القبائح، قتل سنة ٤٥١هـ.
ينظر: الكامل ٨٦/٨، سير أعلام النبلاء، ١٣٢/١٨ – ١٣٣، المنتظم ٤٤/١٦ – ٥٧، البداية والنهاية ٨٨/١٢ – ٨٩، شذرات الذهب ٢٨٧/٣ – ٢٨٨.

(٣) المستنصر بالله، أبو تميم، معد بن الظاهر بن الحكم بن العزيز العبيدي الرافضي صاحب مصر، ولد سنة ٤٢٠هـ، تولى الحكم وعمره ثمان سنين، واستمر فيه ٦٠ سنة، توفي سنة ٤٨٧هـ.
ينظر: العبر ٣٥٦/٢، شذرات الذهب ٣٨٤/٣، الكامل ١٧٢/٨..

(٤) تاريخ الإسلام ١١/٤ – ١٩، التاريخ الإسلامي العام، ص٤٦٠ – ٤٦٣.

(٥) ينظر: الفتاوى ١٨/٤، البداية والنهاية ٧٣٦/١٥.

الأول: طور القوة والاتساع (٤٢٩ - ٤٨٥هـ): وهو عهد ملوكهم الثلاثة الأُوَل[١]، وقد كان لهم دور فاعل وإيجابي في إطالة عمر الخلافة العباسية والتصدي لأعداء الإسلام كالدولة الفاطمية الباطنية في مصر والشام، وكالروم في الثغور الإسلامية، بل فتحوا بعض بلاد الروم[٢].

الثاني: طور الضعف والتفكك (٤٨٥ - ٥١١هـ) وهو بعد الطور الأول، حيث سرت بينهم الصراعات والفتن الداخلية فاضطربت أحوال الناس، وتزعزع الأمن، ونشطت الدعوة الباطنية، فانتشرت وأصبح لها أتباع وحصون في عدد من البلاد، كما عاود الروم حملاتهم الصليبية واستطاعوا الاستيلاء على عدد من المدن ومنها "بيت المقدس"[٣].

ثم بدأ يظهر على أنقاض هذه الدولة مجموعة من الدول تعرف "بدول الأتابكة"[٤] وبذلك انقسمت دولة السلاجقة إلى عدة دول متنافرة ومتنازعة.

هذا بالنسبة للأحوال السياسية في وسط شرق العالم الإسلامي. أما حواضر العالم الإسلامي الأخرى فلم تكن بأحسن حالاً منها في المشرق:

- فالدولة العبيدية الفاطمية سيطرت على الشمال الإفريقي وامتد نفوذهم حتى وصل إلى الشام والحجاز، وقد كانوا مصدر قلق وبلاء على الأمة الإسلامية.
- والدولة الأموية كانت في الأندلس، إلا أنه مع مطلع القرن الخامس سقطت تلك الدولة بعد ضعفها، وظهر ما يسمى بملوك الطوائف، وبدأ النصارى حملاتهم عليها وعلى ملوكها.

---

(١) وهم: طغرلبك (٤٢٩ – ٤٥٥هـ)، ألب أرسلان (٤٥٥ – ٤٦٥هـ)، ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ – ٤٨٥هـ).

(٢) ينظر: الكامل ٢١/٨ – ٢٦، المبتدأ والخبر ١٣/٥، تاريخ الإسلام ٤/٤ – ٣٣.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ٣٤/٤ – ٥٩.

(٤) أصلهم من مماليك من الأتراك عرفوا بطول أجسامهم وجمال خلقتهم، وكانوا يقودون جيوش السلاجقة وترقى بهم الوضع حتى أسند إلى بعضهم حكم بعض الأقاليم ثم تمردوا على أسيادهم وحكموا تلك الولايات.

ينظر: تاريخ الإسلام ٦٠/٤ – ٦١.

وبذلك يتبين - من خلال ما سبق - ما آل إليه حال العالم الإسلامي بما في ذلك مشرقه من التفكك والضعف وعدم الاستقرار، بسبب تلك الدول المتصارعة والمتباينة في اعتقاداتها وتوجهاتها وبسبب انعدام القيادة الموحدة أو السلطة المركزية التي تتولى قيادة الأمة.

الحالة الاجتماعية:

الحالة الاجتماعية في أي مجتمع -أيّا كان- تبقى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحالة السياسية. فمن خلال ما سبق بيانه - من أن الاضطراب والضعف والتفكك كان سمة بارزة للحالة السياسية إبان تلك الحقبة - يمكن للمتأمل أن يتعرف على ما بلغته الحالة الاجتماعية من تدهور وسوء.

فالحروب والاضطرابات بين الدول والجماعات وانعدام الأمن وعدم الاستقرار السياسي كلها ألقت بظلالها على حياة الناس الاجتماعية، وأصبح المجتمع يتحمل تبعات تلك المؤثرات.

ففي ظل تلك الظروف استفحل أمر قطّاع الطرق، ووجد اللصوص فيها مرتعاً خصباً، فاعتدوا على الناس وسلبوا أموالهم، وانتهكوا حرماتهم[١]، مما أدى إلى إخافة الناس حتى انقطع الحج من بعض الأقاليم عدة سنوات[٢]. كما تعرض المجتمع للأزمات الاقتصادية والغلاء الفاحش في المعيشة ونقص الموارد حتى ظهرت المجاعات ومات كثير من الناس بسبب الجوع، حتى إن خراسان مرت بأزمة من هذا النوع، فكان الإنسان يصيح: الخبز الخبز ويموت[٣]، وتعرضت بلاد أخرى لمثل ذلك حتى اضطر بعضهم لأكل الميتة أو الكلاب أو القطط أو الجوارح أو أكل بعضهم بعضاً[٤].

---

(١) ينظر: الكامل ٦٤٨/٧، ٦٩٠، البداية والنهاية ٣٥/١٢، ٣٧، ٤٠، ٤٧، المنتظم ٢١/٨ - ٢٢.

(٢) ينظر: الكامل ٦٩١/٧، ٦٩٦، ٧٠٣، المنتظم ٢٦٢/٧ - ٢٦٣، ٢٩٣، ٢٢/٨، ٢٣.

(٣) ينظر: الكامل ٥٧٣/٧.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٦٧/١٢، تاريخ الخلفاء ٣٨٨ - ٣٨٩، شذرات الذهب ١٩٢/٣.

وإلى جانب ذلك لم يسلم المجتمع وقتها من الكوارث الطبيعية والآيات الكونية: كالزلازل والصواعق[١]، والأمراض والأوبئة التي أودت بحياة كثير من الناس وأتت كذلك على دوابهم. كما تلفت محاصيلهم ومزارعهم بسبب الفيضانات والجراد[٢].

أما الضرائب فقد تضرر الناس من فرضها ومضاعفتها، حيث أثقلت كواهلهم وتذمروا منها، بل حدا الأمر ببعضهم إلى ترك مزارعهم وتجاراتهم لكثرة تلك الضرائب والأتاوات[٣]. كما عانى المجتمع - بطبقاته كافة - من الفتن التي حدثت والتي كانت تتجدد بين الفينة والأخرى، والتي أدت إلى انعدام الأمن وانتشار الفوضى كالفتن التي حدثت بين السنة والرافضة وما أكثرها[٤]. والفتنة التي وقعت بين الأشاعرة[٥] والحنابلة سنة ٤٤٧هـ[٦].

وكان من إفرازات تلك المرحلة المضطربة وذلك الوضع المزري أن المجتمع أصبح يتألف من طبقتين:

- الأولى: تعيش في ترف وبذخ، وهم الأمراء والخلفاء والوزراء ومن له اتصال بهم وكذلك التجار.
- الثانية: تعيش في حياة بؤس وشظف وهم عامة الناس[٧].

---

(١) ينظر: الكامل ٥٥/٧، ٣/٨، تاريخ الخلفاء ٣٨٨، ٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ١٠٥/١٢، الكامل ٦٩٦/٧، ١٤٤/٨، المنتظم ٢٨/٨، ٢٩، تاريخ الخلفاء ٣٧٠.

(٣) ينظر: الكامل ٩٠/٨ - ٩٤، نفوذ السلاجقة ١٠٧، الزمن العباسي ١٤٥ - ١٥٠.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٥٨/١٢، ٦٢، ٦٣.

(٥) الأشاعرة: هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني، بعد رجوعه عن الاعتزال. وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق. كما هو ظاهر من كتبهم التي من أشهرها: الإرشاد للجويني، والمحصل للرازي، والمواقف للإيجي، وهم يوافقون أهل السنة في بعض الأصول، وسيأتي الحديث عن مسائل من عقيدتهم في الفصل الرابع من هذا البحث.
ينظر: الملل والنحل، تحقيق كيلاني ٩٤/١ - ١٠٣، ذكر مذاهب الفرق ص ١٣٢ - ١٣٦، مذاهب الإسلاميين، د/ عبدالرحمن بدوي ٤٨٧/١ - ٧٤٨، مجموع الفتاوى ٢٥٥/٦، ٩٩/١٣.

(٦) ينظر: البداية والنهاية ٦٦/١٢.

(٧) ينظر: ظهر الإسلام ٩٧/١، البعض يضيف طبقة أخرى وهي: أهل المهن والحرف أو متوسطي الدخل.
ينظر: الزمن العباسي ١٦٤ - ١٦٨.

ومما زاد الأمر سوءاً تفشي الرذيلة وانتشار المنكرات بسبب ضعف الحكم، فظهر شرب الخمور وكثرة المواخير، وبدأت موجة الانحلال الخلقي تعصف ببعض الناس[١] خاصة أهل الغنى والترف، ومع كل هذا فإن المجتمع لم يخل في هذه الفترة من الغيورين على المحارم كما هو حال الخليفة "المقتدي بأمر الله" الذي كان ديّناً خيِّراً قوي النفس عالي الهمة، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ومما قام به في سبيل ذلك نفي المغنيات والمفسدات من بغداد وإغلاق الحانات والملاهي حتى كانت أيامه كثيرة الخير[٢].

وهنا بالإمكان أن نخلص إلى التأكيد على ما سبق من أن ما آلت إليه الحالة الاجتماعية من تدهور ما هو إلا نتاج للحالة السياسية.

وأبرز صور ذلك التدهور تلك المؤثرات الكثيرة التي تنازعت الحياة الاجتماعية مثل: انتشار السلب والنهب، ونقص الموارد، وظهور الغلاء، إضافة إلى حدوث الكوارث كعموم القحط وانتشار الفقر.

إلى جانب بروز الطبقية بين الفقراء والأغنياء، وارتفاع أسهم الانحلال الخلقي.

كما لم يسلم المجتمع من تلك الفتن التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى.

الحالة العلمية:

لا شك أن كلاً من الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية تشكل منظومة لعقد واحد يتأثر بعضها ببعض.

إلا أنه وعلى الرغم من تفاقم الضعفِ والوهنِ اللذين أصابا موازين الحالتين السياسية والاجتماعية - في ذلك العصر - بالاضطراب وعدم الاستقرار حتى أصبحت توسم بالسوء والانحطاط نجد أن ذلك لم يكن حجر عثرة في طريق الحالة العلمية التي كانت بخلاف ذلك تماماً. حيث شهدت ازدهاراً منقطع النظير لاتزال الأمة ترفل في أثوابه

---

(١) ينظر: المرجع السابق ١٢٤/١.

(٢) ينظر: تاريخ الخلفاء ٣٩٠، البداية والنهاية ١٤٦/١٢، المنتظم ١٦٥/١٦.

وتلمس آثاره. تمثل ذلك في بروز عدد كبير من الأئمة والعلماء وأساطين المعرفة والفكر في مختلف الفنون على اختلاف مجالاتها وتنوع مشاربها[1].

كما أن هذه المرحلة كانت من المراحل التي بلغ التأليف والتصنيف فيها ذروة سنامه، ولاتزال المكتبات الإسلامية تزخر وتغص بأسفار عظام من نتاج ذلك العصر. على الرغم من أن كثيراً منها لم يصل إلينا، أو وصل ولكن لم يجد طريقه إلى النور بعد!!

إذن فلا غرو أن يعدّ هذا العصر من أزهى عصور الثقافة التي مرت بها الأمة الإسلامية.

لكن ذلك لم يكن ليحصل لولا وجود مقومات أسهمت في دفع عجلة تلك النهضة العلمية، ومن أهم تلك المقومات:

- **اهتمام الخلفاء والحكام بالعلم:**

حيث ظهر التنافس بين عدد منهم في تشجيع العلماء والأدباء وتقريبهم واحتوائهم، بل عدَّ ذلك بعضهم مصدر افتخار له. ومنهم من أجرى الجرايات على العلماء وبالغ في إكرامهم حتى صنفت كتب لأجل بعضهم[2].

---

(١) ولعل من أبرز أولئك:

- في الحديث وعلومه: أبو بكر أحمد البرقاني، أبو محمد عبدالعزيز الكتاني، أبو عمر يوسف بن عبدالبر.
- وفي القرآن وعلومه وتفسيره: أبوالحسن الواحدي النيسابوري، أبو الحسن الحمامي.
- وفي الفقه وأصوله: أبوالطيب طاهر بن عبدالله الطبري، أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، أبو الحسن الماوردي، أبو يعلى الحنبلي، ابن حزم الظاهري.
- وفي التاريخ: ابن مسكويه.
- وفي الأدب والشعر وعلوم اللغة: أبو منصور عبدالملك النيسابوري الثعالبي صاحب يتيمة الدهر، والشريف الرضي، وأبوالعلاء المعري، وأبو بكر عبدالقاهر الجرجاني.
- وفي تاريخ العقائد وعلم الكلام: أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو منصور عبدالقاهر البغدادي من رؤوس الأشاعرة، والقاضي عبدالجبار رأس المعتزلة، والشيخ المفيد رأس الرافضة، وأبو عبدالرحمن السلمي رأس الصوفية، وأبو القاسم القشيري في الأخلاق والتصوف، وابن سينا في الفلسفة.

ينظر: الحالة العلمية وأثرها على الجانب العقدي في رسالة: جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها، القرن الخامس الهجري، إعداد: علي بن حسين بن يحيى موسى حسن ١/٢٩ - ٣٢ بتصرف.

(٢) ومن أشهر أولئك: الخليفتان: القادر بالله، والقائم بأمر الله، والوزيران: عضد الدولة، وابن عباد.

ينظر: البداية والنهاية ١١/٣٠٩، ٣١٤، ٣٢٠، المبتدأ والخبر ٤/٦٠٦، تاريخ الخلفاء ٣٨٠، ٣٨٥، شذرات الذهب ٣/٢٢٢، ٢٢٦.

- **تعدد المؤسسات التعليمية:**

بعد أن كان المسجد يؤدي عدة مهام من أبرزها التعليم ، أصبح هناك المدارس لتعليم جميع العلوم والفنون ولم يكن لذلك سابقة ، إذ لم تكن المدارس معروفة قبل ذلك. وقد تميزت بالتنظيم والاختصاص وكذلك رسم المناهج ووضع الميزانيات ، كما تنافس القائمون على كل مدرسة في استقطاب أشهر العلماء للتدريس فيها ، والإشراف عليها ، فأدى ذلك دوراً إيجابياً حيث أقبل طلاب العلم عليها واستفادوا منها ، فكان أثر ذلك واضحاً في انتشار العلم وازدهار التعليم.

ومن أشهر تلك المدارس : "المدارس النظامية" التي أسسها الوزير "نظام الملك"[١] في عدد من المدن ، وقد كان أبو المظفر الإسفراييني من القائمين على إحدى تلك المدارس وهي مدرسة "طوس"[٢][٣].

كما كان "أبو المعالي الجويني"[٤] قائماً على مدرسة "نيسابور"[٥].

---

(١) هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الوزير الكبير نظام الملك قوام الدين، كان وزيراً لألب أرسلان وابنه ملكشاه، وكان عاقلاً سائساً خبيراً متديناً محتشماً، عامر المجلس بالقراء والفقهاء، وكان فيه خير وتقوى، أنشأ المدارس النظامية، قتله باطني وهو صائم سنة ٤٨٥هـ.
ينظر: المنتظم ٣٠٢/١٦ – ٣٠٧، سير أعلام النبلاء ٩٤/١٩ – ٩٦، البداية والنهاية ١٤٩/١٢ – ١٥١، طبقات السبكي ٣٠٩/٤ – ٣٢٩، النجوم الزاهرة ١٣٦/٥.

(٢) طوس: إحدى المدن بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، فتحت في أيام عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وبها قبر علي بن موسى الرضى، وبها قبر هارون الرشيد.
ينظر: معجم البلدان ٤٨/٤. ويقول أحد الباحثين: أنها تقع اليوم في إيران واسمها مشهد.
انظر: طبقات المفسرين ٢١٢/١، التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها – رسالة دكتوراه – إعداد: فضل الهادي رزين ١٤٧/١.

(٣) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، طبقات المفسرين ٢١٢/١، الأعلام ١٧٩/٣.

(٤) هو: إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي ركن الدين، تفقه على والده، وجاور بمكة في شبيبته أربعة أعوام، ومن ثم قيل له إمام الحرمين، وكان من الأذكياء، فقيه شافعي صاحب تصانيف، عكرها بعلم الكلام الذي كان رأساً فيه، ولذلك اختلط عليه كثير من المسائل، مما أدى إلى توبته في آخر أيامه من سبل الزيغ الكلامي، توفي سنة ٤٧٨هـ.
ينظر: العبر ٣٣٩/٢، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨، شذرات الذهب ٣٥٨/٣، وفيات الأعيان ٢٠٢/٣، طبقات السبكي ١٣٦/٥ – ١٤٨.

(٥) نيسابور: بفتح النون وسكون الباء، وفتح السين المهملة، وسكون الألف، وضم الباء، وهي إحدى مدن خراسان، ولها أسماء عدة منها: نيسابور أبرشهر، وفتحت في أيام عمر – رضي الله عنه – وسميت =

- **ظهور مراكز ثقافية جديدة:**

فلم تعد المركزية الثقافية منحصرة في عدد من المدن الرئيسة بل أصبح هناك عدد من المدن في جهات مختلفة تنافس المراكز الثقافية القديمة وأصبح الطلاب ييممون وجوههم قِبَلَ تلك المراكز الناشئة الفتية، إذ يوجد بها المدارس والمكتبات الزاخرة بآلاف الكتب في شتى المجالات، وقبل ذلك العلماء والأئمة في كل فن. وخير شاهد على ذلك ما وصل إليه إقليم خراسان من النهضة العلمية، ففاق غيره من الأقاليم حتى أصبح مهوى لأفئدة طلبةالعلم ومقصداً ينهلون من معين علمائه الذين كان جمع منهم أبرز علماء ذلك العصر، مثل: أبي المعالي الجويني والذي كان قائماً على المدرسة النظامية بنيسابور، ودرس بها إلى نهاية حياته[1] - كما سبق -.

وقد كان يتولى التدريس فيها جهابذة العلماء، في فروع العلم المختلفة، فلا غضاضة إذن أن يصفه بعض المؤرخين أنه من أكبر الأقاليم علماً[2].

- **انتشار المكتبات ودور الكتب:**

شهد هذا العصر انتشاراً للمكتبات العامة التي يؤمها الناس على اختلاف مستوياتهم إلى جانب بعض المكتبات السابقة لمكتبة بيت الحكمة أو دار الحكمة، ومن أشهر المكتبات والدور التي ظهرت في ذلك العصر:

- خزانة سابور ببغداد: وكانت تسمى "دار العلم" وكانت قد زودت بما يربو على عشرة آلاف كتاب في مختلف العلوم، وبقيت سبعين سنة حتى احترقت سنة ٤٥٠هـ[3].

= بنيسابور لأن سابور لما رآها قال: يصلح أن يكون هاهنا مدينة، وكانت قصباً فأمر بقطع القصب، وأن يبنى مدينة فقيل نيسابور، وهي أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات.

ينظر: معجم البلدان ٣٨٢/٥ - ٣٨٤، واللباب في تهذيب الأنساب ٣٤١/٣، والروض المعطار في أخبار الأقطار ص ٥٨٨، آثار البلاد وأخبار العباد ٤٧٣.

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري ص ٢١٤، سير أعلام النبلاء ٥٠٧/١١، منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة، د/ أحمد آل عبداللطيف ص ٣٩.

(٢) ينظر: أحسن التقاسيم ص ٢٩٤، ٣٢٢، ٣٣٤.

(٣) ينظر: الكامل ٧٩١/٧، البداية والنهاية ١٦/١٢، المنتظم ٢٢/٨.

- دار الكتب بخراسان: وكانت عديمة المثل لما فيها من الكتب في كل فن ثم أحرِقت بعد ذلك[١].
- مكتبة قرطبة[٢]: وقد كان عهد المستنصر بالله[٣] أزهي عصورها حيث كان له وكلاء في البلاد الإسلامية انتدبهم لتزويد المكتبة بكل ما هو جديد[٤].
- دار العلم في مصر: أنشأها الحاكم بأمر الله[٥] العبيدي سنة ٤٠٠هـ وقد عدت من أعظم خزائن الكتب في العالم الإسلامي لما تحويه من الكتب منها ما هو غاية في النفاسة[٦].

ولعل من نافلة القول هنا أن أذكر الدَّوْر الذي أدّته تلك المكتبات والدور في نهضة ذلك العصر العلمية.

بقي الإشارة إلى أن أبرز آثار ذلك الازدهار والتطور العلمي بروز أعلام وأئمة كبار حازوا قصب السبق في مختلف العلوم: كالقرآن وتفسيره، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وفي العقائد وعلم الكلام، إضافة إلى التاريخ وعلوم اللغة بأنواعها، ولايزال تراثهم العلمي مصدر إعجاب وإكبار وشاهداً على ما وصل إليه أولئك الأعلام وما بذلوه في تحصيله.

---

(١) ينظر: شذرات الذهب ٢٣٥/٣.

(٢) قرطبة: من أعظم مدن الأندلس، ومستقر خلافة الأمويين بها، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة.

ينظر: معجم البلدان ٣٦٨/٤ - ٣٦٩، مراصد الاطلاع ١٠٧٨/٣، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٥٦ - ٤٥٩.

(٣) المستنصر بالله، أبو مروان، الحكم بن الناصر لدين الله، الأموي، الملقب بأمير المؤمنين في الأندلس، كان عالماً بالفقه، والخلاف، والتاريخ، توفي بقرطبة مفلوجاً سنة ٣٦٦هـ.

ينظر: الكامل ٨٣/٧، وفيات الأعيان ٢٢٩/٥، العبر ١٢٤/٢، الأعلام ٢٦٧/٢، البداية والنهاية ٢٨٥/١١، شذرات الذهب ٥٥/٣ - ٥٦.

(٤) ينظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ٣٥ - ٤٠.

(٥) الحاكم بأمر الله منصور بن عبدالعزيز بن نزار بن المعز العبيدي، صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب، كان خبيث النفس، مُتلون الاعتقاد، اغتيل فمات.

ينظر: شذرات الذهب ١٩٢/٣، العبر ٢١٩/٢، الكامل ٣٠٤/٧.

(٦) ينظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ٣٥ - ٤٠.

ومن الآثار أيضاً التوسع في التأليف باللغة الفارسية، ففي التفسير مثلاً يعد هذا العصر من أهم المراحل في التفسير باللغة الفارسية[١]، حيث ازدهر ودخل طور التوسع والعمق والشمولية في التأليف[٢].

وكان أبو المظفر ممن أسهم في هذا الجانب - كما سيأتي - .

الحالة الدينية:

الحديث عن الحالة الدينية لعصر المؤلف له أهميته النابعة من ارتباطه الوثيق بموضوع الكتاب.

وغني عن الذكر أن نشير إلى مدى العلاقة والترابط بين كل من الحالة السياسية والدينية من جهة، والحالة العلمية والدينية من جهة أخرى. وإن كانت الأولى أكثر وضوحاً وتأثيراً.

فالتوجه السياسي يخدم - ولا شك - المعتقد الذي ينتهي إليه ويتبناه فيكون تأثيره على حياة المجتمع الدينية بالغاً، وما فتنة القول بخلق القرآن إلا مثال صارخ يؤكد ذلك ويؤيده. وأكبر من ذلك ما حصل من حكام وسلاطين الدولة العبيدية الباطنية، والبويهية الرافضية، وما تبع ذلك من آثار خطيرة.

وكذلك الحالة العلمية لها دور فاعل في انتشار مذهب ما والدعوة إليه واقتناع الناس به وهذا يمس لب حياتهم الدينية.

أما الحالة الدينية في الحقبة الزمنية التي نحن بصدد الحديث عنها فلم تكن سوى حلقة من حلقات الافتراق والصراع بين الفرق الإسلامية، بل شهدت اشتداداً لعود بعضها وصلابته.

ولعلي أكتفي ببعض الإشارات إلى أبرز فرق ذلك الزمن وهي:

---

(١) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/٧٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/٧٩.

١ - الشيعـــة:

قـوي التيـار الشـيعي الرافضـي في القـرن الرابـع والنصـف الأول مـن القـرن الخامس، وبسـط سيطرته علـى أنحاء من العـالم الإسـلامي، حتى إنـه بالإمكـان أن يوسم ذلك العصر بعصر سيطرة الشيعة، ولم يكن ذلـك ليتحقـق لـولا وجـود الدعـم السياسي المتمثـل في الدولـة البويهيـة في عصـر نفوذهـا (٣٣٤ - ٤٤٧هـ)، فجـاهروا ببدعهم في البلاد التي تسلطوا عليها[١]، بل وأرغموا النـاس عليها، فتسبب ذلـك في إحداث كثير من الفتن والوقائع مع أهل السنة، بل وامتد نشاطهم إلى الناحية العلمية فوجدت لهـم المراكز العلمية[٢]. وقد سار مع هـذا التيار جنباً إلى جنب تيار آخـر، يشترك معه في الانتساب إلى شجرة التشيع الخبيثة، وهـو التيار الشيعي البـاطني على اختلاف مظاهره[٣]، إلا أن الدولة العبيديـة الفاطمية هـي الأكثر ظـهوراً علـى مسـرح الأحداث، حيث امتد نفوذهم على بلاد المغرب ومصر والشـام وكذلـك لم تسـلم منهم بلاد الحجاز واليمـن، كمـا نشـط دعاتـهم في بـلاد المشرق لترويج مذهبهم، وقد عـانت الأمة من شرهم وفسادهم وتحالفهم مع الأعداء ضد المسلمين والدولة العباسية![٤].

٢ - الفرق الكلامية، وكان من أبرزها:

أ - **المعتزلة**: كان الضعف قد دبَّ إلى المعتزلة منذ القرن الرابـع الهجـري بعـد أن كـانت لهـم الصولـة والجولـة في القـرن الثـالث الهجـري بدعـم السـلطة، وكـان القــرن

---

(١) ومن ذلك: احتفالهم بعيد غدير خم في العاشر من ذي الحجة، وكنياحتهم على الحسين في العاشر من محرم، وسب الصحابة، ولعن بعضهم.
ينظر: البداية والنهاية ٢٧٦/١١ - ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٥، تاريخ الخلفاء ٣٧٠، تاريخ الإسلام ٣٧/٣ - ٦٣.

(٢) وكذلك وجد في هذا العصر عدد من أئمتهم وأعلامهم ومن أشهرهم: الشيخ المفيد المعروف بابن المعلم والذي يعد عالم الرافضة في عصره، توفي سنة ٤١٣هـ.

(٣) ويشمل: الإسماعيلية، والقرامطة، والدروز، والنصيرية.

(٤) يقول شيخ الإسلام معبراً عن ذلك: "وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين" الفتاوى ١٤٩/٣٥.
وينظر: المرجع السابق ١٤٠/٣٥، ٤٨٦/٢٧ - ٤٨٧، ١٨/٤، تاريخ الإسلام ٢٠٢/٣.

الخامس امتداداً لمسيرة الضعف إلا أن أتباعها كانوا موجودين لم تَخْبُ نارهم، وإن ذوت جذوتها بل إن هذا العصر شهد تطوراً ونشاطاً في التأليف وذلك على يد رأس من رؤوسهم وهو القاضي عبدالجبار الهمذاني[١]. الذي اكتسب أهميته من زاويتين: فهو يمثل الحلقة الأخيرة من الاعتزال الخالص قبل ذوبانه في غيره حتى إن التأريخ لفكر المعتزلة وأهم رجالها ينتهي عادة به[٢].

إضافة إلى أن كتبه تعدُّ عمدة في بيان مذهبهم حتى اليوم إذ هو الوحيد ـ دون سائر المعتزلة ـ الذي وصلت كتبه إلينا[٣].

ب ـ الأشاعرة: ساهم ضعف المعتزلة في ارتفاع أسهم ورواج المذهب الأشعري وانتشاره، خاصة بعد أن وجد الدعم من بعض السلاطين الذين تبنوه ونافحوا عنه وأنشأوا له المدارس النظامية[٤]، كما كان لتبني المذهب ونشره من قبل أئمة وأعلام من ذوي الشهرة والصيت دور في اقتناع الناس به واعتناقهم له[٥].

فلا غرو إذن أن يعد هذا العصر ضمن العصور الذهبية لهذا المذهب لجمعه عدداً من رؤوس وأئمة المذهب، الذين كان لهم تأثير كبير عليه. ولعل من أبرز مظاهر التطور والتأثير التي قاموا بها في هذا العصر ما يلي:

---

(١) هو القاضي عبدالجبار الهمداني الأسد آبادي، أبو الحسن الهمداني، تلقبه المعتزلة قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، من أئمة المعتزلة، كان شافعياً على مذهب الأشاعرة ثم تحول إلى الاعتزال، له مؤلفات تشكل أهمية كبرى في الفكر الاعتزالي منها: المغني، شرح الأصول الخمسة، دلائل النبوة، طبقات المعتزلة وغيرها، توفي سنة ٤١٥هـ.

ينظر: تاريخ بغداد ١١٣/١١، لسان الميزان (٣٨٦/٣ - ٤١٣)، السير ٢٤٤/١٧، شذرات الذهب ٢٠٢/٣، طبقات السبكي ٢١٩/٣ - ٢٢٠، معجم المؤلفين ٧٨/٥.

(٢) ينظر: في علم الكلام لأحمد صبحي ٣٣٢/١ بتصرف.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٣٣٣/١.

(٤) ومن أولئك: نظام الملك الحسن بن علي الطوسي ت ٤٨٥هـ.

(٥) ومنهم: الباقلاني ٤٠٣هـ، ابن فورك ٤٠٦هـ، البغدادي ٤٢٩هـ، البيهقي ٤٥٨هـ، القشيري ٤٦٥هـ، الجويني ٤٧٨هـ، والغزالي ٥٠٥هـ.

- كاد يستقر عند الناس أن مذهب الأشاعرة هو مذهب أهل السنة والجماعة.
- خدمة المذهب والدفاع عنه وربطه بالمذهب الشافعي في الفقه.
- إدخال التصوف إليه.
- خطا المذهب خطوات نحو الاعتزال والتأصيل الكلامي[1].

جـ - الماتريدية[2]: لم يُكتب لهذا المذهب من الانتشار كما للمذهب الأشعري - رغم ما بينهما من التقارب الكبير[3] - مع أن أتباعه نشطوا في هذا العصر في نشره فحظي بانتشار نسبي في بلاد المشرق كما زادت لحمة الارتباط بينه وبين المذهب الحنفي الذي كان عليه غالب دعاته[4].

د - الكرامية[5]: حظيت هذه الفرقة بشيء في انتشار مذهبها في بلاد سجستان وما جاورها. لكنهم ومع ذلك لم يسلموا من النقد والهجوم من قبل خصومهم من أتباع الفرق الأخرى.

هـ - الخوارج[6]: لم يكن لهم من الدور والتأثير ما لهم في القرون السابقة، أما هذا القرن فقد تمثل وجودهم في طائفة الإباضية التي كان لها أثر في

---

(١) وقد تم على يد كل من: البغدادي والبيهقي والقشيري والجويني.
ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٨٥٠، ٥٩٠، ٥٩٣، ٥٩٥، ٦٢١، عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ١٨٨ - ١٩٠، البيهقي وموقفه من الإلهيات ٥٧ - ٥٨، ٦٢، منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة ٧٥ - ٨٢.

(٢) الماتريدية: نسبة إلى أبي منصور الماتريدي، وهم فرقة مصدرهم في تلقي الإلهيات والنبوات العقل، ولم يثبتوا إلا ثمان صفات، رأوا أن العقل دل عليها دون غيرها، وقد نفوا جميع الصفات الخبرية والاختيارية، ويرون أن الإيمان هو التصديق وبعضهم يضم إليه الإقرار باللسان، ونفوا زيادة الإيمان ونقصانه، وحرموا الاستثناء فيه، ويرون أن المعاصي لا أثر لها على أصل الإيمان.
ينظر: الماتريدية دراسة وتقويماً ص ٤٦٠ - ٤٦٤.

(٣) ينظر: الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات، شمس الدين الأفغاني ١/٤١٤ - ٥٠٠. الماتريدية للحربي ٤٩٤ - ٥٠١.

(٤) ينظر: الماتريدية للأفغاني ١/٢٩٤، الماتريدية للحربي ١١٥ - ١٢٩.

(٥) سيأتي الحديث عنها.

(٦) سيأتي الحديث عنها.

المغرب واستولوا على عُمَان سنة ٤٤٤هـ من يد البويهيين لكن لم تبق في أيديهم إلا بضع سنين[١].

٣ - الصوفيـــة: كانت ثالثة الأثافي التي رميت بها الأمة الإسلامية حيث وجدت في هذا العصر رواجاً في عدة أقطار، وظهرت طرقها وكثر أتباعها وزادت بدعهم التي فتَّت في عضد الأمة وأفسدت دينها وأوهنت عزائمها وتغلغلت أفكارهم حتى وصلت إلى عقائد بعض الفرق الكلامية والمذاهب الفلسفية، كل ذلك امتداداً لما كانت عليه في القرن الرابع حيث وجد في كلا القرنين كبار شيوخهم وأشهر رؤوسهم[٢].

هذه لمحة موجزة لأبرز الفرق وتطوراتها إبان القرن الخامس الهجري، وهي تصوير لما وصل إليه العالم الإسلامي من التفرق والاختلاف الذي كان يعانيه البيت الإسلامي من الداخل، حيث لم تكن هناك راية توحد كلمتهم وتجمع صفوفهم في كثير من الأزمنة، فلا عجب إذن - والحالة الدينية كذلك - أن يكون هذا العصر مسرحاً للنزاع والصراع والتعصب الذي كان يخرج عن حد الألسنة إلى حد الأسنة بين تلك الفرق كالفتن المتتالية التي كانت بين الشيعة وأهل السنة[٣]، وبين الأشاعرة والحنابلة[٤].

غير أن اللافت للنظر هو أن سَوْرَة التعصب تلك لم تتوقف عند هذا الحد بل امتدت إلى المذاهب الفقهية الأربعة، حيث وصل الخلاف بينهم إلى الصراع والصدام الذي قد يؤدي إلى الاشتباك بالسلاح أحياناً، وهو ما يسمى بالتعصب المذهبي. ومن ذلك ما حدث بين الشافعية والأحناف[٥]، وبين الحنابلة والشافعية[٦] بسبب بعض المسائل كالجهر بالبسملة في الصلاة وغيرها. فحمل ذلك البعض على الاستنتاج بأن المذاهب الفقهية تحولت في نهاية القرن الرابع إلى أحزاب سياسية متعادية[٧].

---

(١) ينظر: تدوين علم العقيدة عند أهل السنة للطريف ١/١١٠ - ١١١.

(٢) ومن أولئك: أبو طالب المكي ٣٨٦هـ، أبو عبدالرحمن السلمي ٤١٢هـ، أبو القاسم القشيري ٤٦٥هـ.

(٣) ينظر: البداية والنهاية ١١/٢٨٢ - ٣٠٥، المنتظم ٦/٣٦٣، تاريخ الخلفاء ٣٧٠.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ١٢/٦٦ - ١١٥، الكامل ٨/١٢٤ - ١٢٦، ١٣١، تاريخ الخلفاء ٣٩١.

(٥) ينظر: الكامل ٨/١٧٧.

(٦) ينظر: الكامل ٨/٧٢، تاريخ الخلفاء ٣٥٥.

(٧) ينظر: الزمن العباسي ٢٢٥.

المطلب الثاني

حياتـــه الشخصيـــة

ضنت كتب التراجم على الإمام أبي الظفر الإسفراييني بترجمة وافية تنير ما احتجب عن النور من جوانب حياته، وتعرّف بما تركه من تراث علمي في علوم شتى. في حين حفلت بآخرين من أترابه ممن كانوا أنداداً له في العلم والمعرفة[١].

لذا كان الحديث عنه وعن حياته إحدى العقبات التي تخللت مسالك هذا البحث نظراً لما يكتنف سيرته من غموض، فالمطِّلع على كتابات المترجمين عنه يرى أنها لا تتجاوز البضعة أسطر ينقلها اللاحق عن السابق دون وجود فرق كبير بينها، إضافة إلى كونها قاصرة على ذكر اسمه وكنيته مع إشارة يسيرة إلى عدد ممن سمع منهم أو سمعوا منه. فعبدالغافر الفارسي[٢] يُعدّ من أوائل المترجمين له، ومن أتى بعده فهو إما ناقل عنه معتمد عليه فيما ذكر، أو مقتبس منه.

ومع ذلك لم تخل تراجمه من وجود الاختلاف فيما بينها، وقد كان من الواجب على المتأخرين الذين اعتنوا بكتابه "التبصير في الدين" أن يعتنوا بهذا الجانب المهم - كما كنت أظن - إلا أنهم في الواقع على خلاف ذلك إذ لم يعيروه كبير عناية واهتمام، فأتى حديثهم عنه مقتضباً لا يتجاوز الصفحة ونصف تقريباً[٣] أو الصفحة الواحدة[٤].

---

(١) لذلك يقول أحد المعتنين بكتابه -كمال الحوت- بعد ترجمة يسيرة جداً له: "وللأسف لم نقف على مصادر فيها تفصيل شافٍ لحياة المصنف" التبصير في الدين ص ١٠.

(٢) هو: أبو الحسن عبدالغافر بن إسماعيل بن عبدالغافر بن محمد بن عبدالغافر الفارسي، تفقه على إمام الحرمين، كان فقيهاً محققاً وفصيحاً مفوهاً ومحدثاً مجوداً وأديباً كاملاً، توفي سنة ٥٢٩هـ بنيسابور.

ينظر: طبقات السبكي ٢٥٥/٤، السير ١٦/٢٠ - ١٨. توضيح المشتبه للدمشقي ٩/٧، وفيات الأعيان ٢٢٥/٣.

(٣) ينظر: مقدمة المحقق الكوثري للتبصير في الدين ص ٨ - ١٠.

(٤) ينظر: مقدمة المحقق الحوت للتبصير في الدين ص ٩ - ١٠.

وبالتالي فما كتب في ترجمته لا يمكن أن يعطي تصوراً دقيقاً ورؤية واضحة عنه وعن جوانب حياته الشخصية والعلمية على حد سواء.

من أجل ذلك عمدت إلى جمع تلك المعلومات المقتضبة وضمها إلى أخرى اهتديت إليها من خلال كتبه، كما حاولت الاستفادة مما هو خلف تلك المعلومات والأسطر المجموعة وذلك عن طريق المقارنة والتقدير والاستنتاج[1]. بقي الإشارة هنا إلى أن عدم الاهتمام بالترجمة لأبي المظفر الإسفراييني وقبل ذلك عدم شهرته وذيوع صيته يعود ـ والله أعلم ـ إلى عدة عوامل أهمها:

١ - وجوده في عصر زاخر بأئمة كبار، وأعلام مشاهير في مختلف المذاهب كان لهم أثرهم ومكانتهم، فضلاً عن أن ذلك القرن - الخامس الهجري الذي عاش فيه المؤلف - كان غنياً بوجود أبرز أعلام المذهب الأشعري الذين كانوا من دعاته والمكثرين من التأليف والتصنيف، إضافة إلى أن بعضهم ممن كان له دور في تطوير المذهب. ولو قلنا بأنه اجتمع في هذا القرن من أئمتهم ما لم يجتمع في قرن آخر لما أبعدنا النجعة[2].

٢ - إلقاؤه لعصى الترحال بعد رسوخ قدمه في العلم، حيث توقف عن التنقل بين حواضر العالم الإسلامي ومراكزه العلمية المزدهرة آنذاك، وكما لا يخفى أن

---

(١) وهذه الطريقة تعود إلى أحد مناهج البحث المعروفة وهو المنهج الاستنباطي الذي يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة، لاستنتاج أحكام منها.

ينظر: البحث العلمي د/ عبدالعزيز الربيعة ١٧٨/١، قواعد أساسية في البحث العلمي د/ سعيد صيني ٧٠ - ٧٣. ويمكن إعادتها إلى أحد أساليب المنهج الاستقرائي وهو أسلوب تحليل المحتوى أو تحليل المضمون.

ينظر: مناهج وأساليب البحث العلمي، د/ ربحي عليان، د/ عثمان غنيم ص ٤٨، البحث العلمي مفهومه، أدواته، أساليبه د/ ذوقان عبيدات وزملائه ١٦٥ - ١٧١.

(٢) ومن أولئك الأعلام:

- الباقلاني ٤٠٣هـ. - ابن فورك ٤٠٦هـ. - أبو إسحاق الإسفراييني ٤١٨هـ. - البغدادي ٤٢٩هـ. -

- القشيري ٤٦٥هـ. - البيهقي ٤٥٨هـ. - الجويني ٤٧٨هـ. - الغزالي ٥٠٥هـ.

ينظر الحديث عن غالبية هؤلاء الأعلام ودورهم في تطوير المذهب الأشعري: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٢٦/٢ - ٦٤٤.

التنقل يتيح له التعرف على عدد كبير من علماء عصره إلى جانب تعرفهم عليه. وهذا بلا شك مما يرفع رصيد شهرته وذيوع صيته.

أما ما ذُكر من رحلاته - كما سيأتي - فقد كان ذلك أيام طلبه للعلم والسعي في تحصيله كما هي عادة طلاب العلم في ذلك الوقت.

٣ - عدم حرصه على كثرة التأليف مقارنة بغيره من أعلام عصره وشيوخه، الذين كان الإكثار من التصنيف في فروع العلم المختلفة سمة بارزة من سماتهم. ولعل اهتمامه بالتدريس والفتيا، وانتظامه بالمدارس النظامية في ذلك الوقت وانشغاله بها وقف حائلاً بينه وبين كثرة التصنيف، تماماً كما وقف بينه وبين الارتحال والتنقل.

٤ - أن غالب ما تركه من تراث علمي كتبه باللغة الفارسية، كما جاء ذلك على لسانه[١]. إضافة إلى أن أضخم وأشهر كتبه وهو ما صنفه في التفسير كان باللغة الفارسية - كما سيأتي بيانه - ولم يصل إلينا من كتبه بالعربية إلا كتاب التبصير في الدين، وقد يكون الوحيد!!

اسمه ولقبه وكنيته:

اسمـــــــه:

أبو المظفر الإسفراييني، من الشخصيات العلمية التي وقع الاختلاف في اسمها بين من ترجم له.

إلا أنه يمكن حصر تلك الأقوال بعد سبرها وتقسيمها في قولين:

. الأول: أن اسمه "شاهفور"[٢] أو "شهفور"[٣] واسم أبيه طاهر فيكون اسمه

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) ينظر: تبيين كذب المفتري ٢١١، عارضة الأحوذي ١٠٩/٩، طبقات المفسرين للداودي ٢١٢/١، طبقات ابن الصلاح ٥٥٧/٢، معجم طبقات الحفاظ والمفسرين للسيروان ص ٢٣٧، وقد تبعهم في ذلك الكوثري في تقديمه للتبصير في الدين ص ٩.

(٣) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، طبقات الأسنوي ١٩٧/١، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٥/١، معجم السفر ص ٣١٦، معجم المؤلفين ٣١٠/٣، الأعلام ١٧٩/٣.

"شاهفور أو شهفور بن طاهر". وعلى هذا القول غالب من ترجم له[١].

- الثاني: أن اسمه "طاهر" واسم أبيه "محمد"، واشتهر بلقبه "شاهفور" أو "شهفور".

وبالتالي يكون: "شاهفور طاهر بن محمد الإسفراييني" وقد مال إلى هذا بعض من تكلم عنه أو ترجم له[٢].

وبعد النظر والتدقيق رأيت أن القول الثاني أقرب إلى الصواب والرجحان من القول الأول لعدد من الأدلة والعوامل منها:

١ - ورود اسمه "طاهر بن محمد" ضمن رجال إسناد حديث أبي هريرة: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إني لأستغفر الله في كل يوم مئة مرة"[٣]. الذي أورده الذهبي في ترجمته تأكيداً على أن زاهر الشحّامي[٤] ممن روى عنه، كما روى عنه غيره[٥].

٢ - النص على أن اسمه "طاهر بن محمد" في بعض نسخ الكتاب الخطية، حيث ذكر فيها أنه من تأليف طاهر بن محمد الإسفراييني"[٦].

٣ - الاختلاف والتضارب بين أصحاب القول الأول. فعندما ذكر بعضهم أن اسمه "شاهفور" أو "شهفور" نجده في موضع آخر يذكره باسم "طاهر" موافقاً بهذا أصحاب القول الثاني[٧].

---

(١) ينظر: المراجع السابقة الواردة في الهامش (٢) و(٣) ص ١٦٥، وينظر: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور للفارسي ص ٢٥٣، نيل السائرين في طبقات المفسرين ص ١٠٠.

(٢) نقلاً عن التفاسير باللغة الفارسية ١٤٥/١، ينظر: طبقات السبكي ٦٣/٥، سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، طبقات ابن الصلاح ٥٥٧/٢، طبقات الأسنوي ١٩٨/١، كشف الظنون ٢٦٨/١، ٤٤٢/٢، ١٨٢٠/٢، معجم المؤلفين ٣٨/٥، مقدمة الحوت للتبصير في الدين ص ٩.

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة ٧٠/٥ عن محمد بن عمرو بهذا الإسناد وقال: هذا حديث صحيح. ونحواً منه عند مسلم ٢٧٠٢، وأحمد ٢١١/٤، ٢٦٠، وأبي داود ١٥١٥ من حديث الأغر المزني مرفوعاً.

(٤) سيأتي ترجمته قريباً.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨ - ٤٠٢.

(٦) ينظر: نسخة مكتبة الفاتح بتركيا ص ١، نسخة مكتبة الاسكوريال ص ٨٥، دليل المخطوطات العربية ص ٦١.

(٧) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، ٦٣/٥، طبقات ابن الصلاح ٥٥٧/٢، طبقات الأسنوي ١٩٧/١، ١١٨/١، كشف الظنون ٢٦٨/١، ٤٤٢/٢، ١٨٢/٢، ٣٤٠/١، معجم المؤلفين ٣١٠/٣، ٣٨/٥.

ولا شك أن هذا التضارب يضعف من قوة هذا القول ويقلل من احتمال صحته.

٤ - أن أولى الطرق عند التعارض بين أمرين أو رأيين هو الجمع بينهما متى ما أمكن الجمع، والجمع بينهما أولى من ردّ أحدهما. والقول الثاني فيه جمع وتقريب كما هو ظاهر.

وبناء على ما سبق يكون اسمه: "طاهر" واسم أبيه "محمد"، أما جده فلم يذكره أحد ممن ترجم له، عدا السبكي[١] في ترجمة ابن المؤلف حيث قال: "عبدالله بن طاهر بن محمد بن شهفور"[٢].

لقبـــــه:

لقب المؤلف بـ"شاهفور" وقد اشتهر بهذا اللقب حتى كاد أن يطغى على اسمه، لذا نجد أن كثيراً ممن ترجم له توهم أن اسمه "شاهفور" - كما مر معنا - وما ذلك إلا لشهرة لقبه هذا. وهو في الأصل كلمة فارسية مركبة من كلمتين "شاه" و"بور". فكلمة "شاه": يراد بها الملك، وعلى ذلك قولهم: "شاهنشاه" يراد به ملك الملوك[٣].

وقيل: ملك الفرس[٤]، أو الملك في إيران[٥].

وفي معجم المعربات الفارسية: "يقال أنها معربة عن "شيخ" العربية"[٦].

وكلمة "بور": يراد بها "ابن"، فيكون معنى "شاهبور" ابن الملك[٧].

---

(١) هو عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، تاج الدين المشهور بالتاج السبكي أو بابن السبكي، أبو نصر، فقيه مؤرخ من أعلام الشافعية، أشعري المذهب. ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ، ومات بدمشق سنة ٧٧١هـ.

ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة ١٤٠/٣ - ١٤٣، حسن المحاضرة ٣٢٨/١ - ٣٢٩، البدر الطالع ٤١٠/١ - ٤١١، الدرر الكامنة ٤٢٥/٢، الأعلام ١٨٤/٤.

(٢) طبقات السبكي ٦٣/٥.

(٣) لسان العرب ٥١١/١٣.

(٤) ينظر: معجم الكافي لمحمد باشا ص ٨٥٠.

(٥) ينظر: معجم الأداء، لأمل عبدالعزيز محمود ص ٣١٥.

(٦) معجم المعربات الفارسية منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، د/ محمد التونجي ص ١١٥.

(٧) ينظر: المرجع السابق ص ١١٥، ص ١٠٠.

لكنـها عربـت فـأصبحت "شـاهفور"[١]، وقـد تركـها بعضـهم علـى أصلـها "شاهبور"[٢]، لكن هذه اللفظة تلاعبت بها أيدي النسـاخ فقرئـت بأوجه مغايرة حتى ضبطها بعضها "شاهنور" بالنون، وآخرون "شاهقور" بالقاف وكل ذلك بعيـد[٣]، ومـا من شك في أن هذه الألقـاب تعطي دلالة على المنزلة الرفيعة والمكانة العالية له بـين العلماء، إلا أن لقبه الأول ليس في تراجمه ما يدل عليـه، فيبقى سبب تلقيبه به أمراً مجهولاً.

كنيتـــــــه:

مع وجود الخـلاف في اسم المؤلـف بـين المترجمين، إلا أننا نجد في مقابل هـذا إجماعهم على أنه يُكنى "بأبي المظفر" دون خلاف بينهم في هذا.

وقد اشتهر بها المؤلـف لدرجة أن جميع مترجميه لم يهملوها أبداً يستوي في ذلك المتقدمين منهم والمتأخرين[٤].

لذلك نجد أشهر ما عرف بـه المؤلـف كنيتـه ونسبته إلى بلده فـهو معـروف بـأبي المظفر الإسفراييني. ولا يعرف له ابن بهذا الاسم - المظفر - مع وجـود تراجـم لبعـض أبنائه.

نسبتــــــه:

كان مما يميز العصر الذي عاش فيه أبو المظفر انتساب العلماء والأدباء إلى البـلاد الـتي أقاموا فيها أو رحلوا إليها في طلب العلم، أو كانت ولادتهم أو وفاتهم بها[٥].

---

(١) أشار إلى هذا الكوثري في تقديمه للتبصير في الدين ص ٩.

(٢) ينظر: عارضة الأحوذي ١٠٩/٩.

(٣) ينظر: مداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م لفكري جرار. وسبب بُعد هـذا، أنه نُسِبَ هذا الضبطُ لابن عسـاكر في تبيين كذب المفتري، وبالرجوع للتبيين ص ٢١١ وجد أن ضبطها "شاهفور" بالفاء لا بالنون، وينظر: هدية العارفين ٤٣٠/٥.

(٤) ينظر: مراجع ترجمته السابقة.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي للسباعي بيومي ص ١٦، ١٧، بتصرف.

فظهرت لأجل ذلك النسبة إلى الأقاليم والبلدان إلى جانب النسبة إلى المذاهب الفقهية، وذلك بعد أن كانت النسبة إلى القبائل والأصول.

وقد جمع أبو المظفر بين ذلك فنجد له أكثر من نسبة، ومن أبرز ما نسب إليه المؤلف ما يلي:

١ - الإسفراييني:

وهي أشهر نسب المؤلف على الإطلاق، حيث ذكرها جميع من ترجم له.

و"الإسْفَرايِيني" بكسر الألف، وسكون السين المهملة، وفتح الفاء والراء، وكسر الياء الأولى، ثم ياء ثانية، بعدها نون مكسورة، ثم ياء مشددة، وعلى هذا غالب من ترجم له[١].

وذلك نسبة إلى بلدة "إسفرايين" بكسر الهمزة[٢]، ومنهم من جعلها "أسفرايين" بفتح الهمزة[٣].

وليس هذا هو الخلاف الوحيد في ضبط اسم هذه البلدة، فمن العلماء من سماها "إسْفَرَاين" بياء واحدة، وجعل النسبة إليها "الإسفرايني"[٤].

ومنهم من سماها "إسفرائين" بإبدال الياء الأولى همزة، وبناء عليه جاءت النسبة إليها "الإسفرائيني"[٥].

"وأسفرايين": منطقة جميلة حصينة من نواحي "نيسابور" على منتصف الطريق من جرجان[٦][٧].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، طبقات ابن الصلاح ٥٥٧/٢، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٥/١، معجم المؤلفين ٣١٠/٣، ٣٨/٥، الأعلام ١٧٩/٣، طبقات ابن هداية الله ١٣٩.

(٢) ينظر: الأنساب ٢٢٥/١.

(٣) ينظر: معجم البلدان للحموي ١٧٧/١، مراصد الاطلاع ٧٣/١، آثار البلاد ٢٩٥.

(٤) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، ٦٣/٥، طبقات الأسنوي ١٩٧/١، طبقات المفسرين ٢١٢/١، كشف الظنون ٢٦٨/١، ٢٤٠/١، وفيات الأعيان ٧٤/١.

(٥) ينظر: شذرات الذهب ٢٠٩/٣، كشف الظنون ٤٤٠/١، ١٨٢٠/٢.

(٦) جرجان: قصبة خوارزم، وهي مدينة عظيمة إلى الجنوب من جبال القوقاز. فتحها المسلمون في القرن الثالث الهجري، ومن ثم غزاها المغول والأتراك والفرس وضمتها روسيا إلى أراضيها عام ١٨٠١م ثم استقلت عام ١٩١٨م.

ينظر: معجم البلدان ١٤٢/٢، وفيات الأعيان ١٧٤/٥، موسوعة المورد ٢٠٧/٤.

(٧) معجم البلدان ١٧٧/١، وينظر: مراصد الاطلاع ٧٣/١، آثار البلاد ص ٢٩٥، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٦٩٠/٢، ٦٩٣، ٦٩٤، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٧، بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٤.

وقد اشتهرت بجمالها وصفاء هوائها وعذوبة مياهها، وكثرة الخضرة المحيطة بها، حتى شبهت بعروس يعجز عن وصفها أرباب البيان[١].

واسمها القديم "مهْرَجان" سماها بذلك بعض ملوك الفرس لخضرتها وجمالها ونضارتها، ومهرجان قرية من أعمالها، وقيل: لأن المهرجان أطيب أوقات الفصول[٢].

وقد ذكر بعضهم[٣]: أن "إسفرايين" أصلها "إسبرايين" بالباء الموحدة و"إسبر" بالفارسية الترس، و"أبين" هو العادة، فكأنهم عرفوا قديماً بحمل التراس فسميت مدينتهم بذلك.

وقيل: بناها "إسفنديار" فسميت به، ثم غيّر لتطاول الأيام.. [٤]

وأنشد بعضهم يتشوق إليها وإلى أهلها:

سقى الله في أرض إسفرايين عصبتي ... فمـا تنتـهي العليـاء إلا إليـهم

وجربـت كـل النـاس بعـد فراقـهم ... فما ازددتُ إلا فَـرطَ ضَـن عليـهم[٥]

ولا تزال هذه البلدة تحمل الاسم نفسه، وتقع الآن في إقليم "خراسان" من إيران[٦].

وفي الصفحة التالية خريطة لإيران، تبين موقع إسفرايين في إقليم خراسان.

ونسبته - أي المؤلف - "لإسفرايين" إما لكونه من أهلها أو لأن ولادته كانت بها. إلا أن الأقرب أنه يُعدّ من أهلها، كما يوحي بذلك كلام بعض من ترجم لأحد أبنائه[٧]. أما ولادته فلا يعرف مكانها كما سيأتي.

---

(١) ينظر: كتاب "لباب الإعراب لتاج الدين الإسفراييني" تحقيق بهاء الدين عبدالرحمن - رسالة ماجستير - ص ٢.

(٢) ينظر: الأنساب ٢٢٥/١، معجم البلدان ١٧٧/١، صبح الأعشى ٣٩١/٤.

(٣) هو: أبو القاسم البيهقي.

(٤) معجم البلدان ١٧٧/١.

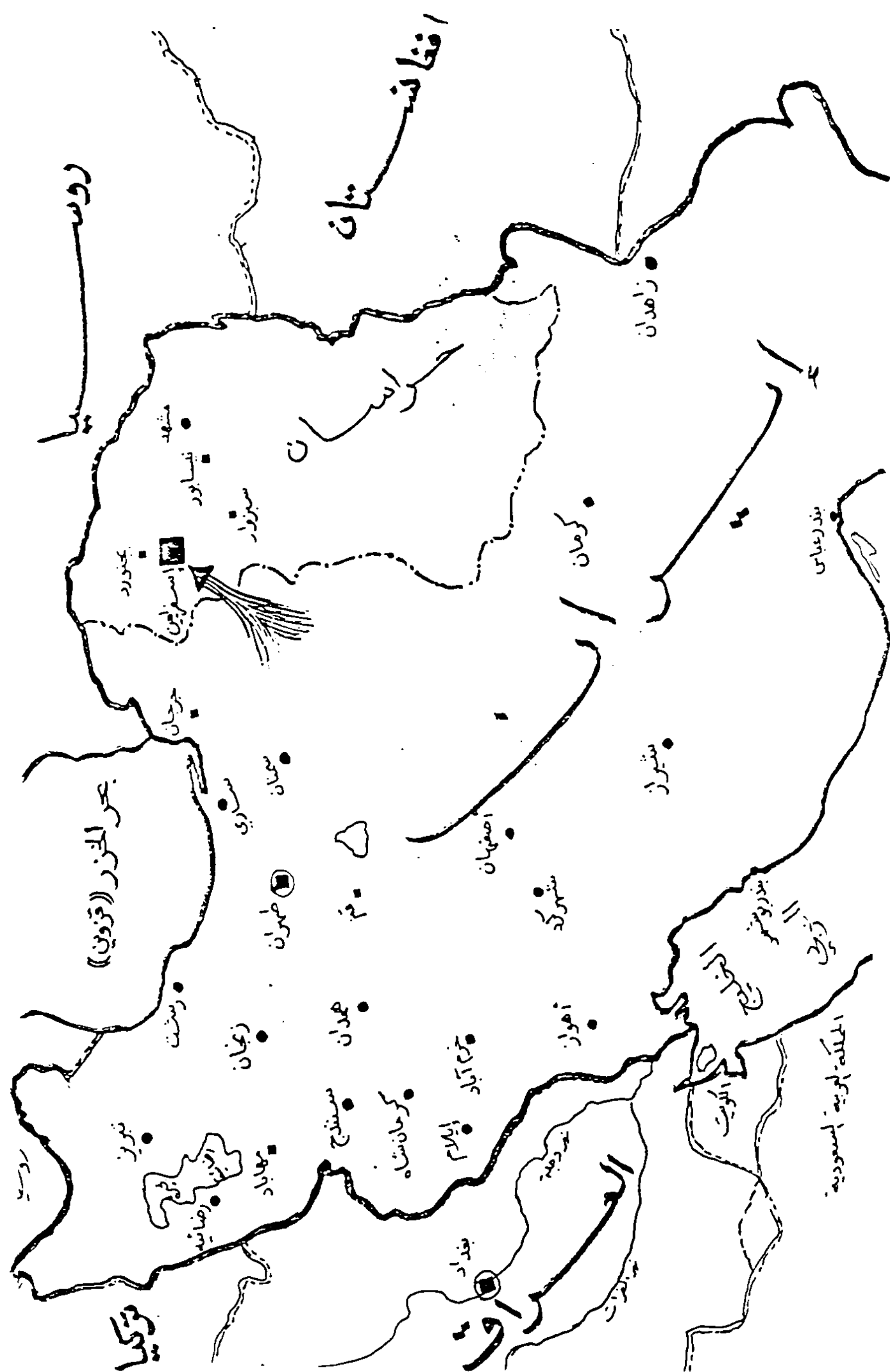
(٥) ينظر: المرجع السابق ١٧٧/١، وقد نسبها إلى أبي الحسن علي بن نصر القندوجي.

(٦) وذلك بمنطقة "ميان آباد" بين مدينتي "سبزوار" و"بجنورد"، وتبعد عن عاصمة الإقليم "مشهد" غرباً مسافة ٣٠٥كم.

ينظر: كتاب "لباب الإعراب" ص ٤ بتصرف يسير.

(٧) ينظر: طبقات السبكي ٦٣/٥ في ترجمة ابنه "عبدالله".

خريطة إيران


روسيا
أفغانستان
خراسان
إيران
العراق
تركيا
بحر الخزر (قزوين)
مشهد
نيسابور
سبزوار
بجنورد
اسفراين
جرجان
سمنان
ساري
طهران
قم
أصفهان
شيراز
كرمان
زاهدان
بندر عباس
بندر بوشهر
شهركرد
الأهواز
همدان
زنجان
رشت
تبريز
مهاباد
سنندج
كرمانشاه
خرم آباد
إيلام
بغداد
الكويت
الخليج العربي
المملكة العربية السعودية

٢ ـ الشافعي:

وقد نسب أيضاً إلى الإمام الشافعي، لانتسابه إلى مذهبه حيث كان شافعي المذهب في الفقه، كما هو حال كثير من شيوخه الذين تلقى عنهم.

يؤكد ذلك ويؤيده أن جمعاً من مصنفي كتب طبقات الشافعية يذكرونه ضمن علماء مذهبهم[١].

وقد نص على هذه النسبة جمع ممن ترجم له[٢].

أما تأكيد ذلك من خلال كتبه فقد يكون صعباً لعدم وجود كتب فقهية له يمكن من خلالها التأكد من ذلك.

لكننا نجد المؤلف في كتابه "تاج التراجم" في التفسير يكتفي في كثير من المواضع بذكر الحكم الفقهي المستنبط من الآية وفقاً للمذهب الشافعي دون التعرض إلى بقية المذاهب[٣].

ومن ذلك ما جاء في تفسير البسملة حيث يقول: "واعلم أن "بسم الله الرحمن الرحيم" آية من أول كل سورة كتبت في بدايتها، كما أنها آية من فاتحة الكتاب ويجب قراءتها مع بقية آيات الفاتحة في كل ركعة من الصلاة، هذا هو مذهب الشافعي. ويجب قراءتها جهراً كما تقرأ الفاتحة"[٤].

٣ ـ الطوسي:

نسبة إلى مدينة "طوس" لانتقاله إليها، وإقامته بها سنين عديدة في آخر حياته، وذلك بعد أن ارتبطه نظام الملك بطوس، فأقام ودرَّس بها سنين في العلوم، وأفاد الكثير واستفاد الناس منه[٥]، واستمر فيها حتى توفي بها[٦].

---

(١) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٥/١ - ٢٤٦، طبقات الأسنوي ١٩٧/١.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، طبقات المفسرين ٢١٢/١، كشف الظنون ٤٤٢/١، ٣٤٠/١، معجم المؤلفين ٣٨/٥، معجم المفسرين ٢٢٧/١، الأعلام ١٧٩/٣.

(٣) التفاسير باللغة الفارسية ١٦٥/١.

(٤) نقلاً عن المرجع السابق ١٦٥/١.

(٥) ينظر: طبقات المفسرين ٢١٢/١.

(٦) صرح بذلك عدد ممن ترجم له، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، طبقات المفسرين ٢١٣/١، طبقات الأسنوي ١٩٧/١.

٤ - التميمـــــــي:

وذلك نسبة إلى قبيلة "تميم"[١] وهي من القبائل العربية المشهورة، وقد جاءت هذه النسبة على لسان السبكي في ترجمة ابنه "عبدالله"[٢]. وبناءً على ذلك يرد هذا السؤال:

هل يعد المؤلف عربيّاً من تميم، أم أن نسبته إليها عن طريق الولاء؟

الأقرب - والله أعلم - أنه عربي الأصل، لمصاهرته لشيخه البغدادي العربي الأصل[٣]، الذي عرف عنه سخريته من نسب بعض زعماء الفرق بأنهم من أبناء السبايا ومن ذلك قوله: "وما ظهرت البدع والضلالات في الأديان إلا من أبناء السبايا"[٤].

وقد جاء مثل ذلك على لسان الإسفراييني أيضاً حيث يقول عن أحد زعماء المعتزلة: "وكان من مواليهم لا من نسبهم"[٥]، وقال عنه أيضاً: "لأنه كان من أولاد السبايا"[٦]، وكذلك قال عن الجاحظ: "ولو كان عربياً لما صنف كتابه في فضل الموالي على العرب"[٧]، وأمثلة ذلك كثيرة[٨].

كما أيد عروبة أبي المظفر وعروبة أسرته صاحب كتاب "عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية". حيث ذكر منهم "ابن شاهفور الإسفراييني" ـ عبدالله ـ وقال إنه عربي من بني تميم[٩].

ولعل مما يؤيد هذا أن هناك أعداداً كبيرة من العرب استقروا بخراسان، وانخرط كثير منهم في المجتمع وتكيفوا معه[١٠].

---

(١) تميم: قبيلة من قبائل العرب تنسب إلى: تميم بن مرٍّ بن أدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.
ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٢٢٢/١، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ص ٣١، ولسان العرب ٧١/١٢.

(٢) ينظر: طبقات السبكي ٦٣/٥.

(٣) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ٢١.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٢١، وينظر مثل ذلك ص ١٢٠، ١٢٢.

(٥) التبصير في الدين ص ٧٩.

(٦) المرجع السابق ص ٨٠.

(٧) المرجع السابق ص ٨٢.

(٨) ينظر: المرجع السابق ص ٨٢.

(٩) عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية، د/ ناجر معروف ٢٨٨/١.

(١٠) ينظر: ديوان الأبيوردي تحقيق: د/ عمر الأسعد ٤٤/١ - ٤٦.

كما أن لليعقوبي كلاماً يؤكد هذا حيث ذكر بعض البلدان الأعجمية وما فيها من العرب ومنها "طوس" قال أن بها عجماً وعرباً من الأزد وتميم ثم قال بعد ذلك: "وفي جميع خراسان قوم من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن"(١).

٥ ـ الأصبهاني:

نسبة إلى "أصبهان"(٢)، وقد تفرد بذكرها صاحب عارضة الأحوذي(٣)، ولعل هذا تصحيف أو سقط وقع في الكتاب لأن الموجود في بعض نسخ الكتاب يدل على خلافه، كما بُيّن ذلك في الهامش(٤).

ولادته ونشأته:

لم يلتزم غالب من ألف في التراجم والطبقات بذكر ولادة كثير من العلماء - رغم أهميتها - وذلك "لأن جمهرة كثيرة من العلماء لم تعرف سنو ولادتهم، فأما بعد أن صاروا علماء وصار لهم الذكر النابه فقلما يجهل تاريخ وفاتهم"(٥).

ولعل هذا هو السبب في تأليف جمع منهم على الوفيات(٦).

وأبو المظفر الإسفراييني ممن لم تشر كتب التراجم التي تناولت ترجمته إلى سنة مولده(٧).

---

(١) ينظر: المرجع السابق ٤٧/١ – ٤٨.

(٢) أصبهان: بفتح الهمزة وكسرها، وهي مدينة عظيمة مشهورة، من أعلام المدن، فتحت في عهد عمر بن الخطاب عام ١٩هـ، وهي اسم للإقليم بأسره، من نواحي الجبل، وهي الآن تقع في إيران.
ينظر: معجم البلدان ٢٤٤/١٠ – ٢٤٩، مراصد الاطلاع ٨٧/١، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٣.

(٣) ينظر: كلام ابن العربي في عارضة الأحوذي ١٠٩/٩ – ١١٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١١٠/٩.

(٥) من كلام الأستاذ/ محمد محي الدين عبدالحميد – رحمه الله – في مقدمة تحقيقه لكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ١١/١.

(٦) وذلك مثل: – الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي، وفيات الأعيان لابن خلكان، الوافي بالوفيات للصفدي، فوات الوفيات للكتبي.

(٧) "لذكر سنة الولادة – التي يهملها الكثيرون حتى على وجه الكتاب: أهمية تقارب أهمية معرفة الوفاة أو تماثلها في بعض الأحوال، إذ بها تعرف طبقة الرجل، وبمعرفة سنة الولادة وذكرها يعرف حال التلميذ عند تحمله عن شيخه".
صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبدالفتاح أبو غدة، ص ٨.

ولكن بالإمكان تقدير سنة ولادته بالاستنتاج، وذلك بالنظر إلى تاريخ وفاة أسبق شيوخه، وهو الإمام "ابن محمش"[١] الذي سمع منه المؤلف الحديث وحدث عنه، فقد كانت وفاته سنة ٤١٠هـ، وهي السنة التي يكون فيها أبو المظفر يافعاً وقادراً على تحمل الحديث.

ومعلوم أن أول سنّ يصح فيها سماع الصبي هي "خمس سنوات"[٢].

وعليه تكون ولادته قبل سنة ٤١٠هـ بخمس سنوات على أقل تقدير أي سنة ٤٠٥هـ تقريباً.

وعلى احتمال أن أبا المظفر قد بدأ بحفظ القرآن وتعلم اللغة كما هو حال أترابه وجرياً على ما تعود عليه طلاب العلم في ابتداء طلبهم له، فتكون ولادته بين عامي ٤٠٠ - ٤٠٥هـ.

كل ذلك يجعل من الأرجح أن تكون ولادته بين سنتي (٤٠٠ - ٤٠٥هـ)، وقد تكون قبل ذلك بقليل، إذن ولادته إما أن تكون مع استهلالة القرن الخامس الهجري، أو حينما كان القرن الرابع يلفظ أنفاسه الأخيرة.

أما مكان ولادته فلم يصرح به أحد ممن تكلم عنه، بيد أن الأقرب - والله أعلم - أن ولادته كانت بإسفرايين وذلك لأمور:

١ - نسبته إليها، وكون هذه النسبة هي أشهر ما انتسب إليه المؤلف، ولعل السبب في هذه النسبة لولادته بها ولكونه من أهلها.

٢ - لكونه من أهلها كما جاء التأكيد على ذلك في ترجمة ابنه "عبدالله" وأنه من أهل أسْفَراين[٣].

ولا شك أنه مادام من أهلها فإن الأقرب أن ولادته كانت بها خصوصاً إذا عُلِم أن أباه لم يكن من أهل العلم والتنقل إذ لم تشر إليه المصادر ولم تذكر عنه شيئاً ألبتة.

أما نشأته فلم تتحدث عنها كتب التراجم، ولم تشر إلى والديه وفترة صباه بشيء يذكر! وهذا يجعل الحديث عن نشأته أمراً عسيراً. إلا أنه يمكننا من خلال التأمل

---

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث عن شيوخه - إن شاءالله -.

(٢) ينظر: تدريب الراوي ٤١٥/١، الباعث الحثيث ٣٢٣/١ - ٣٢٤.

(٣) طبقات السبكي ٦٣/٥.

فيما جُمِع من كلام بعض من ترجم له أن نتعرف على جانب من جوانب نشأته المتعلق بنشأته العلمية، حيث عُرَف عنه الحرص الشديد على العلم والسفر والترحال في سبيل تحصيله والتزود منه وسماعه. يقول عنه بعضهم: "وسافر في طلب العلم، وحَصَّل الكثير"(١).

كما نص كثيرٌ ممن ترجم له على سماعه للحديث على عدد من العلماء(٢).

ولم يقتصر على ذلك فقط، بل حرص على الاتصال بعلماء عصره، كما فعل مع شيخه البغدادي، فإلى جانب الاستفادة منه ومن علمه، فقد تزوج من ابنته وصار صهراً له(٣).

وهذا فيه دلالة على ما وصل إليه أبو المظفر من درجة عالية في العلم وطلبه، وما لمسه فيه شيوخه من الحرص والاجتهاد، فكانت ثمرة ذلك علاقة التتلمذ والمصاهرة لأحد أعلام عصره وعلماء مذهبه أبي منصور البغدادي، وأثر هذه النشأة منعكس وظاهرة في مصنفاته وتآليفه التي وصل بعضها إلينا، وهي خير شاهد على ذلك.

أسرته:

سبق وأن أشرنا عند الحديث عن نشأة أبي المظفر أن المراجع التي عنيت بالحديث عنه قد التزمت الصمت حيالها، فليس فيها كلام عن أبيه أو عن أيام صباه، ولا عن حال أسرته من الناحية العلمية أو الاجتماعية، فكانت تلك المصادر شحيحة بأخبار أسرته.

إلا أن أبا المظفر استطاع تكوين أسرة صالحة تجعل العلم من أولى اهتماماتها، فجاء أثر تلك التربية على أبنائه فأصبح لهم القدح المعلى في العلم والديانة، إلى جانب المكانة الرفيعة والمنزلة العالية والوجاهة والجاه.

---

(١) طبقات المفسرين ٢١٢/١، وينظر كذلك: طبقات ابن الصلاح ٧٦٠/٢.

(٢) طبقات المفسرين ٢١٢/١، وينظر: طبقات ابن الصلاح ٧٦٠/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٠١/١٢، طبقات السبكي ١١/٥.

(٣) ينظر: المراجع السابقة والصفحات نفسها، بالإضافة إلى: طبقات الأسنوي ١٩٧/١، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٦/١.

ولا غرو في ذلك فقد أحسن أبو المظفر تأسيس بناء أسرته، حيث كان من أعمدة ذلك البناء امرأة من بيت علم وشرف، وابنة أحد الأئمة الكبار وهو شيخه "البغدادي".

"وقد ولد له منها النسل المبارك ومن غيرها"[١]. إذ لم تكن هي زوجته الوحيدة فقط.

أما أبناؤه فـ"كلهم كانوا وجوه أهل بلخ[٢] المشهورين المعروفين بها، المتقدمين من علمائها"[٣].

وإلى جانب اهتمامهم بالعلم وإمامتهم فيه[٤]، فمنهم من كان "له الجاه والمال الكثير والوجاهة الزائدة، والمنزلة الرفيعة والسخاء والجود"[٥].

وقد سلك أحفاده ذلك الطريق الذي خطه لهم جدهم فسار عليه أبناؤه وأحفاده من بعده.

وما من شك في أن أبا المظفر قد مهَّد طريق العلم والرفعة لأبنائه وأحفاده بعد أن كان وعراً موحشاً!

ومن أشهر أبنائه:

١ - الإمام أبو القاسم عبدالله بن طاهر بن محمد.

٢ - الإمام أبو المعالي عبدالقاهر بن طاهر بن محمد.

وقد اهتم بهما مصنفو كتب التراجم، حتى إن بعضهم قد تكلم عن أحدهما وأهمل الكلام عن أبيه[٦].

---

(١) طبقات المفسرين ٢١٢/١ - ٢١٣.

(٢) بَلْخ: من أكبر مدن خراسان، تقع في الناحية الشرقية منها، قريبة من ترمذ، وقد فتحها الأحنف بن قيس في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهي الآن تابعة لأفغانستان..
ينظر: معجم البلدان ٤٧٩/١ - ٤٨٠، مراصد الاطلاع ٢١٧/١، الأنساب للسمعاني ٣٨٨/١ - ٣٨٩.

(٣) طبقات المفسرين ٢١٣/١.

(٤) ينظر: طبقات ابن الصلاح ٥٥٧/٢، طبقات السبكي ٦٣/٥، طبقات ابن كثير ٤٨١/٢، طبقات الأسنوي ١٩٦/١ - ١٩٧.

(٥) طبقات السبكي ٦٣/٥.

(٦) ومن أولئك: ابن كثير في طبقاته ٤٨١/٢، والدكتور/ ناجي معروف في كتابه عروبة العلماء ٢٨٨/١.

وقد تتلمذا على يد أبيهما، وخاضا معه غمار حياته العلمية، واشتركا معه في حمل هم التدريس بالمدارس النظامية وغيرها.

وسيأتي مزيد من البيان عن حياتهما - إن شاءالله - عند الحديث عن تلاميذه.

أما أشهر أحفاده فهو:

١ - أبو المحاسن محمد بن عبدالله بن طاهر بن محمد، وقد كان "ثقة، فاضلاً، مناظراً، واعظاً"[١]. كما أنه "رحل وسمع وحدّث ودرَّس بنظامية "بلخ" بعد وفاة أبيه"[٢].

ومن أحفاده ابن لأبي المعالي عبدالقاهر بن طاهر، لكن لم يُصرح باسمه، ولم يذكر عنه سوى أنه تأخر عن رتبة أبيه في الإمامة ببلخ فقام مقامه غيرُه[٣].

وفاتـــــــه:

إذا كان المترجمون لأبي المظفر لم يشيروا إلى زمن ومكان ولادته، فإن إجماعهم يكاد ينعقد على زمن ومكان وفاته. فقد كانت وفاته بطوس التي انتقل إليها واستقر بها وذلك سنة ٤٧١هـ[٤]. وبعضهم لم يصرح بمكان وفاته[٥]. ولم أجد مخالفاً خالف في ذلك ممن ترجم له أو تحدث عنه.

وقد شهدت هذه السنة موت عدد من العلماء والأعلام[٦]، وعلى هذا يمكن القول بأن الأجل وافاه وعمره بين سنتي (٦٦ و٧١) وذلك على تقدير أن مولده كان

---

(١) طبقات الأسنوي ١/١٩٧.

(٢) طبقات الأسنوي ١/١٩٧.

(٣) ينظر: طبقات ابن الصلاح ٢/٥٥٧ بتصرف.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٤٠١، طبقات المفسرين ١/٢١٣، طبقات الأسنوي ١/١٩٧ - ١٩٨.

(٥) ينظر: طبقات السبكي ٥/١١، طبقات ابن قاضي شهبة ١/٢٤٦، طبقات ابن الصلاح ٢/٧٦٠.

(٦) ينظر: الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي ص ١٩٤ - ١٩٥. الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٣٨ - ٢٣٩، جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها، القرن الخامس الهجري لعلي بن حسين بن يحيى موسى حسن ٢/٦٥٦، ٢/٦٦٥، ٢/٦٩٩.

بين سنتي (٤٠٠ - ٤٠٥هـ) إلا أن احتمال مناهزته للعام الحادي والسبعين من عمره عند موته يظل قائماً وممكناً[١].

(١) ومن العجيب أن محقق كتاب (الغنية في أصول الدين) للمتولي الشافعي ت ٤٧٨هـ أورد دراسة عن أصول الدين قبل شروعه في تحقيق الكتاب، ومما جاء فيها: "قال أبو المظفر الإسفراييني الشافعي في التبصير: قال الإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر مؤرخ الشام الدمشقي المتوفى سنة خمسمائة وإحدى وسبعين في كتابه... إلخ، الغنية في أصول الدين ص ١٥.
ومعلوم أن أبا المظفر - كما سبق - كانت وفاته سنة ٤٧١هـ، أي قبل ولادة ابن عساكر بثمان وعشرين سنة، وذلك سنة ٤٩٩هـ، كما أن بين وفاة كل منهما مائة سنة!! فكيف نقل عنه هذا الكلام؟!!

المطلب الثالث

حياتــه العلميــة

ثقافتــه :

لقد قضى أبو المظفر ردحاً من عمر - ليس باليسير - في طلب العلم والنهل من معينه، فبرز في فنون شتى من العلوم الإسلامية، ومؤلفاته ومنصبه ومكانته شاهدة على سعة اطلاعه وعمق ثقافته وتنوعها.

ولعل في عرضنا لبعض العلوم التي اشتغل بها المؤلف تعلماً وتعليماً ما يكشف لنا التعمق والتأصيل الذي تميزت به ثقافته.

١ - التفسير:

أما التفسير فقد ضرب فيه بحظ وافر وألف فيه تفسيره المشهور الذي يعد من أشهر التفاسير باللغة الفارسية، وتفسيره للقرآن كاملاً بهذه اللغة يدل ـ بلا ريب ـ على رسوخ قدمه في هذا العلم ومعرفة واسعة به. بل إن له في هذا العلم من المكانة ما لم يكن في العلوم الأخرى.

لذا نال من اهتمامه بنصيب الأسد، ومن الملاحظ إلمامه كذلك بالعلوم المتعلقة بهذا الفن كمباحث علوم القرآن، وأصول التفسير، ومن أبرز المباحث التي عرض لها في تفسيره: أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، أسباب اختلاف المفسرين، ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى غير العربية[1].

لكن الدارس لتفسيره "تاج التراجم" يلاحظ "أن الإسفراييني لا يذكر القراءات واختلافات القراء، فجاء تفسيره - مع أهميته - فاقداً لعنصر مهم من العناصر التي تزيد المباحث التفسيرية تنوعاً وإثراءً"[2].

---

(١) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٧٠.

٢ - العقيدة:

أما علم العقيدة وأصول الدين فقد استحوذ على جانب من اهتمامه وأولاه عنايته لدرجة أنه ألف فيه عدة تآليف وصلنا منها كتابان هما: "التبصير في الدين" و"الأوسط"، وكان في ذلك متأثراً بشيخه وأستاذه البغدادي، ولم يقتصر التأثر على الاهتمام بهذا العلم فحسب، بل تعداه إلى طريقته ومنهجه بدرجة كبيرة، عُدَّ معها كتابه اختصاراً لبعض كتب شيخه في هذا العلم - كما سيتضح فيما بعد - فلا غضاضة إذن أن يعرف "ببراعته في علم أصول الدين، وإجادته تدوين صفوة الصفوة من بحوث أستاذه وحميه أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي"[١].

٣ - أصول الفقه:

كما أن من العلوم التي برع فيها علم "أصول الفقه" دل على ذلك أنه صنف في الأصول، كما ذكر ذلك عنه بعض من ترجم له، بل يظهر من كلامهم أنه بلغ فيه مبلغاً عظيماً، لذا نعته كثير منهم "بالأصولي"[٢].

ومع هذا لم يصل إلينا شيء مما صنفه في هذا العلم، فكتبه في هذا الفن تعتبر في حكم المفقود.

٤ - الفقه:

لم يحظ هذا الفن بالعناية من قِبَل أبي المظفر كما حظي غيره من العلوم، ولذا لا نجد ما يدل على أن له مصنفاً فيه - حسب الاطلاع على ما وصلنا - إلا أنه قد يعرض لبعض الأحكام والمسائل الفقهية عند تفسيره لبعض الآيات في تفسيره المشهور، وذلك "وفقاً للمذهب الشافعي دون التعرض إلى بقية المذاهب. كما أن من منهجه عند طرح الأحكام الفقهية عدم الخوض في تفاصيل المسألة، ومراعاة جانب

---

(١) مقدمة التبصير في الدين، بعناية الكوثري ص ١٠.

(٢) ينظر: طبقات الأسنوي ١٩٧/١، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٦/١، طبقات ابن الصلاح ٧٦٠/٢، طبقات السبكي ١١/٥، طبقات المفسرين ٢١٢/١، هدية العارفين ٤٣٠/٥.

الإيجاز والاختصار"[١]. كذلك قد يذكر بعضاً من الآراء الشاذة، والمخالفات في المسائل الفقهية لبعض الفرق التي يتناولها بالحديث كما فعل مع الكرامية وغيرها[٢]، لذا لم يأت نعته بالفقيه إلا على لسان صاحب طبقات المفسرين[٣]. وقبله على لسان السبكي[٤].

٥ ـ الحديث:

اهتم أبو المظفر بهذا الفن في بداية طلبه للعلم، فقد كرَّس جزءاً من وقته في سماعه له وتحمله، والرحلة من أجل هذا الغرض، ومن ثم التحديث به وأدائه.

وقد صرحت كتب التراجم بذكر بعض ممن سمع منهم الحديث وحدث عنهم، وبعض ممن رووا عنه[٥].

فالذهبي[٦] ذكر حديثاً بإسناد كان أبو المظفر أحد رجاله وهو حديث: "إني لأستغفر الله في كل يوم مئة مرة"[٧][٨].

والذي يظهر أن أبا المظفر وإن كان قد اجتهد في طلب هذا الفن في أول أمره إلا أن اهتمامه وبراعته فيه أقل منه في العلوم الأخرى التي برع فيها، كعلم التفسير وعلم أصول الدين وعلم الأصول.

---

(١) التفاسير باللغة الفارسية ١٦٥/١.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١١٦.

(٣) ينظر: طبقات المفسرين ٢١٢/١.

(٤) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، طبقات المفسرين ٢١٢/١، طبقات السبكي ١١/٥، طبقات ابن الصلاح ٧٦٠/٢.

(٦) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني، أبو عبدالله، ولد سنة ٦٧٣هـ، حافظ مؤرخ، علامة، محقق، من تصانيفه: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ، العبر في خبر من غبر وغيرها، توفي سنة ٧٤٨هـ.
ينظر: الوافي بالوفيات ٣٧٠/٢ – ٣٧١، شذرات الذهب ١٥٣/٦، الأعلام ٣٢٦/٥، معجم المؤلفين ٢٨٩/٨.

(٧) سبق تخريج الحديث.

(٨) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨ – ٤٠٢.

يدل على ذلك أنه على الرغم من كثرة الأحاديث الموجودة في تاج التراجم وحتمية رجوع مؤلفه إلى المصادر الحديثية لا يوجد في المجلدات الموجودة من الكتاب أي ذكر لكتاب في الحديث، فنراه يكتفي بعزو الحديث إلى الصحابي الذي رواه، أو يقول: "وفي الحديث أو في الأثر أو مثل هذه الصيغ لدى إيراده لحديث ولا يذكر اسم راويه"[١]، وأمثلة هذا في "التبصير في الدين" كثيرة[٢].

ومع ذلك فهناك أمثلة أخرى تدل على عنايته بهذا العلم وما يتعلق به[٣].

٦ - اللغة:

معلوم أن الاشتغال بالعلوم الإسلامية بأنواعها لابد وأن يكون مبنياً على علم وإلمام باللغة العربية وقواعدها وأساليبها، فهي لغة القرآن، وعلم من علوم الآلة.

والمؤلف وإن لم يكن قد ألَّف في هذا الفن لكنَّ كتبه تنبئ عن إجادته له، فنجد "الاهتمام ببعض المباحث اللغوية في تفسيره ومن أمثلة هذا الاهتمام بالبحث في جذور الكلمات القرآنية واشتقاقاتها، والتتبع لمعاني الكلمات واستخداماتها المتنوعة في اللغة، وعدم إغفاله لبعض الدقائق اللغوية التي لها أثر في توجيه معنى معين للكلمة القرآنية"[٤].

ومن أمثلة ذلك ما جاء في التبصير من الحديث عن معاني "الصمد" في اللغة[٥].

ومما يؤكد حرصه واهتمامه بعلوم اللغة والأدب أنه ذكر في بيان فضائل أهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخر أن لهم القدح المعلى والسهم الأوفر في المعارف

---

(١) التفاسير باللغة الفارسية ١٧٦/١ بتصرف.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٥، ٤١، ٤٢، ٧٦، ٩٢، ٩٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٢ – ١٧٨.

(٣) كقوله عن زعيم فرقة الأبترية من الزيدية الحسن بن صالح بن حيّ: "وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في المسند الصحيح لما أنه لم يعرف منه هذه الخصال فأجراه على ظاهر الحال". التبصير في الدين ص ٢٩.

(٤) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١٧٢/١ – ١٧٣ بتصرف.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ١٦٢.

والعلوم وأنواع الاجتهادات[١]، وأول تلك العلوم التي ذكرها علم اللغة حيث يقول:

"أما العلوم فأولها الرقي في مدارج الفضل والأدب الذي هو ترجمان جميع العلوم، ومعرض جميع الفوائد الفاخرة في الدنيا والآخرة، إذ لا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا بمعرفة الأدب..."[٢].

وقد كان أبو المظفر شاعراً يقول الشعر، وينشده لغيره، ويستشهد به كثيراً في كتبه مما يدل على اهتمام بهذا الجانب، ومما ينسب إليه من الشعر قوله:

ليس الجواد هو البذول لماله ... إن الجواد هو المحقر للندى
من غير شكر يبتغيه بجوده ... كلا ولا مَن بذاك ولا أذى[٣]

ومن شعره ما جاء في إحدى مخطوطات الكتاب، وقد سقطت من المطبوع منه قصيدة في الرد على المعتزلة، ومما جاء فيها قوله:

قل لأناس لقبوا دينهم ... بالعدل والعدل بهم عادل
وكل قول قاله بعضهم ... كفّره منهم به قائل
يا أيها القوم لكم مذهبٌ ... ليس له ما بيننا قابل
هجرتهم مذهب أشياخكم ... وقولكم يهجره العاقل[٤]

ومما أنشده:

أتعجب أن يقال على دين ... وقد ذهب الطريف مع التلاد
ملأت يدي من الدنيا مرار ... فما طمع العواذل في اقتصاد
ولا وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد[٥]

---

(١) ينظر: المرجع السابق ١٨٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٨٧.

(٣) ينظر: طبقات المفسرين ٢١٣/١، نقله من ذيل تاريخ نيسابور الفارسي.

(٤) ينظر: مخطوطة مكتبة الأسكوريال ص ٣٥، وبها باقي القصيدة، لكنها لم تخل من الأخطاء في وزن الأبيات وكتابتها - كما يظهر - ولعل ذلك راجع إلى ناسخها!.

(٥) ينظر: طبقات المفسرين ٢١٣/١، وقال قبل ذلك: أنشدنا هلال بن العلاء.

أما استشهاده بالشعر في كتبه فكثير[١].

وتجدر الإشارة إلى تمكنه من ناصية اللغتين العربية والفارسية، وتأليفه بكلا اللغتين، وفي هذا دلالة على إجادته لكلا اللغتين، ولعل نشأته ببلاد فارس كانت سبباً في ذلك.

لكن من الملاحظ أنه صرف الكثير من جهده في التصنيف باللغة الفارسية، حيث جعل أضخم مصنفاته وأشهرها - تاج التراجم - بتلك اللغة.

وكذلك الحال في عدد من مصنفاته في العلوم الأخرى - كما هو ظاهر من كلامه[٢]. ولعل الحاجة إلى ذلك - خاصة في المشرق الإسلامي - هي التي دفعته إلى ذلك.

إضافة إلى أنه عاش في زمن انتشرت فيه الفارسية[٣]، وقبل ذلك كله نشأته وإقامته ببلاد فارس.

ولعل ما سبق يبين لنا مدى ما وصل إليه أبو المظفر من تعمق في العلم، ورفعة في الفضل والمكانة. وتمكن من زمام اللغتين العربية والفارسية. مما جعل كثيراً ممن تحدث عنه يصبغ عليه ألقاباً تدل على ذلك كقولهم: "العلامة المفتي" "أحد الأعلام"[٤].

"الإمام الأصولي الفقيه المفسر"[٥].

"الإمام الكامل الفقيه الأصولي المفسر جامع بارع"[٦].

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٥٤، ٦١، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٨٣، ٨٧، ٩٤ - ٩٥، ١٢٤، ١٣٠، ١٥٩، ١٨٨.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ١٩٤ - ١٩٥.

(٣) ينظر: العربية ليوهان فك ص ٨٣، ترجمة عبدالحليم النجار نقلاً عن: ابن فارس اللغوي، لأمين محمد فاخر ص ٤٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨.

(٥) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٦/١، ومعجم المؤلفين ٣١٠/٣.

(٦) طبقات المفسرين ٢١٢/١، ينظر: طبقات الأسنوي ١٩٧/١.

"الشيخ الإمام"(١) "من كبار أئمة أصول الدين"(٢).

"من فقهاء الشافعية"(٣).

مؤلفاته:

كان أبو المظفر ذا إلمام بعلوم شتى، إضافة إلى كونه أحد العلماء المبرزين خاصة في التفسير والأصول والعقيدة كما تبين لنا من خلال ثقافته، لكن المتأمل في تراثه العلمي الذي وصل إلينا ونما إلى علمنا شيء عنه، يظهر له ولأول وهلة أنه لم يكن مهتماً بالتأليف والتصنيف، حيث لم يُعثر له - بعد البحث والاستقصاء - من التراث العلمي سوى كتابين فقط! كتاب التفسير وكتاب في المقالات والفرق - وهو موضوع الدراسة - ولعل انشغاله بالتدريس في المدرسة النظامية بطوس بعد أن انتظمه "نظام الملك" بها كان من أقوى الأسباب التي حالت دون الإكثار من تصنيفه في مختلف العلوم كما هو حال أترابه ومعاصريه من علماء ذلك العصر.

هذا الذي يظهر للباحث بالنظر إلى ما هو موجود من كتبه أو ما صرح هو باسمه.

لكن مما ينبغي ملاحظته أن في كلام مترجميه ما يوحي بأن له تصانيف أخرى في الأصول حيث نصوا على أنه "صنف في الأصول"(٤)، ولا شك أن تردد هذا على ألسنة الكثير من مصنفي كتب التراجم - لاسيما وأن فيهم جمعاً من المتقدمين - يؤكد هذا ويعضده وبالتالي يكون ما صنفه في الأصول في طي المفقود!

كما أن كلامه في بعض المواضع من كتابه التبصير يدل على أن له كتباً أخرى غير التي نعرفها، فبعد أن أشار مراراً إلى أحد كتبه في الفرق، أشار إلى بعض مؤلفاته

---

(١) عارضة الأحوذي ١٩/٩، كشف الظنون ٣٤٠/١.

(٢) مقدمة التبصير في الدين عناية الكوثري ص ٨.

(٣) معجم المفسرين ٢٢٧/١.

(٤) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، طبقات الأسنوي ١٩٧/١، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٦/١، طبقات المفسرين ٢١٢/١.

فقال: "والله تعالى قد ينفع بجميع ما تيسر من التصانيف في الفقه والفرائض والمقدرات والكلام والتفسير والتعبير بالفارسية ما شاءالله بفضله وجوده"[١].

كذلك نراه عندما تكلم عن المعتزلة يقول:

"وفضائحهم أفظع وأكثر من أن يمكن جمعها في مثل هذا الكتاب، وقد جمعنا في تفصيلها كتباً تشتمل على معظمها. وعاداتهم التنقل في أباطيلهم وتكفير بعضهم لبعض في أقاويلهم"[٢].

وهذا فيه دلالة على أنه قد صنف كتباً في كشف فضائح المعتزلة والرد عليهم، ومما يقوي هذا الأمر أن شيخه البغدادي قد صنف كتباً في الرد عليهم مثل "فضائح القدرية" و"فضائح المعتزلة" و"الكلام في الوعد والوعيد" و"نفي خلق القرآن" و"الحرب على ابن حرب"[٣].

وإذا عُلم مدى تأثر أبي المظفر بشيخه البغدادي كما يظهر من كتابه التبصير[٤]، فلا يستبعد أن يكون تأثر به أيضاً في التصنيف ضد المعتزلة والرد عليهم، ومع هذا فإن إنتاجه العلمي يوسم بالقلة، هذا إذا ما قورن بإنتاج أترابه من علماء عصره وأعلام مذهبه.

وربما أن سر غياب هذه المصنفات عنا وعدم وصولها إلينا عائد إلى كونها كتبت باللغة الفارسية.

وأشهر كتب المصنف التي وصلت إلينا أو التي وصل إلينا بعض المعلومات عنها ما يلي:

---

(١) التبصير في الدين ١٩٤ – ١٩٥.

(٢) التبصير في الدين ٩٠، ٩١.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ١٦٩، طبقات السبكي ١٤٠/٥، فوات الوفيات ٣٧٢/٢، ٣٧٠/٢، كشف الظنون ١٢٧٤، هدية العارفين ٦٠٦/١، معجم المؤلفين ٢٠١/٢، تاريخ الأدب العربي القسم الرابع ٧ – ٢٤/٨، الأعلام ٤٨/٤.

(٤) قال عنه محقق كتاب الفرق بين الفرق – محمد محي الدين عبدالحميد –: "صاحب كتاب التبصير في الدين، الذي يحذو فيه حذو أبي منصور البغدادي في تبويبه وتقسيمه، فلا يكاد يخالفه"، الفرق بين الفرق ص٦.

١ - تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم:

ويعرف أحياناً باسم "تفسير الإسفراييني"[١] نسبة إلى مؤلفه.

ويعد أشهر كتبه وأضخمها ، ولعل هذا الكتاب كان وراء تلكم الشهرة التي حظي أبو المظفر بطرف منها.

لذا نجد أن جميع من ترجم له من المتقدمين لم يهملوا ذكر هذا الكتاب والإشارة إليه فضلاً عن المتأخرين.

وقد جاءت عباراتهم تدل على ذلك كقولهم : "صاحب التفسير الكبير"[٢] ، وقوله : "صنف التفسير الكبير المشهور"[٣].

لكن الملاحظ أنهم لم ينصوا على اسم هذا الكتاب ، بل جاء النص على اسمه في بعض معاجم الكتب والمؤلفين لبعض المتأخرين[٤].

ولعل تأليفه باللغة الفارسية هو الذي حال دون التصريح باسمه عند المتقدمين.

وبعض المتأخرين سماه "تفسير الكتاب الكريم"[٥].

وهو تفسير كامل للقرآن الكريم[٦] ، وتتوفر نسخ مخطوطة منه في العديد من المكتبات في العالم[٧].

كما يعد من أقدم وأهم التفاسير القرآنية باللغة الفارسية ، الموجودة بين أيدينا لمؤلف معروف[٨].

---

(١) كشف الظنون ٤٤٢/١ ، وقد وهم بعض الباحثين فجعل كلاً منهما كتاباً ففرق بينهما ، والصواب أنهما كتاب واحد. ينظر: عبد القاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٢٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨ ، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٦/١ ، طبقات ابن الصلاح ٧٦٠/٢.

(٣) طبقات المفسرين ٢١٢/١ ، طبقات السبكي ١١/٥ ، طبقات الأسنوي ١٩٧/١ ، الأعلام ١٧٩/٣.

(٤) ينظر: كشف الظنون ٢٦٨/١ ، معجم المؤلفين ٣٨/٥ ، هدية العارفين ٤٣٠/٥ ، معجم المفسرين ٢٢٧/١.

(٥) مقدمة الكوثري للتبصير في الدين ص ٩ ، علماً أن الإسفراييني صرح باسمه في الكتاب نفسه!! ينظر: ص ١٩١.

(٦) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ٧٩/١ هامش (٢٢).

(٧) ينظر: المرجع السابق ٧٩/١ ، ١٤٨/١.

(٨) ينظر: المرجع السابق ١٤٧/١ - ١٤٨ بتصرف ، علماً بأن كلاً من القرنين الخامس والسادس الهجريين يعتبران أهم مرحلة في تاريخ تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية حيث تعد فترة ازدهار وتوسع وعمق وشمولية في التأليف ، وقد وصلنا من نتاج هذه المرحلة سبعة تفاسير كاملة للقرآن الكريم وبضعة =

وقد كان تأليفه له قبل تأليفه لكتاب "التبصير في الدين" حيث أشار إليه في التبصير فقال: "وقد جمعنا في كتابنا المعروف بـ"تاج التراجم" ما هو المعتمد من أقوال المفسرين ابتعاداً عما أحدثه فيه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف"(١).

وأشير هنا إلى أن الكتاب لم يطبع بعد، ولايزال العمل جارياً لإعداده للطبع(٢)، خلافاً لمن توهم ذلك(٣).

٢ - الأوسط:

ظل هذا الكتاب بمنأى عن عناية واهتمام أهل العلم، حتى بالذكر، فجميع من ترجموا لأبي المظفر لم يذكروه ولم يشيروا إليه(٤).

= تفاسير أخرى غير كاملة، وهناك تفاسير أخرى تذكرها المراجع ولكنها لم تصل إلينا. ينظر: المرجع السابق ١/٧٩.

(١) التبصير في الدين ١٩١.

(٢) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/١٤٨.

(٣) فقد ذكر الكوثري وتبعه في ذلك الحوت في مقدمتهما "للتبصير في الدين" ص ٩ أنه مطبوع في إيران بعناية بعض المستشرقين، حيث لم يشر إلى شيء من ذلك في رسالة التفاسير باللغة الفارسية، علماً أن الباحث انتهى من إعداد رسالته عام ١٤٢٠هـ، وتناول فيها الكتاب بدراسة مستفيضة.

(٤) جاء في كشف الظنون ١/٢٠٢ "الأوسط في ... للإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي المتوفى سنة ٤٨٩هـ". وبالتالي يمكن أن يكون كتاب الأوسط الذي عناه حاجي خليفة لأبي المظفر الإسفراييني وحصول اللبس بسبب اتفاقهما في الكنية، خاصة وأنه لم يشر إلى الفن الذي يحويه الكتاب مما يدل على أن معلوماته عنه غير دقيقة. ولكن بالرجوع إلى تراجم أبي المظفر السمعاني وجدت أن من ضمن كتبه "الأوسط" في الخلاف وبهذا ينتفي اللبس!.
وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك كتاباً في هذا الفن – مقالات الفرق – يعتبر من الكتب المتقدمة فيه ويحمل العنوان نفسه وهو "الكتاب الأوسط" لأبي العباس عبدالله بن محمد الأنباري الناشئ الأكبر المتوفى سنة ٢٩٣هـ وهو متكلم من المعتزلة، تناول في جزء منه بيان عقائد النصارى وإظهار مفاسدها. ينظر: الفهرست لابن النديم ٤١١، تاريخ الأدب العربي بروكلمان ٢/٢٣٤ – ٢٣٥، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٤٠ – ١٤١، علم الملل أهميته وضوابطه الشرعية ١٧٨ – ١٧٩، وقد نقل عنه ابن حزم، ينظر: الفصل ٥/٦١.

والكتاب حتى الآن في حكم المفقود وقد صنفه مؤلفه في الملل والنحل، وأشار إليه مرّات عدة في كتابه التبصير في مواضع متفرقة، توحي بأنه قد ألفه في الملل والنحل وتدل على أن تأليفه كان قبل تأليفه للتبصير، الذي يقول فيه - أثناء حديثه عن ظهور دعوة الباطنية - : "ولا يعدون من فرق المسلمين فإنهم في الحقيقة على دين المجوس كما شرحنا أديانهم في كتاب الأوسط"(١).

وفي حديثه عن المعتزلة يقول: "ومما قالوا: إن أفعال الحيوانات خارجة من قدرة الله تعالى ولم يوجبوا تخصيصاً في وصف كونه قادراً، فقد مهدوا بذلك طريق القول بالتثنية كما بيناه في الأوسط"(٢).

وعندما تحدث عن المعجزة وذكر جملة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك: "ذكرنا أكثرها في الأوسط"(٣).

وفي آخر الكتاب عندما ذكر نماذج من أئمة أهل السنة والجماعة - يقصد بهم الأشاعرة - وبعض مصنفاتهم في أصول الدين عقب على ذلك بقوله:

"وقد تأملنا ما جمعه هؤلاء الأئمة في أصول التوحيد من الكتب البسيطة والوجيزة، ومن تقدم من سادة الأئمة، وأعيان أهل السنة والجماعة فجعلنا نكتهم في كتاب "الأوسط" بعبارات قريبة وألفاظ وجيزة، اتباعاً لآثارهم وبناءً على مقالاتهم..."(٤).

ومن خلال هذه النصوص يمكن التوصل إلى أن الكتاب مصنف في الملل والنحل، كما أكد ذلك بعض المتأخرين(٥)، إضافة إلى كونه كبير الحجم ومتضمن للحديث عن موضوعات عدة كما يوحي بذلك كلام مؤلفه السابق عنه.

أما عن علاقة كتاب "الأوسط" بكتاب "التبصير في الدين" فمن المحتمل أن تكون كعلاقة كتاب "الملل والنحل" بكتاب "الفَرْق بين الفِرَق" للبغدادي، حيث ذكر

---

(١) التبصير في الدين ٢٢.

(٢) المرجع السابق ٦٥.

(٣) المرجع السابق ١٧٠.

(٤) المرجع السابق ١٩٤.

(٥) ينظر: مقدمة المرجع السابق بعناية الكوثري ص ١٠.

بعض الباحثين أن كتاب "الفرق بين الفرق" إنما هو في الواقع إعادة نظر في كتاب الملل والنحل الذي كان البغدادي قد وضعه أولاً ثم نقّح فيه وحذف بعض الفقرات منه وأضاف إليه بعض المعلومات[١].

وتبعه في هذه النظرة غيره ممن تناولوا الموضوع بالبحث والدراسة ودللوا على ذلك بعدة أدلة[٢].

لكن لا يمكن الجزم بأن العلاقة بين كتابي أبي المظفر كالعلاقة بين كتابي البغدادي السابقين. لعدم وجود كتاب "الأوسط" الذي يمكن معه المقارنة والموازنة.

لذا يظل ما ذكرناه هنا احتمالاً وارداً يقويه ما عرف عن أبي المظفر من متابعة وتأثر بالغ بشيخه البغدادي خاصة في هذا العلم والتصنيف فيه.

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: ما هي اللغة التي أُلِّف بها الكتاب؟

تحديد اللغة التي ألّف الكتاب بها يظل أمراً غامضاً، حيث لم يطرقه أحد ولم يمط اللثام عنه باحث، إلا أن أحد الباحثين[٣] ذكر أنه أَلَّف بالعربية دون أن يذكر الأدلة القوية التي تدل على ما ذهب إليه، فلا تعد إشارة أبي المظفر له في كتابه التبصير دليلاً كافياً، لأنه أشار أيضاً إلى كتابه "تاج التراجم"[٤] وهو باللغة الفارسية، فيحتمل أن يكون مؤلفاً باللغة الفارسية، وبالتالي يكون هذا الأمر قد أسهم في فقدانه وإهماله والجهل به كما هو حال بعض كتب المصنف التي ذكر أنه ألفها بالفارسية[٥] وليس لدينا معلومات تذكر عنها.

---

(١) ينظر: مقدمة د/ ألبير نصري في مقدمة تحقيقه للملل والنحل للبغدادي ص ٤٢.

(٢) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٣) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/١٤٧.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ١٩١.

(٥) ينظر: المرجع السابق ١٩٤ – ١٩٥.

٣ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:

وقد صنفه المؤلف - كما هو ظاهر من عنوانه - في الملل والنحل وهو من أشهر كتبه خاصة عند العرب لتأليفه إياه باللغة العربية، والوحيد من كتبه الذي وصل إلينا بالعربية. وسيأتي الحديث عنه بشيء من التفصيل في مبحث مستقل ـ إن شاءالله ـ[1].

شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

مما لا شك فيه أن المؤلف قد طلب العلم في بداية حياته، كما هو حال العلماء في ذلك العصر الذين كانوا يبذلون ما في وسعهم رغبة في تحصيل أكبر قدر ممكن من العلم، وذلك لا يكون إلا عن طريق التتلمذ على أيدي الشيوخ، وملازمتهم والأخذ عنهم.

والمؤلف - بلا ريب - كان أحد أولئك الذين تلقوا العلوم عن شيوخ كثر في فنون مختلفة، ولعل تتبعه لعلماء عصره والترحال في سبيل ذلك كان من الأسباب التي جعلته يتبوأ المنزلة والمكانة التي وصل إليها، ولعل من أبرز شيوخه:

---

(١) جاءت إشارة لأحد الباحثين عند عرضه لبعض كتب الملل والنحل التي لم يكشف عنها، لضياعها أو لصعوبة الحصول عليها عن أحد كتب أبي المظفر الإسفراييني فقال: "أبو المظفر الإسفراييني المتوفى سنة ٤٧١هـ، وله "الفرق بين الفرق" أشار الأستاذ ماسنيون إلى أن مخطوطاته في مكتبة برلين وهو غير متيسر لنا الآن".
وقد ذكر معه كتباً أخرى كالاستقامة لخشيش بن أصرم ٢٥٤هـ، ومقالات أرباب النحل ورؤساء الملل للمسعودي ٣٤٦هـ.
ينظر: علماء الملل والنحل د/ نجاح محمود الغنيمي ص ١١، ومع ذلك فيبقى هذا الكلام بحاجة إلى تحقيق وتأكيد! فهل هو حقاً كتاب آخر للإسفراييني، غفل عنه المترجمون له، والمهتمون بمعاجم الكتب؟ أم أنه هو كتاب "التبصير" لكن وقع اللبس أو الخطأ في عنوانه؟
وكل من الاحتمالين يبقى قائماً، إلا أن الاحتمال الثاني أقرب إلى الصحة؛ لوقوع الخلاف في عنوان التبصير، ومن ضمن تلك العناوين عنوان قريب مما ذكره هنا وهو "التبصير في الفرق"، وسيأتي لذلك مزيد تفصيل عند الحديث عن الكتاب.

١ - أبو إسحاق الإسفراييني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني الأصولي الشافعي الإمام العلامة الأوحد، أحد العلماء الذين بلغوا حد الاجتهاد لتبحُّره في العلوم واستجماعه شروط الإمامة من العربية والفقه والكلام والأصول ومعرفته بالكتاب والسنة(١)، وكان من المجتهدين في العبادة المبالغين في الورع والتحرج(٢)، توفي سنة ٤١٨هـ(٣).

ولم يشر أحد إلى تتلمذ المؤلف على هذا الإمام، إلا أن هناك عدة قرائن يأخذ بعضها برقاب بعض ويمكن من خلال جمعها الاستدلال على تتلمذ المؤلف على هذا الإمام الحجة، منها:

أ - أبوا إسحاق أحد أئمة وأعلام المذهب الأشعري في عصره، وقد تتلمذ عليه بعض أعلام المذهب كالبغدادي(٤) فكيف يفرط المؤلف في ذلك وقد أدركه وأخذ ممن سبقه موتاً خاصة وأنه من أهل بلدته إسفرايين!

ب - يعد أبو إسحاق من البارعين والمبرزين في علم أصول الفقه(٥)، الذي أسهم فيه المؤلف حتى صنف فيه، فلا يستبعد أن يكون استفاد منه في هذا العلم وفي غيره من العلوم.

جـ - أثنى المؤلف على أبي إسحاق ثناءً عريضاً بما يوحي أنه أحد تلاميذه، وقدمه على غيره من أئمة المذهب حتى على شيخه البغدادي الذي لم يقل فيه مثل ذلك(٦).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٠.

(٢) تبيين كذب المفتري ١٨٨.

(٣) ينظر: مراجع ترجمته: تهذيب اللغات والأسماء ٢/١٦٩ - ١٧٠، تبيين كذب المفتري ١٨٧ - ١٨٨، سير أعلام النبلاء ١٧/٥٣، الأنساب ١/٢٣٧، طبقات السبكي ٣/١١١، طبقات ابن هداية الله ١٣٥، طبقات الأسنوي ١/٤٠، طبقات ابن قاضي شهبة ١/١٧٠، شذرات الذهب ٣/٢٠٩، الأعلام ١/٦١.

(٤) وقد أكثر البغدادي من ملازمته حتى صار أشهر تلامذته، ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ٣٥.

(٥) وقد أعدت رسالة دكتوراه في ذلك بعنوان: آراء أبي إسحاق الإسفراييني الأصولية جمعاً وتوثيقاً ودراسة إعداد/ عبدالله بن زيد المسلم عام ١٤١٤هـ.

(٦) ينظر: التبصير في الدين ص ١٩٣.

د - ما جاء على لسان الكوثري - وهو من المهتمين بتراجم الأشاعرة وتراثهم - أن أبا المظفر الإسفراييني عُرِف بإجادة تدوين صفوة الصفوة من بحوث أساتذته في الملل والنحل أمثال أبي إسحاق الإسفراييني[١].

٢ - **أبو منصور البغدادي**: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله التميمي البغدادي الشافعي النيسابوري الإسفراييني.

ولد ونشأ ببغداد وتتلمذ على أبي إسحاق الإسفراييني وكان من أبرز شيوخه "كان من أئمة الأصول وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل والتحصيل، بديع الترتيب غريب التأليف والتهذيب، تراه الجلة صدراً مقدماً وتدعوه الأئمة إماماً مفخماً"[٢]. أحد أعلام المذهب الأشعري، الذين كان لهم دور وتأثير فيه[٣].

توفي بإسفرايين بعد أن استقر بها عام ٤٢٩هـ ودفن بجانب شيخه أبي إسحاق الإسفراييني[٤].

تتلمذ المؤلف على يديه[٥] وكان صهراً له فتأثر به تأثراً كبيراً كما هو ظاهر في كتابه "التبصير في الدين" حتى عُدّ مقلداً فيه لشيخه[٦]، أو بمثابة ملخص لكتاب شيخه "الفَرْق بين الفِرَق"[٧].

---

(١) ينظر: المرجع السابق بعناية الكوثري ص ١٠.

(٢) هذا من كلام الإمام أبي عثمان الصابوني، ينظر: طبقات السبكي ١٣٧/٥.

(٣) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٧٢/٢ - ٥٨٠، في علم الكلام د/ أحمد صبحي ١١٥/٢ - ١٢١.

(٤) ينظر مراجع ترجمته: تبيين كذب المفتري ١٩٤ - ١٩٦، طبقات ابن الصلاح ٥٥٣/٢ - ٥٥٦، طبقات السبكي ١٣٦/٥ - ١٤٨، سير أعلام النبلاء ٥٧٢/١٧ - ٥٧٣، طبقات الأسنوي ١٩٤/١ - ١٩٦، طبقات ابن هداية الله ١٣٩ - ١٤٠، بغية الوعاة ١٠٥/٢، وفيات الأعيان ٢٠٣/٣، فوات الوفيات ٣٧٠/٢ - ٣٧٢، الأعلام ٤٨/٤.

(٥) وقد عده البعض من أبرز تلاميذه، ينظر: في علم الكلام ١١٥/٢، عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ٣٧.

(٦) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٧٠/٢.

(٧) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٥٢٨/١.

٣ - ابن مَحْمِش: أبو طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش بن علي بن داود الزيادي الشافعي النيسابوري الأديب، ولد سنة ٣٢٧هـ وكان والده من العابدين، كان إماماً في المذهب متبحراً في علم الشروط، له فيه مُصنّف، بصيراً بالعربية، كبير الشأن وكان إمام أصحاب الحديث ومسندهم ومفتيهم، مات سنة ٤١٠هـ[١].

وقد دل كلام الذهبي في ترجمة أبي المظفر أنه كان أحد تلاميذ ابن محمش حيث حدث عنه وعن أصحاب الأصم[٢][٣].

وقد دلل على ذلك بذكر إسناد صرح فيه المؤلف بسماعه من ابن محمش بلفظ "أخبرنا"[٤]. علماً بأن ابن محمش يعد من أصحاب الأصم وممن حدث عنه[٥].

ويمكن تبرير قلة مشايخه - والله أعلم - بأمور أهمها:

١ - ملازمته الشديدة لشيخه "البغدادي"، وقد سبق الإشارة إلى بعض ما يدل على ذلك.

٢ - أن رحلاته لطلب العلم - التي أشار إليها بعض مترجميه - يكتنفها شيء من الغموض، والذي يظهر أنها اتسمت بالقلة والقصر، وعدم كونها لكبار الأئمة آنذاك، أو لحواضر العالم الإسلامي العلمية المشهورة، كما أن خراسان في وقته

---

(١) ينظر: مراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٧، طبقات السبكي ٨٢/٣، شذرات الذهب ١٩٢/٣، الأعلام ٢١/٧.

(٢) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان النيسابوري الأصم، أبو العباس الإمام المحدث مسند العصر، حدث في الإسلام نيفاً وسبعين سنة، وأذن سبعين سنة، كان حسن الأخلاق كريماً، ورحل إليه خلق كثير، حدث له الصمم بعد الرحلة ثم استحكم به، توفي سنة ٣٤٦هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٦ - ٤٦٠، الأنساب ٢٩٤/١ - ٢٩٧، العبر ٢٧٣/٢ - ٢٧٤، الوافي بالوفيات ٢٢٣/٥، شذرات الذهب ٣٧٣/٢ - ٣٧٤.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، علماً بأن الذهبي قد صرح بأن ابن مَحْمِش ممن سمع الأصم. ينظر: المرجع السابق ٤٥٤/١٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٤٠١/١٨ - ٤٠٢، ولفظ "أخبرنا" من صيغ السماع الذي يعد أول أنواع تحمل الحديث. ينظر: الإلماع للقاضي عياض ٦٩، الكفاية في علوم الحديث للخطيب البغدادي ٤١٢ - ٤١٣، ط الهند، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث لابن كثير ٣٢٨/١ - ٣٢٩.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٦٥ في ترجمة الأصم.

كانت مركز إشعاع علمي نشط حتى عدت أكبر الأقاليم علماً[١]. فاستغنى أبو المظفر عن الرحلة للتتلمذ على يد أكبر عدد ممكن من المشايخ اكتفاءً بمن يؤم بلده من العلماء وطلاب العلم، فضلاً عمن فيها من العلماء.

تلاميـــذه:

يقول الداودي عن المؤلف: "وارتبطه نظام الملك بطوس فأقام بها سنين، ودرّس بها سنين، ودرّس بها في العلوم، وأفاد الكثير واستفاد الناس منه"[٢].

وذكر غيره نحواً من ذلك[٣].

وهذا يدل على أن أبا المظفر قد تصدى للتدريس إلى جانب انشغاله بالفتيا والتصنيف.

فبعد أن كان تلميذاً يطلب العلم ويجتهد في تحصيله عن علماء عصره ما لبث أن صار شيخاً ييمم طلاب العلم وجوههم نحوه لتلقي العلم على يديه وحمله عنه والاستفادة منه.

لكن المصادر التاريخية وكتب التراجم قد شحَّت بذكر أولئك التلاميذ وأهملتهم. ومع ذلك يمكننا أن نذكر هنا بعض تلاميذه ممّن عُثِرَ على ما يدل أنهم تتلمذوا عليه أو أخذوا عنه وهم:

١ - ابنه: أبو القاسم التميمي:

عبدالله بن طاهر بن محمد الإسفراييني، وسبط الإمام البغدادي، نزل بلخ فاستوطنها ودرّس بالمدرسة النظامية، وصار إمامهم ومذكرهم وفقيههم ووجه مشايخهم.

كان إماماً في الفروع والأصول وله الجاه والمال الكثير والوجاهة الزائدة والمنزلة الرفيعة والسخاء والجود[٤].

---

(١) ينظر: أحسن التقاسيم ٢٩٤، ٣٢٢، ٣٣٤.

(٢) طبقات المفسرين ٢١٢/١.

(٣) ينظر: مراجع ترجمته السابقة.

(٤) ينظر: طبقات السبكي ٦٣/٥.

حَصَّل العلم من أبيه، وسمع منه الحديث ومن جده لأمه أبي منصور البغدادي وغيرهم. عده ابن كثير في المرتبة الرابعة من الطبقة السادسة من أصحاب الشافعي(١). توفي ببلخ في جمادى الأولى سنة ٤٨٨هـ(٢).

وابنه أبو المحاسن محمد بن عبدالله كان ثقة فاضلاً مناظراً واعظاً، رحل وسمع وحدَّث ودرَّس بنظامية بلخ بعد وفاة أبيه(٣).

٢ - ابنه: أبو المعالي الإسفراييني:

عبدالقاهر بن طاهر بن محمد الإسفراييني، فهو عبدالقاهر بن طاهر كجده لأمه الإمام البغدادي عبدالقاهر بن طاهر، لذا وقع اللبس بينهما عند بعض المترجمين(٤).

إمام بلخ، كان مولده بنواحي إسفرايين، وكان عالماً بأنواع علوم البشر، لم يشذ عن خاطره علم وله "ديوان شعر"، ومن شعره:

جُمِعَ الخيامُ ورُدتِ الإبل ... وكأنني بهم وقد رحلوا
قد كنت أشكو خلف موعدها ... وأقول ذنب ليس يحتمل
يا ليتها والدار جامعة ... تعد المواعد ثم لا تصل

وقد تأخر ابنه عن رتبته ببلخ، فقام مقامه غيره(٥). ولم يُشِر إلى تاريخ وفاته.

---

(١) ينظر: طبقات ابن كثير ٤٨١/٢.

(٢) ينظر مراجع ترجمته: طبقات السبكي ٦٣/٥ - ٦٤، طبقات الأسنوي ١٩٦/١، طبقات ابن كثير ٤٨١/٢، طبقات ابن الصلاح ٧٨٩/٢، طبقات ابن هداية الله ١٤٠، عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية ٢٨٨/١.

(٣) ينظر: طبقات الأسنوي ١٩٧/١.

(٤) ينظر: طبقات ابن كثير ٣٩٣/١ في ترجمة أبي منصور البغدادي حيث وَهِمَ فنقل ثناء العلماء على أبي المعالي!

(٥) ينظر: مراجع ترجمته: طبقات ابن الصلاح ٥٥٧/٢، طبقات الأسنوي ١٩٨/١.

٣ - زاهر الشحّامي[1]:

أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن مَرْزُبان، الشيخ العالم المحدث المفيد المعمّر، مسند خراسان. ولد سنة ٤٤٦هـ، قال عنه الذهبي: "روى الكثير واستملى على جماعة وخرَّج وجمع وانتقى لنفسه السباعيات وأشياء تدل على اعتنائه بالفن وما هو بالماهر فيه وهو واهٍ من قبل دينه وكان ذا حبٍّ للرواية"[2].

وذكر أنه ممن روى عن أبي المظفر كما روى عنه غيره، ولعل علاقته بأبي المظفر كانت عن طريق السماع في بعض مجالسه لحرصه على الرواية والسماع واعتنائه بذلك كما يظهر من ترجمته.

توفي سنة ٥٣٣هـ في العاشر من ربيع الآخر بنيسابور[3]، ووالده الشيخ المحدث الفقيه الصالح أبو عبدالرحمن طاهر الشحامي، صنف كتباً بالفارسية في الشرائع، كان فقيهاً أديباً بارعاً شاعراً بصيراً بالوثائق صالحاً عابداً، مات سنة ٤٧٩هـ وله ثمانون سنة[4].

٤ - عمرو بن عبيد الطوسي:

أبو المحاسن عمرو بن عبيد بن صخر الطوسي، وليس عمرو بن عبيد البصري[5] المبتدع، وقد كان عمرو الطوسي ممن سمع من أبي المظفر بخراسان.

---

(١) والشحامي: نسبة إلى بيع الشحم، ينظر: لب اللباب ص ١٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٠.

(٣) ينظر مراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء ٩/٢٠ - ١٣، العبر ٩١/٤، ميزان الاعتدال ٦٤/٢، لسان الميزان ٤٧٠/٢، شذرات الذهب ١٠٢/٤، الأعلام ٤٠/٣.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٨/١٨ - ٤٤٩، العبر ٢٩٤/٣ - ٢٩٥، شذرات الذهب ٣٦٣/٣.

(٥) عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري، عابد زاهد، قدري من كبار المعتزلة وشيوخهم، درس على الحسن البصري ثم اعتزل مجلسه، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٤٣ أو ١٤٤هـ.
ينظر ترجمته في: السير ١٠٤/٦، تهذيب التهذيب ٧٠/٨، ميزان الاعتدال ٢٧٣/٣، المجروحين لابن حبان ٦٩/٢، طبقات المعتزلة ٤٨، وفيات الأعيان ١٣٠/٣. وللحافظ الدارقطني جزء في أخبار عمرو بن عبيد المعتزلي، ينظر: تدوين علم العقيدة عند أهل السنة للطريف ٧٠٦/٢ - ٧٠٨.

قال عنه أبو طاهر السلفي[1] في "معجم السفر": "عمرو هذا من بيت كبير بطوس، وعشيرته فقهاء وقضاة وقد سألته عن مولده فقال سنة سبع وأربعين[2]، وذكر أنه سمع أبا القاسم القشيري وأبا القاسم الكركاني وشهفور وغيرهم بخراسان. وكنت أستأنس به لحسن عشرته ومعرفته بأمور الدنيا وخبرته"[3].

فقوله: وشهفوراً يقصد بذلك أبا المظفر حيث اشتهر بهذا اللقب حتى كاد يُنْسى معه اسمه كما سبق بيانه.

ويبدو كذلك أن علاقته بأبي المظفر كانت علاقة سماع وتحمل.

عقيدته ومذهبه الفقهي:

أبو المظفر الإسفراييني - رحمه الله - كان أشعري المعتقد، وقد وقع في هذا المذهب تحت تأثير شيوخه الذين تلقى عنهم العلم منذ أن بدأ يخطو خطواته الأولى في طلبه، بل إن بعضهم - كما سبق وأن ذكرنا - يعد من أعلام المذهب الأشعري المعروفين بقوة الدفاع عنه وكان له دور في التأثير فيه كالبغدادي، كما أن البيئة التي نشأ فيها أبو المظفر لعبت دوراً في ذلك، حيث كان المذهب الأشعري منتشراً في بلاد خراسان التي عاش فيها، حتى إن كثيراً من علماء الإسلام الأجلاّء الذين بزغ نجمهم إبان تلك الحقبة الزمنية من تلك البلاد كانوا على ذلك المذهب.

ومما يدل على ذلك:

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني أبو طاهر السِّلفي - بكسر السين المشددة - ولد سنة ٤٧٥هـ أو قبلها بسنة، عرف باتساع الرحلة، يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر، وله تصانيف كثيرة، وكان يستحسن الشعر وينظمه ويثيب من يمدحه، له قصيدة لامية مشهورة في مدح السلف وذم المبتدعة بلغت أبياتها ٦٨ بيتاً ذكرها برمتها الذهبي في السير ٢٩/٢١ - ٣٩، توفي سنة ٥٧٦هـ.
ينظر ترجمته في: اللباب ٥٥٠/١، تذكرة الحفاظ ١٢٩٨/٤، سير أعلام النبلاء ٥/٢١ - ٣٩، وفيات الأعيان ١٥٠/١، الوافي بالوفيات ٣٥١/٧، الأعلام ٢١٥/١.

(٢) أي سنة سبع وأربعين وأربع مائة للهجرة ٤٤٧هـ.

(٣) ينظر: معجم السفر للحافظ أبي طاهر السلفي ص ٣١٦.

١ - أنه جعل الأشاعرة - في كتابه "التبصير في الدين" -[١] الفرقة الناجية، وأهل السنة والجماعة، حيث قرر عدداً من المسائل كما هي في اعتقاد الأشاعرة، ثم بين أن ذلك هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنهم الفرقة الناجية.

ومما يظهر ذلك بجلاء ووضوح إثباته للصفات السبع - كما هو عند الأشاعرة - حيث يقول: "وأن تعلم أن صانع العالم حيٌّ، قادر، عالم، مريد، متكلم، سميع، بصير، لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفاً بأضدادها..."[٢].

وسيأتي لذلك مزيد بيان عند الحديث عن بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة في الفصل الرابع من هذا البحث.

٢ - ذكر الحافظ ابن عساكر - رحمه الله - له ضمن بعض المشهورين من الطبقة الرابعة من طبقات أصحاب أبي الحسن الأشعري وأتباعه المستبصرين بتبصيره وإيضاحه في الاقتداء والمتابعة[٣].

وبجانبه - في تلك الطبقة - عدد من أعلام الأشاعرة المشهورين[٤].

٣ - ثناؤه البالغ على عدد من أعلام المذهب الأشعري على أنهم من أعلام أهل السنة والجماعة[٥]، وعدُّه لبعض مصنفاتهم على أنها من تصانيف أهل السنة والجماعة التي تفرَّدوا بها في أصول الدين لنصرته وتقوية ما عليه أهل السنة والجماعة - يقصد الأشاعرة - والرد على أهل البدع فيما زوروه من الشبه[٦].

---

(١) وكذلك في تفسيره "تاج التراجم" أفرد فصلاً خاصاً بمسائل العقيدة في مقدمته وسار فيه على منهج الأشاعرة.
ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١٥٧/١.

(٢) التبصير في الدين ص ١٦٣.

(٣) ينظر: تبيين كذب المفتري ٢٠٥.

(٤) وذلك مثل: الخطيب البغدادي، والقشيري، والجويني وغيرهم.
ينظر: المرجع السابق ٢٠٥ - ٢١١.

(٥) وذلك مثل: الباقلاني، وأبو إسحاق الإسفراييني، وابن فورك، والبغدادي.
ينظر: التبصير في الدين ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) ينظر: المرجع السابق ١٩٢ - ١٩٤.

هذا - بإجمال - ما يدل على أشعرية المؤلف، وسيأتي الحديث تفصيلاً عن ذلك عند إلقاء الضوء على منهجه في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة[١].

أما مذهبه الفقهي فقد كان المؤلف شافعي المذهب، ومما يدل على ذلك ما يلي:

١ - نسبته إلى الإمام الشافعي وذلك على لسان كثير ممن عني بترجمته والكلام عنه[٢]، وقد سبق الإشارة إلى شيء من هذا ولم تأت له نسبة إلى غيره.

٢ - ذكره ضمن علماء وفقهاء الشافعية في كتب طبقاتهم المشهورة[٣] على لسان أصحابها الذين عنوا بجمع الأئمة والأعلام الذين كانوا على مذهب الإمام الشافعي، وفي المقابل لا نجد له ذكراً ضمن كتب طبقات المذاهب الأخرى.

٣ - أن أشياخه وأساتذته الذين تلقى عنهم العلم كانوا على المذهب الشافعي، ومن أبرزهم الإمام البغدادي الذي كان شافعي المذهب حتى ألَّف في الدفاع عنه وترجيحه على غيره.

٤ - اكتفاؤه - في تفسيره تاج التراجم - بذكر الحكم الفقهي وفقاً للمذهب الشافعي دون التعرض إلى بقية المذاهب وذلك في كثير من المواضع[٤].

ومن ذلك ما جاء في تفسيره للبسملة [٥].

لكن مما يسترعي الانتباه - ونحن بصدد الحديث عن هذا الأمر - عدم وجود التعصب لهذا المذهب ونبذ غيره من المذاهب وأصحابها، فنجده يثني على الإمام

---

(١) وقع وهم لأحد الباحثين فظن أنه ماتريدي، وهذا خلاف الصواب!
ينظر: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د/ محمد أحمد لوح، ص ٥٧٣.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٨، طبقات المفسرين ٢١٢/١، كشف الظنون ٤٤٢/١، ٣٤٠/١، معجم المؤلفين ٣٨/٥، معجم المفسرين ٢٢٧/١، الأعلام ١٧٩/٣.

(٣) ينظر: طبقات السبكي ١١/٥، طبقات الأسنوي ١٩٧/١، طبقات ابن قاضي شهبة ٢٤٥/١، طبقات ابن الصلاح ٧٦٠/٢.

(٤) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١٦٥/١ بتصرف.

(٥) ينظر: المرجع السابق ١١٥/١ وما بعدها. وسبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن نسبته إلى المذهب الشافعي.

أبي حنيفة[١]، وعلى مصنفاته، ويبرئه مما نسب إليه أهل البدع[٢]. وذلك على الرغم من التوتر الشديد الذي كان سائداً في تلك الحقبة بين أتباع المذهبين ـ الشافعي والحنفي ـ خاصة في تلك البلاد، والذي حدا ببعضهم إلى تصنيف كتب في ترجيح أو تفضيل أحد المذهبين على الآخر[٣].

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي، الكوفي، الإمام الفقيه، الإمام المشهور من الأئمة المتبوعين، إليه ينسب المذهب الحنفي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي شهيداً سنة ١٥٠هـ.
ينظر: تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣ – ٤٥٤، وفيات الأعيان ١٦٣/٢، النجوم الزاهرة ١٢/٢، البداية والنهاية ١٠٧/١٠، سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٦.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ١٨٤ – ١٨٥.

(٣) ومن أمثلة ذلك:
"مناقب الإمام الشافعي" للبغدادي رد به على الجرجاني في ترجيحه مذهب أبي حنيفة.
"الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة" للبيهقي.
"مغيث الخلق في ترجيح القول الحق" للجويني، كلاهما في ترجيح مذهب الشافعي.
ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتاب الفرق بين الفرق ص ٤٣، ٥١، البيهقي وموقفه من الإلهيات ٧٣، منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة ٦٤.

المبحث الثاني

التعريف بكتاب: "التبصير في الدين"

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: توثيق نسبته.
- المطلب الثاني: ضبط عنوانه وموضوعه.
- المطلب الثالث: سبب تأليفه وتاريخه.
- المطلب الرابع: طبعاته.

المطلب الأول
توثيـق نسبتـه

لم ينل كتاب "التبصير في الدين" حظه من العناية والاهتمام من قِبَل المتقدمين وذلك مقارنة بكتب الفرق والمقالات والملل الأخرى، سواءً المتقدم منها عليه أو المتأخر عنه. وقل مثل ذلك في حق المتأخرين الذين أخرجوا الكتاب للنور، فمع عنايتهم به إلا أن عملهم لم يكن بالمستوى المطلوب، إضافة إلى أنهم لم يلقوا بالاً لتوثيق نسبته إلى مؤلفه.

وهذا يجعل أمر توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه أمراً بالغ الأهمية، خاصة وأن المؤلف من خلال ما كُتب عنه لم يكن كثير التأليف إذا ما قورن بأعلام مذهبه الذين عاصرهم، فالمعروف لدينا من كتبه قليل، وما وصل إلينا منها أقل، ومن ذلك القليل كتاب "التبصير في الدين" الذي يُعدّ أشهر كتبه التي وصلت إلينا بالعربية.

وقد ثبتت نسبته إليه بأدلة كثيرة لا يمكن أن يعتري الباحث معها شك في تلك النسبة.

ومن تلك الأدلة:

١ - ذكر المؤلف لبعض كتبه مراراً في ثنايا كتابه هذا، ككتابه "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم حيث ذكره وأحال إليه"[١]، وهو موجود ومشهور وقد استفاضت نسبة هذا الكتاب إليه لدرجة أن غالبية من ترجم له لا يهمل نسبة هذا الكتاب إليه[٢].

وكذلك كتابه "الأوسط"[٣] وهو من كتبه المفقودة.

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٩١.

(٢) ينظر: مراجع ترجمة المؤلف السابقة.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٢، ٦٥، ١٧٠، ١٩٤.

٢ - التصريح بنسبة الكتاب لمؤلفه على النسخ المخطوطة للكتاب وليس فيما اطّلعت عليه منها ما يدل على خلاف ذلك ألبته. فعلى سبيل المثال: جاء في بعضها (كتاب "التبصير في الدين وتمييزالفرقة الناجية عن الفرق الهالكين" للشيخ الإمام أبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني) [١].

وجاء في نسخة أخرى: (كتاب "التبصير في الفرق" الإمام أبي المظفر محمد الإسفراييني) [٢].

٣ - إشارة بعض العلماء المتقدمين إلى الكتاب ونقلهم عنه واقتباسهم منه مع نسبتهم الكتاب إليه، ومن أولئك على سبيل التمثيل:

- الإمام أبو بكر بن العربي، في شرحه لسنن الترمذي[٣].
- الإمام ابن حجر العسقلاني، في شرحه لصحيح البخاري[٤].

٤ - اتفاق المصادر التي اهتمت بالكتب والمؤلفين على نسبة الكتاب إليه في مواضع عدّة ومن ذلك:

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون[٥].
- معجم المؤلفين[٦].

٥ - التوافق الكبير - في بعض الجوانب - بين كتابي "التبصير في الدين" و"تاج التراجم"، خاصة فيما يتعلق بالجانب العقدي. لدرجة أن بعض الباحثين عدَّ ما أورده أبو

---

(١) ينظر: الصفحة الأولى من نسخة الكتاب الموجودة بمكتبة الفاتح والمصورة في آخر الطبعة الثانية من نسخة الكتاب المطبوعة بعناية الكوثري، علماً أن نسخة الكتاب المصورة بمكتبة جامعة الإمام قد سقطت منها الصفحة الأولى والأخيرة.

(٢) ينظر: الصفحة ٥٨ من نسخة الكتاب الموجودة بمكتبة الأسكوريال المصورة على الميكروفيلم بمكتبة جامعة الإمام.

(٣) ينظر: تحفة الأحوذي ١٠٩/٩ - ١١٠.

(٤) ينظر: فتح الباري ٢٧٠/١٢، كما أشار في موضع آخر إلى كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي، ينظر: المرجع السابق ٣٥٧/١٣.

(٥) ينظر: كشف الظنون ٣٤/١، ١٨٢٠/٢.

(٦) ينظر: معجم المؤلفين ٣٨/٥، ٣١٠/٣.

المظفر في الباب الخامس عشر من "التبصير في الدين" المتعلق ببيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وتحقيق النجاة لهم وفضائلهم، هو ما أورده في مقدمة كتابه "تاج التراجم" وأن الفرق بينهما هو الإيجاز والاختصار في الثاني، والتفصيل والإسهاب في الأول[١]، بل يكاد يكون ما في الأول ترجمةً لما في الثاني[٢].

٦ - التأثر الكبير والواضح بكتاب "الفرق بين الفرق" لشيخه وأستاذه البغدادي. حتى عدّه بعض الباحثين ملخصاً له[٣]، وأكد آخرون على أنه قلّد فيه شيخه[٤].

وكون هذا الأمر مما يقوي نسبة الكتاب إليه؛ لأن أبا المظفر يربطه بالبغدادي علاقة وطيدة، فإلى جانب كونه أحد تلامذته المتأثرين به، فهو أيضاً زوج ابنته - كما سبق الإشارة إلى ذلك - .

لذا تميز أبو المظفر بـ"إجادته لتدوين صفوة الصفوة من بحوث أستاذه وحميه أبي منصور البغدادي"[٥].

٧ - عدم وجود من ينسب الكتاب إلى غيره، أو ينكر نسبته إليه أو يشكك فيها قديماً كان ذلك أو حديثاً.

وعلى ذلك يبقى إثبات هذا الكتاب لأبي المظفر أمراً لا مطعن ولا مرية فيه.

---

(١) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/١٥٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/١٥٨.

(٣) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٥٢٨.

(٤) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٥٧٠.

(٥) ينظر: مقدمة الكوثري للتبصير في الدين ص ١٠.

المطلب الثاني

ضبط عنوانه وبيان موضوعه

"التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين" هذا عنوان الكتاب الذي اشتهر به، والذي يكاد يكون محل اتفاق بين غالب نسخ الكتاب المخطوطة، وجميع نسخه المطبوعة. ومما يؤكد ذلك - إضافة إلى ما سبق - :

١ - النص على هذا العنوان في الكتب التي أشارت إلى الكتاب، أو ترجمت لمؤلفه، وقد سبق الإشارة إلى بعضها[١].

٢ - موافقة هذا العنوان لموضوع الكتاب، والمنهج الذي سار عليه مؤلفه، حيث بنى كتابه على أساس حديث الافتراق[٢]، وأشار في نهايته إلى عقيدة الفرقة الناجية - في نظره - ثم بيَّن ما يميزها عن غيرها[٣].

ومع هذا كله فإن هناك من خالف في هذا العنوان، وعنون للكتاب بعناوين أخرى مثل:

"التبصرة في الدين في الفرق الثلاث والسبعين" وقد جاء هذا العنوان في إحدى نسخ الكتاب المخطوطة، التي صُرِّح فيها باسم المؤلف - أبي المظفر - مما يؤكد أنها للكتاب الذي نحن بصدد الكلام عنه[٤].

ولعل هذا العنوان الذي تفردت به هذه النسخة وقع نتيجة تحريف أو تصحيف أحد النسَّاخ، فلا يُعتد به لأمور:

١ - أن هذا العنوان لا يستقيم، وفيه ركاكة وضعف لا يتناسب مع لغة المؤلف وأسلوبه.

---

(١) ينظر: كشف الظنون ٣٤/١، ١٨٢٠/٢، معجم المؤلفين ٣٨/٥، ٣١٠/٣.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١٥٣ – ١٩٦.

(٤) ينظر: دليل المخطوطات ص ٦١.

٢ - تأخر نسخها، حيث حدّد عليها الفراغ من نسخها يوم الأحد ٢٩ من شهر ربيع النبوي[١] عام ١١٥٠هـ[٢].

٣ - الجهل بناسخها، حيث خلت من التصريح باسمه[٣].

٤ - مخالفتها لنسخ الكتاب الأخرى، وللعنوان المشتهر على ألسنة من ذكر الكتاب أو ذكر مؤلفه.

وفي بعض النسخ المخطوطة[٤] عنون له بـ"التبصير في الفِرَق" تأليف الإمام أبي المظفر محمد الإسفراييني.

وهذه التسمية غير دقيقة لعدة أمور منها:

١ - عدم الوثوق بهذه النسخة أو الاعتماد عليها؛ لأنها غير مكتملة بل إن النقص فيها كبير وأخطاءها كثيرة[٥]، إضافة إلى اختلاطها مع كتاب آخر كما لا يخفى على من اطلع عليها بكاملها، فكثير من أوراقها ليس من الكتاب الذي نحن بصدد الكلام عنه.

لذا يحتمل أن ناسخها أدخل مع الكتاب كتاباً آخر[٦].

---

(١) هكذا في المرجع، ولعل المراد "ربيع الأول" لأن ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في يوم الاثنين الثاني عشر أو التاسع منه وذلك عام الفيل.

ينظر: سيرة ابن هشام ١/١٤٠ - ١٤١، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ١٠٩، ١١٠، الرحيق المختوم ص ٥٤.

(٢) ينظر: دليل المخطوطات ص ٦١ - ٦٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٦١.

(٤) وهي نسخة مكتبة الأسكوريال.

(٥) ومما يدل على فداحة هذا الأمر الخطأ في اسم المؤلف حيث أسماه "محمد" وهذا مما تفرد به ناسخ هذه النسخة.

(٦) وقد وجدت إشارة إلى ذلك في كلام د/ محمود محمد الخضري في كلمته الملحقة بالطبعة التي حققها الكوثري وهي عن "الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم" حيث يقول: "وقد رأيت أثناء دراستي في إسبانيا نسخة ثانية له في خزانة الأسكوريال وهي مع كتاب آخر في مجلد... ولم ينتبه إليها مؤلفو الفهرست لاختلاط أوراقها بأوراق الكتاب الآخر...".

ينظر: التبصير في الدين بتحقيق الكوثري ص ٢٠٦.

بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه من مخالفة هذا العنوان للعنوان الذي عرف به الكتاب واشتهر به، وتأخر نسخها إلى القرن العاشر وتحديداً في ١٥/ربيع الآخرة/٩٧٥هـ إضافة إلى الجهل بناسخها.

كما أن من الأسماء التي عرف بها الكتاب واشتهر، تسميته بـ"الملل والنحل".

جاء في فتح الباري "وزعم أبو المظفر الإسفراييني في الملل والنحل..."[١] وتبعه في ذلك غيره[٢].

ولعل هذا كان باعتبار الفن الذي يبحث فيه، لهذا نلاحظ أنه كثيراً ما يُطلق على المصنفات المشهورة في هذا الفن كتب "الملل والنحل"[٣]، فمثلاً صاحب كشف الظنون يقول: "الملل والنحل صنف فيها جماعة منهم... وأبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني"[٤].

وقد نبه لهذا المعتني بالكتاب فقال: "وكتاب التبصير هذا هو المعروف بين أهل العلم بكتاب الملل والنحل له"[٥].

وبهذا يتبين أن عنوان الكتاب هو ما ذكرناه أولاً "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"، وبه يمكن التفرقة بينه وبين كتب الفن الأخرى وما صنف فيه.

أما موضوعه فظاهر من عنوانه الآنف الذكر، حتى إن القارئ أو السامع له ليعلم من أول وهلة أن الكتاب يبحث في موضوع الفرق والمقالات أو الملل والنحل بشكل أشمل، وأنه يتحدث عن فرق الأمة الإسلامية بناء على حديث الافتراق المشهور، حتى كأن الكتاب بمثابة شارح لذلك الحديث. ومن ثمَّ بيان تلك الفرق ثم تحديد الفرقة الناجية من بينها.

---

(١) فتح الباري ١٢/٢٧٠.

(٢) ينظر: تبيين كذب المفتري، مقدمة الكوثري ص ٢٨.

(٣) مثل كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ينظر: الفتاوى ٤/١٨ - ١٩، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي. ينظر: مقدمة التبصير في الدين للكوثري ص ٦.

(٤) كشف الظنون ٢/١٨٢٠.

(٥) التبصير في الدين، مقدمة الكوثري ص ١٠.

وقد تميز الكتاب عن غيره من كتب هذا الفن بمزيد من الإيضاح لعقيدة الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) - في نظر المؤلف - وهذا ما أهمل في بعض الكتب المشهورة في هذا الفن[١].

كما أن المؤلف لم يقتصر على ما سبق فحسب، بل نجده يعرض - بإيجاز - لبعض الديانات والمقالات الخارجة عن دائرة الإسلام ونطاقه ممن كانوا قبل الإسلام، إلا أن حديثه في هذا الجانب جاء في غاية الاقتضاب.

والكتاب يدور حول خمسة محاور هي موضوعات الكتاب الرئيسة التي تناولها المؤلف، وقد جاء ترتيبه لموضوعات الكتاب هذه بعد مقدمته على النحو التالي:

- الكلام عن الخلاف وظهوره بعد وفاة الرسول وزمن الصحابة، وبيان فرق الأمة على الجملة - وذلك في بابين - .
- الفرق التي تعدّ من جملة الاثنتين والسبعين وهي:

"الرافضة، الخوارج، المعتزلة، المرجئة، النجارية، الضرارية، البكرية، الجهمية، الكرامية، المشبهة".

وذلك في عشرة أبواب، حيث أفرد كل فرقة منها بباب.

وقد جاء حديثه عن هذا الموضوع مستغرقاً لنصف الكتاب أو أكثر تقريباً[٢].

- الفرق التي لا تعد من زمرة المسلمين ولا تكون من جملة الاثنتين والسبعين فرقة وقد أفرد لها فصلاً واحداً.
- مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام، وذكر منهم ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات وذلك في فصل واحد، بشكل موجز - كما سبق - .
- اعتقاد أهل السنة والجماعة وذلك في آخر أبواب الكتاب وهذا الباب هو الخامس عشر، وأدرج تحته ثلاثة فصول في: بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، وتحقيق النجاة لهم، وفضائلهم.

---

(١) وذلك مثل: الملل والنحل للشهرستاني، واعتقادات فرق المسلمين المشركين للرازي.

(٢) سيأتي البحث عن جميع هذه الفرق تفصيلاً.

وقد أشار المؤلف إلى هذه الموضوعات وجمعها في كلمات قليلة في مقدمة كتابه إذ يقول:

"وقسمته - بحول الله وقوته - على خمسة عشر باباً، جامعة لبيان أوصاف عقائد أهل الدين، وفضائح أهل الزيغ الملحدين"[1].

(١) التبصير في الدين ص ١٧.

المطلب الثالث

سبب التأليف وتاريخه

مما لا شك فيه أن أي عمل يقوم به الإنسان مهما كان لابد وأن يكون وراءه بواعث ودوافع جعلته يقدم عليه، والأعمال العلمية كالتأليف ليست بمنأى عن ذلك.

لذا نجد المؤلف في مقدمة كتابه يشير - كغيره - إلى السبب الباعث له على تأليف كتابه فيقول: "وقد ظهر في بلاد الإسلام أقوام من أهل البدع يخدعون العوام ويلبّسون عليهم الأديان وينتسبون إلى فريقي أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث والرأي، ويستظهرون بصدور لا يعرف حالهم من صدور أهل الإسلام...".

إلى أن قال: "فأردت أن أجمع كتاباً فارقاً بين الفريقين، جامعاً بين وصف الحق وخاصيته والإشارة إلى حججه، ووصف الباطل وحد شبهه ليزداد المطلع عليه استيقاناً في دينه، وتحقيقاً في يقينه، فلا ينفذ عليه تلبيس المبطلين، ولا تدليس المخالفين للدين"[1].

ومع هذا فإن المتأمل في كلام المؤلف في تلك المقدمة بوسعه أن يستنبط من خلالها أسباباً أخرى دفعته لوضع هذا الكتاب، ومن ذلك على سبيل المثال:

- عندما تحدث عن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يبقى في النار من كان في قلبه ذرة من الإيمان"[2].

قال بعد ذلك: "وما لم يتبين العاقل أوصاف البدع وأهلها لم يتقرر له حقيقة الإيمان المستخلص عن جميعها، وكلام النبي - صلى الله عليه وسلم - صدق ووعده حق، وهذا الذي أخبر عن وجود فرق الضلال فيما بين المسلمين لا محالة كائن"[3].

---

(١) التبصير في الدين ص ١٦ - ١٧.

(٢) شطره الأول رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، وروى الحديث أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الكبر، والترمذي، البر والصلة، باب ما جاء في الكبر.

(٣) التبصير في الدين ص ٦.

- عندما أورد ما روى عبدالله بن عمر[١] بن الخطاب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[٢].

"إن الذين ابيضت وجوههم هم الجماعة، والذين استودت وجوههم أهل الأهواء"[٣].

قال بعد ذلك: "فبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هذه الأمة يلتبس بها وينسب إلى جملتها كثير من أهل الأهواء يفارقونهم في حقيقة الإيمان، وإن كانوا يلتبسون بهم في ظاهر الحال فلابد للمؤمن من أن يعرف حالهم حتى يتميز عنهم، ويصون عقيدته عما هم عليه من البدع، ولا يكون كمن وصفه الله حين قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[٤]"[٥].

هذه الأسباب هي ما يمكن استخلاصه من كلام المؤلف.

بيد أن هناك أسباباً يمكن ضمها إلى الأسباب السابقة وإن لم يصرح بها المؤلف، لكنها - ولا شك - ساهمت - ولو من طرف خفي - في دفعه لوضع هذا الكتاب وذلك مثل:

- تأثر المؤلف بشيخه وأستاذه "البغدادي" وإعجابه به ومحاولة الاقتداء به في كتبه التي صنفها في هذا الشأن خاصة "الفرق بين الفرق" يؤكد هذا أوجه التشابه الكبيرة بين كل من الكتابين.

---

(١) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كانت هجرته قبل هجرة أبيه، وأول مشاهده الخندق، كان من المكثرين من رواة الأحاديث، وكان يقتدي بالرسول في كل أمره، توفي عام ٧٤هـ.
ينظر: أسد الغابة ٢٢٧/٣، الأعلام ١٨٠/٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٣) لم أجده بهذا النص في مضانه، ولكن أورده القرطبي في تفسيره بلفظ: "يعني تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة" ثم قال بعد ذلك: "ذكره أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. وقال فيه: منكر من حديث مالك" الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/٤، وقد كرر أبو المظفر ذلك الحديث أيضاً في آخر كتابه بالنص نفسه، ينظر: التبصير في الدين ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٥) التبصير في الدين ص ١٥.

- تأثير البيئة السائدة في الزمن والمكان الذي عاش فيه المؤلف، فقد كانت النواحي التي يقطنها مسرحاً للصراعات الشديدة بين الفرق الكلامية وأحياناً المذاهب الفقهية[١].

إضافة إلى أن التفرق والانشقاق في الأمة بلغ مبلغاً عظيماً إبان تلك الحقبة لم يكن قد بلغه قبل ذلك.

ومهما يكن من شيء فإنه - ومن خلال ما سبق - يتبين لنا أن المؤلف ألف كتابه هذا ابتداءً ولم يكن ذلك جواباً لسؤال أو تلبية لطلب ما، كما هو الحال في بعض المؤلفات.

أما تاريخ تأليفه فلم أجد ما يدل على ذلك أو يشير إليه تحديداً سواء في كلام المؤلف أو غيره.

فلم يكن هنا بُدّ من محاولة تقدير ذلك، وهنا أشير إلى أن أحد الباحثين قد ذكر أن الكتاب أُلِّف بعد عام ٤١٦هـ تقريباً[٢]؛ وذلك لإفادة المؤلف من كتاب "الفرق بين الفرق" للبغدادي الذي ألفه بعد هذا التاريخ[٣].

لكن يمكننا أيضاً - والحالة هذه - أن نجعل تاريخ تأليفه بعد سنة ٤٢٩هـ استناداً إلى أن المؤلف ترحَّم في التبصير على شيخه البغدادي الذي توفي في تلك السنة حيث قال في نهاية الكتاب "الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي قدس الله روحه"[٤].

لكن المرجح أن يكون تأليف المؤلف لكتابه هذا كان في وقت متأخر من حياته أو أنه من أواخر ما ألفه، وذلك استناداً إلى بعض القرائن التي تؤيد ذلك، ومنها ما يلي:

---

(١) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/١٥٧.

(٢) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٥٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٥٧، علماً أن الباحثة توصلت إلى أن تأليفه "للفرق بين الفرق" بعد سنة ٤٢١هـ ص (٥٧ - ٥٨) فالكلام بحاجة إلى ضبط وتحديد.

(٤) التبصير في الدين ١٩٤.

١ - أن تأليفه له كان بعد تأليفه لأشهر كتبه وهو كتاب "تاج التراجم" وكذلك بعد كتاب "الأوسط". حيث أشار للأول عند حديثه عن علم تفسير القرآن في آخر كتابه[١]، وأشار للثاني في عدة مواضع[٢].

٢ - إشارته بلا تحديد إلى جملة من كتبه التي لم يصلنا منها شيء وليس لدينا عنها أي معلومات أو إشارات.

فمثلاً: يقول عندما ذكر اختلافات المعتزلة واضطراباتهم: "غير أن التوفيق أعز من أن يناله أهل الشقاق والعصبية، وفضائحهم أفظع وأكثر من أن يمكن جمعها في مثل هذا الكتاب، وقد جمعنا في تفصيلها كتباً تشمل على معظمها..."[٣].

وكذلك يقول في آخر كتابه بعد حديثه عن كتابه الأوسط: "والله تعالى قد ينفع بجميع ما تيسر من التصانيف في الفقه، والفرائض، والمقدرات، والكلام، والتفسير، والتعبير بالفارسية ما شاءالله بفضله وجوده"[٤].

٣ - أن تأليفه للكتاب جاء بطريقة مرتبة ومنهجية منظمة - نسبياً - وتبويب وتقسيم حسن.

ولا شك أن هذا كان نتيجة لمرحلة النضج الفكري والتكامل المعرفي والصقل العلمي التي وضع المؤلف فيها كتابه هذا.

٤ - أن المؤلف ترحَّم على عدد من شيوخه الذين ذكر بعضاً منهم، ومنهم "البغدادي" الذي توفي سنة ٤٢٩هـ[٥]. وهذا فيه دلالة على أن تأليفه للكتاب كان بعد هذا التاريخ.

---

(١) ينظر المرجع السابق ١٩١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢٢، ٦٥، ١٧٠، ١٩٤.

(٣) المرجع السابق ٩٠.

(٤) المرجع السابق ١٩٤ - ١٩٥.

(٥) سبق الإشارة إلى ذلك، وينظر: المرجع السابق ص ١٩٤.

المطلب الرابع

طبعاتـــه

لقد كانت بعض كتب الفرق والمقالات محط اهتمام الكثيرين، لذا حظيت بالعناية والتحقيق، وتعدد المهتمون بها وتنوعت طبعاتها، ومنها ما ظفر بالدراسة والتحقيق العلمي، بل تجاوز الاهتمام أمر التحقيق والعناية إلى الاختصار والترجمة إلى عدة لغات مختلفة، كما اتسعت دائرة المهتمين بها فشملت جمعاً من المستشرقين(١).

أما "التبصير في الدين" فلم ينل نصيبه من تلك الجهود الضخمة، غير أنه - ومنذ وقت قريب - بدأت أولى خطوات ذلك الاهتمام تظهر - كما سيأتي - لكنها تعتبر متأخرة إذا ما قورنت بتاريخ الاهتمام الذي حظي به غيره، فقد بدأ بعضها قبل مائتي عام.

ولا يعرف للكتاب حتى الآن إلا طبعتان:

- **الأولى:** بعناية "محمد زاهد الكوثري"(٢) وذلك عام ١٣٥٩هـ اعتماداً على أصل مخطوط للكتاب، وقد طبعته مكتبة الخانجي بمصر. وتعد أكثر الطبعات شهرة وأوسعها انتشاراً، وقد تميزت بما يلي:

- عزو الآيات، وتخريج الأحاديث بشكل موجز، والترجمة لكثير من الأعلام، إضافة إلى التعليق على بعض المواضع، كما اشتملت على فهرس للأعلام وآخر للموضوعات.
- افتتاح الكتاب بمقدمة عن افتراق الأمة، ومنها حديث موجز عن أشهر كتب هذا الفن، إلى جانب ترجمة مقتضبة عن المؤلف، إلا أنها - مع ذلك - تعد أوسع ما كتب عنه.

---

(١) سبق الحديث والإرشاد إلى ذلك بالتفصيل في المبحث الثالث من التمهيد.

(٢) محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي، فقيه جدلي، حنفي متعصب للأحناف، ماتريدي المعتقد، متكلم مؤرخ عارف بعدة لغات، له عناية بتحقيق كتب التراث وإخراجها، وقد اشتهر بعدائه لمذهب وكتب السلف الصالح وأئمتهم، توفي سنة ١٣٧١هـ.

ينظر: الأعلام ٣٦٣/٦، ٣٦٤، معجم المؤلفين ٥٠٤/١٠، ومعجم الأعلام ص ٧٠٨، الإمام الكوثري لأحمد خيري.

- تضمنت كلمة للأستاذ الدكتور/ محمود محمد الخضري[١] عن "الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم".
- ختمت بكلمة للناشر الذي عُنِيَ بنشرها وراجع أصلها ووقف على طبعها[٢].
- ألحق بها جدولاً لبعض التصويبات والاستدراكات، وجاءت في صفحة واحدة.

وقد أعيدت طباعتها مرة ثانية سنة ١٣٧٤هـ، طبعتها مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، وتميزت هذه- إضافة إلى ما في سابقتها - بما يلي:

- ألحق بها كتاب "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة"[٣].
- وجود فهارس للبلدان والفرق والطوائف.
- وجود صورة للصحيفة الأولى والأخيرة من أصل المخطوط.

وتقع هذه الطبعة في سبع وأربعين ومائتي صفحة، لكن هذه الطبعة - بشقيها - لم تخل من العيوب والملحوظات، ومن أبرزها:

- تعكير صفو الكتاب بدس المحقق لآراء وأقوال فاسدة في الهوامش التي وضعها، كسبه ولمزه لبعض السلف وتنقصه لأهل السنة والجماعة وأئمتهم والنيل منهم[٤]،

---

(١) وهو أستاذ لتاريخ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية، وكلية أصول الدين بالأزهر.
ينظر: التبصير في الدين بعناية الكوثري ٢٠١.

(٢) وهو عزت العطار الحسيني وهوالذي دفع بالنسخة المخطوطة للكوثري للعناية بها وتحقيقها.

(٣) للعلامة محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني

(٤) ينظر: هوامش التبصير في الدين ص (٣٢، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١١٨، ١٢٥، ١٤٤، ١٥٤). من ذلك قوله عن "يزيد بن معاوية" رضي الله عنه: "ذلك الظالم المعروف، ولابن الجوزي رسالة في استنزال اللعنات عليه، هلك سنة ٦٤هـ" ص ٣٢.
وقوله عن السكسكي صاحب البرهان: "المجهول" وأن ما قاله "تخليط ظاهر، وكم له من هذا القبيل على زيفه ولم يكن الرجل من رجال هذا العلم" ص ٩٨، وانظر مثل ذلك ص ١٠٨.
كما لمز أهل السنة بأنهم حشوية حيث يقول: "وكان من عادة الحشوية نبذ خصومهم من المنزهين بالتجهم إفكاً وزوراً..." ص ٩٨، وانظر مثل ذلك ص ١٤٤، وص ١١٨، وص ١٠١.
وكذلك لمزه لابن قتيبة ص ٧٣، ٩٩، ١٢٥، والبربهاري ١٠٢، ١١٨، وأبي يعلى ١٠٠، ١٤٤، والدارمي ١٤٤، ١٤٦، وابن القيم ص ١٥٤.

وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية[١] - رحمه الله -.

- القصور والخلل في تخريج الأحاديث والآثار وكذلك في الترجمة للأعلام إضافة إلى إهمال كثير من الأحاديث والآثار وكذلك الأعلام.
- طعن المحقق في حديث الافتراق والتشكيك في صحته وثبوته، مخالفاً بذلك جمهور العلماء وأئمة هذا الفن وجهابذته[٢].
- عدم الإخراج الجيد والرصين للكتاب، المتمثل في كثرة الأخطاء الطباعية، وإهمال علامات الترقيم، وما إلى ذلك.
- الاعتماد على نسخة واحدة للكتاب دون مقابلتها مع نسخ أخرى رغم وجودها[٣].

---

(١) ينظر: هوامش التبصير في الدين ص (١٠٠، ١٠٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨) من ذلك قوله: "ومذهب ابن تيمية في الاعتقاد على لفه ودورانه وجريه على مراحل، خليط من مذهبي ابن كرام والبربهاري بنوع من التفلسف بفلسفة ابن ملكا اليهودي في المعتبر، وليس لتشغيبه حظ أصلاً من مذهب السلف الصالح، وأين الخوض من التنزيه مع التفويض؟" ص ١٠٢، وقوله: "فيكون ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى وحلولها فيه ولاسيما في هامش منهاجه ٢/٧٥ خارجاً من معتقد أهل الحق" ص ١٤٧.

(٢) ينظر: المبحث الثاني من التمهيد، حيث جاءت الإشارة إلى شيء من ذلك بشكل أوسع.

(٣) سبقت الإشارة إلى بعضها في ثنايا الصفحات السابقة، فمثلاً: في مخطوطة الأسكوريال ما لا يوجد في مخطوطة الفاتح وكذلك العكس. إضافة إلى أن هناك نسخ أخرى لم يرجع إليها فضلاً عن الإشارة إليها، وقد أشار إلى بعضها د/ محمود الخضيري في مقالته الملحقة بهذه الطبعة، ومصطفى عبدالرازق في مقالته الملحقة بكتاب: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي مثل:

- النسخة الموجودة في خزانة الدولة برلين وتاريخها غير مذكور، ولكن ناسخها عاش في القرنين السابع والثامن، وذكر البعض أن تاريخ كتابته سنة ٧٠٠هـ.
- نسخة مكتبة باريس الأهلية ورقمها ١٤٥٢ وتاريخها سنة ١٢٢٩.
- نسخة مكتبة الأزهر، كتبت بخط واضح، كتبها ولي الدين الشبراوي، وفي أولها وآخرها إشهاد ووقف تاريخه ٩٩٨هـ ولا تخلو من بعض التحريف واللحن.

ينظر في ذلك: مقال "الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم" للخضيري الملحق بكتاب التبصير بعناية الكوثري ص ٢٠٦. مقال "الصوفية والفرق الإسلامية" لمصطفى عبدالرازق الملحق بكتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين بعناية النشار ص ٩.

- **الثانية**: بتحقيق "كمال يوسف الحوت"[١] عام ١٤٠٣هـ طبعته دار عالم الكتب ببيروت، وفيها مقدمة مختصرة جداً للمحقق، عدَّد فيها بعض كتب الفرق والمقالات المشهورة، ثم ترجم للمؤلف باختصار شديد في قرابة الصفحة وليس فيها جديد أو جهد يستحق الإشادة، لأنها لا تعدو أن تكون نسخة أخرى للأولى كما هو واضح من عمل المحقق، حيث اعتمد عليها ولم يرجع لنسخ خطية للكتاب، فاستفاد كثيراً من الجهد المبذول في الطبعة السابقة خاصة في التخريج والتراجم. وجاءت في سبع وعشرين ومائتي صفحة، إلا أنها خلت من كثير من التعليقات الفاسدة التي كدرت الطبعة الأولى[٢].

لكنه أفسد الكتاب بالتلاعب في متنه والتصرف فيه بكل جرأة وصفاقة، مما يخل بالأمانة العلمية في التحقيق، كما أنه يصرف كلام المؤلف عن مراده، وذلك بإدخال فرق ضمن فرق أخرى، حين أبرزها وكأنها تبع لها، وأدرجها في غير موضعها، مع أن المؤلف لم يرد ذلك وإنما عرض أقوالاً في مسألة معينة ونسب الأقوال فيها لأصحابها. فأتى ذلك المحقق - بزعمه - وعنون لكل قول منها باسم الفرقة التابعة لصاحب ذلك القول.

فمثلاً: عندما تحدث المؤلف عن إحدى فرق الرافضة وذكر أن لها فرقتين تندرج تحتها[٣].

---

(١) هو: كمال يوسف الحوت يعد من أتباع طائفة الأحباش ومن تلاميذ زعيمهم الضال عبدالله الحبشي. ويعمل ضمن مجموعة من أتباع الطائفة في تحقيق المخطوطات وكتابة الأبحاث في مركز الخدمات والأبحاث الثقافية التابع للأحباش في لبنان، ويُعد كمال أميناً لقسم المخطوطات وهو صاحب كتاب "التدقيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني" والذي كتب على غلافه بأنه لمجموعة من العلماء.
ينظر: تاريخ الفرق وعقائدها، د/ محمود سالم عبيدات ص ٢٧٠، مقدمته للتبصير في الدين ص ٧، شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبياً، سليمان الخراشي ص ٣٩، "المقالات السنية في تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية" لعبدالرحمن دمشقية ١٩٥، فرقة الأحباش للشهراني، ١/١٣١.

(٢) إلا في مواضع نادرة، ينظر: التبصير في الدين ص ١١٢.

(٣) الفرقة هي الكيسانية وقد صرح تحتها باسم فرقتين هما: الكربية والبيانية، ينظر: التبصير في الدين ص ٣١ - ٣٢.

كما بُين ذلك في الباب الذي جعله لبيان فرق الأمة على الجملة[١].

فجاء ذلك المحقق وأوصلها إلى أرفع فرق[٢].

وليته إذ سلك هذه الطريقة التزمها، لكنه نجده على خلاف ذلك، ففي المثال السابق على مقتضى طريقته تصل الفرق إلى خمس فرق[٣]، بينما هو لم يبرز سوى أربع.

وصنيعه هذا يوحي للمطَّلِع على الكتاب بتناقض المؤلف وعدم درايته بما يكتب، وهذا يبين إلى أي مدى يتلوث ويفسد تراث الأمة العلمي عندما يتطفَّل عليه من ليس أهلاً لتحقيقه والعناية به، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولذا وُصِف الحوت بأنه: "يشتغل بتحقيق الكتب، أو بالأحرى إفساد تراث الأمة"[٤].

ليس هذا فحسب، بل إن هذه الطبعة ولدت متخمة بالأخطاء الطباعية، والذي يظهر من كلام المحقق أنه لم يكلف نفسه البحث عن مخطوطة الكتاب ودراستها وتدقيق النظر فيها.

لذا لو قال قائل: إن هذه الطبعة ظاهرها التحقيق وباطنها السرقة والتلفيق لما أبعد النجعة.

فعلى الرغم من عدم إشارته إلى اطلاعه على مخطوطة الكتاب، فقد جاءت طبعة مطابقة بشكل كبير للطبعة الأولى، حتى في تلك التعليقات الهامشية.

وهنا أهتبل هذه الفرصة لكي أشير إلى أن تظافر الأيدي وتوالي الجهود لخدمة تراث الأمة وموروثها مما يبهج النفس ويثلج الصدر، بدلاً من تركها لعبث المبتدعة وتطاولهم لكن يستحسن ألا تترك تلك الجهود دون إضافة جديد مفيد، أو تعليق جوهري سديد.

ومع هذا فإن الكتاب لم ينل نصيبه من التحقيق العلمي والدراسة العميقة، ولايزال بحاجة إلى من ينبري للعناية به ليتبوأ مكانته بين كتب هذا الفن، ويكون له حضوره على مسرحه، ومن ثم الاستفادة منه كما استفيد من غيره.

---

(١) وذلك في الباب الثاني، حيث قال: "ومن جملتهم الكيسانية وهم فرقتان كما نبينه فيما بعد" التبصير في الدين ص ٢٣.

(٢) فأضاف وأبرز الهشامية والمختارية مع أن المؤلف لم يصرح باسمهما.

(٣) وذلك بإضافة: الحربية.

(٤) فرقة الأحباش ١/١٣١.

المطلب الأول

السمات العامة لمنهجه في الكتاب

أبو المظفر الإسفراييني في كتابه "التبصير في الدين" له منهج ألّف الكتاب على ضوئه -كغيره من المصنفين في مصنفاتهم- ومن خلال النظر في الكتاب ودراسته تظهر السمات العامة لذلك المنهج الذي ارتضاه وسار عليه، والتي تشكل الأطر العامة والمحاور الهامة للكتاب والمنهج المتبع فيه، ومن أبرز تلك السمات ما يلي:

١- المتابعة لشيخه وأستاذه البغدادي في "الفرق بين الفرق":

وهذا الأمر يعتبر من أبرز سمات الكتاب العامة التي تتجلى لمُطَالِعِه، يظهر ذلك في مجمل الكتاب، خاصة فيما يتعلق بالتسلسل والتقسيم العام، والاعتماد على حديث الافتراق، وتعداد أمهات الفرق وترتيبها في الجملة[١]، وبيان أشهر آراء وأقوال كل فرقة، ثم في تحديد الفرقة الناجية وبيان اعتقادها، وتحقيق نجاتها، وما اختصت به من الفضائل.

وقد برزت هذه السمة لدرجة عَدَّ معها البعض "التبصير في الدين" ملخصاً لـ"الفرق بين الفرق"[٢]، بل ذهب آخرون إلى أن صاحب "التبصير" اطّلع على كتاب "الفرق"، وأن تأثره فيه واضح[٣]، وهناك من توصل -بعد الموازنة بين الكتابين- إلى أنه "لو قيل إن أبا المظفر اعتمد على كتاب "الفرق" لكان القول قريباً من الصواب"[٤].

---

(١) إلا في الضرارية فقد قدمها على الجهمية والبكرية، بينما جعلها البغدادي بعدهما.

ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، الفرق بين الفرق ص ٢١١ - ٢١٤.

(٢) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٥٢٨/١.

وينظر كذلك: مقدمة الأستاذ: محمد محي الدين عبدالحميد للفرق بين الفرق ص ٦.

(٣) وقد ذكر ذلك: محمد أحمد دهمان.

ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ص ١٧ من الجزء الأول والثاني من المجلد الحادي عشر.

(٤) عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٦٣.

ومع ذلك فإن هناك عدداً من الجوانب والمسائل خالف فيها الإسفراييني أستاذه البغدادي! وسيأتي الحديث عنها- بشيء من التفصيل - عند المقارنة بين الكتابين.

٢ - الالتزام بالإيجاز والاختصار:

من الأمور المسلَّمة أن الإيجاز والاختصار أمر محمود، ومنهج حسن، لما فيه من الابتعاد عن الحشو والإطالة، والسلامة من إملال القارئ، لذلك حرص المصنِّفون على ذلك في كتبهم، ومنهم مصنفو كتب المقالات والفرق[1]، وقد كان أبو المظفر الإسفراييني أحد أولئك الذين سلكوا هذا المنهج واتبعوه حتى غدا سمة يوسم ويوصف بها كتابه.

وقد صرح الإسفراييني بالالتزام بهذا الأمر في مستهل كتابه حيث يقول بعد عرضه وتقسيمه لأبواب الكتاب: "وذكرت في كل باب ما يقتضيه شرطه على حدّ الاقتصار والاعتدال، مصوناً من الإملال والإكثار بفضل الله وتوفيقه"[2].

وبالنظر إلى مدى تحقيقه لهذا الأمر نجد أنه وفّى بذلك والتزمه إلى حدّ كبير، يظهر ذلك جليّاً واضحاً عند المقارنة بين حجم الكتاب وموضوعاته التي هي مادته، فحجم الكتاب يبدو صغيراً إذا ما قورن بكثرة الموضوعات والأبواب التي تناولها وعرض لها.

وفي سبيل حرصه على الالتزام بهذه السمة ولتحقيق هدفه منها قام بالتركيز - في حديثه عن الفرق - على ذكر الأقوال المتعلقة بالمسائل الأصول وذات الاتصال بالجانب العقدي، والاقتصار عليها غالباً.

وأما ما خلا ذلك من آراء فقهية وغيرها فإنَّ عرضه لها - إلى جانب قلته - يكون يسيراً بكلمات محدودة.

---

(١) وقد حرص الكثير منهم على ذلك، وجاءت عباراتهم صريحة تدل عليه:
ينظر: مقالات الإسلاميين ٣٣/١. - التنبيه والرد ص ١٣، ٢٣. - الملل والنحل ٣٣/١.
- عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١٠٢/١. - البرهان ص ١٣.

(٢) التبصير في الدين ص ١٧.

المبحث الثالث

دراسة تمهيدية للكتاب

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: السمات العامة لمنهجه في الكتاب.
- المطلب الثاني: تقويم الكتاب علمياً وعقدياً.

يتجلى هذا الأمر بوضوح حال مقارنة ما ذكره الإسفراييني بما ذكره شيخه البغدادي، فعلى الرغم من متابعته الشديدة له - كما سبق - نراه يهمل كثيراً من الآراء والأقوال، بل وأحياناً بعض الفرق الصغيرة التي أوردها شيخه، ويقتصر على المهم منها(١).

وفي تأكيد لهذه الصفة التي اتَّسم بها الإسفراييني في كتابه قال عنه البعض: "والمصنف - رحمه الله - استوفى في هذا الكتاب - من غير إملال ولا إخلال - بيان عقائد أصحاب الملل والنحل"(٢).

٣ - العناية بالمقدمات والخواتيم:

وهذه من السمات البارزة على المستوى العام للكتاب - هذا من ناحية - وعلى المستوى الخاص بكل فرقة من ناحية أخرى.

- أما الناحية الأولى: فإن الإسفراييني يعرض في مستهل كتابه لمحة موجزة عن مضمون الكتاب الكلي وغايته، وهو بيان فرق الأمة الثلاث والسبعين ومن ثَمَّ تمييز الفرقة الناجية من بينها، وكأنه بذلك يقدم تلخيصاً لمحتوى الكتاب.

وقد جاء ذلك في الباب الثاني والذي جعله في بيان فرق الأمة على الجملة(٣). وأشار فيه إلى أمهات الفرق، وعدد الفرق المتفرعة عن كل منها، ثم ذكرها بأسمائها حتى أوصلها إلى العدد المذكور.

بعد ذلك سار في كتابه يفصِّل الحديث عما أجمله بالكلام عن كل فرقة بشكل مستقل، حتى انتهى به المطاف -في ختام ذلك العرض- إلى الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة فتوسع في الحديث عنها وختم بها كتابه.

---

(١) ومن ذلك على سبيل المثال: حديثهما عن المشبهة، فالبغدادي تكلم عنهم في قرابة الخمس صفحات أو أكثر، بينما جاء حديث الإسفراييني عنها في صفحتين تقريباً.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ - ٢٣٠، التبصير في الدين ص ١١٩ - ٢٢١.

(٢) مقدمة الكوثري للتبصير في الدين ص ١١.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٣ - ٢٥.

بهذه الخاتمة - وقبله ذلك التسلسل - تظهر عنايته بالمقدمات والخواتيم ، وتتحقق بذلك غايته التي وضع الكتاب وصنفه من أجلها ألا وهي "تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين".

- من الناحية الثانية : نجد الإسفراييني يهتم كثيراً بمقدمة وخاتمة الحديث عن كل فرقة ، فيضع ابتداءً مقدمةً موجزة تعطي القارئ تصوراً عن تلك الفرقة ، وترسم له معالمها الأساسية وذلك ببيان عدد فرقها أو أصنافها - كالرافضة والكرامية والمشبهة -[1] وأحياناً يضم إلى ذلك ذكراً لأهم أقوالها التي أجمعت واتفقت عليها - كالخوارج والمعتزلة - [2] وقد يكتفي بذكر القول الذي اشتهرت به وكان سبباً في ظهورها - كالجهمية والمرجئة -[3] وربما بذكر زعيمها الذي تنسب إليه ، وبيان موافقتهم ومخالفتهم لغيرهم من الفرق المشهورة ، أو ما انفردوا به من أقوال وآراء - كما هو الحال مع النجاريّة والضراريّة والبكريّة[4].

وفي المقابل نجده يهتم أيضاً بختام الحديث عن كل فرقة فيبيّن في تلك الخاتمة ما فاته في مقدمة حديثه عنها - إن وقع ذلك - تماماً كما فعل مع الروافض[5].

وأحياناً يورد في تلك الخواتيم ما يدعو إلى النفور من تلك الفرقة إما بذكر بعضٍ من الأحاديث والآثار الواردة في ذمها ، أو ببيان فساد معتقداتها ، سواء كانت أقوالاً قالت بها ، أو آراءً مالت إليها[6].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٢٧ ، ١١١ ، ١١٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٤٥ ، ٦٣ – ٦٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٩٧ ، ١٠٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٤١ – ٤٣.

(٦) ويظهر ذلك بوضوح في ختام حديثه عن كل من الروافض والمعتزلة بشكل خاص.
ينظر: التبصير في الدين ص ٤١ – ٤٣ ، ٩١ – ٩٥.

٤ - التأكيد على أن مذهب الأشاعرة هو مذهب أهل السنة والجماعة :

تمييز الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - عن غيرها من الفرق الهالكة هو هدف أبي المظفر الإسفراييني الرئيس الذي من أجله صنَّف كتابه هذا - كما هو ظاهر من العنوان الذي وسمه به - .

وقد سعى في تحقيق ذلك من خلال عرضه لمعتقدات الفرق الأخرى حتى وصل - في الختام - إلى أن أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، لكنه عند بيانه لمعتقدهم نجده يقرر ويؤكّد مذهب الأشاعرة ومعتقدهم!!

واختيار لفظ "التأكيد" هنا ؛ لأن الإسفراييني جاء متابعاً في ذلك لشيخه البغدادي، الذي يُعدّ من أوائل من قام بصياغة آراء الأشاعرة على أنها عقيدة لجمهور أهل السنة من المسلمين حتى كاد يستقر في أذهان كثير من الناس ؛ لولا ظهور مجدد مذهب السلف ابن تيمية - رحمه الله - الذي كشف عن أن عقائد الأشاعرة لا يمكن أن تُردّ كلها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأئمة السلف[١].

ولذا عُدّ هذا الأمر من المعالم البارزة في منهج البغدادي ومما كان له أثر فيمن أتى بعده[٢]، ومنهم الإسفراييني.

وقد سلك البغدادي في سبيل ذلك عدة طرق كان من أهمها وأكثرها تأثيراً ما قام به في كتابه "الفرق بين الفرق" حيث "حصر أعداد الفرق لتوافق ما في الحديث فذكر اثنتين وسبعين فرقة، ثم الفرقة الثالثة والسبعين، وجعلها فرقة أهل السنة والجماعة على أنهم الفرقة الناجية، الواردة في الحديث.

ولما شرح اعتقاد هذه الطائفة ذكر عقائد الأشعرية مختصرة، وفصلها في كتابه "أصول الدين"، ولما كان هذا الكتاب أول كتاب في الفرق بعد مرحلة الأشعري،

---

(١) ينظر: في علم الكلام - الأشاعرة - د. أحمد صبحي ١١٦/٢.

(٢) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبدالرحمن المحمود ٥٧٨/٢.

وجاء مرتباً على هذه الطريقة، توهم الكثيرون أن ما عرضه من عقائد الفرقة الناجية في كتابه هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة الذي يجب اتّباعه"[١].

وقد تابعه على ذلك بعض من جاء بعده[٢] وعلى رأسهم تلميذه أبو المظفر الإسفراييني في بعض كتبه[٣].

وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث.

تلك هي أبرز السمات العامة لمنهجه في الكتاب.

ولكن مع ذلك نجد أن منهجه في تقسيم الكتاب وترتيبه، ومنهجه في عرض الآراء والتعقيب عليها يحتاجان إلى مزيد بيان وتنويه بأبرز سمات كل منهما على الرغم من الإشارات التي سبقت، وما ذلك إلا لأنهما يعدان محورا الارتكاز الذي يقوم عليهما الكتاب. وبناءً على ذلك سنفرد كلاً منها بحديث مستقل[٤] على النحو التالي:

٥- منهجه في تقسيم الكتاب وترتيبه:

أ- بنى الإسفراييني كتابه على حديث الافتراق، وجعله قاعدة ينطلق منها، فقسَّمه وفقاً لما جاء فيه، فأضحى الكتاب وكأنه شارح لذلك الحديث، ومفسر له، ومبيّن للمراد منه، يؤكد هذا الأمر ذلك التقسيم التدريجي المتبع من بداية الكتاب إلى نهايته، حيث بدأ بالحديث عن حديث الافتراق ثم تحدث عن وقوع الخلاف في الأمة الإسلامية إلى أن أدّى ذلك إلى الافتراق، وظهرت على إثر ذلك الفرق تتوالى، حتى وصلت - في نظره - إلى العدد المذكور[٥].

---

(١) المرجع السابق ٢/٥٧٨ - ٥٧٩.

(٢) ومن أولئك: الإيجي في المواقف ص ٤٢٩، والفخري في تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان ص ٣٨.

(٣) وذلك في: التبصير في الدين ص ١٥٣ - ١٩٦، ومقدمة تفسيره تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم.
ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/١٥٧ - ١٥٨.

(٤) سأترك التمثيل على كثير مما أذكره هنا لكي لا أطيل أو أقع في التكرار، حيث ستأتي أمثلة ذلك في الفصول التالية بمباحثها، إذ تعد مفصلة لما أجمل الكلام عنه هنا.

(٥) وقد أجمل ذلك في الباب الثاني. ينظر: التبصير في الدين ص ٢٣ - ٢٥.

بعد ذلك فصَّل الحديث عن أمهات الفرق وما تشعبت إليه كل فرقة منها، حتى أوصلها إلى اثنتين وسبعين فرقة، ولكي يدفع أي توهم قد يَرِد بسبب تركه لبعض الفرق بيّن بعد ذلك الفرق التي تدعي الانتساب إلى الإسلام وليست من زمرة المسلمين فلا تعدّ ضمن الاثنتين والسبعين فرقة.

ثم ختم بتمييز الفرقة الناجية، وهي الثالثة والسبعين والتي يكتمل بها عقد العدد المحدد في الحديث.

ولأن الانتظام في سلك هذه الفرقة والانتساب إليها مطمح وغاية كل مسلم أسهب في الحديث عنها، مبيّناً لمعتقدها، ومحققاً لنجاتها، ومنوِّهاً بفضلها.

فحقق هذا التقسيم وذلك الترتيب - الذي سار عليهما - الهدفَ الذي كان يصبو إليه، وهو تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين.

ب - اختياره لطريقة التقسيم على الفرق، وذلك بوضع الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم يورد مذهب كل فرقة عند مرور ذكرها، وهذه الطريقة - بلا شك - "أضبط للأقسام، وأليق بأبواب الحساب"[١].

وبالتالي وصلت أمهات الفرق لدى المؤلف عشر فرق، وهي: (الروافض، الخوارج، المعتزلة، المرجئة، النجاريّة، الضراريّة، البكريّة، الجهميّة، الكراميّة، المشبّهة)، وقد كان في ذلك موافقاً لكل من الأشعري والبغدادي، لكن موافقته للأشعري كانت في العدد دون الأسماء حيث خالفه في تعيين بعض الفرق[٢]، بينما جاءت موافقته للبغدادي في عدِّها وتعيينها معاً[٣].

---

(١) هذا من كلام الشهرستاني في الملل والنحل ١/١٦، واشتهر عنه في تفضيل التقسيم للفرق حسب أصحاب المقالات أو الرجال، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٢) فذكر الأشعري: العامة، والكلابية. بينما ذكر الإسفراييني مقابلها: الكرامية، والمشبهة.

(٣) القول بأن الأشعري والبغدادي والإسفراييني جعلوا أصول الفرق عشرة، هو المشهور عند الباحثين في هذا المجال.

ينظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٢٦٦، عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ١٠٤.

والصواب - والله أعلم - أن أصول الفرق عند كل منهم إحدى عشرة فرقة، فالأشعري مع أنه ذكر أنهم عشرة أصناف، لكنه عندما عدَّها أوصلها إلى أحد عشر صنفاً، وقد أشار محقق الكتاب لهذا. =

جـ - سلك أبو المظفر الإسفراييني في حديثه عن كل فرقة من أمهات الفرق - في الغالب - منهجاً معيناً، حيث يبدأ بذكر اسمها وبيان عدد فرقها - إن كان لها فرق - ثم يبيّن سبب تسميتها سواء كان ذلك نسبة إلى زعيمها أو إلى أحد أقوالها أو أفعالها، ثم يشير إلى ما أجمعت عليه تلك الفرقة من أصول ومسائل. بعد ذلك يشرع في الحديث عن فرقها المتفرعة عنها - كل منها على حدة - مبتدئاً بذكر اسمها وسبب التسمية وقد يذكر أكثر من اسم للفرقة إذا عرفت بذلك، ثم يواصل ذكر أبرز مالها من آراء وأقوال. حتى إذا انتهى من ذلك ختم حديثه عن الفرقة الأم بكلام مجمل يورد فيه بعض التعقيبات عليها، وأحياناً بإيراد بعض الأحاديث أو الآثار الواردة في ذمها، كما قد يشير إلى ما أجمعوا عليه من آراء إن لم يكن قد أشار إليها من قبل.

٦ - منهجه في عرض الآراء والتعقيب عليها:

أ - دقته وموضوعيته في عرضه لكثير من الآراء، وذلك بضبطها ونسبتها إلى قائليها، فيفرق بين ما قاله زعيم الفرقة أو أحد المنتسبين إليها، وبين ما قالت به الفرقة بمجموعها.

وكذلك بالتمييز بين ما اتفقت عليه الفرقة وأصبح مَعْقِدَ إجماعها، وبين ما كان محل اختلاف وتنازع فيما بينها.

ب - اهتمامه بالمقارنة والربط بين الآراء، حيث يربط ويقارن بعض آراء الفرق التي يبسطها، إما بفرقة أخرى تندرج معها تحت سقف فرقة واحدة من الفرق الأصول، أو بفرقة أخرى منفصلة عنها.

= ينظر: مقالات الإسلاميين ٦٥/١، وكذلك الشأن مع كل من البغدادي والإسفراييني. وذلك بإدخال أهل السنة والجماعة التي جعلها كل منهما الفرقة الناجية وأكملوا بها العدد الوارد في الحديث. إلا إذا كان المقصود بأصول الفرق - أي الفرق الضالة والمبتدعة - فيكون ما ذهبوا إليه صحيحاً، لكن القول بهذا لا يخلو من ورود بعض الإشكالات عليه، حيث إن كثيراً من الذين تحدثوا عن تعداد وتعيين أمهات الفرق والأصول منها عدّوا أهل السنة والجماعة - أو أهل الحديث -ضمنهم، ومن أولئك: الأشعري، والملطي، وابن حزم، والخوارزمي، والمقريزي، والسكسكي وغيرهم.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٦٥/١، التنبيه والرد ص ١٠٦، الفصل ٢٦٥/٢، مفاتيح العلوم ص ٣٥، الخطط ١٦٤/٤، البرهان ص ٩٤، ٩٥ - ٩٩، تلخيص البيان ص ٣٠، ٣٨، خبيئة الأكوان ص ١٤.

وقد يربط رأياً ما ويقارنه بديانات وملل أخرى، قاصداً الإشارة إلى مدى التأثر والتأثير أو التشابه والتقارب بين تلك الآراء - هذا في الغالب - وقد يكون مراده - أحياناً - بيان الصواب وتوضيح الخطأ الكامن بين تلك الآراء - في نظره -، وقد يكون لبيان نقاط الاختلاف والاتفاق بينها.

واستخدام المقارنة أو الربط قد يكون بين فرقتين مجملاً وعامّاً، وهذا كثيراً ما نراه بين الفرق الفرعية التابعة لفرقة أكبر منها والمنتظمة في سلكها.

وقد يكون في مسألة أو رأي أو أكثر، سواءً كانت متعلقة بالأصول أو بالفروع.

جـ - إيراده لأدلة بعض الآراء التي استدل بها أصحابها، إلا أنه لا يستوفي أو يستقصي أدلة كل رأي.

وقد تتنوع تلك الأدلة، فتارة تكون سمعيّة - من الكتاب والسنة - وتارة تكون عقليّة - من القياس وغيره -.

ومهما يكن من أمر فإن ذلك يظل محدوداً وقليلاً، إذ الغالب هو سياق الآراء وعرضها دون أدلتها.

د - تنويعه للتعقيبات التي يعقّب بها على ما يذكره من مسائل وما يورده من آراء.

فكثيراً ما يكون التعقيب سمعيّاً من الكتاب أو السنة أو الإجماع ببيان مخالفتهم له، وقد يكون عقليّاً عن طريق القياس أو الإلزام أو الاطّراد، وفي أحيان كثيرة يستخدم أسلوب الحُكْم بالكفر إما للفرقة أو لصاحب المقالة، وقد يقرن ذلك بالحكم بدخول النار.

كما قد يلجأ إلى ذكر الغاية التي من أجلها جاء ذلك القول وتلك الآراء.

وأحياناً يكون أسلوبه في عرض الرأي يحمل في طياته الرد والتفنيد.

وهنا يلزم الإشارة والتنبيه على أمر مهم وهو: أنه مع تعدد أساليب تلك التعقيبات والردود وتنوعها فالكتاب - في نظري - لا يعدّ من كتب الفن المتّبعة لمنهج

النقد والمناقشة أو المنهج الجدلي بشكل عام وكلي، كغيره من كتب أساطين هذا الفن الذين التزموا - في الجملة - بذلك المنهج، كالبغدادي[١]، وابن حزم[٢] وذلك لأمرين:

الأول: عدم التزامه بذلك المنهج مع كل فرقة.

فبينما نجد كلامه عن المعتزلة - مثلاً - مليئاً بالردود والتعقيبات السريعة المختلفة الأنواع والمتعددة الأساليب، نرى أن هذا الأمر يتلاشى بشكل كبير مع فرق أخرى حتى لا يكاد يوجد، كما هو الحال مع: النجاريّة والضراريّة والبكريّة والمرجئة والمشبّهة.

الثاني: أن تلك الردود - إن صحت تسميتها بذلك - على قلتها وتباينها كمّاً ونوعاً واختلافها من فرقة لأخرى لم يولها المؤلف كبير عناية واهتمام، حتى إنه بالتأمل فيها نجدها لا تعدو أن تكون مجرد تعقيبات مباشرة ويسيرة ليست ذات عمق ودلالة واضحة فضلاً عن أن تكون شافية كافية.

---

(١) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ١٥٥ - ١٨٦، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٧١.

(٢) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ص ١٩٨ - ٢٢٢.

المطلب الثاني

تقويم الكتاب علمياً وعقدياً

ما من كتاب يؤلف أو مصنف يصنف إلا ويرفل بين محاسن تكتب لـه ، ومآخذ تحسب عليه.

و"التبصير في الدين" - كغيره من الكتب - يسير في فلك هذه القاعدة ، فهو يضم بين دفتيه محاسن كثيرة وميزات متعددة وجوانب إيجابية ترفع من قيمة الكتاب ، وتُعلي من شأنه ، وتبرهن على أهميته وجدواه.

وإلى جانب ذلك - أيضاً - نجده يحوي عدداً من المآخذ والعيوب ، لكنها لا تحط من قدره ، ولا تقلل من مكانته ، ولا تحجب محاسنه ، كما أنها لا تمنع أو تحول دون الاستفادة مما أجاد فيه مؤلفه.

وهذا يؤكد أنه من عمل البشر ، إذ لا يخلـو عمـل بشـريّ - مـهما أوتـي صاحبه من المعرفـة والفـهم - مـن أن تعتريـه عـوارض الخطـأ والنقصـان ، وطـوارق الزلـل والنسيان. فقد أبى الله - سبحانه وتعالى - أن يكون الكمال المطلق لأحد إلا له وحده - عز وجل - ولكتابه الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [١].

وصدق من قال: "لو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ ، أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه"[٢].

كما أن العصمة لا تكون لأحد من البشر إلا لمن عصمه الله مـن أنبيائـه ورسـله. والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: "كل بني آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوابون"[٣].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) نسب هذا القول للمزني، ينظر: موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ٦/١.

(٣) الحديث من رواية أنس - رضي الله عنه - رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٦٥٩/٤ ح ٢٤٩٩، ورواه ابن ماجه في كتاب التوبة ١٤٢٠/٢ ح ٤٢٥١، وأحمد في المسند ١٩٨/٣، والدارمي في سننه ٣٠٣/٢ في =

وعندما يهمّ الإنسان ببيان تلك الجوانب - خاصة ما يتعلق منها بالمآخذ - يبقى وَجِلاً يقدِّم رجلاً ويؤخِّر أخرى، وما ذلك إلا لأن الإقدام على انتقاد عمل ما لعالم من العلماء ليس أمراً سهلاً ويسيراً بحال من الأحوال.

لكن ذلك ينبغي ألا يمنع الباحث من بيان الحق والإشادة به، وكشف الخطأ والتنبيه عليه، فيقوم بتوضيح تلك الملحوظات والمآخذ التي ظهرت له، تعميماً للفائدة، وأداءً للنصيحة، وليس في ذلك حرج؛ لأن القصور الذي يوجد في عمل ما، سيتممه عمل - أو أعمال - أخرى يقوم بها الغير، فالقصور من طبيعة البشر لا انفكاك لهم عنه. والمجتهد المخطئ له أجر اجتهاده، كما أن ما قد يُذكر من النقد هو عرضة للخطأ أيضاً. وما أحرانا مع ذلك أن نتذكر ونردد قول القائل: "كفى المرءَ نبلاً أن تعدّ معايبه"[1].

ولتقويم الكتاب - علمياً وعقدياً - سأتناول ذكر أهم محاسن الكتاب ومزاياه، ثم أورد بعضاً من المآخذ والعيوب التي أخذت وعيبت عليه - حسب ما ظهر لي - وسيكون ذكر كل منها موجزاً ومختصراً؛ لأن كثيراً منها سيأتي مبثوثاً في ثنايا وزوايا البحث عند الدراسة التفصيلية خلال مباحث الفصول التالية.

أولاً: أبرز المحاسن والمزايا[2]:

١ - التسلسل المنهجي، وذلك عن طريق التبويب والتقسيم الحسن، والتنظيم والترتيب الجيد في الجملة، وهذا ما يمكن تسميته بتكامل موضوع الكتاب.

= كتاب الرقائق، والحاكم في المستدرك ٢٤٤/٤، وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٧١/٤.

(١) هذا شطر بيت من البحر الطويل مطلعه: "ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها..." وينسب للشاعر/ يزيد بن محمد المهلبي. ينظر: ديوانه ص ٢٥٣، كما ينسب أيضاً لعلي بن الجهم وهو في ديوانه أيضاً، ينظر: ديوانه ص ١١٨.

(٢) عند ذكر المحاسن والمآخذ حاولت - قدر الإمكان - الاقتصار على أقل عدد ممكن منها وذلك بجمع ما له علاقة بموضوع واحد في فقرة مستقلة، كما تجنبت إيراد الأسئلة وذكر الشواهد على ما أقول هنا - غالباً - لأن ذلك سيأتي ذكره وبيانه والحديث عنه عند الحديث عن منهجه تفصيلاً. وما ذلك إلا حرصاً على التركيز، وطمعاً في الاختصار، وخوفاً من الإطالة والتكرار.

فجاء الكتاب ملبياً للمراد منه، وموفياً بالغرض الذي وضع من أجله وبالتالي فقد استطاع الإسفراييني تحقيق هدفه الذي كان يصبو إليه. فبعد أن بدأ بالمقدمة وبيَّن فيها دوافعه لتأليف الكتاب وطريقته في ترتيبه وتبويبه، بيَّن الفرق الهالكة، وفصَّل الحديث عنها، وانتهى بذكر الفرقة التي يكون بذلك قد ميزها عن غيرها.

كما أن هذا الجانب يلحظ أيضاً في حديثه عن كل فرقة فصَّل الكلام عنها وجعلها من أمهات الفرق.

٢ - الاهتمام بإيراد الأدلة النقلية - السمعية - من الكتاب والسنة، والاعتماد عليها وتقديمها على غيرها من الاستدلالات. يتجلى ذلك بشكل واضح في عرضه وبيانه لمعتقد أهل السنة والجماعة - في نظره - حيث نراه يحشد كمّاً هائلاً من الآيات والأحاديث في الدلالة والبرهنة على المسائل التي تطرق إليها وتناولها بالبيان، والتي بلغ عددها - تقريباً - سبعاً وأربعين مسألة.

كما نجد هذه المنقبة قبل ذلك موجودة في ثنايا عرضه للآراء والتعقيب عليها؛ ولكن بشكل أقل!

ولعل مما يشار إليه في هذا الصدد، تنوع أدلته التي يوردها، فتارة تكون سمعية، وتارة أخرى تكون عقلية، وأحياناً بمخالفة الإجماع، كما قد تكون بالواقع والأحداث.

٣ - سهولة الألفاظ ووضوح الأسلوب، في قالب من الإيجاز والاختصار، فترتب على ذلك الوصول إلى فهم المراد والمقصود من أقصر الطرق دون عناء أو مشقة، فنجد أبا المظفر - على سبيل المثال - يبتعد كثيراً عن استخدام المصطلحات الفلسفية، والتعقيدات الكلامية، والعبارات الغريبة، ويجتنب كل ما من شأنه الإلغاز أو الإغراب. كذلك نجده يحرص على الاقتصار على أهم الآراء وما يتعلق منها بالمسائل الأصول بشكل أوّلي، وأما غير ذلك فيأتي تباعاً وفي نطاق ضيق محدود. وقل مثل ذلك في تعقيبه على ما يذكره من آراء.

٤ - موافقته لأهل السنة في كثير من المسائل المرتبطة بالاعتقاد كغيره من الأشاعرة وبخاصة السابقين له، ومن ذلك إثباته لأمور اليوم الآخر كعذاب القبر، والشفاعة، والحوض، والصراط، والجنة والنار[١]، وكذلك جاءت موافقته لهم في موقفهم من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -[٢] إلى غير ذلك من المسائل[٣].

وسيأتي لذلك مزيد بيان وتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث.

٥ - عدم متابعته لبعض علماء الفرق وذلك في النيل من أهل السنة والوقيعة فيهم أو ذمهم أو وصفهم بسوء، حيث إن بعض مصنفي كتب هذا الفن جعلوا أهل السنة والجماعة أو أهل الحديث - كما يسميهم بعضهم - من فرق الضلال المبتدعة. ويذكرونهم ضمن الحشوية، أو يسمونهم بذلك.

لذا نجد الكوثري[٤] ينتقده على هذا المسلك، فينقل كلام ابن العربي - رحمه الله - عندما أشاد بـ"التبصير في الدين"، ثم نبَّه على أنه فاته ذكر إحدى الفرق السخيفة المكفرة - يقصد أهل السنة والجماعة - وفي كلامه غمز ولمز لهم ولما هم عليه من الاعتقاد، واعتذر لأبي المظفر في عدم ذكره لهم، بأنها فرع من فروع الخوارج أو المعتزلة!!![٥]

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٧٣ - ١٧٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٨٠.

(٣) أشار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى شيء من ذلك.
ينظر: الفتاوى ٤/١٢ - ١٣.

(٤) ينظر: مقدمة الكوثري للتبصير في الدين ص ١٠ - ١١.

(٥) وقد جاء كلام ابن العربي - رحمه الله - هذا في كتابه "عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي" ٩/١١٠ - ١١٢، وقد بين سبب جعله أيّاها من فرق الخوارج والمعتزلة.
فكونها من الخوارج لقولها: لا نقول إلا ما قال الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - والخوارج قالوا: لا حكم إلا لله.
وكونها من المعتزلة لنفيها القياس، وأنحى باللائمة في ذلك على ابن حزم - رحمه الله - وبالغ في الاستخفاف به والتحامل عليه.
=

ثانياً: أبرز المآخذ والعيوب:

١ - التكلف في عدّ الفرق وحصرها وتعيينها لتبلغ العدد الوارد في حديث الافتراق الذي اعتمد عليه الإسفراييني، وجعل كتابه مبنياً عليه ومفسراً له، وهذا فيه من التكلف والتعسف ما لا يخفى.

وليس هو الوحيد الذي وقع فريسة لذلك التكلف بل وقع فيه غيره من مصنفي كتب هذا الفن[1] فكان ذلك مما عيب عليهم[2]، كما عيب ذلك عليه.

ولا شك أن الجزم بذلك وتحديده وتعيينه مجانب للصواب، إذ الحديث لم يحدد زمن ظهور تلك الفرق، فضلاً عن حصرها وتعيينها، إضافة إلى أن التأريخ والواقع يؤكد خطأ أولئك الذين خاضوا في هذا الأمر وطاشت فيه أحلامهم[3].

٢ - التفاوت والاختلاف في حديثه عن الفرق، وذلك يظهر في عدة نواحٍ، منها:

أ - في عرض الآراء والرد عليها: فنجد حديثه عن بعض الفرق تبرز فيه نبرة الشدة والعنف إلى جانب أسلوب التهكم والسخرية، وأبلغ مثال نجده على ذلك ما جاء في حديثه عن المعتزلة والكرامية[4].

= ينظر: عارضة الأحوذي ١١١/٩ - ١١٢، وينظر كلام الذهبي عن هذا الأمر وإنصافه للإمام ابن حزم في: تذكرة الحفاظ ١١٤٩/٣ وما بعدها.

وهنا أشير إلى أنه قد يؤخذ على أبي المظفر في هذا الجانب قوله عن السالمية: "وهم من جملة الحشوية" التبصير في الدين ص ١٣٣، وهذا يجعلنا نضع علامة استفهام عند كلامه هذا، لأنه يعطي مؤشراً على أن هناك قوماً يسميهم أو يصفهم بالحشوية، ويمكن أن يكون مراده بذلك أهل السنة والجماعة كما هو معروف عن أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم، حيث عرف عنهم إطلاقه على من يثبت الصفات لله - تعالى - !

وبما أن أبا المظفر لم يُصرِّح بشيء من ذلك أو يبني عليه كلاماً أو تصنيفاً في كتابه فيبقى ذلك احتمالاً لا يُجزم به.

(١) ومن أولئك على سبيل المثال: الملطي، والبغدادي، والشهرستاني.

(٢) ينظر: الافتراق وأصول الفرق ص ٤٨، ٥٣، عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٢٧٥، الشهرستاني ومنهجه في الملل والنحل ص ٦٦٧.

(٣) سبق الإشارة إلى هذا الأمر في المبحث الثاني من التمهيد عند الكلام عن حديث الافتراق.

كما أن هناك كلاماً نفيساً للإمام الصنعاني - رحمه الله - في هذا الشأن حريّ بالمراجعة.

ينظر: حديث افتراق الأمة ص ٧٨.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ص ٦٣ - ١٠٠، ١١١ - ١١٧، وينظر: المبحثان الثالث والسادس من الفصل الثاني اللذان خصصا للحديث عن منهجه في الكلام عن المعتزلة والكرامية من هذا البحث.

وهذا فيه بُعد عن المنهج العلمي الرصين المنصف البعيد عن كل ما يخل به من تلك الأوصاف.

والإسفراييني وقع في ذلك تحت تأثير شيخه البغدادي عليه، الذي عُدَّ هذا الأمر سمة بارزة في كتابه، جعلته يفقد كثيراً من قيمته العلمية ومصداقيته بسببها[1].

كما أن الشهرستاني ألمّ بشيء من ذلك - على الرغم من تصريحه بلزوم منهج الحياد واشتراطه عدم التعصب -[2] كما في حديثه عن المعتزلة والكرامية حتى غدت السمة العامة لعرضه لآراء هاتين الطائفتين هي النقد والقدح، ومحاولة تشويه صورتها بأسلوب لا يخلو من التحامل[3].

ب - في ذكر المصادر والتصريح بها: فنراه تارة مع بعض الفرق - كالمعتزلة والكرامية أيضاً - يصرح بالمصادر التي اعتمد عليها من كتب الفرقة نفسها أو غيرها، ويأتي في كلامه ما يوحي باطلاعه عليها، وقد يشير إليها إشارة ويحيل إليها في نسبة قول أو رأي ما. وهذا مسلك جيد لا غبار عليه.

ولكن المؤلف لم يلتزم به أو يثبت عليه، فنجد أن هذا الأمر يتضاءل مع بعض الفرق، ويضمحل وينعدم مع فرق أخرى وهي الأكثر.

لذا نجده يورد بعض الفرق على خلاف ما هي عليه فتنعدم بذلك الدقة والموضوعية لاعتماده في ذلك على غير كتب الفرقة، بل قد يكون مصدره فيها من قبل خصومها.

هنا تجدر الإشارة إلى أن عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية لكل فرقة ليس خاصّاً بأحد مؤلفي كتب الفرق والمقالات، بل معظم مصنفي المقالات شأنهم ذلك، حيث يعتمد المتأخر منهم على ما ذكره المتقدم، وينقل عنه[4].

---

(١) ينظر: عبدالقاهر البغدادي وكتاب الفرق بين الفرق ص ١٢٨ - ١٣٠، ١٨٠، مقدمة الخشت للفرق بين الفرق ص ١١ - ١٢.

(٢) ينظر: الملل والنحل ١/١٦.

(٣) ينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٦٥٦.

(٤) ينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٣٥.

جـ - التفاوت في مجمل حديثه عن الفرق: يلاحظ ذلك من حيث الإطناب والإيجاز، فمع المعتزلة نراه يسهب ويطيل الكلام عنهم بشكل ملفت، بينما نجده يكتفي في حديثه عن فرق أخرى - من التي عدَّها من الأصول - بصفحتين فقط! أو تزيد قليلاً! وبالتالي يكون حديثه عنها في غاية الاختصار الذي قد يؤدي إلى الإخلال ببعض ما يتعلق بتلك الفرق! - كالجهمية والمرجئة والمشبهة والضراريّة والنجاريّة والبكريّة - كما أن هناك فرقاً أخرى جاء حديثه عنها متوسطاً مقارنة بالنمطين السابقين - كالخوارج والروافض والكرامية - .

٣ - عدم الاستيعاب والشمولية لجميع ما يتعلق بموضوع الكتاب الذي أنشئ من أجله وذلك على مستوى الفرق، وكذلك الحال مع الموضوعات التي تطرق إليها، وذلك على مستوى الأديان والملل السابقة للإسلام.

فمن جانب الفرق لا نجد ذكراً لبعض الفرق المنتسبة للإسلام والتي تُعدّ ضمن فرق الأمة الداخلة في الحديث، مع أن الكتاب وضع لتمييز الفرقة الناجية عن تلك الفرق.

علماً بأن تلك الفرق التي أهمل ذكرها بعض من سبقه إلى التصنيف في هذا الفن، كالإمام أبي الحسن الأشعري وهو ذو مكانة وحظوة ومنزلة عالية عندهم.

كما لا نجد لتلك الفرق ذكراً في أبواب الكتاب الأخرى كالباب الذي جعله في بيان الفرق التي تدعي الانتساب للمسلمين وليست من زمرتهم.

ومن الفرق التي أهملها: الماتريديّة، والكلابيّة، وأهل السنة والحديث، ومما يجعل التنبيه إلى هذا الأمر أكثر إلحاحاً ذكره لمن هم أقل منهم شهرة وأتباعاً وشأناً.

وأما بالنسبة للجانب الآخر وهو ما يتعلق بالأديان والملل السابقة للإسلام، فمع أنه عقد باباً لبيان مقالات أقوام كانوا قبل دولة الإسلام وذكر فيه جملة من الديانات، فاته ذكر بعضها.

فلا نجد ذكراً لأديان الهند على اختلافها وتنوعها وتعددها، سوى إشارته إلى البراهمة ومع ذلك جاء حديثه عنها في سطر واحد فقط!

وكذلك تضمن كلامه الإشارة إلى السمنية والدهرية الذين يمكن عدّهم ضمن أديان الهند.

ومما لم يذكره أيضاً ديانات المصريين القدماء، وأديان الصين، والبوذية، وغيرها.

٤ - دعواه بأن مذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الأشعري، وبالتالي فاعتقادهم هو اعتقاد الفرقة الناجية.

وعلى هذا فالأشاعرة هم الفرقة الناجية التي أخبر عنها الحديث وما عداها من الفرق فهي من الهالكين(١).

وقد ترتب على دعواه هذه عدّة أمور منها:

أ - خلو الكتاب من ذكر المعتقد الصحيح الذي بيّنه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وجاء به، وسار عليه من بعده الصحابة - رضوان الله عليهم - وتابعهم على ذلك سلف الأمة الصالح وأئمتها، وهو معتقد أهل السنة والجماعة بحق، وعدم نقل الإسفراييني وغيره من مؤلفي كتب المقالات لذلك المعتقد الصحيح ليس تعمداً منهم لتركه، بل لأنهم لم يعرفوه، بل ولا سمعوه، لقلة خبرتهم بنصوص الرسول وأصحابه والتابعين(٢).

ب - مخالفته لأهل السنة والجماعة في عدد من المسائل، خاصة ما يتعلق منها بالتوحيد وأبواب الاعتقاد الأخرى، وما يتعلق منها بالأسماء والصفات بوجه أخص.

جـ - عدم عدّه لأهل السنة والحديث الذين هم أهل السنة والجماعة بحق ضمن فرق الأمة الثلاث والسبعين، فضلاً عن إيراد مذهبهم ومعتقدهم!

وما ذلك إلا لجهله بمذهبهم ومعتقدهم، وتوهّمه أن ما هو عليه هو مذهبهم مسايراً في ذلك غيره من أئمة المذهب الأشعري السابقين له، وسائراً على

---

(١) هذا الأمر - كما درج عليه المؤلف وأتباع المنهج الأشعري ممن كانوا قبله وممن أتوا بعده - درج عليه غيرهم من أتباع الفرق الأخرى، ومن أولئك - على سبيل المثال - أحمد بن يحيى المرتضي صنف مختصراً سماه الملل والنحل على مذهب الزيدية، وذكر فيه أن الفرقة الناجية هي الزيدية!
ينظر: كشف الظنون ٢/١٨٢١ - ١٨٢٢.

(٢) ينظر: منهاج السنة ٦/٣٠٣.

خطاهم، وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري الذي ينسب إليه المذهب، إلا أن الأشعري مع ذلك - كما ذكر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - أعرف بمذهب أهل السنة والحديث ممن أتى بعده من أئمة المذهب الأشعري، وأولئك أعلم به وأعرف ممن أتى بعدهم(١).

د - الخطأ في تحديد الفرقة الناجية وتعيينها، فأهل السنة والجماعة هم الذين تتحقق فيهم صفات الفرقة الناجية، وهم الطائفة المنصورة، لا الأشاعرة ولا غيرهم ممن تلبس ببعض المخالفات والبدع المحدثات، فحاد عن الصراط المستقيم والمنهج القويم الذي جاء به الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - .

ومع ذلك فالأشاعرة أقرب إليهم من غيرهم من الفرق الضالة التي ابتعدت كثيراً عن المذهب الحق والمعتقد الصحيح، كالرافضة والمعتزلة.

فيستحمدون على ما وافقوا فيه أهل السنة والحديث، وما قاموا به من الرد على من خالفهما ببيان تناقض حججهم، فذلك يُعد من حسناتهم(٢).

ومهما يكن من أمر فإن الإسفراييني في "التبصير في الدين" يُعدّ - كالبغدادي وغيره - من أصحاب كتب المقالات الذين ألفوا مؤلفاتهم دفاعاً عن عقيدتهم، ونصرة لمذهبهم وطعناً في المذاهب والطوائف الأخرى، ونقداً لآرائها، وإبطالاً لها، فهم أكثر انحيازاً إلى مذاهبهم، وأشد تعصباً في مؤلفاتهم، فمظاهر آثار عقيدتهم ظاهرة وجلية(٣).

كما يعتبر من أعلام الأشاعرة الذين دأبوا جاهدين من أجل السيطرة الفكرية باعتبارها المذهب المنتخب لأهل السنة والجماعة، والذين ترآى لهم أن انتشار المذهب لا يكون إلا من خلال نفي غيره وإبطاله(٤).

---

(١) ينظر: منهاج السنة ٢٧٨/٥ - ٢٧٩، ٣٠٢/٦.

(٢) ينظر: الفتاوى ١٢/٤.

(٣) ينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٦٥٩ - ٦٦٠.

(٤) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٧.

المبحث الرابع

منزلة الكتاب بين كتب المقالات

وفيــه مطلبــان :

- المطلب الأول : مقارنة بين "التبصير في الدين" و"الفَرْق بين الفِرَق" .
- المطلب الثاني : أهمية الكتاب ومنزلته بين كتب المقالات .

- **توطئــة:-**

ما من شك في أن قيمة أي كتاب وعلو منزلته وعظم أهميته إنما يكون باعتبار ما حواه من المباحث النافعة والمسائل العلمية، وبحسب العلم الذي يبحث فيه، فعندما يكون متصلاً بعلوم الشريعة، وعلم التوحيد على وجه الخصوص فإن ذلك يُعلي من شأنه، ويرفع من منزلته ومكانته، فكيف إذا جمع مع ذلك الرد على أهل البدع فيما ابتدعوه وزوَّروه من الشُّبَه؟

وكتاب "التبصير" جاء متضمناً لبعض تلك المحامد والمحاسن، مع تعصب مؤلفه للمذهب الأشعري وسعيه إلى تقرير ذلك المذهب في كتابه، إلا أن من العدل والإنصاف ألا نغض الطرف عما أحسن فيه من الجوانب، التي قد تُكسب الكتاب قدراً من الأهمية، ولله درّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقد كان منصفاً حتى لخصومه ومعدداً لحسناتهم، وقد ضرب في ذلك أروع الأمثلة وأبلغ الدروس، ومن ذلك قوله عن الأشاعرة خاصة وغيرهم من الكلابية والكرامية ممن سماهم بمتكلمة أهل الإثبات: "إنما قبلوا واتبعوا واستحمدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان، من إثبات الصانع وصفاته، وإثبات النبوة والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب وبيان تناقض حججهم، وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة، والرافضة، والقدرية، من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة.

فحسناتهم نوعان: إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم"(١).

والحديث عن أهمية "التبصير" ومنزلته بين كتاب المقالات سيكون من خلال محورين، وهما على النحو التالي:

---

(١) الفتاوى ١٢/٤.

المطلب الأول

مقارنة بين "التبصير في الدين" و"الفرق بين الفرق"[(١)]

من الأهمية بمكان قبل بيان منزلة الكتاب وأهميته أن نتحدث عن أمر مهم له مساس بهذا الموضوع، ألا وهو عقد مقارنة وموازنة بين كتاب "التبصير في الدين"، و"الفرق بين الفرق" لتوضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، إذ لو كان "التبصير" مطابقاً تماماً لـ "الفرق" فمعنى ذلك أنه يعتبر نسخة أخرى منه، وبالتالي تقل قيمته وأهميته، ويخف وزنه واعتباره.

وقد تطرق لهذا الأمر ودرسه عدد من الباحثين كما أوحت بذلك أقوالهم، ومن ذلك ما يلي:

- يقول الكوثري مشيراً إلى ذلك في سياق ثنائه على الإسفراييني، حيث ذكر أن مما عُرف عنه: "إجادته تدوين صفوة الصفوة من بحوث أستاذه وحميه أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، صاحب الكتب الممتعة في الملل والنحل"[(٢)].
- ويقول الأستاذ محمد محي الدين عبدالحميد: "أبو المظفر الإسفراييني صاحب كتاب "التبصير في الدين" الذي يحذو فيه حذو أبي منصور البغدادي في تبويبه

---

(١) تركت عقد مقارنة وموازنة بين "التبصير" وغيره من كتب المقالات والفرق - كما جرت عادة الباحثين في مثل هذه الموضوعات غالباً - وذلك اكتفاءً بما بذلوه وذكروه من الدراسة والموازنة في هذا الجانب، وتلافياً لتكرار ما قد قرروه وسبقوا إليه. ينظر:

- أبو الفضل السكسكي وكتابه "البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان" دراسة تحليلية نقدية، إعداد وتحقيق: د. علي حسن عسيري - رسالة ماجستير - ، ص ٩٣ - ١٠٦..
- كتاب الفرق وأصناف الكفرة للعراقي، تحقيق: عبدالله العمر - رسالة ماجستير - ص ٤٨ - ٥٨.
- منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٢٥٣ - ٢٧٣.
- عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ - ٢٦٤.

(٢) مقدمته للتبصير في الدين ص ١٠.

وتقسيمه فلا يكاد يخالفه"[١].

- كما يقول الدكتور علي سامي النشار عن "التبصير": "كتاب مختصر في تاريخ الفرق، يكاد يكون ملخصاً "للفرق بين الفرق"، ويضيف معلومات جديدة للكتاب الأصلي الذي استمد منه، وهو كتاب "الفرق بين الفرق"، ولكنه قيم من نواحٍ"[٢].
- كذلك محمد أحمد دهمان ذهب إلى أن صاحب "التبصير" اطّلع على كتاب "الفرق" وأن تأثره فيه واضح [٣].
- أما الباحثة هند العصيمي التي تناولت منهج البغدادي في الفرق بين الفرق بالدراسة فقد توصلت بعد الموازنة بين الكتابين إلى أنه "لو قيل: إن أبا المظفر اعتمد على كتاب الفرق بين الفرق لكان القول قريباً من الصواب"[٤]، ثم برهنت على ذلك بعدة أمور[٥].

ومن خلال النظر في تلك الأقوال وغيرها[٦] يظهر تقاربها وأن فيها جانباً من الصواب، ولعل أدق تلك الأقوال وأقربها إلى وصف تلك العلاقة بين الكتابين ما ذهب إليه الدكتور النشار.

والذي أراه وأميل إليه أن الإسفراييني في هذا لا يخلو من حالين:

إما أنه وضع كتاب البغدادي "الفرق" أمامه فنقل منه الكثير واستغنى عن بعض ما فيه، وأضاف إليه بعض المعلومات والمسائل. وحاول السير على ترتيب وتنظيم مغاير لما عند البغدادي على الرغم من قربه منه.

---

(١) مقدمته للفرق بين الفرق ص ٦.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٥٢٨.

(٣) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، الجزء الأول والثاني، المجلد الحادي عشر ص ٧١.

(٤) عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٢٦٣.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٦) هناك أقوال أخرى لبعض الباحثين جاءت مؤكدة ودالّة على ذلك الأمر تركتها اكتفاءً بما ذكر، ينظر في ذلك: - فرقة الأزارقة ص ١٦. - نشأة الشيعة الإمامية ص ٢٠.

أو أنه اطّلع على "الفرق" واستوعبه وألمَّ بما فيه ثم بدأ ينسج على منواله، ويصنِّف كتابه على غراره، ولكن بأسلوبه البعيد عن أساليب المتكلمين، ونفسه القرآني الأثري كعالم من علماء التفسير.

واستصحب معه في كلا الحالين الحرص على تنقية كتابه وتصفيته من المآخذ والعيوب التي في "الفرق".

ومهما يكن من أمر فالتبصير في كلا الحالين وعلى كلا الاعتبارين لا ينفكّ عن كونه ملخَّصاً أو اختصاراً لكتاب "الفرق" وبناء عليه وجدت جوانب اتفاق وتشابه بين الكتابين، لكن مع ذلك ظلت شخصية الإسفراييني بارزة إلى حد لا بأس به، فنتج عن ذلك ظهور جوانب اختلاف بين الكتابين، مما أضفى على الكتاب قيمة علمية من نواحٍ عدَّة.

فلا غرابة إذن أن يكون أبو المظفر الإسفراييني في كتابه "التبصير" متابعاً ومتأثراً إلى حد كبير بشيخه البغدادي وكتابه "الفرق"، حيث يلحظ التشابه بينهما في المطالب والأهداف، وكذلك في التنظيم والترتيب بشكل عام، إلا أن تلك المتابعة لم تكن كليَّة تماماً حيث خالفه في كثير من الجوانب والأمور، إلى جانب موافقته ومتابعته في جوانب وأمور أخرى. وهذا ما سيتضح من خلال المقارنة الدقيقة بين الكتابين، ولكن قبل إيراد تلك المقارنة وبيان جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما أود الإشارة إلى نقطة بالغة الأهمية في هذا الموضوع علّها تنصف "التبصير" مما وُسِم به، وتخفّف من انتقاده بسبب متابعته للفرق بين الفرق، وهي:

أن استفادة علماء الملل والنحل ومقالات الفرق من بعضهم البعض، ونقل كل منهم عن الآخر أمر وارد ومقرر، فاللاحق يعتمد أو يستفيد كثيراً من السابق، خاصة وأن الأكثرية ممن صنف في هذا الفن من الأشاعرة، فلا يرى الواحد منهم غضاضة أو بأساً في الاستفادة ممن سبقه إذ الجميع على مذهب واحد وهدفهم واحد أيضاً.

ومكمن الاختلاف أو الفرق بينهم يكون في الأسلوب المستخدم، والطريقة المتبعة، والتقسيم والترتيب الذي يراه كل منهم.

يقول أحد الباحثين: "المعروف تاريخياً أن مصادرنا عن الفرق والمذاهب الإسلامية واعتقاداتها وآرائها تكاد تنحصر في مؤلفات شيوخ المدرسة الأشعريّة أمثال الأشعري...، والبغدادي، والشهرستاني، وجاء تدوينها في عصر انتشار الأشعريّة وجهدها الدائب من أجل السيطرة الفكرية..."[١].

وفي عبارة أكثر صراحة ووضوحاً يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "ما ينقله الشهرستاني وأمثاله من المصنفين في الملل والنحل عامته مما ينقله بعضهم عن بعض، وكثير من ذلك لم يحرر فيه أقوال المنقول عنهم، ولم يذكر الإسناد في عامة ما ينقله، بل هو ينقله من كتب من صنّف قبله..."[٢].

فالبغدادي استفاد كثيراً من الأشعري، ونقل عنه الكثير خاصة في "الفرق بين الفرق" وإن لم يصرِّح بذلك إلا في مواضع معدودة[٣].

لذلك يُعدّ كتاب "مقالات الإسلاميين" للأشعري من مصادر كتاب "الفرق"، فإن الناظر في الكتابين يلحظ موافقة المقولات والآراء في "الفرق" لما في "مقالات" الأشعري بإجمال، والبغدادي حين حكايته لهذه المقالات لا يصرِّح بنقله من الأشعري ولذلك أمثلة كثيرة[٤].

وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين فقال: "لا نخطئ الصواب ونجانب الحق إذا قلنا بأن كتاب "الفرق بين الفرق" جاء على غِرار كتاب "المقالات" في انحصار الحديث فيهما عن الفرق الإسلامية دون التعرض للأديان بشيء من الحديث، واتفاقهما على تقسيم أمهات

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٧.

(٢) منهاج السنة ٦/٣٠٠ - ٣٠١.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٣٤، ٦٩.

(٤) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٧٠ - ٧٢.

الفرق إلى عشر فرق إضافة إلى الاتفاق بين الكتابين الذي ستتضح معالمه - إن شاءالله - أثناء الحديث التفصيلي عن الفرق ومعتقداتها..."[١].

وما حدث بين البغدادي والأشعري وقع مثله بين البغدادي والشهرستاني، مع أن الأخير لم يشر إلى البغدادي أو إلى كتابه[٢].

وهذا الأمر جاءت الإشارة إليه منذ وقت مبكر وذلك على لسان الرازي حيث ذكر أن كتاب الملل والنحل للشهرستاني، كتاب حكى فيه مذاهب أهل العلم بزعمه إلا أنه غير معتمد عليه؛ لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى "الفرق بين الفرق" من تأليف الأستاذ أبي منصور البغدادي. وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه، ثم إن الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الإسلامية من ذلك الكتاب، فلهذا وقع الخلل في نقل هذه المذاهب[٣].

كما ينبغي أن يعلم أن الشهرستاني ليس الوحيد في هذا الأمر، فالغزالي[٤] أيضاً تابع في كتابه "فضائح الباطنية" البغدادي فيما ذكره عن الباطنية في "الفرق بين الفرق"[٥].

---

(١) أبو الفضل السكسكي وكتابه البرهان، ص ٩٩.

(٢) ومما يؤكد ذلك أن الأشعري وقع له في كتابه خطأ ووهم، فتابعه في ذلك البغدادي، ثم جاء الإسفراييني ووافق البغدادي في ذلك، ثم انطلى ذلك الخطأ أيضاً على الشهرستاني ولم يتنبّه أحد منهم لذلك أو يتمعّن فيه. وهو ما نسب إلى المغيرة بن سعيد البجلي من القول بحياة محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية وأنه لم يمت، ومن ثم القول بانتظاره! علماً بأن وفاة المغيرة كانت قبل النفس الزكية بست وعشرين سنة تقريباً. فالمغيرة توفي سنة ١١٩هـ، بينما توفي النفس الزكية سنة ١٤٥هـ.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٧٤/١، الفرق بين الفرق ص ٥٧ - ٥٩، التبصير في الدين ص ٣٥ - ٣٦، ١٢٥، الملل والنحل ١٧٦/١ - ١٧٨.

(٣) ينظر: مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر ص ٢٥. وقد أشار إليه القاسمي في: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٢٣ - ٢٤.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، أبو حامد، الشهير بحجة الإسلام، فيلسوف متكلم متصوف أشعري المعتقد، رجع في آخر حياته إلى الحديث والسنة، له نحو مئتي مصنف في مختلف العلوم، ولد سنة ٤٥٠هـ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ.

ينظر: طبقات السبكي ١٠١/٤، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩، شذرات الذهب ١٠/٤، وفيات الأعيان ٢١٦/٤، الأعلام ٢٢/٧.

(٥) ينظر: مقدمة محقق "القرامطة" لابن الجوزي ص ٢١، ٢٢. وقد يكون الغزالي تأثر بغير البغدادي إلى جانب تأثره به.

ولعل من الجدير بالذكر أن هذا الأمر لا يقتصر على المتقدمين فقط ! بل كذلك من جاءوا بعدهم ساروا على هذا المنوال، ومن أولئك على سبيل التمثيل :

- السكسكي : حيث استفاد من أبي محمد اليمني[١] فنقل عنه كلامه عن الباطنية، إضافة إلى استفادته الظاهرة في كل موضوعات كتابه "البرهان"[٢].
- اليافعي[٣] : صاحب كتاب "مرهم العلل المعضلة"[٤] في مؤلفه الذي خصصه عن الفرق وهو "مذاهب الفرق الثنتين والسبعين"[٥]، حيث نقل أغلب ما يتعلق بالباطنية نصّاً - مع بعض الاختلاف اليسير - من كتاب أبي محمد اليمني، إلا أنه لم يصرح باسمه ولا بكنيته بل قال : "وقد نقل بعض المصنفين في هذا الفن من علماء اليمن"[٦] ثم نقل عنه[٧].

---

(١) أبو محمد اليمني، من علماء اليمن، لم يعرف إلا بكنيته ونسبته، وهو من علماء القرن السادس، سلفي المعتقد، وصاحب كتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لم يذكره سوى السكسكي في البرهان ص ٨٢، ٨٣، واليافعي في ذكر مذاهب الفرق الاثنتين وسبعين ص ٩٧.
ينظر في ترجمته: مقدمة محقق كتابه عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١ - ١٨.

(٢) ينظر: مقدمة محقق "عقائد الثلاث والسبعين فرقة" ١/١.
وينظر كذلك:البرهان ص ٨٢، ٨٣ حيث صرح بكنيته في النقل عنه.

(٣) عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني، ثم المكي، ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث، مال إلى التصوف والمذهب الأشعري، توفي في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ بمكة المكرمة.
ينظر: طبقات السبكي ١٠٣/٦، شذرات الذهب ٢١٠/٦، البدر الطالع ٢٥٥/١، الدرر الكامنة ٣٥٢/٢، النجوم الزاهرة ٩٣/١١، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق د. زكي مبارك ١٨٣/١.

(٤) واسمه "مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة" تحقق: محمود محمد محمود حسن نصار.

(٥) وقد حقق هذا الجزء وأخرجه الدكتور/ موسى بن سليمان الدرويش بعنوان: "ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين"! وقد اقتصر على إخراج الكتاب فقط، ولذلك فالكتاب لايزال بحاجة إلى دراسة علمية وافية عنه وعن مؤلفه!

(٦) ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٩٧، وينظر مثل ذلك: ص ١٢٣.

(٧) ينظر: مقدمة محقق "عقائد الثلاث والسبعين فرقة" ١/١ - ٢.
وهنا أشير إلى أن عبارة اليافعي السابقة موهمة فقد يكون مراده أبو محمد اليمني، كما ذهب إليه محقق عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١ - ٢. وقد يكون مراده الفقيه اليماني محمد بن مالك بن أبي =

وكذلك استفاد اليافعي من "البرهان" للسكسكي، ورجع إليه كثيراً[١]، وكذلك الحال مع "فضائح الباطنية" للغزالي، حيث رجع إليه عند الكلام عن الباطنية[٢].

والكلام في هذا الأمر إن أطلناه طال، ونشر الأذيال، ولكنه حريّ بالدراسة العلمية والبحث الدقيق، لأهميته.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن هذه الظاهرة موجودة في كتب المقالات والفرق الشيعية المشهورة، كما بين "فرق الشيعة" للنوبختي و"المقالات والفرق" للقمي، إذ نسبة التوافق والمشابهة بينهما كبيرة مما حدا ببعض متأخريهم إلى الزعم بأنهما كتاب واحد! [٣]

إلا أن الصواب بخلاف ذلك، لما ظهر من الاختلاف بينهما عند المقارنة التي قام بهما محقق كتاب "مقالات الفرق" وتوصل إلى أن القمي اعتمد على كتاب النوبختي فنقل منه وأضاف عليه[٤].

والأمثلة على هذا النوع وفي هذا السياق كثيرة، جمعت جملة منها، ولكن فضّلت الاكتفاء بالأمثلة السابقة.

هنا أعود إلى البغدادي وما كان له من أثر فيمن بعده، ومنهم الإسفراييني؛ لأن من الأمور التي تستدعي الانتباه ذلك التقارب بين كُتب الفِرق والمقالات خاصة بين ما يذكره البغدادي وما يذكره من بعده.

ولعل ذلك راجع - والله أعلم - إما لرجوع مصنفيها إلى كتاب "الفرق" مع عدم تصريحهم بذلك، وإما لاتفاقهم في المصدر الذي استقوا منه هذه المقالات، كمقالات الأشعري وغيره[٥].

= الفضائل الحمادي اليماني صاحب كتاب: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة الذي طبع عام ١٣٥٧هـ بتحقيق وعناية: الكوثري. وقد مال إلى هذا الرأي محقق الكتاب د. موسى الدويش ص ٩٧.

(١) ينظر: مقدمة محقق ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ١٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٣.

(٣) ينظر: مقدمة محقق كتاب "المقالات والفرق" ص "كج" وهو د. محمد جواد مشكور.

(٤) ينظر: المرجع السابق، مقدمة المحقق ص "كا - كد".

(٥) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٧٦.

ويمكن أن يكون السبب في كون البغدادي يعتبر نقطة فاصلة ومؤثرة - إن صح التعبير - فيمن جاء بعده ، أنّ من سبقه كالأشعري كان أسلوبه في العرض غير مرتَّب بشكل واضح ، كما أن ذِكره لمذهب أهل الحديث كان في غاية الاختصار ، علماً بأنه يعدّ - كما سبق - أصح وأوثق وأدق في نقل الأقوال ، كما ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - [١].

بينما نجد البغدادي في "الفرق بين الفرق" وغيره ، قد عرض أقوال الفرق بمنهج واضح معتمداً على حديث الافتراق ، كما صاغ المذهب الأشعري على أنه مذهب أهل السنة والجماعة ، ودافع عنه ونصره ، وفي المقابل طعن في غيره من المذاهب والفرق ونقدها وأبطلها.

لأجل ذلك اتسعت دائرة تأثيره على من بعده ممن هم على المذهب نفسه ، وظهرت بصمات ذلك واضحة في كتبهم ، وإن لم يصرحوا بشيء من ذلك أو يشيروا إليه.

إذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أن أبا المظفر الإسفراييني ليس هو الوحيد الذي رجع إلى "الفَرق" أو نقل عنه - قليلاً كان ذلك أو كثيراً - لكن قصارى ما يؤخذ على الإسفراييني في هذا الجانب - من وجهة نظري - أمران :

الأول: عدم إشارته لذلك ، أو التصريح به ، وهذا أمر يشترك معه فيه غيره - كما سبق - حيث ذكر أن البغدادي لم يشر إلى الأشعري إلا لماماً على الرغم من نقله منه ، وكذلك الحال مع الشهرستاني بالنسبة للبغدادي ... وهكذا دواليك.

فعندما نقلب صفحات "التبصير" بدقة وتأمُّل لا نكاد نعثر على أي إشارة للبغدادي أو لكتابه ، لدرجة أنه عند ذكره لمناظرة البغدادي لأحد أتباع فرقة من فرق النجاريّة لم يصرح باسمه ، بل أشار إليه بوصف السني[٢]. مع العلم بأن البغدادي ذكر أن هذه المناظرة حدثت له وكان طرفاً فيها[٣].

---

(١) ينظر: النبوات ص ٢٧ ، منهاج السنة ٣٠١/٦، ٣٠٣.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٣.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٠ - ٢١١.

فلم يذكر أبو المظفر شيخه البغدادي أو يشر إلى شيء من كتبه إلا في آخر كتابه عند حديثه عن فضائل أهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخر، حيث ذكر من ذلك أن لأهل السنة والجماعة التفرّد بأكثر من ألف تصنيف في أصول الدين، وعندما عدَّد أعلام أئمة الدين الذين صنَّفوا في نصرة الدين، وتقوية ما عليه أهل السنة والجماعة والرد على أهل البدع فيما زوَّروه من الشبه ذكر من أولئك "البغدادي" فقال: "ولو لم يكن لأهل السنة والجماعة من مصنف لهم في جميع العلوم على الخصوص والعموم، إلا من كان فرد زمانه، وواحد أقرانه في معارفه وعلومه، وكثرة الغرر من تصانيفه، وهو الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي - قدس الله روحه - وما من علم من العلوم إلا وله فيه تصانيف، ولو لم يكن له من التصانيف إلا كتاب "الملل والنحل" في أصول الدين وهو كتاب لا يكاد يسع في خاطر بشر أن يتمكن من مثله؛ لكثرة ما فيه من فنون علمه، وتصانيفه في الكلام، والفقه والمقدرات التي هي أم الدقائق تخرج عن الحصر لم يسبق إلى كتبه في هذه الأنواع مع حسن عبارته، وعذوبة بيانه، ولطافة كلامه في جميع كتبه"(١).

الثاني: متابعته الشديدة له في مجمل الكتاب وذلك بشكل عام، وبالتالي يُعدّ أكثرهم متابعة له من غيره، وأشدهم اقتفاءً لأثره في كتابه.

ويبدو - والله أعلم - أن ذلك راجع إلى ما بينهما من العلاقة الحميمة والصلة الوطيدة، فليس الإسفراييني تلميذاً للبغدادي فحسب؛ بل بينهما - إضافة إلى ذلك - رابط مصاهرة ونسب - كما سبقت الإشارة لذلك -، ولعل ذلك كان له بالغ الأثر والتأثير في ذلك التقارب والتشابه. علماً بأن تَتَلْمُذ الإسفراييني - كأحد أتباع المذهب الأشعري - على يد البغدادي - وهو أحد أئمة المذهب الأشعري وكبارهم وممن كان له أثر وتأثير في ذلك المذهب - كفيل بإيقاد وتأجيج نار التأثير والتأثُّر بينهما.

(١) التبصير في الدين ص ١٩٤.

فكيف إذا اجتمع مع علاقة التَّتلمُذ ما يوطدها، ويقوِّي أواصرها وذلك بالمصاهرة والنسب.

لكن ومع تلك المتابعة من قبل الإسفراييني لشيخه البغدادي، تظل هناك جوانب ومسائل خالفه فيها.

فأصبح بين كل من "التبصير" و"الفرق" أوجه وجوانب اختلاف، إلى جانب أوجه وجوانب الاتفاق.

وهذا ما سيُكشف النقاب عن شيء منه خلال المقارنة التالية بينهما والتي قدمت فيها جوانب الاتفاق باعتبارها الأصل في ذلك.

أ - أبرز جوانب الاتفاق:

١ - اعتماد كل منهما على حديث الافتراق، وجعله أساساً يبنى عليه الكتاب.

٢ - التمهيد - قبل الخوض في الحديث عن الفرق وتفصيل ذلك - بذكر مقدمة عن الخلافات الواقعة في الأمة الإسلامية من أول عهدها، وكيف تطور ذلك حتى وصل بها إلى الافتراق، ثم ببيان فرق الأمة إجمالاً.

٣ - تعيين أمهات الفرق وجعلها عشرة فرق - بإخراج أهل السنة منهم - ثم تعيين الفرق المتفرعة عن كل منها - إن كان لها فرق -. ويظهر في ذلك تكلُّف كل منهما في حصر الفرق وعدّها حتى تبلغ العدد الوارد في حديث الافتراق.

٤ - تقسيم الفرق المنتسبة للإسلام إلى فرق داخلة في مسمى الإسلام، وهي الواردة في الحديث والتي فُصِّل الكلام عن كل منها، وأخرى خارجة عن زمرة المسلمين فلا تُعد من جملتهم ولا من جملة الاثنتين والسبعين فرقة، وإن ادّعوا الانتساب للإسلام.

٥ - اتباع طريقة جعل الرجال والزعماء رؤوساً وأصولاً، وتقسيم الفرق بناءً على هذه الطريقة، وهي الطريقة المتبعة عند أكثر مؤلفي هذا الفن، ولها كثير من الجوانب الإيجابية. وأما الطريقة الثانية فهي التقسيم حسب المسائل.

٦ - التسلسل والترتيب في حديثه عن كل فرقة بإجمال، وذلك بذكر زعيمها وما يتعلق به، ثم إيراد أهم آرائها ومقالاتها، ثم الحديث عن فرقها تفصيلاً.

٧ - التركيز والعناية بالمسائل المتعلقة بباب الأسماء والصفات والربوبية في الغالب، وذلك أثناء عرضه لآراء الفرق الإسلامية، وعند بيان معتقد أهل السنة والجماعة. وقد كان ذلك منهما جرياً على طريقة المتكلمين في تقريرهم للتوحيد.

٨ - أولى كل منهما اهتماماً خاصّاً بالحديث عن المعتزلة - دون غيرها من الفرق - وأطالا وأطنبا في عرض آرائها والرد أو التعقيب عليها، إلى جانب التصريح بمصادرهما وذلك بشكل يختلف عن الفرق الأخرى. ويمكن إدراج الروافض والخوارج والكرامية مع المعتزلة في هذا الأمر، ولكن في درجة ثانية أقل من الأولى.

٩ - تعيين الفرقة الناجية، وبيان معتقدهم في ضوء المذهب الأشعري، واعتبار الأشاعرة أهل السنة والجماعة على ذلك، وبيان فضائلهم ومفاخرهم وأنواع علومهم وأئمتهم، وذلك في خاتمة الكتابين.

١٠ - تقرير المذهب الأشعري في عموم الكتاب، خاصة عند عرض الآراء والرد أو التعقيب عليها، وعند مقارنة آراء الفرقة بغيرها من الفرق ببيان مدى الموافقة أو المخالفة.

ب - أبرز جوانب الاختلاف:

يمكن تقسيم جوانب الاختلاف إلى قسمين: جوانب تتعلق بالشكل والأطر العامة، وجوانب تتعلق بالمضمون والمحتوى، أما ما يتعلق بالشكل فأبرزها ما يلي:

١ - الهيكل العام للكتاب من حيث تقسيم أبوابه وفصوله: فالبغدادي قسم كتابه إلى خمسة أبواب، بينما جاء التبصير في خمسة عشر باباً، ومع ذلك الاختلاف فإن مضمون كل منهما واحد في الجملة، حيث أن أبا المظفر قد خصَّ كل فرقة ممن عدّها من الأصول بباب مستقل فزاد عدد الأبواب عنده بناءً على

ذلك، ومقابل ذلك زاد عدد الفصول عند البغدادي عنه عند أبي المظفر، حيث جعل تلك الفرق في باب واحد تحته عدد من الفصول.

٢ - حجم الكتاب: جاء "الفرق" أضخم حجماً من "التبصير"، حيث أطال البغدادي النَفَس في كل موضوع يتناوله سواء كان ذلك في المقدمات أو عرض الآراء وذكر أدلتها أو الرد عليها والتفنيد لها، ونلحظ كذلك عليه الاهتمام بالتفاصيل أحياناً.

لكن "التبصير" خالفه في ذلك فنجده يعتمد على الإيجاز والاختصار[١]، ولا يحرص على الاستقصاء فيما يذكره يستوي في ذلك العرض والرد.

ولذلك وُسِم بأنه "كتاب مختصر في تاريخ الفرق"[٢] وأنه "يكاد يكون ملخصاً للفرق بين الفرق"[٣]، فلا غرابة أن يوصف الإسفراييني بعد ذلك بإجادته تدوين صفوة الصفوة من كتب البغدادي[٤].

أما الجوانب المتعلقة بالمضمون والمحتوى فأبرزها ما يلي:

٣ - ذكر المصادر وتنوعها: فالبغدادي تنوعت مصادره، فمنها ما ينقله عن أصحابه الأشاعرة وفيها مشاهدات ومناظرات، ومنها الكتب وقد صرح بها جميعاً، إلا أن الكتب أكثر وروداً، حيث صرح بسبعة وعشرين كتاباً تقريباً[٥].

أما الإسفراييني ففي الغالب لا نجد لديه من المصادر سوى الكتب، ومع ذلك فهي قليلة جداً، ولكن عند حديثه عن المعتزلة ذكر أكثر من مصدر، أما الكرامية فقد صرح عند ذكرهم بمصدر واحد فقط! كما نجد أن هناك مصادر تفرد بذكرها "التبصير"، ولا نجد لها أثراً في "الفرق"[٦].

---

(١) وقد صرح بذلك في بداية كتابه، كما عدَّ ذلك سمة من السمات العامة التي تميز بها منهجه في كتابه هذا.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٥٢٨/١.

(٣) المرجع السابق ٥٢٨/١.

(٤) ينظر: مقدمة الكوثري للتبصير ص ١٠.

(٥) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٦٤ - ٧٢.

(٦) كإشارته إلى تفسير أبوالقاسم بن حبيب وهو من أشهر مفسري خراسان، وكذلك كتابه "الأوسط"، وتفسيره "تاج التراجم".

=

٤ - المنهج المتبع في الرد والاستدلال: يُعدّ البغدادي أكثر من الإسفراييني في ذكر أدلة الخصوم التي استدلوا بها على ما ذهبوا إليه من آراء ومقالات، وكذلك اهتم البغدادي بنقد تلك الآراء والمقالات وأكثر من إيراد الأدلة التي تُفنِّدها.

أما ما يذكره الإسفراييني في هذا السياق - وهو الرد والنقد - فلا يعدو أن يكون تعقيبات يسيرة ومختصرة. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نجد أن البغدادي يعتمد في الاستدلال للرأي أو الرد عليه على الأدلة العقلية غالباً، بينما نرى الإسفراييني في المقابل يهتم بالأدلة السمعية من القرآن الكريم والسنة النبوية والآثار، ويعتمد عليها ويقدِّمها على غيرها من أنواع الاستدلال سواء كان ذلك في عرض أو نقد معتقدات الفرق الضالة، أو في بيان المعتقد الصحيح.

٥ - الحيادية في عرض الآراء: عُرف البغدادي في "الفرق" بالشدّة والعنف مع الخصوم، لذلك نجد عرضه للآراء مقروناً بعبارات القَدْح والتجريح أو الشتم والسَّبّ وأحياناً التهكُّم والسخرية بها وبأصحابها. ولهذا اتُّهم بالتعصُّب على مخالفيه، وأصبح ذلك سِمةً بارزةً له ولكتابه[١].

أما الإسفراييني فنجده يبتعد عن هذا الأسلوب ويجتنبه، لكنه مع ذلك يقع فيه أحياناً[٢]، وبذلك يكون "التبصير" أكثر حياداً وموضوعيةً مع الخصوم من "الفرق".

٦ - المصطلحات الكلامية: المصطلحات الكلامية نراها كثيرة في "الفرق" بخلاف "التبصير"، فالبغدادي يستخدمها كثيراً في ثنايا كلامه.

= ينظر: التبصير في الدين ص ٢٢، ٦٥، ٩٤، ١٧٠، ١٩١، ١٩٤.

(١) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ١٢٨، منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٢٦٨ - ٢٦٩، مقدمة الخشت للفرق بين الفرق ص ١١ - ١٢.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٦٧، ٧٤، ٨٣، ١٠٢، ١١٢، ١١٤.

أما الإسفراييني فيجتنب تلك المصطلحات والتعقيدات الكلامية.

٧ - الحديث عن الملل والديانات الأخرى: اختلف حديث كل منهما عن هذا الموضوع، فبينما عقد الإسفراييني لها باباً مستقلاً أفرده للكلام عنها وهو الباب الرابع عشر من كتابه، وجاء حديثه عنها قليلاً ومحدوداً جداً، نرى أن حديث البغدادي عنها جاء في معرِض كلامه عن الفرق الخارجة عن الإسلام ببيان العلاقة بينها، ومدى تأثيرها على بعض الفرق المنتسبة للإسلام، ولم يفردها بباب أو فصل خاص! وقد كان كلامه عنها على اختصاره أكثر مما تحدث به الإسفراييني عنهم في الباب الذي خصصه لهم.

٨ - تفاصيل الحديث عن الفرق: خالف الإسفراييني البغدادي في تفاصيل حديثه عن كثير من الفرق، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- فرقة المشبهة: عدَّد البغدادي من مشبهة الذات قرابة سبع عشرة فرقة، بينما اقتصر الإسفراييني على إحدى عشرة فرقة تقريباً.

وفي مشبهة الصفات أطال البغدادي في المقارنة بين المعتزلة والكرامية، أما التبصير فلم يأت بشيء من ذلك، كما أن البغدادي لم يصرح باسم إحدى فرق الرافضة التي عدّها من مشبهة الصفات، فجاء الإسفراييني مصرحاً باسمها[١].

- فرقة الكرامية: أشار الإسفراييني إلى بعض الجوانب والحوادث التي لا نجد لها ذكراً في "الفرق" ومن ذلك: مناظرة أبي إسحاق الإسفراييني - رحمه الله - لأحد أتباع الكرامية في مجلس السلطان محمود بن سبكتكين - رحمه الله -[٢] والأمثلة على ذلك كثيرة لو استُقصيَتْ لطال ذلك، لكن المقصود إثبات وجود مواطن اختلاف كثيرة بين "التبصير" و"الفرق" تبرهن على بروز شخصية أبي المظفر في كتابه، وأن

---

(١) ينظر في المقارنة بين ما في الكتابين عن هذه الفرقة المشبهة:
الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ - ٢٣٠. التبصير في الدين ص ١١٩ - ١٢١.

(٢) ينظر تلك المناظرة في: التبصير في الدين ص ١١٢.

متابعته لشيخه البغدادي ليست في كل كبيرة وصغيرة، وبناءً على ذلك فإن "التبصير" ليس نسخة مختصرة أخرى "للفرق" كما قد يظن البعض، ومع ذلك لا ينكر تأثر اللاحق منهما بالسابق بيد أن هناك فرقاً جوهرياً في ثقافة ومنهج وأسلوب كل منهما تؤكده وتدل عليه بعض الفروق والاختلافات السابقة بين الكتابين.

وقد جاءت الإشارة إلى ذلك الفرق الجوهري على لسان من عقدت موازنة بين الكتابين، حيث ذهبت إلى أن أبا المظفر الإسفراييني يغلب عليه وصفه بالعالم المفسِّر أكثر من كونه متكلماً، بخلاف البغدادي تجلَّت فيه صفة العالم المتكلم(١).

وهذا الأمر له حظٌّ من الصحة والإصابة، يؤيِّده ويشهد له الطابع العام لثقافة كل منهما ومؤلفاته.

فالإسفراييني - مثلاً اشتهر بعلم التفسير، وكتابه "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم" يُعد أقدم تفسير كامل للقرآن الكريم باللغة الفارسية وأشهرها على الإطلاق(٢)، وقد سبقت الإشارة لهذا.

لذلك نرى اهتمامه بالقرآن والسنة عرضاً ورداً، وبخاصة في بيانه لمعتقد الفرقة الناجية، وكذلك نلحظ اجتنابه للمصطلحات الكلاميّة ونحوها(٣).

---

(١) ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٢٦٣.

(٢) ينظر: التفاسير باللغة الفارسية ١/٧٩، ١٤٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٦٣.

المطلب الثاني

أهمية الكتاب ومنزلته بين كتب المقالات

من خلال ما سبق يتجلّى أمر مهم ذو علاقة بما سنتحدث عنه الآن، وهو أن أبا المظفر الإسفراييني ليس هو الوحيد الذي نقل أو اعتمد على من سبقه في التأليف في هذا الفن بل إن ذلك يعد سمة بارزة، وظاهرة واضحة لمصنفي كتب هذا الفن، غير أنه كان أكثر متابعة واعتماداً من غيره.

وهذا الأمر لا يُقلّل من أهمية الكتاب، أو يحطّ من شأنه ومنزلته، بل له جوانب إيجابية تجعله يتقدم على غيره من كتب هذا الفن ويفضُلها ومن ذلك:

- خلوه من بعض العيوب والمآخذ التي وُجدت في "الفرق بين الفرق" وغيره من الكتب في هذا المجال.

وعلى اعتبار التقارب الكبير بينه وبين "الفرق" فإنه - بناءً على ذلك - يعد تقريباً وتهذيباً لكتاب "الفرق" بعد تصفيته وتخليته من الشوائب التي عكّرت صفوَه، وقد سبق بيان طرف منها.

- أنه يعتبر من الكتب المتقدمة التي ظهرت في هذا العلم، كما يُعدّ من أوائل كتب هذا الفن التي وصلت إلينا وجمعت بين الحديث عن الفرق الإسلامية - أو المنتسبة للإسلام - والحديث عن الملل والديانات الأخرى في مصنف واحد - على الرغم من اختصاره - وجعلت الكلام عن تلك الديانات والملل بشكل مستقل[1].

---

(١) قد يستثنى من ذلك كتاب "الفصل" لابن حزم، إلا أن احتمال تزامن تأليف كل منهما يظل وارداً، وذلك للتقارب الزمني بين كل من الإسفراييني وابن حزم، إلى جانب التباعد المكاني بينهما، فأحدهما كان في المشرق، والآخر في المغرب.

إضافة إلى أن كتاب ابن حزم إنما هو عبارة عن عدد من الرسائل كتبها ثم جمعها في ديوان واحد هو كتاب الفصل، وهذا أمرٌ تؤكده الدراسة الدقيقة له، كما يبدو ذلك واضحاً أشد الوضوح في الكتاب.

ينظر في ذلك: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية ص ١١٣. =

- امتيازه بحسن الترتيب وجودة التنظيم عن غيره من كتب هذا الفن التي افتقر بعضها إلى هذا الأمر. ويعود الفضل في ذلك لمتابعته للبغدادي، حيث امتاز بذلك كتابه "الفرق"، وسبقه إلى هذه الميزة.
- رجوع كثير من العلماء المتقدمين وغيرهم إلى الكتاب وإشادتهم به وثنائهم عليه، وإشارتهم إليه، ولو لم يكن له أهمية ومنزلة عندهم لكان غيره أولى بالرجوع إليه وأجدر بالثناء والإشادة، ومنهم:

- الإمام ابن العربي - رحمه الله - فقد أشاد بالكتاب وأحال إليه، حيث قال بعد ذكره لحديث الافتراق وتعداد العلماء للفرق: "فهؤلاء ثنتان وسبعون فرقة كلهم على بدعة أوضَحَهم وعدَّدَهم بمقالاتهم الشيخ الإمام أبو المظفر... ليميز لهم أهل السنة من أهل البدعة لكثرتهم..."[١].

- الإمام ابن حَجَر - رحمه الله - جاء عنه ما يفيد اطّلاعه عليه واعتداده به حيث قال: "وزعم أبو المظفر الإسفراييني في "الملل والنحل"[٢] أن الذين أحرقهم علي طائفة من الرافض ادعوا فيه الإلهية، وهم السبئية وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهودياً ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة"[٣].

ولا شك أن رجوع ابن حجر إليه في هذا الأمر - مع أن غيره من مصنفي كتب الفرق والمقالات ذكروا ذلك - فيه دلالة على ما للكتاب من المنزلة والاعتبار عند الإمام ابن حجر - وحسبك به -.

- صاحب "كشف الظنون" عندما ذكر علم الملل والنحل، عدَّ من أوائل الذين صنَّفوا فيها "أبو المظفر الإسفراييني" بعد ذكره للبغدادي، ثم ذكر بعدهما جمعاً ممن صنَّف في ذلك[٤].

= ولذلك وصف الفصل بأنه مبدد ليس له نظام.

ينظر: طبقات السبكي ٤/٧٨.

(١) عارضة الأحوذي ٩/١٠٩ - ١١٠.

(٢) المقصود هنا "التبصير في الدين"، وتسميه كتب هذا الفن بـ "الملل والنحل" إنما هو باعتبار فنّه وموضوعه، وهذا أمر دَرَجَ عليه العلماء، وإلا فليس لأبي المظفر - فيما أعلم - كتاب بهذا الاسم.
ينظر: المطلب الثاني المتعلق بضبط عنوان الكتاب وموضوعه وذلك ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) فتح الباري ١٢/٢٧٠.

(٤) ينظر: كشف الظنون ٢/١٨٢٠.

- الكوثري - مع ما عليه من المآخذ - يعتبر ممن له خبرة واهتمام بكتب التراث، يقول عن الكتاب - وهو أحد المحققين والمعتنين به - : "وكتاب "التبصير" هذا هو المعروف بين أهل العلم بكتاب الملل والنحل له، ولم يزل كتابه هذا موضع عناية بالغة بين أهل العلم على توالي الدهور، علماً منهم ببراعته في علم أصول الدين"(١).

كما قال أيضاً: "والمصنف - رحمه الله - استوفى في هذا الكتاب - من غير إملال ولا إخلال - بيان عقائد أصحاب الملل والنحل"(٢).

- الدكتور النشار يقول عنه: "كتاب مختصر في تاريخ الفرق، يكاد يكون ملخصاً لـ"الفرق بين الفرق"، ويضيف معلومات جديدة للكتاب الأصلي الذي استمدّ منه، وهو كتاب "الفرق بين الفرق"، ولكنه قيِّمٌ من نواحٍ"(٣).

ولكن مع ذلك كله نجد أن الكتاب لم ينل حظه ونصيبه من الاهتمام والشهرة؛ وذلك راجع - في نظري - إضافة إلى ما سبق لأمرين:

١ - أن غيره من كتب الفن المشهورة لأعلام الأشاعرة قد ساهمت في سحب بساط الشهرة والاستئثار بها وتسليط الأضواء عليها وسلبها عن غيرها، وذلك لشهرة مؤلفيها ومكانتهم ولما تتميز به كتبهم عن غيرها.

٢ - عدم إخراج الكتاب إخراجاً علمياً محققاً يبين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة التي خلا الكتاب منها، وذلك من خلال التعليق على المسائل التي خالف فيها المؤلف تلك العقيدة، إضافة إلى التنبيه والإشارة إلى ما وقع فيه من أخطاء وملحوظات. حيث ترك المجال في ذلك لأرباب العقائد المخالفة والتوجهات الباطلة فأفسدوا تراث الأمة بما دسُّوه فيها ونفثوه من السُّمّ الزُّعاف لأفكارهم ونواياهم.

بهذا الكلام أكون قد أنهيت هذا المبحث، وبالتالي نكون قد وصلنا إلى ختام الفصل الأول من هذه الدراسة، والذي تناولت فيه التعريف بالمؤلف والكتاب مع الدراسة التمهيدية والتقويمية للكتاب وبيان أهميته ومنزلته.

---

(١) مقدمته للتبصير في الدين ص ١٠.

(٢) المرجع السابق ص ١١.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٥٢٨/١، وقد سبق إيراد هذا الكلام بنصه قريباً.

الفصل الثاني

منهجه في الكلام عن الفرق الإسلامية

وفيه ثمانية مباحث

- المبحث الأول: منهجه في الكلام عن الشيعة.
- المبحث الثاني: منهجه في الكلام عن الخوارج.
- المبحث الثالث: منهجه في الكلام عن المعتزلة.
- المبحث الرابع: منهجه في الكلام عن المرجئة.
- المبحث الخامس: منهجه في الكلام عن الجهمية.
- المبحث السادس: منهجه في الكلام عن الكرامية.
- المبحث السابع: منهجه في الكلام عن المشبهة.
- المبحث الثامن: منهجه في الكلام عن بقية الفرق.

المبحث الأول

منهجه في الكلام عن الشيعة

وفيــه مدخل وأربعة مطالب:

- مدخــل.
- المطلب الأول: منهجه في تعريف الشيعة.
- المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق الشيعة.
- المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء الشيعة.
- المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن الشيعة.

المبحث الأول

منهجه في الكلام عن الشيعة(١)

مدخـل:

الشيعة والخوارج تعدان من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ المسلمين "فقد كانت نشأتهما في وقت واحد، ومن منبت واحد، لكن الكثير من أصولهما وغاياتهما تختلف؛ لذا اتفقت الفرقتان في أمور، وتباينتا في أمور أخرى"(٢).

لذلك فإن كثيراً من علماء المقالات والفرق يستهلون حديثهم عن الفرق بإحداهما، ولا شك أن منهم من يرى أن ظهور الشيعة كان سابقاً لظهور الخوارج باعتبار النشأة.

فالشيعة تعود جذورها الأولى إلى رجل يهودي احترقت أحشاؤه وتقطع قلبه من انتصارات المسلمين وانتشار الإسلام، فتظاهر بالدخول في الإسلام وهو يضمر الكيد له، ذلك هو "عبدالله بن سبأ"، حيث بدأ يبث أحقاده وينفث سمومه بين المسلمين في أواخر خلافة عثمان - رضي الله عنه - وأشعل نار الفتنة التي انتهت بموت الخليفة، وعلى إثرها دبَّ الخلاف والشقاق والنزاع بين المسلمين. وبذلك تكون بذورها قد وضعت ثم نمت إبّان هذه الفتنة.

---

(١) الشيعة في اللغة هم: الأتباع والأنصار، فشيعة الرجل - بكسر الشين - أتباعه وأنصاره وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، قال الأزهري: ومعنى شيعة: الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين، وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، أما تعريفهم في الاصطلاح فسيأتي.
ينظر: مادة شاع في تهذيب اللغة ٦٢/٣، لسان العرب ١٨٨/٨، تاج العروس ٤٠٥/٨.

(٢) الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، د. العقل ص ١٨، والبعض يرى أن الشيعة والخوارج مظهران لحزب واحد، الخوارج يكونون المظهر الخارجي منه، والشيعة يشكلون الجانب السري الباطني.
ينظر: آراء الخوارج د. عمار الطالبي ٨٦/١ - ٨٧، وانظر نحواً من ذلك في مقدمة د. عبدالرحمن بدوي لكتاب: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ليوليوس فلهوزن ص ١٣..

ولعل ذلك جعل أبا المظفر الإسفراييني يبدأ حديثه عن الفرق بها فقدمها على الخوارج.

ومهما يكن فإن الشيعة فرقة من كبار الفرق المنتسبة للإسلام والتي لم يهملها أحد ممن تكلم عن أصول الفرق وكبارها.

كما لا يخفى على ذي لبّ أن فتنتهم - خاصة الغلاة منهم والروافض - أكبر أثراً وأشد خطراً على الإسلام والمسلمين وذلك على مرّ التاريخ.

ولاتزال فتنتهم قائمة إلى يومنا هذا لم تخبُ نارها ولم يندرس شرّها كغيرها من الفتن، بل وجودها مستمر وذلك بأشكال متعددة وألوان متنوعة، إذا ما وجدت قوة ودعماً رفعت عقيرتها لتفسد في الأرض بعد إصلاحها، وتعكّر على المسلمين صفو دينهم ودنياهم، محاولين هدم الإسلام وإفساد عقائده، وتقويض أركان شرعه، وليس ذلك غريباً على مذهب يعد خليطاً من العقائد اليهودية، والتعاليم النصرانية، والآراء المجوسية.

من أجل ذلك اجتهد علماء المسلمين قديماً وحديثاً في بيان فساد عقائدهم وكشف دسائسهم، والتحذير من كيدهم والاغترار بمكرهم، ومن أولئك علماء المقالات والفرق إذ لم يُهمل أحدهم الحديث عنهم، ومنهم أبو المظفر الإسفراييني.

كما تجدر الإشارة إلى أن فرقة "الزيدية" والتي تعدّ إحدى طوائف هذه الفرقة لايزال لهم وجود إلى هذا اليوم، غير أنهم أقل خطراً وأقرب للحق من سابقيهم.

المطلب الأول

منهجه في تعريف الشيعة[١]

كان من السمات العامة التي اتّسم بها منهج الإسفراييني في كتابه "التبصير في الدين" عدم الاهتمام بتعريف المصطلحات، لذلك نجده في كلامه عن أولى الفرق التي فصّل الحديث عنها - وهي "الشيعة" - في الباب الثالث الذي عنون له بأنه "في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم"[٢] لا يورد أي تعريف لهم ألبتة، وإنما استهل حديثه عنهم مبتدئاً بذكر فرقهم فقط! والتي عدها أصولاً لتلك الفرقة[٣]. وقد فعل الشيء نفسه مع تلك الفرق الأصول أيضاً، حيث لم يشر إلى تعريف يميز كل واحدة منها عن الأخرى.

وقد كان الأولى به قبل الخوض في تعداد فِرَقها وتفاصيل ذلك أن يقدم تعريفاً شاملاً يشمل جميع تلك الفرق، ثم يُعرِّف الفرق الأصول بما يميزها عن غيرها.

ولأهمية هذا الأمر تنبَّه له بعض مصنفي كتب الفرق ممن سبقه وممن أتى بعده كالأشعري[٤]، وابن حزم[٥]، والشهرستاني، فقاموا بتعريفها غير أن تعريف الشهرستاني يُعدّ أدقها وأكثرها شمولاً حيث عرَّفهم بقوله: "الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً - رضي الله عنه - على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إما جليّاً وإما خفيّاً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده..."[٦]، ولذلك نقله عنه غيره ممن جاء بعده[٧].

---

(١) أطلقت عليهم اسم الشيعة مخالفاً بذلك التسمية التي أطلقها الإسفراييني عليهم حيث أطلق عليهم اسم "الروافض" وهذا لا يتماشى مع الفرق التي ذكرها تحت هذا المسمى كما سيأتي بيان ذلك في الوقفات التي في نهاية هذا المبحث.

(٢) التبصير في الدين ص ٢٧.

(٣) وهي: الزيدية، والكيسانية، والإمامية.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٦٥.

(٥) ينظر: الفصل ٢/١٠٧.

(٦) الملل والنحل ١/١٤٦ - ١٤٧.

(٧) ينظر: تلخيص البيان ص ١٠٧، ١٠٨، اليمانيات المسلولة لزين العابدين الكوراني ص ١٥٥ - ١٥٧ تحقيق د. المرابط محمد المجتبى.

ومن هذا التعريف يتبين أن جميع فرق الشيعة ما عدا بعض الزيدية[١] يتفقون على وجوب اعتقاد الإمامة في آل البيت والقول بعصمتهم والغلو فيهم، إلى جانب القول بالتقية[٢].

ومع دقة هذا التعريف وتميزه عن غيره إلا أنه لا يشمل جميع فئات وطوائف الشيعة؛ لهذا وصل بعض الباحثين بعد عرض ودراسة عدة تعريفات للشيعة ومن ضمنها تعريف الشهرستاني إلى نتيجة قال فيها: "والخلاصة أن تعريفات الشيعة على كثرتها لا تحدد وتجمع الفرق والمعالم الأساسية لمذهبهم فلابد والحالة هذه أن يكون للشيعة الغلاة تعريف، وللشيعة الإمامة تعريف وهي معظم تعاريف علماء الفرق، وللزيدية تعريف وهو ما ينطبق عليه تعريف الأشعري"[٣].

وبالتالي يظل تعريف الشيعة - كما في نظر أحد الباحثين - "مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر"[٤].

---

(١) الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسموا بالزيدية نسبة إليه، وهي من إحدى فرق الشيعة، وقد افترقوا فيما بينهم إلى ثلاثة فرق رئيسية، وهي: الجارودية، والسليمانية، والبشرية، وقيل أكثر من ذلك، ويجمعهم القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه زمن هشام بن عبدالملك. كما أجمعوا على خلود أصحاب الكبائر من الموحدين في النار، وعلى الخروج على أئمة الجور، وعدم الصلاة خلف الفاجر، وعلى تفضيل علي على سائر الصحابة، وجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

ينظر: الملل والنحل ١٦٢/١، مقالات الإسلاميين ١٤٠/١ - ١٥٠، التنبيه والرد ص ٣٢ - ٣٥، الفرق بين الفرق ص ٢٢، الفصل ٢٦٦/٢، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، د/ أحمد جلي ص ١٨٧ - ١٩٠.

(٢) ينظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري ١٢٥/١، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية د. ناصر القفاري ٦٢/١.

(٣) أصول الإسماعيلية - دراسة، تحليل، نقد - د. سليمان السلومي ٤٦/١ - ٤٧. وتعريف الأشعري الذي أشار إليه هو قوله: "وإنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً - رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم". ينظر: المقالات ٦٥/١.

(٤) مسألة التقريب ١٢٦/١، أصول مذهب الشيعة الإمامية ٦٤/١.

وانظر الإشارة إلى مثل هذا الكلام في دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة" د. أحمد محمد جلي ص ١٦٢.

ومهما يكن من أمر فإننا مع الإسفراييني لا نعثر له على شيء في هذا الصدد سوى أنه في ختام حديثه عن الزيدية - وهي أولى الفرق التي تكلم عنها - أشار إلى سبب تسميتهم وتضمن ذلك شيئاً من تعريفهم حيث قال عنها بعد أن فرغ من الحديث عن فرقها: "وهؤلاء الفرق الثلاث إنما يسمون زيدية لقولهم بإمامة زيد بن علي ابن الحسين بن علي [١] في وقته، وإمامة ابنه يحيى بن زيد[٢] في وقته"[٣].

ومما يذكر في هذا الشأن أن في بداية حديثه عن كل فرقة من الفرق التي تفرعت عن الفرق الأصول نجده يشير أولاً إلى سبب تسميتها سواء كان ذلك إلى زعيمها[٤]، أو إلى قول قالت به[٥]، أو إلى من اعتقدت أحقيته بالإمامة[٦].

وكذلك نراه يشير إلى بعض الأسماء والألقاب التي أطلقت على بعض الفرق إنْ كان لها أكثر من اسم عرفت به[٧].

إضافة إلى ما سبق نلاحظ أن الإسفراييني قد يورد في ثنايا حديثه عن بعض الفرق أسماء بعض الأعلام والشخصيات المشهورة التي كانت على مذهبها وقد يذكر من أقوالها ما يدل على ذلك ويؤكده[٨].

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أخو أبي جعفر الباقر، قال الذهبي عنه: "كان ذا علم وجلالة وصلاح، هفا وخرج فاستشهد، خرج متأولاً وقتل شهيداً، وليته لم يخرج"، قتل سنة ١٢٢هـ.
ينظر: السير ٣٨٩/٥، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٣، وفيات الأعيان ١٢٢/٥، شذرات الذهب ١٥٨/١.

(٢) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي، لما قتل أبوه هرب إلى خراسان، ومازال مختفياً حتى مات هشام بن عبدالملك، فخرج في عهد الوليد بن يزيد، قتل وصلب سنة ١٢٥هـ.
ينظر: البداية والنهاية ٥/١٠، شذرات الذهب ١٦٧/١، نشأة الفكر الفلسفي ١٣٨/٢.

(٣) التبصير في الدين ص ٢٩.

(٤) مثل: الجارودية، والسليمانية، والأبترية، الكريبية، الكاملية، الناموسية، الشميطية، الهشامية، الزرارية، اليونسية، الشيطانية.

(٥) مثل: القطعية.

(٦) مثل: الزيدية الهشامية من الكيسانية، المحمدية، الباقرية، الإسماعيلية، الموسوية.

(٧) كالسليمانية من الزيدية ذكر أن من أسمائها الجريرية. وكتسمية العمارية بالأفطحية، والموسوية بالمطورة.
لكن ظلت هناك فرق عرفت واشتهرت بأسماء أخرى اقتصر على اسم واحد لها مثل: البترية تسمى أيضاً بالصالحية.

(٨) ومن أولئك: بعض الشعراء المشهورين مثل: كثير عزّة، والسيد الحميري، وبشّار بن برد، ينظر: التبصير في الدين ص ٣٢ - ٣٣، ٣٥.

لكن في مقابل ذلك لا نجده يذكر الأئمة الإثني عشر الذين قال الإمامية بإمامتهم، والذين من أجلهم سموا الإثنا عشرية علماً بأن أكثر مصنفي كتب هذا الفن لم يُهمل ذكرهم[١].

ومما لا ينبغي إهماله في إطار تعريفه بالفرق وخاصة الأصول إشارته إلى شيء من تاريخها وما حدث لها من تطور كما فعل مع الزيدية والكيسانية[٢]، حيث ذكر في نهاية مطاف الحديث عنهما شيئاً من ذلك[٣].

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٩٠ - ٩١، الملل والنحل ١/١٧٣، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) الكيسانية: نسبة إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب، وقيل إن المختار كان ملقباً بكيسان، وقد وقع الاختلاف في شأن هذه الفرقة ونسبتها بين المؤرخين وعلماء الفرق، والكيسانية اسم يضم فرقاً كثيرة منها (الكربية، والمختارية، والهاشمية) ويعتقدون أن روح كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما نقلت بموتهما إلى جسد الحمار والبغل فيعمدون إلى ضرب هذه الحيوانات المذكورة وتعذيبها بشتى صنوف العذاب.
ينظر: المقالات والفرق ص ٢١، مقالات الإسلاميين ٩١/١٠، الملل والنحل ١/١٤٧، فرق الشيعة ص ٢٣، اعتقادات فرق المسلمين ص ٩٣، البرهان ص ٧٠، الخطط ٢/٣٥١.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٩ - ٣٠، ٣٣ - ٣٤.

المطلب الثاني
منهجه في ذكر فرق الشيعة

من عادة الإسفراييني في حديثه عن فرق القسم الأول - وهي التي عدّها من الثلاث والسبعين فرقة - أن يبدأ الحديث عن كل واحدة منها بذكر عدد فرقها الذي بمجموعه يصبح عدد فرق هذا القسم اثنتين وسبعين فرقة.

إلا أنه مع أولى الفرق التي فصّل الحديث عنها - وهي الشيعة - أهمل هذا الأمر ولم يذكره، ولعل السبب في ذلك اكتفاؤه بما ذكر في الباب الثاني الذي قبله عند عرضه لفرق الأمة على الجملة حيث أشار هناك إلى أنهم عشرون فرقة[١]. أو لعله ترك هذا الأمر لفطنة القارئ؛ لأنه ومن خلال قراءته لما كتبه عنهم سيصل إلى مجموع عدد فرقهم[٢].

والحديث عن فرق الشيعة شائك ومتشعب حيث تعددت فرقها وكثرت حتى عرفت من بين سائر الفرق بكثرة التفرق والاختلاف[٣]، لذا قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض حديثه عن اختلافات كبار الفرق قال بعد ذلك: "لاسيما الرافضة فإنه يقال: أنهم أعظم الطوائف اختلافاً، وذلك لأنهم أبعد الطوائف عن السنة والجماعة، بخلاف المعتزلة فإنهم أقرب إلى ذلك منهم"[٤].

ويقول أيضاً: "وإذا كانت الإمامية أولى بمفارقة سائر طوائف الأمة فهم أبعد عن الحق، لاسيما وهم أنفسهم أكثر اختلافاً من جميع فرق الأمة"[٥].

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٣.

(٢) حيث ذكر أن الزيدية ثلاث فرق، والكيسانية فرقتان، والإمامية خمس عشر فرقة، فيصل عددهم بذلك إلى عشرين فرقة.

(٣) حتى قال بعض العلماء أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة، والمشهور منها عشرون.
ينظر: الخطط للمقريزي ٣٥١/٢، خبيئة الأكوان ص ٢٩.

(٤) الفتاوى ٥٢/٤، وينظر: الفتاوى ٢٣٠/٩، ومنهاج السنة ٣١١/٦.

(٥) منهاج السنة ٤٦٨/٣، وينظر كذلك: الدرء ١٥٧/١.

ولذلك ذكر عنهم الشهرستاني أن اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، حتى قال بعضهم: إن نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخَبَر هو في الشيعة خاصة، ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة، وكأنه يقصد بهذا الإشارة إلى بعض مؤرخي الشيعة[١].

وقد أشار مصنفو كتب المقالات والفرق من الشيعة إلى ذلك، كالنوبختي في كتابه "فرق الشيعة" والقمي[٢] في كتابه "مقالات الفرق"[٣].

ولذلك جاءت المحاولات لضبط تلك الفرق بتحديد الأصول منها، فذهب البعض إلى أن أصولها ترجع إلى قسمين[٤] وآخرون أرجعوها إلى ثلاث[٥]، وزاد البعض فجعلوها أربعاً[٦]، وأوصلها البعض إلى خمس[٧]، وآخرون إلى ست[٨].

---

(١) كالمسعودي في مروج الذهب ٣/٢٢١، ووافقه الأستربادي حيث زعم أن الفرق الواردة في الحديث هي فرق الشيعة وأن الناجية منهم فرق الإمامية!
ينظر: الأعمال الكاملة للأفغاني ١/٢١٥ نقلاً عن: أصوله الإسماعيلية ١/٦٥ – ٦٦.

(٢) سعد بن عبدالله الأشعري القمي، أبو القاسم، فقيه إمامي، من شيوخ الروافض، من أهل "قم" سافر كثيراً في طلب الحديث، من تصانيفه: الفرق والمقالات، الضياء في الإمامة، توفي سنة ٣٠١هـ وقيل: ٣٠٠هـ.
ينظر: الممقاني "تنقيح المقال، ٢/١٦ – ٢٠، الفهرست للطوسي ص ٧٥، الأعلام ٣/٨٦.

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٢، وانظر: كتاب المقالات والفرق للقمي ص ٢.

(٤) كالجاحظ، وشيخ الشيعة المفيد والفرقتان هما: الزيدية والإمامية.
ينظر: رسائل الجاحظ، رسالة في استحقاق الإمامة ص ٢٠٧، تحقيق عبدالسلام هارون، الإرشاد لمحمد بن النعمان المفيد ص ١٩٥.

(٥) كالأشعري حيث جعلهم إما زيدية أو إمامية أوغلاة، ووافقه ابن حزم، والعراقي، والشاطبي، والإيجي.
ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٦٥،٦٦، ٨٨، ١٣٦، الفصل ٤/١٧٩، الفرق وأصناف الكفرة ص ١١٦، الاعتصام ٢/٢٤٢، شرح المواقف ٨/٣٨٥.
والبعض استبدل الإمامية بالباطنية وهذا بعيد، ينظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٨٥ – ٨٩، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص ٧٢.

(٦) كالبغدادي والإسفراييني والرازي وهي عندهم: الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١، التبصير في الدين ص ٢٣ – ٢٧، ١٢٣ – ١٣٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٠.

(٧) كالشهرستاني وهي عنده كسابقيه ولكن بزيادة الإسماعيلية.
ينظر: الملل والنحل ١/١٤٧.

(٨) كالحميري في الحور العين جعلهم ست فرق. ينظر: الحور العين ص ١٤٥.
وأما ابن قتيبة في المعارف فقد جعلهم ثمان فرق، المعارف ص ٦٢٢ – ٦٢٣.

كما أن هناك من جعلها صنفاً واحداً ولم يفرق بينها - وهذا بعيد -[١].

ولعل أرجحها وأقربها إلى الصواب الرأي الذي جعل أصولها أربعاً وهو ما ذهب إليه الإسفراييني وقبله البغدادي وغيرهما.

كما مال إلى ترجيحه أحد الباحثين مبرهناً عن ذلك بعدة أوجه[٢]، أبرزها بإيجاز:

١ - أن جعلها فرقة واحدة فيه تسوية بين المتضادات وجمع بين المختلفات، فالغلاة ليسوا كالزيدية، والإمامية ليسوا كالكيسانية وهكذا، فالاختلاف بين هذه الفرق واضح كل الوضوح لا يخفى على مطلع سواء أكان هذا الاختلاف في المعتقدات أو في سَوْقِ الإمامة وشخصيات الأئمة.

٢ - أن تحديد فرق الشيعة بثلاث فرق بإدراج الكيسانية ضمن الإمامية فيه قصور وخلط واضطراب؛ لأن الكيسانية يختلفون كثيراً عن فرق الشيعة الأخرى سواء في شخصيات الأئمة أو في بعض المعتقدات.

٣ - أن اعتبار الإسماعيلية فرقة قائمة وحدها، وبالتالي جعل فرقها خمس فرق خطأ، حيث أن الإسماعيلية فرقة ضمن فرق الغلاة وهي تمثل الغلو بكل حال في فرق الشيعة[٣].

---

(١) كالملطي فقد سماهم بالرافضة وبين أن عدد فرقهم ثمان عشرة فرقة، وفي موضع آخر جعلهم خمس عشرة فرقة، وقد وافقه السكسكي في الرأي الأول وكذلك ابن الجوزي، لكن جعل عدد فرقها اثنتى عشرة فرقة، وقد درج على هذا بعض المعاصرين فقال: "إن معظم الباحثين يقسم الشيعة إلى إمامية وباطنية... والحق أنه لا وجه لهذه التفرقة فكلهم إمامية حيث يجمعهم القول بالإمام، وكلهم باطنية حيث لا تسلم طائفة منهم من الإيمان بالباطن، وكلهم روافض لأنهم رافضون لما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وما عليه أهل السنة والجماعة" مجلة التوحيد، عبدالرحمن بن عبدالسلام يعقوب، عدد ٦، السنة السابعة عام ١٣٩٩هـ. نقلاً عن مسألة التقريب ١/١٤٥.

ينظر: التنبيه والرد ص ٢٩، ١٦٥، البرهان ص ٣٦، تلبيس إبليس ص ٢٢.

(٢) ينظر: أصول الإسماعيلية ١/٦٩ – ٧١، وكذلك د. أحمد جلي في دراسة عن الفرق ص ١٦٣، ١٧١، ١٧٩، ٢٤٥، وهناك من رجح تقسيم الشهرستاني. ينظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود عبدالله الجميلي ١/٩٤.

(٣) ينظر: أصول الإسماعيلية ١/٦٩ – ٧١.

لذلك نجد المؤلف أول ما بدأ حديثه عنهم قال: "اعلم أن الروافض يجمعهم ثلاث فرق: الزيدية، والإمامية[١]، والكيسانية"[٢].

وقد جعلها هنا ثلاث فرق لأنه بصدد الحديث عن الفرق التي تُعدّ داخلة في حديث الافتراق المشهورة والتي عدّها من زمرة المسلمين.

أما الفرقة الرابعة وهي فرقة "الغلاة"[٣] فقد جعلهم ضمن الفرق التي لا تعدّ من زمرة المسلمين والتي لا تدخل ضمن الفرق الثلاث والسبعين الواردة في الحديث.

ولهذا لما تطرق لبعض الفرق في ثنايا حديثه عن القسم الأول بيَّن أنهم "من جملة الغلاة"[٤] ولذلك لم يُدخلهم في تعداد تلك الفرقة كما فعل مع البيانية[٥].

بهذا يتأكد أن الإسفراييني ممن قسم أصول الشيعة إلى أربعة أقسام وليس ثلاثة كما توهم البعض[٦].

---

(١) الإمامية: إحدى طوائف الشيعة وفرقها الأصول، وهم القائلون بالأئمة الاثنا عشر فيقولون بإمامة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثم الأئمة من بعده، ولذا سموا اثنا عشرية كما يسمون أيضاً رافضة، ويقولون بعصمة الأئمة، وكذلك بالمهدية والرجعة كما يقولون بتحريف القرآن ونقصانه، وسب الصحابة ويدينون بالتقية، وهم فرق كثيرة ومتعددة، وغالبية الشيعة اليوم منهم.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٨٨/١، الفرق بين الفرق ص ٥٣، الملل والنحل ١٦٢/١، وينظر: الشيعة والتشيع ص ٢٦٩ – ٣٣٠.

(٢) التبصير في الدين ص ٢٧.

(٣) الغلاة: إحدى طوائف الشيعة، الذين غلوا في حق أئمتهم حتى رفعوهم إلى درجة الألوهية، وربما شبهوا بعض الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم فرق متعددة على رأسها السبئية، والباطنية بطوائفها كالإسماعيلية والدروز والنصيرية.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٦٦/١، الفرق بين الفرق ص ٢٣٠، الملل والنحل ١٧٣/١.

(٤) التبصير في الدين ص ٣٢.

(٥) البيانية: اتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه، وزعم أنه نبي وأنه المشار إليه بقوله تعالى: (هذا بيان للناس وهدى) (آل عمران: ١٣٨)، ثم ادعى الألوهية، ويزعم كثير من البيانية أن أبا هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية نص على إمامة بيان بن سمعان، ونصبه إماماً.

ينظر: المقالات ٦٦/١ – ٦٧، الفرق بين الفرق ص ١٧٠، ١٩٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧١، البرهان ص ٧٥ – ٧٦، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٤٦٣/١.

(٦) ينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية ١١٤/١، بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ٩١/١.

وكان قد أفصح عن ذلك في بداية كتابه وفي عرضه المجمل لفرق الأمة، حيث عدَّد فرقها الثلاث الأصول وما تفرع عن كل منها، ثم قال بعد ذلك: "فهذه جملة فرق الروافض الذين يعدون في زمرة المسلمين فأما البيانية و... فلا يعدون في زمرة المسلمين لأنهم كلهم يقولون بإلهية الأئمة كما نفصله فيما بعد إن شاءالله تعالى"[١].

● أما بالنسبة للزيدية فقد جعلهم ثلاث فرق[٢]، وكذلك قبله البغدادي، وتابعهما كل من الشهرستاني ونشوان الحميري[٣] والرازي[٤].

وهناك من جعلهم أربع فرق كما فعل الملطي[٥]، بينما الأشعري عدّ لهم ست فرق[٦]، وهناك من اقتصر على فرقتين فقط[٧].

ولعل ما ذهب إليه الإسفراييني ومن معه - وهو القول الأول - هو أصح الأقوال حيث مال إليه علاّمة اليمن الحميري - كما سبق - الذي يُعدّ من كبار علماء اليمن ومن علماء هذا الفن المتقدمين - نسبياً - إذ يعود تأليف كتابه إلى القرن السادس حيث كانت وفاته سنة (٥٧٣هـ)، ومعلوم أن اليمن من أكبر وأشهر مراكز الزيدية فيعتبر كتابه مرجعاً أصيلاً في هذا الباب، لأن قوله مما يعتد به في ذلك.

---

(١) التبصير في الدين ص ٢٣، بتصرف.

(٢) وهي: الجارودية، والسليمانية، - وتعرف بالجريرية، والأبترية، أو البترية، وتعرف بالصالحية.
ينظر: التبصير في الدين ص ٢٣، ٢٧ - ٢٩.

(٣) نشوان بن سعد الحميري، أبو سعيد، أو أبو الحسن، قاض، علامة باللغة والأدب، من كتبه "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم"، و"الحور العين" توفي سنة ٥٧٣هـ.
ينظر: بغية الوعاة ص ٤٠٣، معجم البلدان ٣٣٦/٥، الأعلام ٢٠/٨.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢، ٣٠ - ٣٣، الملل والنحل ١٥٧/١، الحور العين ص ١٥٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٦٠ - ٦٢.

(٥) ينظر: التنبيه والرد ص ٤٥ - ٤٧، ولم يذكرهم بأسماء معروفة سوى الفرقة الرابعة قال عنهم: وهم معتزلة بغداد!

(٦) ينظر: مقالات الإسلاميين ١٤٠/١ - ١٤٥، وقد أضاف إلى الثلاث السابقة عند غيره فرقة النعيمية واليعقوبية ولم يذكر اسم إحداها بل اكتفى بذكر مذهبها.

(٧) وقد مال إلى ذلك النوبختي وتبعه القمي. والفرقتان هما: الضعفاء والأقوياء! ويندرج تحت كل منها عدة فرق.
ينظر: فرق الشيعة ص ٥٧ - ٥٨، المقالات والفرق ص ٧٣ - ٧٤.

● أما الكيسانية فقد سبق وأن بين الإسفراييني في عرضه لفرق الأمة على الجملة أنهم فريقان[١]، وهو يقصد بذلك ما يعد منها من الثلاث والسبعين فرقة؛ لأن لها فرقا تعد خارجة عن تلك الدائرة، وقد خصهم بالحديث في باب مستقل ضمن الفرق الخارجة عن زمرة المسلمين، إلا أنه- وفي أثناء حديثه عن فرق القسم الأول عند تفصيل الكلام عن الكيسانية - أشار إلى بعضها وبين أنهم من الغلاة[٢]، لكي لا تعد من فرق الكيسانية الداخلة في دائرة الثلاث والسبعين فرقة إلى جانب الفرقتين التي ذكرهما فيختل العدد الذي سبق وأن حدده، ومع ذلك ظلت هناك فرق للكيسانية لم يستوعبها ولم يشر إليها[٣].

● أما الإمامية - وهم أولى من ينطبق عليهم اسم الرافضة - فقد اختلف أصحاب كتب الفرق والمقالات في تقسيم فرق الرافضة الإمامية اختلافا واسعا، فمنهم من أوصلها إلى أربع وعشرين فرقة[٤]، ومنهم من جعلهم سبع فرق[٥] وآخرون ذكروا أنهم ثلاث عشرة فرقة[٦]، إلا أن الإسفراييني وقبله البغدادي توسطوا بين أولئك وجعلوها ترجع إلى خمس عشرة فرقة[٧].

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٣.

(٢) وقد ذكر ذلك عندما عرض لفرقة "البيانية" ينظر: التبصير في الدين ص ٣٢. وقد أفردهم بالحديث بشكل أوسع في الباب الثالث عشر. ينظر: المرجع السابق ص ١٢٤.

(٣) ينظر في فرق الكيسانية: فرق الشيعة ص ٢٣ وما بعدها، مقالات الإسلاميين ١/٩١ - ٩٧، الحور العين ص ١٥٧، وينظر: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ إحسان إلهي ظهير ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٨٨، وقد زاد بعضهم على ذلك فأوصلها إلى تسع وثلاثين فرقة، ينظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٥.

(٥) ينظر: الملل والنحل ١/١٦٢ - ١٧٣.

(٦) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٣ - ٧٠.

(٧) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٣، ٥٣، التبصير في الدين ص ٢٣، ٣٥.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإسفراييني عندما فرغ من تعداد فرق الإمامية قال بعد ذلك "والكيسانية يعدون في الإمامية" التبصير في الدين ص ٤١، وكأنه بهذا يميل إلى موافقة الأشعري الذي جعل الكيسانية ضمن فرق الإمامية، ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٩١ - ٩٧. وقد يكون أراد بذلك الإشارة إلى قول من قال أنهم من الإمامية. أو الإشارة إلى ما بين الفرقتين من التوافق في بعض المسائل كالقول بالإمامة والغيبة والرجعة

المطلب الثالث

منهجه في عرض آراء الشيعة

أولى المؤلف آراء الشيعة جُلّ اهتمامه، فعلى الرغم من أن حديثه عنهم عموماً جاء موجزاً ومختصراً مقارنة بغيره من أرباب هذا الشأن وفرسانه إلا أنه مع ذلك قد صب اهتمامه بشكل أولي على آراء كل فرقة منها، وما يميزها عن غيرها.

لكن الملاحظ عليه في هذا الجانب أنه في بداية حديثه عن الشيعة لم يقدم بمقدمة يبيّن فيها ما اتفقوا عليه من آراء كما فعل مع الخوارج والمعتزلة، أو يذكر فيها موافقتهم أو مخالفتهم لغيرهم من الفرق فيما ذهبوا إليه من آراء تماماً كما فعل مع الفرق الأخرى التي تحدث عنها فيما بعد:

فنجده في بداية كلامه عن الكيسانية يذكر ما أجمعوا عليه من الآراء فيقول: "وهؤلاء الكيسانية فرق يجمعهم القول بنوعين من البدعة:

أحدها: تجويز البداء على الله تعالى - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - .

الثاني: قولهم بإمامة محمد بن الحنفية [(١)]".[(٢)]

أما الزيدية والإمامية فقد ذكر ما أجمعوا عليه في ختام حديثه عن كل منها، ليس هذا فحسب بل نراه مع ذلك أحياناً يقارن بين ما يذكره من الآراء التي أجمعوا عليها وآراء الفرق الأخرى، كموافقة الزيدية للخوارج والقدرية في بعض المسائل[(٣)].

وقد يشير إلى أوجه التشابه بين بعض الفرق والديانات والملل الأخرى. كتشبيه الروافض باليهود، شافعاً ذلك بما يدل على ذلك من الأحاديث والآثار، ومنها الأثر

---

(١) محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية، ينسب إلى أمه خولة بنت جعفر الحنفية، تمييزاً له عن أخويه الحسن والحسين، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وتوفي فيها سنة ٨١هـ.

ينظر: وفيات الأعيان ١٦٩/٤، السير ١١٠/٤، طبقات ابن سعد ٩١/٥، شذرات الذهب ٨٨/١، الأعلام ٢٧٠/٦.

(٢) التبصير في الدين ص ٣٠ – ٣١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٩.

المشهور عن الشعبي[١]: "إن الروافض شر من اليهود والنصارى، فإن اليهود سُئِلوا عن أحبار ملتهم فقالوا: أصحاب موسى، والنصارى سُئِلوا عن أحبار ملتهم فقالوا: الحواريون الذين كانوا مع عيسى - عليه السلام - وسُئِلت الرافضة عن شر هذه الأمة فقالوا: أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - "[٢].

كما أنه - إلى جانب ما سبق - تحدث عن مقاصدهم من وراء بعض الأقوال والآراء التي قالوا بها كقوله عنهم: "وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم، حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويتعذرون عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة، وتغيير القرآن من عند الصحابة"[٣].

ومن خلال النظر والتأمل في مجموع الآراء التي ذكرها وعرض لها نلاحظ تركيزه على رأيهم في مسألة الإمامة وهذا أمر لا يحتاج إلى تعليل؛ لأن نظرية الإمامة هي قطب رحى مذهبهم، وحجر الزاوية بالنسبة للمذهب الشيعي[٤]، لذلك نجده عند حديثه عن كل فرقة منها - غالباً - يبدأ أولاً بذكر رأيها في الإمامة.

وإلى جانب مسألة الإمامة نراه يتناول مسائل أخرى هي أيضاً من صميم عقيدة الشيعة وذلك مثل:

قولهم: بالرجعة، والبداء.

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الشعبي، الإمام علامة العصر، حدث عن عدد من الصحابة، وكان - رحمه الله - فقيهاً محدثاً حافظاً، توفي سنة ١٠٤هـ.
ينظر: التاريخ الكبير ٤٥/٦- - ٤٥١، أخبار القضاة ٤١٣/٢ - ٤٢٨، الجرح والتعديل ٣٢٢/٦ - ٣٢٤، وفيات الأعيان ٢٢٧/٢ - ٢٢٩، السير ٢٩٤/٤ - ٣١٩.

(٢) هذا جزء من أثر طويل ذكره وتكلم عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٣٢/١ - ٢٧، كما ذُكر من قبل في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٤٦١/٤ - ١٤٦٣، العقد الفريد ٢٤٩/٢ - ٢٥٠.

(٣) التبصير في الدين ص ٤١.

(٤) ينظر في هذا: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٦٩ - ١٠٣، أصول مذهب الشيعة ٧٩١/١ - ٨٥٣.

وموقفهم من: الصحابة، والقرآن الكريم، وصفات الله - جل وعلا - .

وقد يركز على إحدى تلك المسائل فيكتفي بالإشارة إلى عقيدة بعض الفرق إذا كانت قد اشتهرت بذلك، كما فعل مع الهشامية، حيث اكتفى بالإشارة إلى قولهم بالتشبيه فيما يتعلق بصفات الله - سبحانه وتعالى - [١].

ويلحظ عليه من خلال عرضه لبعض تلك الآراء أنه يشير إلى السبب الذي ألجأهم إلى القول بذلك الرأي، كما هو الحال في عرضه لعقيدة البداء عند الكيسانية[٢].

ومما يلحظ على منهجه في عرض آرائهم، عدم تناوله لتلك العقائد والآراء بالنقد والتفنيد، مبرراً ذلك بأنها لا تحتاج إلى استدلال في بيان بطلانها حيث يقول في ختام هذا الباب: "واعلم أن هذه المقالة التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على فسادها، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها"[٣]. ثم يواصل فيقول: "فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات إلا على أنهم قصدوا بها إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد والشر بموالاة قوم من أشراف أهل البيت، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه، ويجعلون خرافات مقالاتهم إليه"[٤].

لكن مع ذلك لم يخل كلامه من ذلك تماماً، حيث نظفر ببعض الردود أو التعقيبات - بمعنى أصح - على بعض الأقوال - أحياناً - ومن ذلك تعقيبه على قولهم في الصحابة ومذهبهم في سبهم بقوله: "والعجب أنهم يتكلمون في الصحابة ويسيئون القول فيهم، ولا يتأملون كتاب الله حيث أثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ٣٩ – ٤٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ٤٢ – ٤٣، ولعل الصواب "وينكره عليها".

(٤) المرجع السابق ص ٤٣.

ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [١] إلى آخر السورة، فأثنى عليهم كما ترى فأخبر أن صفتهم مذكورة في التوراة والإنجيل كما أخبر به: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾[٢]. حتى قال أبو إدريس المفسر[٣] أن ظاهر هذه الآية يوجب أن الروافض كفار، لأن في قلوبهم غيظاً من الصحابة وعداوة لهم، ألا تراه يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ فبين أن من كان في قلبه غيظ منهم فهو من الكفار"[٤].

ومن ذلك أيضاً تعقيباته التي تدل على بطلان القول وتهافته في ثنايا حديثه على بعض الأقوال والآراء الشنيعة[٥].

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) لم أعرف من هو المراد بهذه الكنية من المفسرين، والذي عناه الإسفراييني بذلك.

(٤) التبصير في الدين ص ٤٢.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٣٧ في موضعين، ص ٤٠، ٤١ في موضعين.

المطلب الرابع

وقفات عند بعض ما ذكره عن الشيعة

في كلام الإسفراييني عن الشيعة وطوائفها جوانب كان الصواب حليفاً له فيها، وجوانب أخرى جانب فيها ذلك.

لبيان أبرز ما يؤخذ عليه نقف معه هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: إطلاق لقب "الروافض" على سائر فرق الشيعة ووضعه عنواناً لهذا الباب[١]، وبالتالي لم يفرق بينهم من حيث مطابقة هذا اللقب لجميع من ذكر تحت هذا الباب.

ولا شك أن تسميتهم بـ"الشيعة" أدق وأسلم وأشمل، لأن هذا اللقب أو هذه التسمية تعم جميع فرق هذا الباب وينضوي تحت لوائها جميع فرق الشيعة على اختلاف طوائفها بما فيها فرقة الإمامية - الرافضة - التي تعد إحدى تلك الفرق.

بينما لقب "الروافض" لا ينطبق على سائر طوائف الشيعة وخاصة الزيدية بل إن الرافضة لم يطلق عليهم هذا الاسم إلا بسبب مخالفتهم للزيدية وافتراقهم عنهم، وذلك حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فترضى عنهما فرفضه قوم فسموا رافضة، وبقي معه قوم من الشيعة لم يرفضوه فسموا زيدية لانتسابهم إليه وعدم رفضهم إياه، وكان ذلك في آخر خلافة هشام بن عبدالملك[٢] سنة (١٢١)هـ أو (١٢٢)هـ.

ولذلك كان هذا الأمر مما أخذ على الإسفراييني كما أخذ على غيره من مؤلفي كتب المقالات والفرق إذ لم يكن الوحيد الذي وقع في هذا الأمر.

---

(١) وعنوان الباب "في تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم" ينظر: التبصير في الدين ص ٢٧.

(٢) هشام بن عبدالملك بن مروان، أبو الوليد، الخليفة الأموي، بويع بالخلافة سنة ١٠٥هـ، قال الذهبي: "كان حريصاً جمّاعاً للمال، عاقلاً حازماً سائساً، فيه ظلم وعدل" مات سنة ١٢٥هـ.

ينظر: الكامل ١٩٢/٤، ٢٥٤، ٢٥٥، الأعلام ٨٤/٩، ٨٥، السير ٣٥١/٥، تاريخ الخلفاء ص ٢٤٧.

يقول أحد الباحثين المهتمين بهذا الجانب: "أما أبو الحسين الملطي فلا يفرق بين الغلاة والرافضة الذين يلقبون بالإمامية في الغالب أو الإثني عشرية والزيدية ويطلق على الجميع "الرافضة"، وكذا أبو المظفر الإسفراييني في "التبصير في الدين"، والبغدادي في "الفَرْق بين الفِرَق... وغيرهم"[1].

وممن وقع في هذا أيضاً إضافة إلى من سبق ذكره: ابن الجوزي، والرازي، وأبو محمد اليمني، والسكسكي[2].

يقول شيخ الإسلام مشيراً إلى ذلك: "وأما لفظ (الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لَّما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبدالملك، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني. فسموا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي، والزيدية يتولون زيداً وينسبون إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية"[3].

وهذا واضح الدلالة على أن هذا المصطلح إنما نشأ فيما بعد ولا يجوز بحال إطلاقه على جميع فرق الشيعة كالزيدية مثلاً[4].

الوقفة الثانية: ما من شك في أن تحديد زمن نشأة الفرقة ووقت ظهورها وقيامها من الأمور ذات الأهمية.

---

(١) مسألة التقريب ١٤٥/١.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس ص ٢٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٤٤٨/١، البرهان ص ٦٥.

(٣) الفتاوى ٣٥/١٣ - ٣٦، وينظر نحوه في: منهاج السنة ٣٤/١ - ٣٥، وقد أشار إلى هذا جمع من مؤلفي كتب الفرق، ينظر: الفرق بين الفرق ص ٣٤ - ٣٦. التبصير في الدين ص ٢٩ - ٣٠، الملل والنحل ١٥٥/١، اعتقادات فرق المسلمين المشركين ص ٥٩، والحور العين ص ١٨٥.

(٤) ينظر: أصول الإسماعيلية ٧١/١، ويستثني أحد الباحثين من الزيدية فرقة الجارودية، لأنها سلكت مسلك الروافض. ينظر: مسألة التقريب ١٤٥/١.

إلا أن مما يؤخذ على الإسفراييني في هذا الباب إهماله الحديث عن نشأة الشيعة وتحديد ذلك، علماً بأنه بعد ذلك في حديثه عن الخوارج والمعتزلة أشار إلى نشأة كل منها ولم يهمله[١].

أما مع الشيعة فلم نظفر ولو بإشارة واحدة حول موضوع نشأة التشيع، رغم تعدد الأقوال في ذلك ووقوع الاختلاف فيه عند كل من الشيعة وأهل السنة على حد سواء[٢].

الوقفة الثالثة: رجوع الباحث أو المؤلف إلى كتب الفرقة في نقل آرائها ومذاهبها منهج حسن؛ لما فيه من الأمانة والدقة في النقل، ولأنه متمم لمنهج الحياد في إيراد المذاهب.

وعندما ننظر إلى ما كتبه الإسفراييني ومدى تطبيقه لهذا المسلك نجده لم يسلكه، حيث لم يصرح بمصادره التي استقى منها معلوماته فضلاً عن تصريحه بمصادرهم أو الرجوع إليها.

وإن كان يُلْتمس له العذر مع بعض الفرق كالخوارج لوجود ما يحول دون الاطلاع على مصادرهم - كما سيأتي - إلا أن الأمر مع الشيعة يختلف - وخاصة الإمامية - إذ كتب القوم مشهورة، ومنها ما صنف قبل كتاب "التبصير" بمدة يمكن للإسفراييني فيها الاطلاع عليها، خاصة أن الإسفراييني يعدّ من بلاد فارس وعاش فيها وهي من أهم مواطن التشيع التي انتشر فيها، وبالتالي فاطلاعه على بعض كتبهم ومؤلفاتهم قد يكون يسيراً. ففي تلك الكتب بسطٌ لعقائدهم وفرقهم، بل من كتبهم المشهورة ما

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ٤٥ – ٤٦، ٦٧ – ٦٨

(٢) ينظر: بسط الأقوال حول هذا الأمر في: الشيعة والتشيع ص ١٩ وما بعدها، دراسة في تاريخ الفرق ص ١٥٢ – ١٦٣، أصول مذهب الشيعة الإمامية ٧٠/١ – ١٠٩، نظرية الإمامة ص ٢٨ – ٥٢.

والذي رجحه كثير من الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدراسة والتحليل هو: إرجاع نشأة التشيع إلى ابن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ينظر: مسألة التقريب ١٤٠/١، أصول الإسماعيلية ٦٢/١ – ٦٤، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، لسليمان بن حمد العودة.

يبحث في المقالات والفرق ومنها على سبيل المثال: "فرق الشيعة" للنوبختي، و"مقالات الفرق" للقمي كلاهما صنّف في القرن الثالث الهجري تقريباً، وهي لاتزال موجودة إلى العصر الحالي.

الوقفة الرابعة: في حديثه عن فرقة "المحمدية"[١] ضمن فرق الإمامية يؤخذ عليه أمران:

الأول: تكرار ذكر هذه الفرقة مرة ضمن فرق الإمامية الخمس عشرة وذلك في القسم الأول من كتابه الذي عدّ فرقه داخلة في دائرة الإسلام باعتبارها من الفرق الثلاث والسبعين[٢].

وفي المرة الثانية باسم "المغيرية"[٣] ضمن فرق الغلاة في القسم الثاني الذي جعل فرقه خارجة عن زمرة المسلمين وإن ادعت الانتساب إليهم[٤]، دون أدنى إشارة إلى ذلك، كما فعل مع البيانية وغيرها، حيث أشار عند ذكرها إلى أنها تعدّ من الغلاة[٥].

ولا شك أن هذا يُعد من الاضطراب والتكرار!

الثاني: إشارته إلى أن المغيرة بن سعيد العجلي[٦]، على مذهب من يقول أن

---

(١) المحمدية ويقال لها المغيرية من فرق الإمامية وعدّها البعض من الغلاة، أتباع المغيرة بن سعيد العجلي، ادعى أن الإمامة في "محمد بن عبدالله بن الحسين بن علي" وأنه لم يمت، لذلك فهم يقولون بانتظاره، ثم ادعى المغيرة الإمامة لنفسه ثم النبوة.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٩٨/١، ٩٩، التنبيه والرد ص ١٧٠ – ١٧٢، الفرق بين الفرق ص ٥٦ – ٥٨، ٢٣٨ – ٢٤٢، الملل والنحل ١٧٦/١ – ١٧٨، مختصر التحفة الاثنا عشرية ص ١٠ – ١١.

(٢) ينظر التبصير في الدين ص ٣٥ – ٣٦.

(٣) سبق التعريف بها ضمن المحمدية.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ١٢٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٣٢، ١٢٤.

(٦) المغيرة بن سعد العجلي – وقيل في بعض المصادر البجلي – أبو عبدالله الكوفي، صاحب فرقة المغيرة من غلاة الشيعة، وإليه تُنسب، كان مولى لخالد بن عبدالله القسري، ولما ادعى النبوة لنفسه قتله خالد وصلبه وأحرقه سنة ١١٩هـ.

ينظر: لسان الميزان ٧٥/٦، البدء والتاريخ ١٤/٥، المقالات ٦٩/١، الملل ٣٧٣/١.

محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية[١] حي لم يمت، وأنه ادعى النبوة لنفسه بعد أن استقام له الأمر[٢].

وهذا مخالف للواقع والحقيقة إذ إن المغيرة توفي سنة ١١٩هـ، بينما النفس الزكية توفي سنة ١٤٥هـ.

وهذا يناقض تماماً ما ذكره الإسفراييني.

تجدر الإشارة إلى أن هذا الخطأ قد وقع فيها كثير ممن سبقه[٣]، وممن أتى بعده[٤] دون أن يتنبه أحد منهم لهذا[٥]!

إضافة إلى ما سبق فإن حالة هذه الفرقة وزعيمها غير مستقرة ولا ثابتة[٦]!

---

(١) محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عرف بـ "النفس الزكية" خرج على المنصور هو وأخوه إبراهيم، قتل سنة ١٤٥هـ، وعمره ٥٣ سنة.

ينظر: السير ٦/٢١٠، شذرات الذهب ١/٢١٣، تهذيب التهذيب ٩/٢٥٢، الوافي بالوفيات ٣/٢٩٧.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٣٥ – ٣٦، ١٢٥.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٧٤، الفرق بين الفرق ص ٥٧ – ٥٩.

(٤) ينظر: الملل والنحل ١/١٧٦ – ١٧٨.

(٥) يستثنى من ذلك: أبو محمد اليمني في عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٤٦٩ فمع تفصيله الكلام عن المغيرية إلا أنه لم يقع فيما وقع فيه من سبقه، وقد تابعه في ذلك كل من السكسكي واليافعي، ينظر: البرهان ص ٧٧ – ٧٨، ذكر مواهب الفرق ص ٨٤ – ٨٥.

(٦) ينظر الإشارة إلى هذا الأمر مع مزيد من التفصيل والبيان والتحليل كلام محمد محي الدين عبدالحميد في هامش مقالات الإسلاميين ١/٦٩ – ٧٢.

المبحث الثاني

منهجه في الكلام عن الخوارج

وفيــــه مدخل وأربعة مطالب:

- مدخـــــل.
- المطلب الأول: منهجه في تعريف الخوارج.
- المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق الخوارج.
- المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء الخوارج.
- المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن الخوارج.

المبحث الثاني

منهجه في الكلام عن الخوارج.

مدخل:

الخوارج علم مشهور على تلك الفرقة التي وصفها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمروق من الدين، وامتازت عن سائر الفرق الأخرى بالغلو والشطط والتنطع، كما تميزت بالاندفاع والتهور وسرعة الاختلاف والتفرق.

وبدعة الخوارج هي "أول بدعة ظهرت في الإسلام"[١]، وذلك لأن "أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون"[٢].

فالخوارج والشيعة من أوائل الفرق ظهوراً في تاريخ الأمة الإسلامية، ويعود ذلك إلى الفتنة التي وقعت في أواخر عهد عثمان - رضي الله عنه - التي انتهت بقتله، ثم بنشوب النزاع بين المسلمين بعد ذلك. ففي تلك الفتنة وبين ثناياها ظهرت طلائع أهل الأهواء والبدع وعلى رأسهم الخوارج والشيعة الذين فارقوا المسلمين وأئمتهم، إما بالاعتقاد والسيف كما فعلت الخوارج وغالبية الشيعة، أو بالاعتقاد فقط كما فعلت بعض طوائف من الشيعة والجهمية والمعتزلة والمتكلمة وأهل البدع[٣].

ومهما يكن من أمر فإن "التشيع والخروج" كلاهما منهجان ناشئان عن علة واحدة هي "الغلو" ولكنه غلو متضاد[٤].

لكن - مع ذلك - يبقى الخوارج هم أوَّل الفرق ظهوراً وشَقّاً لصفِّ الأمة بشكل عملي، وذلك بمفارقتهم جماعة المسلمين فعلياً، أو ما يمكن تسميته بالظهور

---

(١) الفتاوى ٢٧٩/٣.

(٢) المرجع السابق ٣٤٩/٣.

(٣) الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، د. العقل ص ١٦.

(٤) ينظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، د. سفر الحوالي ٢٨٣/١.

السياسي الحركي[١]. وقد كان ذلك بسبب حادثة التحكيم، التي قدحت زناد خروجهم، لأنه وكما هو معلوم عندما نشبت الحرب في صفين[٢] بين العراقيين والشاميين، فكانت سجالاً بين الفريقين. واستمر القتال شديداً حتى أكلت الحرب العسكرين، وملّ الناس القتال، وأخيراً تحولت رياح المعركة لصالح أهل العراق، وأصبح النصر قاب قوسين أو أدنى من جيش علي، وكادت الدائرة تدور على معاوية وجنوده، فاستشار معاوية أركان حربه، فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف ليوقع البلبلة في معسكر خصومه، فما إن رفعت المصاحف على أسنة القنا حتى دب الانقسام في معسكر علي، ثم اتفق الطرفان على التحكيم، ومهما قيل بشأن موقف علي من مطالب أهل الشام، فإن مما لا شك فيه أن علياً وقع بين أمرين أحلاهما مرّ، وبعد توقيع كتاب التحكيم خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت[٣].

"وأيّاً كانت الطريقة التي تم بها التحكيم، فالثابت أنها أخرجت أول حزب سياسي هو الخوارج، وأضعفت من شوكة علي؛ لأنه اضطر إلى الحرب في جبهتين"[٤].

وقد نبَّه إلى هذا وأشار إليه بإيجاز شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال: "ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء[٥]"[٦].

---

(١) ينظر: فرق الخوارج نشأتهم، واقعهم المعاصر، أهم آرائهم العقدية، د. محمد الوهيبي ص ١٠.

(٢) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وقعت بها معركة صفين في غرة صفر سنة ٣٧هـ
ينظر: معجم البلدان ٣/٤١٤.

(٣) ينظر: الخوارج في العصر الأموي نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، د. نايف معروف ص ٧٢ - ٧٩.

(٤) الخوارج، الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم، د. مصطفى حلمي ص ١٤.

(٥) حروراء: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فنسبوا إليها، وسموا حرورية، وبه كان أول تحكيمهم واجتماعهم.
ينظر: معجم البلدان ٢/٢٤٥..

(٦) الفتاوى ١٣/٣٢.

وفي تلخيص أدق لتلك الحادثة أورد الإمام ابن حجر - رحمه الله - ما قاله الإمام الزهري في ذلك حيث يقول: "لما نشر أهل الشام المصاحف بمشورة عمرو بن العاص[١] حين كاد أهل العراق أن يغلبوهم هاب أهل الشام ذلك، إلى أن آل الأمر إلى التحكيم، ورجع كل إلى بلده إلى أن اجتمع الحَكَمان في العام المقبل بدُومة الجندل[٢]، وافترقا عن غير شيء، فلما رجعوا خالفت الحرورية علياً وقالوا: لا حكم إلا لله، وفي رواية: أن علياً - رضي الله عنه - بعث إليهم عبدالله بن عباس فناظرهم فلما رجعوا جاء رجل إلى علي فقال: إنهم يتحدثون أنك أقررت لهم بالكفر لرضاك بالتحكيم، فخطب وأنكر ذلك، فتنادوا من جوانب المسجد لا حكم إلا لله"[٣].

وعلى هذا القول في تحديد نشأتهم وظهورهم غالبية علماء المقالات وغيرهم[٤]، وعلى رأسهم الأشعري حيث يقول: "والسبب الذي سُمُّوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب"[٥].

أما بالنسبة لتحديد جذورهم الأولى فقد أعادها بعضهم إلى عهد النبوة وذلك على يد ذي الخويصرة[٦] الذي بدأ الخروج باعتراضه على النبي - صلى الله عليه وسلم

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبدالله، داهية قريش ومضرب المثل في الفطنة والدهاء والحزم، ولاه عمر على فلسطين ثم مصر بعد أن فتحها، مات وعمره بضع وثمانون عاماً وذلك سنة ٤٣هـ.
ينظر: السيرة ٥٤/٣، تجريد أسماء الصحابة ٤١١/١، الإصابة ٢/٣، الاستيعاب ٢٦٦/٣، تهذيب التهذيب ٥٦/٨، الأعلام ٧٩/٥.

(٢) دومة الجندل: بضم الدال بلدة تقع في نصف المسافة بين الكوفة ودمشق، وموقعها الآن في شمال المملكة العربية السعودية، ينظر: معجم البلدان.

(٣) فتح الباري ٢٩٨/١٢.

(٤) ينظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها د. غالب عواجي ص ٤٣.

(٥) مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١.

(٦) عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي وقيل حرقوص بن زهير السعدي، وهو المعترض على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قسمة الغنائم بعد حنين، شهد صفين مع علي - رضي الله عنه - وبعد التحكيم صار من أشد الخوارج عليه، وفي سيرته اضطراب، قال ابن حجر: وعندي في ذكره في الصحابة وقف، قتل فيمن قتل بالنهروان عام ٣٧هـ. =

- في قسمته للغنائم، واتهامه بعدم العدل، وذلك بناءً على الأحاديث الواردة في ذلك ومنها حديث أبي سعيد الخدري[(١)] - رضي الله عنه - قال: "بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يقسم جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: "إعدل يا رسول الله" فقال: "ويلك، ومَن يعدل إذا لم أعدل؟" قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : دعني أضرب عنقه، قال: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ينظر في قذذه[(٢)] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله[(٣)] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه[(٤)] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه[(٥)] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه - أو قال ثدييه - مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة[(٦)] تدردر[(٧)]، يخرجون على حين فرقة من الناس"، قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي - صلى الله عليه وسلم - وأشهد أن عليّاً قاتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على

= ينظر: الإصابة ٤٧٣/١، تجريد أسماء الصحابة ١٦٩/١، الكامل ٥٩٥، الأعلام ١٧٣/٢.

(١) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي جليل، كان من الملازمين للنبي - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه أحاديث كثيرة، قيل إن له ١٧٧٠ حديثاً، وأنه غزا اثنتي عشرة غزوة، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ.

ينظر: حلية الأولياء ٣٦٩/١، صفة الصفوة ٢٩٩/١، تهذيب التهذيب ٤٧٩/٣، السير ١٦٨/٣، الأعلام ٨٧/٣.

(٢) القذة: ريش السهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٨/٤، غريب الحديث للهروي ١٦١/١.

(٣) النصل: حديدة السهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٦٧/٥، الفائق في غريب الحديث ٤٣٧/٣.

(٤) الرصاف: عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل، ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٢٧/٢، غريب الحديث للهروي ١٦١/١.

(٥) نضيه: عود السهم قبل أن يراش وينصل، ينظر: النهاية في غريب الحديث ٧٣/٥، الفائق في غريب الحديث ٣٥٥/٣.

(٦) القطعة من اللحم، ينظر: النهاية في غريب الحديث ١٣٣/١.

(٧) أي تتحرك ولا تثبت لعدم وجود عظم فيها، ينظر: النهاية في غريب الحديث ١١٢/٢، الفائق في غريب الحديث ٣٥٥/٣.

النعت الذي نعته النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فنزلت فيه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾[١].[٢]

والبعض مال إلى أن جذورهم تعود إلى زمن فتنة الخروج على عثمان - رضي الله عنه - في تلك الفتنة التي انتهت بقتله وتسمى الفتنة الأولى.

وبعد هذه الإلماحة إلى بعض الأقوال التي حددت نشأة الخوارج - وهي من أشهر الأقوال في ذلك[٣] - يمكننا من خلال النظر فيها أن نخلص إلى أن الخوارج ترجع جذورها ونشأة مقالتها الأولى على لسان ذي الخويصرة، ثم صاروا جماعة لا تحمل شعاراً بعينه في أحداث الفتنة على عثمان - رضي الله عنه - ثم كوّنوا فرقة خارجة عن جماعة المسلمين لها شعار تعرف به في أحداث صفين، في خلافة علي - رضي الله عنه -[٤].

وهذا ما يدل عليه كلام شيخ الإسلام حول هذا الموضوع إذ يقول: "فإن التكلم ببدعتهم ظهر في زمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن لم يجتمعوا وتصير لهم قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - "[٥].

ومهما يكن فإن الأمر قد آل بالخوارج إلى قتل الإمام علي - رضي الله عنه -[٦].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، ورواه مسلم في كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه.

(٣) هناك أقوال أخرى في تحديد نشأتهم لم تذكر لبعدها. وللاستزادة حول موضوع النشأة والأقوال في ذلك والترجيح ينظر: الخوارج وآراؤهم الاعتقادية ص ٣٧ - ٤٧، وينظر: الخوارج في العصر الأموي ص ١٣ - ٨٥.

(٤) ينظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، عبداللطيف الحفظي ص ٣٠٧. وذهب إلى مثل هذا . د. عمار الطالبي في آراء الخوارج ١/٤٥.

(٥) الفتاوى ٢٨/٤٩٠.

(٦) وقد قتله: عبدالرحمن بن ملجم، ينظر: تفاصيل ذلك في: الخوارج وآراؤهم، د. شوقي إبراهيم علي عبدالله ص ٤٦ - ٤٩، حركة الخوارج، نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، د. لطيفة البكاي ص ٥٣ - ٥٦.

واستمر الخوارج بعد ذلك وكانوا يشكلون غصة في حلق الأمة الإسلامية ؛ لما يسببونه من القلاقل والفتن ، من خلال ما يقومون به من ثورات على الخلافة الأموية والعباسية ، فكان المسلمون منهم في أمر عظيم ، وسيطروا على بعض البلاد ، وكان لهم مواطن مشهورة ، لكن سيطرتهم عليها كانت بين مدّ وجزر(١).

والخوارج مستمرون إلى آخر الزمان ، كما في حديث علي – رضي الله عنه – قال : وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : "يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة"(٢).

وفي هذا السياق نجد شيخ الإسلام – رحمه الله – يشير إلى هذا الأمر بعد ذكره للأثر الذي جاء فيه وصف ذي الثدية وأنه من علامتهم – والذي سبق ذكره – حيث يقول : "وهذه العلامة التي ذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم – هي علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين بأولئك القوم ، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لايزالون يخرجون إلى زمن الدجال ، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك المعسكر"(٣).

ووجودهم في العصر الحاضر يتمثل في فرقة الأباضية ، فهي من الفرق الكبرى التي تعد امتداداً طبيعياً تاريخياً للخوارج الأولين ، علماً بأن بعض الأباضية

---

(١) ينظر: أشهر مواطنهم وأماكن نفوذهم وانتشارهم آن ذاك في مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١ ، التنبيه والرد ص ٥٣ ، ٥٤ ، البرهان ص ١٨ ، ١٩ ، حركة الخوارج ص ٣٠٦. وانظر دراسة تفصيلية تاريخية لذلك في: الخوارج في العصر الأموي – رسالة ماجستير – إعداد سليمان السويكت، عام ١٣٩٨هـ ص ٦٥ – ١٨٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين، ينظر: فتح الباري ٢٨٣/١٢ ، ورواه مسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٩/٧.

(٣) الفتاوى ٤٩٥/٢٨ – ٤٩٦.

المتأخرين[1] يحاولون نفي نسبة الأباضية إلى الخوارج، وهذه مغالطة لا يقرهم عليها أحد من المحققين [2]، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة، ووجودهم الآن في عُمان بنسبة مرتفعة، وفي ليبيا وتونس والجزائر، وفي واحات الصحراء الغربية، وفي زنجبار المعروفة بتنزانيا حالياً، تلك هي أبرز مواقع انتشارهم وأماكن نفوذهم[3].

كما أن نزعات الخوارج بدأت تظهر في بعض الجماعات القائمة اليوم: تكفير، والهجرة، ونحوهم، ممن يكفِّرون مرتكب الكبير أو يوجبون الخروج على الحاكم الجائر. وغالباً نراها في بعض الذين لم يكتمل علمهم، ولم يتلقوا عن العلماء وإنما يتلمذ بعضهم على بعض، أو على الكتب دون رجوع لأهل العلم[4].

---

(١) ومنهم علي يحيى معمر، ينظر: الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧٧ - ٢٨٣، والأباضية في موكب التاريخ ص ٦٢.

(٢) ينظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ص ٥٩، ٧٥ - ٧٦، وينظر كذلك: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٨٥، فجر الإسلام ص ٢٦٠، فرق معاصرة ١٠٩/١ - ١١٣، الأباضية د. عبدالعزيز آل عبداللطيف ص ١٣ - ١٥.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة ٦٦/١، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ص ٨٧ - ٨٨، فرق الخوارج نشأتهم، واقعهم المعاصر ص ٢١ - ٢٧.

(٤) الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ص ٥٩، وينظر: الخوارج الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم ص ٥٠ - ٥١، وللتوسع في ذلك ينظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ص ١١٥ - ١٥١، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٠٨ - ١٤٩.

المطلب الأول

منهجه في تعريف الخوارج[١]

لم ينل هذا الأمر العناية المطلوبة من قبل الإسفراييني، ولم يحظَ باهتمامه حيث لم يقدم تعريفاً خاصّاً دقيقاً يجمع به كل من ينضوي تحت لواء هذه الفرقة ويمنع دخول غيرهم معها، ولم يُشر أيضاً إلى تعريف عامٍّ لمن يمكن وصفه بالخروج، سواء كان من فرقة الخوارج أو من غيرهم.

وعندما نقارن ما ذكره المؤلف بما ذكره غيره من مصنفي كتب الفِرَق يظهر الفَرْق.

فالشهرستاني مثلاً أورد تعريفين للخوارج، الأول عام، والثاني خاص.

فالعام: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه... سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"[٢]، وهذا لا يختص بمكان أو زمان أو شخص معين[٣].

---

(١) يرى أحد الباحثين أن مؤلفي كتب المقالات والفرق سلكوا في حديثهم عن الخوارج منهجين: منهج موضوعي - أو فكري عقدي - والآخر تأريخي، وقد استطاع بعضهم الجمع بينهما، وممن استطاع الجمع بينهما: الأشعري، والبغدادي، والشهرستاني، أما ابن حزم فقد اكتفى بالمنهج الموضوعي.
ينظر: آراء الخوارج ١/١٠٦. ولا شك أن الإسفراييني يعدّ ممن جمع بين المنهجين كما سيتضح ذلك - إن شاءالله تعالى -.

(٢) الملل والنحل ١/١١٤.
وهنا وقفة مع هذا التعريف إذ الصواب - والله أعلم - أن الخارجين على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمون "بغاة"، لا خوارج، فالبغاة "هم الذين يخرجون على الإمام العادل طلباً للملك بتأويل سائغ أو غير سائغ، وفي حكمهم مَنْ خَرج على الإمام الحق انتقاماً أو عصبية أو قبلية أو لغرض دنيوي، ونحو ذلك" الإمامة العظمى ص ٤٩٣ - ٤٩٤، وينظر تفصيل هذه المسألة وتقسيم الخارجين في المرجع السابق ص ٤٩٠ - ٤٩٩.

(٣) وهنا أشير إلى أن شيخ الإسلام قد وسَّع دائرة التعريف العام للخوارج ولم يقصره على الخروج على الإمام الحق، فيقول وهو بصدد الحديث عن النصوص الشرعية الواردة في شأن الخوارج وذمهم: "وهذه النصوص المتواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الخوارج، قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى =

والخاص: "من خرج على أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ممن كان معه في حرب صفين"[١]، وهذا خاص بفرقة الخوارج المعروفة، وهو المناسب لما نحن بصدد الحديث عنه، لكن الإسفراييني لم يصرِّح بشيء من ذلك ألبتة لا من قريب ولا من بعيد.

أما فرق الخوارج التي تفرعت عنها فإن الإسفراييني يكتفي في تعريفها بالإشارة إلى زعيمها الذي تنسب إليه - وذلك هو الغالب - وقد يشير إلى أشهر أقوالها الذي كان سبباً في تسميتها أو انشقاقها عن غيرها فقط، لكن في مقابل ذلك نراه قد أولى موضوع نشأة الخوارج نصيباً من الاهتمام، حيث تكلم عن وقائع حادثة التحكيم وملابساتها، وأوَّل من أشعل فتنتها، وأبرز الشخصيات التي كان لهم دور فيها، وكيفية تطور ذلك حتى وصل بهم الأمر إلى مفارقة جيش علي - رضي الله عنه - والخروج إلى حروراء.

كما نراه أيضاً يذكر بعض التفاصيل الدقيقة كذكر أعدادهم وزعمائهم الذين تعاقبوا عليهم آنذاك، وحكاية مناظرة الإمام علي - رضي الله عنه - لهم، وما تمخضت عنه تلك المناظرة من تطورات في صفوفهم، وما آل إليه أمرهم[٢] ليس هذا

= من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجماعة المسلمين، بل بعض هؤلاء شر من الخوارج الحرورية، مثل الخرمية، والقرامطة، والنصيرية، وكل من اعتقد في بشر أنه إله، أو في غير الأنبياء أنه نبي، وقاتل على ذلك المسلمين فهو شر من الخوارج الحرورية.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - إنما ذكر الخوارج الحرورية؛ لأنهم أول صنف من أهل البدع خرجوا بعده..." الفتاوى ٤٧٦/٢٨.

ويمكن أن نخلص من كلامه السابق إلى "أن الخروج بابه واسع، فكل من خرج على العقيدة والشريعة استحق هذا الوصف" آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها - الخوارج والشيعة - رسالة دكتوراه إعداد: د. محمد السحيباني ١٦٧/١، وهذا ليس المقصود من حديثنا هنا كما هو ظاهر.

(١) الملل والنحل ١١٤/١.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٤٦ - ٤٩.

فحسب بل نراه لا يغفل عن الإلماح إلى جذورهم الأولى وذلك بالإشارة إلى قصة ذي الخويصرة واعتراضه على قسمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - [١].

ونلحظ أن الإسفراييني تميَّز عن غيره في جانب "تاريخ الخوارج"، فقد اهتم به اهتماماً بالغاً، ولا نبالغ إن قلنا بأن قرابة النصف أو أكثر من حديثه عنها كان عن تاريخها وتاريخ فرقها مما يدل دلالة واضحة على معرفته وإلمامه بتاريخ هذه الفرقة وتطورها.

فبعد ذكره للفرقة وما يميزها من أقوال أو أوصاف نجده يخصص بعد ذلك حديثاً عن تاريخها، فيعرض لبعض الحوادث والوقائع، وما كان لهم وما كان عليهم فيها، وما انتهى إليه أمر تلك الفرقة.

ومما يستدعي الانتباه تناوله لبعض الجزئيات ذات العلاقة، كعدد سنوات القتال، وأعداد الجيوش، وأماكن الوقائع والنفوذ وغيرها[٢].

كما تجدر الإشارة - إضافة إلى ما سبق - أن الإسفراييني قد يورد - أحياناً - بعض أسماء الفرقة الأم، أو الفرق المتفرعة عنها إن عرفت بأكثر من اسم.

لكنه لا يستقصي ذكر تلك الأسماء، فلا نجده يذكر من أسماء الخوارج التي عرفوا بها إلا "الحرورية"، و"المحكمة"[٣]، علماً بأنها عرفت بأسماء أخرى[٤]. وكذلك الحال مع فرقها الأخرى[٥].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٤٩، وقد سبق الإشارة إلى الحديث وتخريجه.

(٢) ومن الفرق التي عرض لتاريخها وما كان من وقائعها: المحكمة، الأزارقة، النجدات، الصفرية، الشبيبية. وقد عدها كلها من الأصول.

ينظر: التبصير في الدين ص ٤٥ - ٦٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) ومن أشهر أسمائها إضافة إلى ما سبق: الشراة، المارقة، الناصبة - أو النواصب -، أهل النهروان، المكفرة.

ينظر: الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر السعوي ص ٢٢ - ٢٧، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ص ٢٨ - ٣٠، الخوارج في العصر الأموي ص ١٨٧ - ١٩٤، بل إن هناك من المتقدمين من أفرد ألقاب الخوارج بموضوع مستقل، كالأشعري في مقالات الإسلاميين ٢٠٦/١ - ٢٠٧.

(٥) كالنجدات عرفت أيضاً بالعاذرية، والنجدية، والصفرية عرفت بالزيادية.

ينظر: مقالات الإسلاميين ١٧٤/١، الملل والنحل ١٢٢/١، ١٣٧، لكن أبا المظفر اقتصر على الاسم الأول لكل منها.

ينظر: التبصير في الدين ص ٥٢، ٥٣.

المطلب الثاني

منهجه في ذكر فرق الخوارج

من السمات التي ميَّزت الخوارج عن غيرها من الفرق كثرة فرقها وتشعُّبها، وما ذلك إلا لأن أتباعها عُرِفوا بسرعة التقلب وتغيير المواقف واختلاف الرأي بكثرة في الأمور الفرعية والتفرُّق لأتفه الأسباب.

وكثرة فرقها يعود إلى عدة أسباب من أهمها وأبرزها: "كثرة الاختلافات فيما بينهم، وتحيُّز كل فرقة لما ارتأت وتجمعها حوله، حتى صاروا مذاهب وجماعات متباينة"(١).

وفي ذكر بعض صفاتهم يقول أحد الباحثين: "وكانوا كثيري التشاجر فيما بينهم لأتفه الأسباب، وربما كان هذا هو السر في انهزامهم مع قوة شكيمتهم في القتال"(٢).

من أجل ذلك لا يجد الباحث في كتب المقالات اتفاقاً على عدد فرقها وتحديدها بل إن الناظر والمتأمِّل يجد تفاوتاً كبيراً بينهم في هذا الشأن لا يكاد يوجد له نظير في فرقة أخرى، ومن ضمن أولئك "أبو المظفر الإسفراييني"(٣).

ولعل ذلك راجع لعدة عوامل أهمها:

١ - أن الخوارج فرقة حربية متقلبة إلى جانب كونها ثائرة مضطهدة من جهة خصومها وهم عامة الناس، لذا تعذَّرت الدراسة التي تتمكن من حصرهم حصراً دقيقاً.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٨٠.

(٢) أهم الفرق الإسلامية لمحمد طاهر النيفر ص ٦١.

(٣) ففي مقالات الإسلاميين أكثر من ثلاثين فرقة ١/١٦٧ - ٢١٢، وفي التنبيه والرد أكثر من خمس وعشرين فرقة ص ٦٢ - ٦٩، ١٨٨ - ١٩١، وفي الفرق بين الفرق اثنتين وعشرين فرقة ص ٧٢، وفي التبصير في الدين ثلاثين فرقة تقريباً، ص ٤٥ - ٦٢، وفي الملل والنحل ثلاث وعشرين فرقة ١/١١٤ - ١٣٨، وفي الفرق وأصناف الكفرة اثنتا عشرة فرقة ص ٤٤، ومثل ذلك في عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١٨ - ٤٢، وفي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين واحد وعشرون فرقة ص ٤٩ - ٥٨، وفي البدء والتاريخ كذلك ص ١٣٤ - ١٣٥، وفي الخطط عشرين فرقة ٣/٣٩٩، وفي البرهان ثمان عشرة فرقة ص ١٧ - ٣٢، ومثله في ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٣٥ - ٤٦، وتلخيص البيان ص ٥٢ - ٧٣، وفي الحور العين سبع وعشرين فرقة ص ١٧ - ١٧٨، ومثله المقدسي في رسالته في الرد على الرافضة ص ١٨٨.

٢ - أنهم لم ينعموا بالاستقرار والهدوء اللذين ينتج عنهما نظرهم في العلوم وتحقيقهم لمذهبهم وتأريخهم لفرقهم المختلفة تأريخاً منضبطاً يساعد على حصرها حصراً صحيحاً.

٣ - أنهم ساهموا في إخفاء أمرهم، بحيث أخفوا كتبهم عن أعين الناس إما خوفاً عليها منهم، أو ضناً بها عليهم.

٤ - أنهم كانوا - كما سبق - سريعي التفرق والاختلاف لأقل الأسباب وأتفه الأمور(١).

"وندرة كتبهم في عصرنا الحاضر دليل على ذلك - إلا ما وجد للأباضية(٢) على قلته -"(٣).

لأجل ذلك يقول أحد الباحثين: "عندما يريد الباحث حصر فرق الخوارج الأصلية منها أو الفرعية يفاجأ بكثرة اختلاف العلماء في ذلك، وذلك لأن كتب الفرق الإسلامية لم تتفق أبداً على تقسيم فرقهم الرئيسة أو الفرعية على عدد معين"(٤).

والإسفراييني - وهو أحد أولئك - نجده افتتح حديثه عن الخوارج قبل كل شيء بتحديد عدد فرقهم فذكر أنهم عشرون فرقة(٥)، وعندما بيَّنَهم وفصَّل الحديث

---

(١) ينظر: الخوارج تأريخهم وآراؤهم الاعتقادية ص ١٩٣ - ١٩٤، فرق معاصرة تنتسب للإسلام ١/١٠٤ - ١٠٥..

(٢) الأباضية: فرقة تنسب إلى عبدالله بن أباض، وهي إحدى فرق الخوارج، وقد افترقت إلى عدة فرق، ويجمعهم القول بأن مخالفيهم من هذه الأمة كفار ليسوا مؤمنين ولا مشركين، وأجازوا شهادتهم، وحرموا دماءهم في السر، واستحلوها في العلانية، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم، وأن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة، وهو في الآخرة مخلد في النار، وهي من أطول فرق الخوارج عمراً حيث لم تزل موجودة، ولها أتباع في عُمان، وشمال أفريقيا، لكنهم ينكرون كونهم من الخوارج.
ينظر: الملل والنحل ١/٢٤٤ - ٢٤٩، الفرق بين الفرق ١٠٣ - ١٠٩، الفصل ٤/١٨٩ - ١٩١، مقالات الإسلاميين ١/١٨٣ - ١٨٩، الخوارج وآراؤهم الاعتقادية ٢٠٦ - ٢١٦، الإباضية عقيدة ومذهباً، د. صابر طعيمة.

(٣) فرق معاصرة ١/١٠٥.

(٤) الخوارج وآراؤهم الاعتقادية ص ١٩٣.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ص ٤٥.

عنهم نراه قد جعلهم قسمين: أصولاً وفروعاً متفرعة من تلك الأصول. وبلغ عدد الأصول عنده سبع فرق[١]، وذكر بعد كل فرقة منها ما انفصل عنها من فرق، وقد يَعُدُّ بعضها من الأصول.

وفي تفصيل كلامه عن كل فرقة نجده يبدأ أولاً بالإشارة إلى سبب تسميتها، إما بذكر زعيمها إن كانت تُنْسَبُ إليه[٢]، أو القول الذي كان سبباً في تسميتها بذلك الاسم[٣].

كما نلحظ منه التركيز في ذكر الأقوال والآراء على ما كان سبباً في انفصالها عن غيرها والذي استقلت من أجله، وقد ينصُّ على كونه سبب تفرُّقها.

بعد ذلك يقدم لمحة عن تاريخ الفرقة وتطوّرها وما حدث لها مع خصومها من الوقائع والأحداث.

عَبْر هذه المحاور كان يدور حديثه - غالباً - عن كل فرقة وهي: (سبب تسميتها - أبرز آرائها وأقوالها - شيء من تأريخها).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في تقسيمه للفرق الذي سار عليه راعى جانب التسلسل التاريخي، والتتابع التدريجي لظهور تلك الفرق، وربط بعضها ببعض.

فيذكر مثلاً أولى فرق الخوارج، ثم يجعل الفرقة التي انبثقت منها تكون الثانية، ثم الفرقة التي انبثقت من الثانية تكون الثالثة... وهكذا.

ولا شك أن هذه الطريقة وهذا المسلك جيد للغاية لما يحققه من الترابط بين الفرق، ويسهِّل على القارئ متابعة تاريخ الفرقة وما مرَّت به من أطوار.

---

(١) وهي: المحكمة الأولى، الأزارقة، النجدات، العجاردة، الأباضية، الشبيبية.

(٢) وذلك مثل: الأزارقة، النجدات، الصفرية، العجاردة، الشعيبية، الخلفية، الصلتية، الحمزية، الثعالبة، المعبدية، الأخنسية، الشيبانية، الأباضية، الحفصية، الحارثية، الشبيبية، الإبراهيمية، الميمونية، البيهسية.

(٣) وذلك مثل: المحكمة الأولى، المعلومية، المجهولية، أصحاب طاعة لا يراد الله بها، الواقفة..

وكان الإسفراييني - أحياناً - عند حديثه عن بعض الفرق يشير إلى بعض ما يميِّزها عن غيرها كقوله عن الأزارقة[١]: "ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً، وأشد منهم شوكة"[٢].

كما قد يشير إلى انتهائها والقضاء عليها كقوله عنهم أيضاً: "وطهَّر الله وجه الأرض من جملة الأزارقة، ولم يُبْقِ منهم أحداً"[٣].

---

(١) الأزارقة: من كبار فرق الخوارج تنسب إلى نافع بن الأزرق الحنفي من أهل البصرة، وكان أول خروجه بها في عهد عبدالله بن الزبير، اشتدت شوكته وكثر أتباعه سنة ٦٥هـ، من آرائهم: أنهم كفَّروا القَعَدة والمخالفين لهم وأصحاب الكبائر، وأباحوا قتل أطفال المخالفين، وأسقطوا الرجم عن الزاني لعدم ذكره في القرآن.

ينظر: الملل والنحل ٢٠٧/١ – ٢١١، المقالات ١٦٨/١ – ١٧٤، الفرق بين الفرق ص ٨٢ – ٨٦. وينظر: فرقة الأزارقة – دراسة تحليلية تأريخية تبحث في أصول هذه الفرقة وتطورها – محمد رضا حسن الدجيلي.

(٢) التبصير في الدين ص ٤٩.

(٣) المرجع السابق ص ٥١.

وهذا صحيح ينظر تفصيل ذلك وتأكيده في: فرقة الأزارقة ص ١٥٠ - ١٦٠.

المطلب الثالث

منهجه في عرض آراء الخوارج

اتَّسم منهج الإسفراييني في عرض آراء الخوارج - في العموم - بالدقة. فنجده في مستهل حديثه عنهم وقبل الخوض في ذكر فرقها وتفصيل ذلك يقدِّم بمقدمة يبيّن من خلالها الآراء التي اتفقت الخوارج بجميع فرقها عليها، حيث يقول: "وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة، أحدهما: أنهم يزعمون أن عليّاً، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم.

والثاني: أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر، ويكون في النار خالداً مخلداً"[1].

ومن تمام دقته وتحرِّيه نراه عَقِبَ ذكره للأمر الثاني مباشرة يستثني إحدى فرقها فيقول: "إلا النَّجدات[2] منهم، فإنهم قالوا: أن الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمة ربه، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر"[3].

---

(١) التبصير في الدين ص ٤٥.

(٢) النَّجدات: ويقال لهم النجدية، أتباع نجدة بن عامر أو عويمر الحنفي، كان من الأزارقة ثم فارقهم وخرج مستقلاً، قويت شوكتهم في سنة ٦٦هـ، واستولى على اليمامة أيام عبدالله بن الزبير، وقتله أصحابه سنة ٦٩هـ، وخالف النجدات سائر الخوارج في أمور منها: عدم قولهم بأن كل كبيرة كفر، وبأن أصحاب الكبائر يعذبون عذاباً دائماً، وحكى عنهم القول بعدم الحاجة إلى إمام وأن عليهم أن يحكموا كتاب الله فيما بينهم.

ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٧٤ - ١٧٦، الفرق بين الفرق ص ٨٧ - ٩٠، الفصل ٤/٨٧، التبصير في الدين ٣٠ - ٣١، الفصل ٥/٥٣، التنبيه والرد ص ٦٧، ١٨٨، الخطط ٢/٣٥٤..

(٣) التبصير في الدين ص ٤٥.

وبعبارة أدق يمكن القول بأنهم فصّلوا القول في مرتكب الذنب وجزائه، وذلك باختلاف حاله من حيث الإصرار على الذنب وعدمه، فمن ارتكب من المعاصي شيئاً وهو مصرّ عليه فهو مشرك كافر ولو كانت هذه المعاصي من صغائر الذنوب، ومن ارتكب من تلك المعاصي شيئاً وهو غير مصرّ فهو مسلم ولو كانت هذه المعاصي من كبائر الذنوب. =

وهـذا الأمـر الدقيـق فـات علـى بعـض علمـاء هـذا الفـن ولم يتنبَّـهوا إليـه كالشهرستاني - وهـو ممـن أتـى بعـده - حيـث حكـى إجماعـهم علـى تكفـير صـاحب الكبيرة[١]. ولذا كان هذا الأمر مما أُخذ عليه[٢].

بعد ذلك ألحق الإسفراييني بالأمرين السابقين أمراً ثالثاً يجمعهم فقال :

"ومما يجمعهم أيضاً : تجويزهم الخروج على الإمام الجائر"[٣].

ولعل إفراده لهذا الأمر الثالث وعدم إدخاله مع الأمرين السابقين - في نظري - دليل على تحرِّيه للدقة في ذكر الآراء وعرضها ، وذلك لأنـه أمر قـد يشترك معهم فيه غيرهم ، وهذا هو المعنى أو التعريف العام للخوارج الذي لا يختص بمكـان أو زمـان أو فئة معينة والذي أشار إليه الشهرستاني وغيره[٤].

كمـا أن في هـذا الأمـر - أيضـاً - دليـل علـى تميز الإسفراييني عـن غـيره بالدقـة وذلك في اختياره للعبـارة المناسـبة الـتي عـبَّر بـها عـن هـذا الأمـر ، حيـث استخدم لفـظ "تجويز" ، بينما نجد غيره يحكي "الوجوب" عنهم في هذا الأمر.

فـالبغدادي يقـول فيمـا ينقلـه عـن الكعبي[٥] عنـد ذكـره للأمـور الـتي أجمعـت عليها الخوارج : "وجوب الخروج على الإمام الجائر"[٦]، وإن كـان البغـدادي قد خطَّأ

= ينظر: مقالات الإسلاميين ١٧٥/١، الفرق بين الفرق ص ٨٩، الملل والنحل ١٢٤/١، الفصل ١٩٠/٤.

كما أن لهم تفصيلاً آخر بالنسبة لمرتكبي الذنوب إذا كانوا من موافقيهم أو مخالفيهم.

ينظر: بسط الكلام حول هذا الأمر في: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ص ٣٣٨ – ٣٣٩.

والقول بأن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة قول الأباضية في الجملة، ولهم عدة تفصيلات بناء على ذلك. ينظر: المرجع السابق: ص ٣٤٥ – ٣٥٦.

(١) ينظر: الملل والنحل ١١٥/١.

(٢) ينظر: منهج الشهرستاني في الملل والنحل ص ٤٧٦.

(٣) التبصير في الدين ص ٤٥.

(٤) وقد سبق ذكره. ينظر: الملل والنحل ١١٤/١.

(٥) عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي الخرساني، أبو القاسم، من أئمة المعتزلة وإليه تنسب فرقة الكعبية، عُدّ من الطبقة الثامنة من المعتزلة، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٣١٧هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ٣١٣/١٤، المنية والأمل ١٧٦، لسان الميزان ٢٠٥٥/٣، وفيات الأعيان ٢٥٢/١، الأعلام ٦٥/٤ - ٦٦.

(٦) الفرق بين الفرق ص ٧٣.

الكعبي في بعض ما حكى إجماع الخوارج عليه، إلا أنه لم يعقِّب عليه في حكايته إجماعهم على وجوب الخروج على الإمام الجائر، وهذا تقرير منه لذلك.

وهذا فيه نظر؛ لأن من فرق الخوارج من لا ترى وجوب الخروج على الإمام الجائر، كالأباضية، فإننا "نجد من علماء الأباضية من يُنكر أن يكون من رأيهم وجوب الخروج على الأئمة الجَوَرَة، بل من رأيهم جواز الخروج وعدمه..."(١).

بناءً على ذلك كان التعبير بتجويز الخروج، أدقّ وأصحّ من التعبير بوجوبه، مع العلم أنهم متفقون على أصل مشروعية الخروج.

لهذا عبَّر بما يفيد الجواز كل من الأشعري والشهرستاني وغيرهما.

يقول الأشعري: "وأما السيف فإن الخوارج جميعاً تقول به وتراه، إلا أن الأباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور، ومنعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف"(٢)، وبنحو ذلك قال الشهرستاني(٣).

وهذا الأمر من الأمور التي خالف فيها الإسفراييني شيخه البغدادي وكان الصواب حليفاً فيه، لدقة عبارته وجودة تعبيره.

ومن الجوانب التي تُبرز دقته في عرض الآراء: تفريقه بين نسبة القول لزعيم الفرقة أو مجموعها، أو لأحد أفرادها، كما قد يذكر بعض المسائل التي كانت محل خلاف في أول الأمر ثم أطبقت الفِرْقَةُ على القول بها.

---

(١) الخوارج وآراؤهم الاعتقادية ص ٥٢٤. وقد ذكر فيه الباحث ما يدل على ذلك من أقوال علمائهم المتقدمين والمتأخرين.

ينظر: المرجع السابق ص ٤٢٥ – ٤٢٧، وللاستزادة ينظر: الأباضية مذهب إسلامي معتدل ص ٢٥ – ٢٦، الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٩٠، والأباضية عقيدة ومذهباً ص ٣٩ – ١٤٣، دراسات عن الإباضية د. عمرو خليفة النامي ص ٥٧، ٥٩ – ٧٢.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/٢٠٤.

(٣) ينظر: الملل والنحل ١/١١٥.

وفي إشارة إلى هذا الأمر يقول أحد الباحثين ممن تناول هذا الأمر:

"والباحث الذي يدرس مقالات كتّاب الفرق عن آراء الخوارج دراسة مقارنة يرى أن الخوارج لم يجمعوا إلا على إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، أما ما عدا ذلك فقد اختلفت فرق الخوارج فيه اختلافاً كبيراً". دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٩٩.

لذلك نجد أن من نماذج عباراته في عرض الآراء: "وأول من أظهر هذه البدعة..."، "وكان يقول..."، "وقال فريق منهم.."، "وكانوا يقولون..." وهلم جرّا...

كما نراه أحياناً يعقد مقارنة وربطاً بين آراء الفرق، فيبين أوجه الاتفاق والاختلاف، وقد يحكي موافقة فرقة لفرقة أخرى في مسائل معينة، ويستثني من ذلك أمر ما، أو فرعاً من الفروع.

وهذا الأمر - إضافة إلى ما سبق - كما أن فيه دلالة على الدقة، ففيه أيضاً دلالة على الإلمام وحُسن الاستيعاب لآراء فرقها الأصول منها والفروع.

ومما يميز منهجه في حديثه عن آراء الخوارج وفرقها إلى جانب تحريه للدقة، التركيز على آراء الفرقة في مسائل معينة وقضايا محددة وذلك على درجتين:

- تركيزه بالدرجة الأولى في حديثه عن كل فرقة على الآراء والمقولات التي كانت سبباً في انفصال الفرقة وانفرادها واستقلالها عن غيرها من فرق الخوارج، والتي بها تميزت عن غيرها. وغالباً ما تكون هذه الآراء أول ما يشير إليه.

فمثلاً يقول عن الأزارقة: "... ولهم مقالات فارقوا بها المُحكّمة الأولى، وسائر الخوارج، منها: أنهم يقولون أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك، والمحكّمة كانوا يقولون أن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركاً، ومما اختصوا به أيضاً أنهم يُسمُّون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركاً، وإن كان موافقاً لهم في مذهبهم"[١]، ومثل ذلك فعله مع النجدات، والصفرية[٢] وغيرها[٣].

---

(١) التبصير في الدين ص ٤٩ - ٥٠. وهذا الكلام منه يدل على خطأ ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن أبا المظفر صرح بأن المحكّمة الأولى كانت تذهب إلى أن مرتكب الكبيرة فاسق غير مشرك، وأنه خالف بذلك ما أورده الطبري ونصر بن مزاحم. ينظر: آراء الخوارج ١/١١٤ - ١١٥.
والصواب كما جاء في النص السابق أن المحكمة تقول بتكفير مرتكب الكبيرة.

(٢) الصفرية: أتباع زياد الأصفر ويقال لها: الزيادية أو الصفرية والزيادية، وهي إحدى فرق الخوارج، من آرائهم: عدم تكفير القَعَدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يُسْقِطُوا الرَّجْم.
ينظر: الملل والنحل ١/٢٥٠ - ٢٥١، المقالات ١/١٦٩، الفرق بين الفرق ص ١٦٧.

(٣) ينظر: التبصير في الدين، ص ٥٢، ٥٣، ٥٤ - ٦٠.

● تركيزه بالدرجة الثانية في حديثه عن كل فرقة على الآراء المتعلقة بمسائل معينة مثل: أحكام المخالفين لهم على اختلاف أجناسهم - رجالاً ونساءً وأطفالاً - وذلك في دمائهم وديارهم وأموالهم وشهاداتهم، وتعد أكثر وأهم المسائل[١].

ثم يأتي بعد ذلك: أحكام مرتكبي الكبائر والذنوب، ومسائل الإيمان والكفر، وقضايا الإمامة، والموقف من الصحابة خاصة عثمان وعلي - رضي الله عنهما - ومن ذلك بعض مسائل القدر والموالاة والمعاداة، وبعض الأحكام الفقهية والحدود الشرعية[٢].

وهذا - بطبيعة الحال - أمر يمليه عليه واقع الفرقة وتوجهها العام.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الإسفراييني كغيره من أصحاب كتب الفرق المشهورة في حكايته لآراء الخوارج يعد ناقلاً لما ذكره من علماء المقالات ولم يصل إلى أيدي الباحثين شيء من كتبهم حتى يتأكدوا من صحة ما نسب إليهم، وما ذكر من آرائهم إنما جاء عن طريق خصومهم، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس منهم لم نقف لهم على كتاب مصنف"[٣].

وهذا لا يعني عدم وجود كتب ومؤلفات لهم، بل كان لهم إسهام في ذلك، ولكنهم كانوا يخفونها عن أعين الناس إما خوفاً عليها منهم أو ضناً بها عنهم[٤]، وقد يكون السبب في هذا التستر والتكتُّم عليها يعود إلى أن الناس كانت تبغضهم وتؤذيهم[٥]. وإلا فابن النديم[٦] قد سرد لنا قائمة بكتبهم ومؤلفيهم، فيقول:

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦ - ٦٠.

(٢) وهذه المسائل مبثوثة في ثنايا حديثه عن فرق الخوارج، ينظر: المرجع السابق ص ٤٥ - ٦٢.

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٣٧.

(٤) ينظر: الخوارج، تأريخهم وآراؤهم الاعتقادية ص ١٩٣، فرق معاصرة تنتسب للإسلام ١/ ١٠٤ - ١٠٥.

(٥) ينظر: آراء الخوارج ١/ ٢٠١.

(٦) محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق ابن أبي يعقوب النديم، أبو الفرج، كان معتزلياً شيعياً، قيل إنه كان ورَّاقاً يبيع الكتب، توفي سنة ٤٣٨هـ. =

"الرؤساء من هؤلاء القوم كثير، وليس جميعهم صنف الكتب، ولعل من لا نعرف له كتاباً قد صنف ولم يصل إلينا ؛ لأن كتبهم مستورة محفوظة..."(١). ثم ذكر جملة من متكلميهم وما صنفه كل منهم، وغالبها في الرد على الرافضة، أو المعتزلة، أو المرجئة والمخالفين لهم عموماً.

وإلى مثل ذلك أشار الأشعري، فذكر عدداً من علمائهم وشعرائهم ومؤلفي كتبهم ومتكلميهم(٢). وقد كان كل منهما يشير إلى الفرقة التي ينتسب إليها كل مؤلف منهم والفرقة التي انتقل إليها واعتنق مذهبها، إن بدر ذلك منه.

= ينظر: لسان الميزان ٧٢/٥، طبقات السبكي ٥١/٢، معجم الأدباء ١٧/١٨، الأعلام ٢٩/٦.

(١) الفهرست ص ٢٢٧.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين ١٩٨/١ - ٢٠٠.

المطلب الرابع

وقفات عند بعض ما ذكره عن الخوارج

وفي ختام الحديث عن منهج الإسفراييني في الكلام عن الخوارج نتوقف معه عند هذه الوقفات وهي:

الوقفة الأولى: وجود الاختلاف والتباين بين ما حدده من عدد لفرق الخوارج في أول حديثه عنهم، وبين ما ذكره من فرق تحت ذلك الموضوع بعد ذلك.

فقد صرح بأن فرقهم عشرون فرقة فقال: "اعلم أن الخوارج عشرون فرقة كما ترى بيانهم في هذا الكتاب"[1].

ولكننا عندما نتابع ونعدد ما ذكره من فرقها نجد أنها تصل - تقريباً - إلى ثلاثين فرقة!!

وما ذلك - في نظري - إلا نتيجة للتكلف في حصر الفرق وتعدادها لتبلغ العدد الوارد في حديث الافتراق.

ولعل الإسفراييني شعر بذلك التضارب؛ لهذا نجده في ختام حديثه عنهم يحاول تقديم المبرر عن ذلك الأمر، فيقول: "هذه جملة فرق الخوارج، وبلغ ما ليس بمتداخل من أقاويلهم عشرون مقالة، فهم إذاً عشرون فرقة كما سطرناه في أول الكتاب"[2].

الوقفة الثانية: إهماله لبعض فرق الخوارج، فرغم ذكره لما يقارب الثلاثين فرقة، ظلت هناك فرق لم يذكرها.

ومنها على سبيل المثال: الرُّشيدية[3]، مع أنها ليست من فرقها الأصول أو المشهورة، إلا أن كثيراً من مصنفي كتب المقالات والفرق ذكروها عند تناولهم لفرق

---

(١) التبصير في الدين ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٦٢.

(٣) الرُّشيدية: هم أصحاب رُشيد الطوسي، ويقال لهم العشرية، وهي الفرقة الخامسة من فرق الثعالبة، وانفردوا بأن قالوا: فيما سقي بالأنهار نصف العشر، وإنما يجب العشر الكامل فيما سقَتْهُ السماء فحسب، وخالفهم زياد بن عبدالرحمن فأوجب فيما سقي بالعُيُون والأنهار الجارية العشر الكامل. =

الخوارج، ومنهم شيخه البغدادي[١]، وغيرها كثير[٢]، لكننا مع ذلك لا نلوم الإسفراييني على هذا، لأن موضوع فرق الخوارج بالذات لم يعرف قَدَماً للاستقرار عند علماء هذا الفن - كما سبق - خاصة إذا أخذنا في الاعتبار احتمال زيادة بعض فرقها وظهور فرق جديدة وانقسامات جديدة أيضاً وذلك بعد وضع الإسفراييني لكتابه.

وهنا أشير إلى أن الإسفراييني استثنى عند عرضه لفرق الأمة على الجملة ذكر بعض فرقها ضمن فرق المسلمين، وبيّن أنه سيذكرها مع الفرق الخارجة عن زمرة المسلمين[٣].

لكن مع ذلك لايزال هذا المأخذ قائماً والإشكال موجوداً. ومهما يكن فإن الإسفراييني والأشعري يُعدَّان من أكثر مؤلفي كتب الفرق استيعاباً وذكراً لفرق الخوارج، حيث وصل ما ذكره الإسفراييني وأشار إليه منها قرابة الثلاثين فرقة، أو اثنتين وثلاثين فرقة بإدراج من عدّها خارجة عن زمرة المسلمين منها.

بينما لم يذكر غيره سوى ثمان عشرة فرقة، قد تزيد عند بعضهم وتقل عند آخرين[٤].

= ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٨١، الفرق بين الفرق ص ١٠٢، الملل والنحل ١/١٣٢..

(١) ومن أولئك: الأشعري، والملطي، البغدادي، الشهرستاني.
ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٨١، الفرق بين الفرق ص ١٠٢، الملل والنحل ١/١٣٢.

(٢) فقد بلغ ما ذكره الأشعري ولم يذكره الإسفراييني تسع فرق والبغدادي فرقتان، والشهرستاني خمس فرق، والملطي ثمان فرق.
ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٨١ - ١٩٤، الفرق بين الفرق ص ١٠٢، ١٠٩، التنبيه والرد ص ١٨٨ - ١٩٩، الملل والنحل ١/١٢٧ - ١٣٤.

(٣) وهي: اليزيدية، والميمونية. ينظر: التبصير في الدين ص ١٤٠.

(٤) وقد سبق الإشارة إلى اختلافهم في تعداد فرق الخوارج، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية - هو من العلماء المحققين في هذا العلم - لم نجده يذكر من فرقها بعد البحث والاستقصاء سوى ثمان عشرة فرقة.
يقول في أحد تلك المواضع: "وهؤلاء الخوارج كانوا ثمان عشرة فرقة..." منهاج السنة ٥/١١.

المبحث الثالث

منهجه في الكلام عن المعتزلة

وفيه مدخل وأربعة مطالب:

- مدخـــل.
- المطلب الأول: منهجه في تعريف المعتزلة.
- المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق المعتزلة.
- المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء المعتزلة.
- المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن المعتزلة.

المبحث الثالث

منهجه في الكلام عن المعتزلة

مدخـل:

المعتزلة هـي: الفرقة التي ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني على يد "واصل بن عطاء" وسلكت منهجاً عقلياً صرفاً في بحث العقائد، وقررت أن المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده[١].

وهي ثالثة الفرق التي تحدث عنها الإسفراييني، إلا أنها الأولى من حيث تفصيل الحديث عنها وطوله، حيث كان كلامه عنها ودراسته لآرائها وفرقها مستفيضاً - نسبياً - إذا ما قورن بحديثه عن الفرق الأخرى.

والمعتزلة تعد الوارث الأول لأصول الجهمية ومناهجها[٢] مع ما بينهما من الاختلاف في بعض المسائل كالإيمان والقدر، إلا أن المتأمل في عقائد هذه الفرقة يجدها مقتبسة من آراء عدد من الفرق السابقة لها وليس الجهمية فحسب! وبالتالي فقد تكوّن مذهبها على أساس انتقائي للأفكار والآراء السائدة في عصرهم من الفرق المخالفة[٣].

لكن المعتزلة ألبستها ثوباً آخر حاولت من خلاله أن تخفف من الغلو الذي كان في تلك العقائد عند السابقين عليهم، ثم جاءت الفرق بعد المعتزلة لتأخذ تلك العقائد على الوجه الذي أصبحت عليه عند المعتزلة، ومن هنا نُسِبَ التأثير في الفرق إلى المعتزلة لا إلى السابقين عليهم، ولعل السر في ظهور هذه الفرقة على غيرها من الفرق

---

(١) ينظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص ١٣، المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ١٣ - ١٤، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٨٣.

(٢) حتى قال البعض: "كل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلي"، تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي ص ٦٠، وينظر: الجهمية والمعتزلة، د. العقل، ص ١٢٤.

(٣) ينظر: الحركات السرية في الإسلام، د. محمود إسماعيل، ص ٩٠ - ٩١. وينظر التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، د. وليد قصاب ص ١٤.

الأخرى هو أنها عرضت موضوعات ومسائل الاعتقاد في نسق مذهبي متكامل(١)، إضافة إلى دعم الدولة والسلطة لهم.

وأبرز الفرق التي أخذت المعتزلة عنها هي: الخوارج، والقدرية الغلاة والجهمية(٢)، وأضاف بعضهم الشيعة(٣).

والمعتزلة كحركة فكرية تطورت وتفرعت وتشعبت إلى فرق عديدة وصلت حد التناقض وتكفير بعضها ببعض - كما أكد ذلك الإسفراييني وغيره - لكنها رغم اختلافها وتباينها تُجْمِعُ على أصول خمسة(٤)، لابد من الإيمان بكل هذه الأصول مجتمعة لكي يصبح الشخص معتزلياً. حتى أصبحت معياراً مبدئياً ومقياساً للولاء العقائدي، فلا يسمى معتزلياً من غير إقرار بهذه الأصول والإيمان بها والعمل بموجبها(٥).

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة لليافعي ص ١٩.

(٢) ينظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص ١٩، المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٢٨.

(٣) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٢٨، وقد أضاف الباحث الشيعة إلى الفرق الثلاث السابقة، لكنه في الخاتمة استبعد القدرية مستبدلاً إيّاها بالمرجئة!!، ينظر المرجع نفسه ص ٢٨٣.

(٤) والأصول الخمسة هي:

١ - التوحيد: وأدخلوا تحته نفي وتعطيل الصفات، والقول بخلق القرآن، ونفي الرؤية.

٢ - العدل: ويقصدون به نفي القدر، وأن العباد يخلقون أفعالهم.

٣ - الوعد والوعيد: ومعناه عندهم "أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به، وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخُلْف والكذب". وضمنوا ذلك تخليد مرتكب الكبيرة في النار إذا مات عليها.

٤ - المنزلة بين المنزلتين: وهو مما انفردوا به كما يعدّ أول الأصول الخمسة ظهوراً، إذ كانت هي بداية نشأة المعتزلة ثم أصبحت فيما بعد أصلاً من أصولهم، ومرادهم بها أن الفاسق الملّي - مرتكب الكبيرة - في الدنيا لا مؤمن ولا كافر بل في منزلة بينهما.

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو الأصل العملي الوحيد، إذ الأصول الأخرى تتعلق بالنظر والاعتقاد، ويقصدون به وجوب الخروج على ولاة الأمور، وإلزام الناس بمقالاتهم وعقائدهم.

ينظر: الانتصار لأبي الحسين الخياط ص ١٢٦، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ١٢٤، ١٣٥ - ١٣٦، المعتزلة لزهدي جارالله ص ٦٠ - ٨٠، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص ٦٣، المعتزلة بين الفكر والعمل لعلي الشابي وآخرين، ص ٤٣، الجهمية والمعتزلة للعقل ص ١٢٧، المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٢٦٩، في علم الكلام ١٦٢/١، الفرق الكلامية الإسلامية، د. المغربي ص ص ٢٥٨ - ٢٦٢.

(٥) ينظر: المعتزلة تاريخ عقائد فرق أعلام، سليمان سليم علم الدين، ص ١٦٨

يقول الخياط - أحد أقطاب المعتزلة - في ذلك: "ليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة"[١].

تجدر الإشارة هنا إلى أن اصطلاح الأصول الخمسة - فضلاً عما تفرع عنه من نظريات - لم تظهر في عهد المؤسس الأول - واصل بن عطاء -[٢]، وإنما تمت بلورتها وإطلاقها على يد أبي الهذيل العلاف[٣] الذي يعد المؤسس الثاني لمذهب المعتزلة[٤]، والذي وصلت به الفرقة إلى ذروة الاعتزال واكتملت على يديه موضوعاته[٥].

"بعد ذلك أصبحت فكرة الأصول الخمسة ركناً أساسياً في عقيدة الاعتزال، إذ بيّنت وحددت مذهبهم في جميع علومهم، وميزت مذهبهم كمدرسة فكرية عن باقي المذاهب التي كانت منتشرة في وقتهم"[٦].

ولكن سرعان ما تعمق المعتزلة في بحث تلك الأصول، وتوسعوا في شرحها، مستعينين على ذلك بالفلسفة اليونانية التي أمدتهم بأفكار جديدة كثيرة دبّ على إثرها الخلاف بينهم، وتشعَّبت آراؤهم، وتعدَّدت وجهات نظرهم، واشتد بينهم الحوار والجدال فانقسموا بسبب ذلك إلى اثنتين وعشرين فرقة[٧] تقريباً، لكل واحدة منها آراؤها وأفكارها الخاصة، وتتبع كل فرقة منها زعيماً من رؤوس الاعتزال البارزين وتنسب إليه[٨].

---

(١) الانتصار لأبي الحسين الخياط ص ١٢٦.

(٢) ينظر في علم الكلام - المعتزلة - أحمد صبحي ١/١١٩.

(٣) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدي، المعروف بالعلاف، المتكلم، شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وصاحب المقالات في مذهبهم، وإليه تنسب فرقة الهذيلة، توفي سنة ٢٣٥هـ.

ينظر: وفيات الأعيان، ٣/٣٩٦ - ٣٩٧، المنية والأمل ٥٤ - ٥٩، السير ١٠/٥٤٢، لسان الميزان ٥/٤١٣ - ٤١٤، شذرات الذهب ٢/٨٥.

(٤) ينظر: في علم الكلام ١/١٢٠.

(٥) ينظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص ٢٦.

(٦) المعتزلة تاريخ عقائد فرق أعلام، ص ١٦٨.

(٧) سيأتي الحديث عن فرق المعتزلة والخلاف في تعدادهم.

(٨) ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ١١٣، المعتزلة بين القديم والحديث، لمحمد العبده وطارق عبدالحليم ص ٢٦ - ٢٨.

بقي أن نشير في هذا المدخل إلى أن المعتزلة خلال مسيرتها مرت بأطوار ومراحل يمكن إجمالها في طورين[١]:

الأول: طور القوة، وذلك على مرحلتين[٢]:

- التدرج إلى القوة (١٠٠ - ١٩٨هـ).
- ذروة القوة وأوج الرفعة (١٩٨ - ٢٣٢هـ).

الثاني: طور الضعف والسقوط، وذلك من سنة ٢٣٧هـ.

يبدأ هذا الطور من أوائل خلافة المتوكل[٣]، حيث بدأ بعد ذلك نجمهم بالأفول[٤].

بيد أنه من الخطأ أن نظن أنهم انقرضوا؛ لأن وجودهم استمر عن طريق فرق أخرى كان لهم تأثير عليهم كالخوارج المتمثل وجودهم الآن في الأباضية، وأهم المسائل التي ظهر فيها أثر المعتزلة: منهج الاستدلال على أمور العقيدة، وتوحيد الله (الأسماء والصفات - الرؤية - خلق القرآن)، والقدر، والحكم على مرتكب الكبيرة، وإنفاذ الوعيد، وتأويل بعض أمور الغيب والآخرة[٥].

وكذلك الشيعة، ولذلك قال أحد الباحثين: "إن الشيعة - الزيدية والإمامية - قد تأثرت بالمعتزلة، بل كانت أعظم صورة لتأثر الفرق بالمعتزلة هي تأثر الزيدية من الشيعة بالمعتزلة فقد أخذت عن المعتزلة كل الأصول الخمسة، ومن هنا أصبح الزيدية

---

(١) البعض جعل هذه الأطوار مفصلة على خمس مراحل.
ينظر: المعتزلة تاريخ عقائد فرق أعلام ص ٤٥ - ٤٦. وهناك تقسيمات أخرى للأدوار المعتزلية، ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٧٠ - ١٩٣.

(٢) ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ١٥٨ - ١٧٩.

(٣) جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أبو الفضل، المتوكل، الخليفة العباسي، ولد سنة ٢٠٦هـ، وبويع بالخلافة ٢٣٢هـ، لما استخلف كتب إلى أهل بغداد كتاب قُرِىء على المنبر بترك الجدل في القرآن. توفي سنة ٢٤٧هـ.
ينظر: السير ٣٠/١٢، تاريخ بغداد ١٦٥/٧، تاريخ الطبري ٢٦/١١، الأعلام ١٢٧/٢.

(٤) ينظر: المعتزلة تاريخ عقائد فرق أعلام ص ٧١ - ٧٦.

(٥) ينظر تفصيل ذلك في: تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة ص ٢٣٤ - ٢٨٩.

هم الحافظون لتراث المعتزلة، سواء في حفاظهم على مؤلفات المعتزلة، أو في تدينهم بعقائدها"[١].

وقد جاءت الإشارة إلى ذلك على لسان الشهرستاني وغيره[٢].

وكذلك امتد تأثيرهم حتى وصل إلى مَنْ هم مِنْ أعتى خصومهم وهم الأشاعرة إذ المتابع لتطور المذهب الأشعري يتبين له "كيف دخل هذا المذهب على يد أعلامه في متاهات كلامية وفلسفية... فقرب من الاعتزال"[٣].

كما أن وجود شنشنة الاعتزال في العصر الحاضر - إضافة إلى ما سبق - يتمثل في: الاتجاهات العقلانية والعصرانية والحداثية وغيرها من الأحزاب والجماعات الجديدة والتي توجد لدى كثير من المفكرين والأدباء والمثقفين[٤].

---

(١) تأثر المعتزلة في الخوارج والشيعة ص ٥٠٨ - ٥٠٩، بتصرف، وينظر: معتزلة اليمن، علي محمد زيد، ص ١٥٧. وينظر كذلك: المعتزلة ص ٢١٨ - ٢٢٠، في علم الكلام ١/٢٥٩ - ٢٦٣.

(٢) ينظر: الملل والنحل ١/١٥٥.

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٦٩٤.

(٤) ينظر: الجهمية والمعتزلة ص ٢٠٠ - ٢٠١، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر ص ١٣.

المطلب الأول

منهجه في تعريف المعتزلة

التعريف الاصطلاحي بالمعتزلة لا نجد له أثراً عند الإسفراييني مع أنه أطال النفس في الحديث عنهم بشكل ملحوظ، لكنه اكتفى بالإشارة إلى نشأتهم وأول ظهور لهم، وسبب تسميتهم، من خلال إيراده للقصة المشهورة التي انبثقت عنها فرقة المعتزلة، وعرفت بعدها، والتي تتلخص في أن واصلاً كان في مجلس الحسن البصري[١]، عندما صرح بقوله في الفاسق من أهل الملة بأنه لا مؤمن ولا كافر ولكنه في منزلة بين المنزلتين، وحكمه في الآخرة أنه مخلد في النار مع الكفار وأنه إن خرج من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له [٢].

ثم يواصل الإسفراييني ويستطرد مبيناً سبب تسميتهم بذلك فيقول: "فخالف في هذا القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزل جانباً مع أتباعه فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه واعتزالهم قول المسلمين"[٣]. ثم أشار بعد ذلك إلى موافقة "عمرو بن عبيد" له والذي سار معه جنباً إلى جنب في تأسيس مدرسة الاعتزال.

بهذا حدد الإسفراييني وبين نشأتهم متى كانت، وسبب تسميتهم بذلك الاسم الذي يعد أشهر أسمائهم، وأكثرها استعمالاً وتداولاً.

ومع تعدد الروايات في هذا الشأن إلا أنه اقتصر على هذه الرواية المشهورة والتي يجمع عليها معظم المؤرخين وتعدّ من أصح الروايات التي تحدد نشأة المعتزلة،

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، من خيار التابعين، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء، ولد سنة ٢١ سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب، لا يخاف في الحق لومة لائم، توفي سنة ١١٠هـ.

ينظر: ميزان الاعتدال ١/٢٥٤، الأعلام ٢/٢٢٦، السير ٤/٥٦٣، تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٦٧ – ٦٨.

(٣) المرجع السابق ص ٦٨.

وسبب تسميتهم[١].

وكذلك أشار إلى جذور كان لها أثر ودور في ظهور هذه الفرقة وهي بدعة القدرية، وذلك عن طريق معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وأن واصلاً كان يضمر في السر اعتقاد معبد[٢]. وأكد على ذلك في آخر حديثه عنهم وأطال في ذلك[٣].

وأشار إلى فترة مهمة مرت بها الفرقة في طو ر الضعف والسقوط وهي دعم الشيعة لهم، خاصة ما كان في عهد الصاحب بن عباد[٤] والتي شبهها أحد الباحثين بومض السراج قبيل انطفائه، وتحسن العليل في سكرة الموت قبيل قضائه[٥]. وجاءت إشارته تلك في بداية حديثه عن فرقة البهشمية[٦] حيث أشار إلى أن ابن عباد كان يدعو إلى مذهبها[٧].

---

(١) هناك روايات أخرى تحدد نشأة المعتزلة وكيفية ظهورهم.
فبينما وضع ابن المرتضى لهم سنداً ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم نجده يؤيد الرأي الذي يرى أن واصلاً أخذ الاعتزال عن الحسن البصري، ولذلك عده مؤرخو الملل والنحل المعتزليون من طبقة الاعتزال الثالثة.
ينظر: المنية والأمل ص ٤ - ١٤، المعتزلة لزهدي جارالله ص ١٢ - ١٤. معتزلة البصرة وبغداد ص ٨ - ٩، المعتزلة تاريخ عقائد فرق أعلام ص ٣٤ - ٣٧، فجر الإسلام ص ٢٨٨.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٦٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٩١ - ٩٥.

(٤) إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، الملقب بالصاحب، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي. ولقب بالصاحب لصحبة مؤيد الدولة - ابن بويه الديلمي - من صباه فكان يدعوه بذلك. توفي سنة ٣٨٥هـ.
ينظر: معجم الأدباء ٣٧٢/٢ - ٣٤٣، المنتظم ١٧٩/٧، لسان الميزان ٤١٣/١، وفيات الأعيان ٧٥/١.

(٥) ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ٢١٤.

(٦) البهشمية: هم أتباع أبي هاشم عبدالسلام بن محمد بن عبدالله الجبائي رئيس معتزلة البصرة بعد أبيه قدم ابن المرتضى ذكره على جميع رجال الطبقة التاسعة لزعمه أنه متقدم عليهم في العلم، وقد خالف أباه في جملة من المسائل، توفي في بغداد سنة ٣٢١هـ.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ١٨٤، الملل والنحل ٧٨/١، المعتزلة لزهدي جارالله ص ١٥٣.

(٧) ينظر: التبصير في الدين ص ٨٦.

وفي إطار تعريفه بالفرقة أيضاً نراه يذكر بعض الأسماء التي عرفت بها هذه الفرقة، ومع العلم بأن هناك أسماء أطلقها غيرهم عليهم، وأخرى أطلقوها على أنفسهم[١]، إلا أن الإسفراييني أطلق عليهم اسم "المعتزلة" وهو من الأسماء التي اتفق المعتزلة مع غيرهم في إطلاقها على فرقتهم.

كما أطلق عليهم اسم "مخانيث الخوارج"[٢]، واسم "القدرية"[٣] وكلاهما من تسميات خصومهم لهم.

هذا من ناحية تعريفه بمجموع الفرقة. أما حديثه عن فرقها التي تفرعت عنها فتعريفه لها يكون أولاً بذكر زعيمها الذي تنتسب إليه، ثم يردف ذلك بذكر بعض صفاته بإيجاز، ومدى موافقته أو مخالفته لمن قبله، وما ألّفه أو أُلّف فيه، ومن أخذ عنه أو كان تلميذاً له.

وكان يفتتح حديثه - وأحياناً يختمه - عن كل فرقة بذلك الأمر حاملاً في طياته الانتقاد والتجريح غالباً[٤].

ويلاحظ عليه في هذا الشأن عدم اهتمامه بما يتعلق بتاريخ الفرقة، كالإشارة إلى أماكن وجودها وانتشار نفوذها، أو إلى زمان ظهورها أو اختفائها وما لها من تأثير وأتباع، كما هي عادته مع الفرق الأخرى، وكذلك في حديثه عن نشأتها لم يكمل ما يتعلق بهذا الجانب، إذ لم يتطرق لما تلا مرحلة النشأة كالأطوار والمراحل التي مرت

---

(١) من الأسماء والألقاب التي أطلقها غيرهم عليهم: المعتزلة، الجهمية، القدرية، الثنوية، المجوسية، مخانيث الخوارج، الوعيدية، المعطلة.

ومن الأسماء والألقاب التي أطلقوها على أنفسهم: المعتزلة، أهل العدل والتوحيد، أهل الحق، الفرقة الناجية، المنزهون لله عن النقص.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٦٨، ٩١، ٩٥. وشيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أن من الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة، ينظر: الفتاوى ٢٢٧/٨.

(٣) ينظر التبصير في الدين ص ٩١، ٩٥. وكثيراً ما يذكر هذا اللقب عند حديثه عن فرقها كما فعل مع الهشامية ص ٧٥، والإسكافية والثمامية ص ٧٩، والشحامية ص ٨٣، والخياطية ص ٨٤.

(٤) وأمثلة ذلك كثيرة وطويلة موجودة في مطلع حديثه عن كل فرقة غالباً.

بها الفرقة من تدرجها من ضعف البداية إلى أن بلغت أوج القوة، ثم تقهقرها بعد ذلك إلى أن ضعفت ثم سقطت.

وكل ما نعثر عليه في هذا قوله عن البهشمية "وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبه..."[١]، وقوله عن أبي علي الجبائي: "وهو الذي أغوى أهل خوزستان..."[٢].

---

(١) التبصير في الدين ص ٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٥.

المطلب الثاني

منهجه في ذكر فرق المعتزلة

اختلف مصنفو كتب الفرق والمقالات في تعديد وتحديد فرق المعتزلة[١]، لكن أبا المظفر الإسفراييني ذكر أنهم انقسموا إلى عشرين فرقة، وكان هذا هو أول أمر نبَّه إليه وذلك في مطلع حديثه عن المعتزلة.

كما أكد على ذلك العدد في ختام حديثه عنهم وفي مواضع أخرى بين ذلك، فيكون بذلك قد افتتح واختتم حديثه بالتصريح بعدد فرقهم[٢].

وقد شرع الإسفراييني في الحديث عن كل فرقة على حدة مفصلاً الحديث عنها وسار على هذا المنوال حتى أنهى حديثه عن ثمان عشرة فرقة تماماً!

والملاحظة التي تسترعي الانتباه في ذكره وتعداده لفرق المعتزلة ذلك الترتيب الذي سار عليه والذي يبدو أنه راعى فيه التسلسل التاريخي والترتيب الزمني إلى حد كبير[٣]، وهذا أمر حسن؛ إذ إن ترتيب فرقها ترتيباً زمنياً - كما ذكر أحد الباحثين - "يساعدنا على تتبع تطور المعتزلة الفكري منذ نشوئهم إلى أن يبلغوا ذروتهم ثم

---

(١) فالملطي جعلهم قسمين فقط وهم: معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة، وأما البغدادي فقد أوصلهم إلى اثنتين وعشرين فرقة، كما حصر الشهرستاني فرقهم بعدد أقل مما ذكره غيره، حيث ضم بعض الفرق إلى بعض وعدّها فرقة واحدة، وقد بلغت لديه اثنتا عشرة فرقة، أما الرازي فقد عدّ لهم سبع عشرة فرقة، وآخرون جعلوا فرقها ثمان عشرة فرقة وعلى رأسهم أبو محمد اليمني، ووافقه على ذلك السكسكي واليافعي والفخري، بينما جعلهم ابن الجوزي ضمن فرق القدرية!

ينظر: التنبيه والرد ص ٥١، الفرق بين الفرص ص ١١٤، الملل والنحل للبغدادي ص ٨٢، الملل والنحل ٤٦/١ – ٨٥. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٣٨ – ٤٨، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٣٢٥/١، البرهان ص ٥٠، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص ٤٩، تلخيص البيان ص ٨٣، ٨٥، تلبيس إبليس ص ٢٠.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ٦٣، ٧٦، ٩٥.

(٣) قلت: إلى حد كبير، لأن من الباحثين الذين عنوا بترتيبهم الزمني ودرس ذلك بدقة قد خالف أبا المظفر الإسفراييني في تقديم وتأخير بعض الفرق. ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ١١٣ – ١٥٧، المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٥١ – ٧٩، والأخير متابع للأول وموافق له وناقل عنه.

جنحوا إلى التأخر والانحطاط حتى بلغوا حداً من الجمود والركود يصح أن يسمى سقوطاً، كما أن فيه ما يمكننا من الوقوف على مدى تأثر ذلك التطور بالفلسفة اليونانية"[١].

لذلك نجد عند ذكر الإسفراييني لفرقة ما من فرق المعتزلة وزعيمها، يكون زعيم الفرقة التالية لها إما من أتباعه[٢] أو من تلاميذه[٣] أو ابناً له[٤].

الجدير بالإشارة هنا أن أبا المظفر الإسفراييني لما عدد فرق المعتزلة في أول كتابه عند بيانه لفرق الأمة على الجملة كان قد أشار أنهم عشرون فرقة، وذكر وعدَّد اثنتين وعشرين فرقة وبين أن فرقتين منها لا تعد من فرق الإسلام[٥].

لكنه عندما فصل الحديث عن المعتزلة في الباب الخامس تكلم عن ثمان عشرة فرقة فقط من العشرين وأهمل فرقتين لم يشر إليها أبداً[٦].

وعند التأمل في ذلك والتمعُّن فيه يتضح أن الإسفراييني في صنيعه هذا قد تابع البغدادي ووافقه حتى في ذلك![٧] وإن كان قد تميز عنه ببعض الإضافات، خاصة فيما ختم به حديثه عنهم.

---

(١) المعتزلة لزهدي جارالله ص ٢١٣.

(٢) كالعمرية قبلها الواصلية، والأسوارية قبلها النظامية.
ينظر: التبصير في الدين ص ٦٧ - ٦٩، ٧١ - ٧٣.

(٣) وذلك مثل ذكر الإسكافية بعد الجعفرية، والجبائية بعد الشحامية، والكعبية بعد الخياطية.
ينظر: المرجع السابق ص ٧٨ - ٧٩، ٨٣ - ٨٥، ٨٤.

(٤) كما هو الحال مع الجبائية أتباع أبي علي الجبائي والبهشمية أتباع ابنه أبي هاشم.
ينظر: المرجع السابق ص ٨٥ - ٨٦.

(٥) وهما: الخابطية، والحمارية، ينظر: المرجع السابق ص ٢٤.

(٦) والفرقتان هما: أصحاب صالح قبه والتي تسمى الصالحية، والمؤنسية، وسماها البغدادي المريسية، وأطلق عليها أحد الباحثين اسم المويسية وذكر أنهم أتباع مويس وقال بأنه يكاد لا يرد عن هذه الفرقة في كتب العقائد شيء، ولا تشير كتب التاريخ إلى رئيسها لذا اكتفى بذكر اسمها.
ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ١٤٥.

(٧) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١١٤.

وفي ختام حديثه عنهم نراه يؤكد على السبب الذي من أجله أخرج الفرقتين - الحادية والعشرين والثانية والعشرين - وفصلها عن الفرق العشرين في هذا القسم فبيَّن أنه سيشير إليهم في موضع آخر فقال: "واعلم أن الذين ذكرناهم من فرقهم يعدون في فرق الإسلام وبقي منهم فريقان آخران لا يعدون من فرق الإسلام، نذكرهم فيما بعد من الفرق الذين لا يعدون في فرق الإسلام - إن شاءالله - "[1].

(١) التبصير في الدين ص ٩٥، وقد أشار إليهم في الباب، الباب الثالث عشر من كتابه، ينظر: المرجع السابق ص ١٣٨ - ١٤٠.

المطلب الثالث

منهجه في عرض آراء المعتزلة

ليس من المبالغة إذا قلنا إن هذا الباب خُصِّصَ لعرض آراء المعتزلة وأقوالهم والتعقيب عليها ؛ إذ استحوذ هذا الجانب على غالب ما ذُكر تحت هذا الباب، وظفر بنصيب الأسد منه.

كما أن عرض الإسفراييني لتلك الآراء ينبئ القارئ عن إلمام واستيعاب لتلك الآراء والأقوال وتفاصيلها.

ففي مطلع حديثه عنهم وقبل الخوض في الحديث عن تفاصيل فرقهم ذكر ما اتفق عليه جميعهم من آراء: كنفي الصفات، وإنكار الرؤية، وخلق القرآن، وخلق العباد لأفعالهم، وأحكام مرتكب الكبيرة، وغيرها من الآراء التي تتضمنها الأصول الخمسة والتي تعتبر من تفريعات تلك الأصول الناتجة عن التعمق فيها والتوسع في شرحها[1].

وكذلك الحال في حديثه عن الفرق، فما أن يقدم بمقدمة يسيرة ونبذة مختصرة عن زعيم الفرقة حتى يشرع في ذكر آرائه وأقواله، فيجعل المساحة المتبقية للحديث عن ذلك.

ومما يمتاز به منهجه في عرضه لآراء المعتزلة ما يلي:

١ - أن عرضه لتلك الآراء تتخلله التعقيبات التي تتفاوت من حيث الطول والقصر ومن حيث نوعها، فتارة تكون عقلية وتارة تكون سمعية، وكثيراً ما تكون بمخالفة الإجماع، سواء إجماع الأمة - وهو الغالب - أو إجماع المعتزلة، وغالباً ما يكون التعقيب متضمناً لما يدل على تهافت الرأي وفساده، وقد يعقب بعبارة موجزة تدل على ذلك ويكتفي بها.

٢ - التصريح بذكر كثير من المصادر أو الإشارة إليها، سواء كانت من كتبهم أو من كتب خصومهم، وذلك على خلاف عادته مع الفرق الأخرى. فقد صرح باسم

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٦٣ - ٦٧.

اثني عشر كتاباً، وأشار إلى عشرة كتب تقريباً دون التصريح باسمها. وهذا أمر له أهميته، سيما وأن من ضمنها مصادر لم يذكرها شيخه البغدادي، ككتابه "الأوسط"[١] وكبعض كتب التفسير[٢].

كما أن كثيراً منها من كتب المعتزلة التي تعد في حكم المفقود، حيث لم يصل إلينا منها - على الرغم من كثرتها واشتهار أعلامها بكثرة التصنيف - إلا النزر اليسير واليسير جداً[٣].

وهذا ما شكا منه كثير من الباحثين الذين عنوا بهذا الأمر، فهاهو أحدهم يقول: "إن ما انتهى إلينا من كتابات رجال الاعتزال قليل جداً إلى حد أننا مضطرون إلى أن نعتمد على ما يقوله مخالفوهم"[٤].

٣ - اهتمامه بالمقارنة وقضية التأثير والتأثر، سواء كان ذلك بالديانات والملل، أم بالفرق الإسلامية، فقد أكد على أن في قولهم بخلق العباد لأفعالهم مشابهة للمجوس وبيَّن كيفية ذلك، كما ذكر بأنهم زادوا في ذلك على المجوس، وبيَّن أوجه ذلك[٥].

ومن هذا القبيل إشارته إلى أن النَّظام[٦] كان في حداثة سنة يصحب الثنوية والسمنية... وفي حال كهولته كان يصحب ملحدة الفلاسفة وذكر بعض المسائل

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٦٥.

(٢) كتفسير أبو القاسم بن حبيب، ينظر: المرجع السابق، ص ٩٤.

(٣) وذلك مثل كتاب: الانتصار للخياط، كتب القاضي عبدالجبار الهمذاني الذي يمثل الحلقة الأخيرة من الاعتزال الخالص، والذي ينتهي به عادة التأريخ لفكر المعتزلة وأهم رجالها.
ينظر: في علم الكلام ٣٢٢/١ - ٣٢٣.

(٤) مقدمة "ألفرد جيوم" لكتاب المعتزلة لزهدي جارالله ص (ط). ويقول زهدي جارالله: "ينبغي أن أشير إلى الصعوبة التي يلقاها الباحث في معالجة المعتزلة، فإن كثيراً من كتبهم قد ضاع، ولم يبق لنا إلا أن نعتمد على ما يقوله مخالفوهم عنهم..." المرجع السابق ص (ل). المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٩.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ص ٩٠، ٩١.

(٦) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النَظَّام، من أئمة المعتزلة، وهو شيخ الجاحظ، تبحر في علوم الفلسفة والكلام، وانفرد بآراء خاصة، وقد تابعته فرقة من المعتزلة، سميت (النظَّامية) نسبة إليه، وكان سيئ السيرة، توفي سنة ٢٣١هـ.
ينظر: المنية والأمل ص ٥٩ - ٦٢، تاريخ بغداد ٩٧/٦، السير ٥٤١/١٠ - ٥٤٢، لسان الميزان ٦٧/١، الأعلام ٣٦/١.

التي أخذها عنهم[١].

هذا بالنسبة للديانات والملل، أما الفرق فقد أشار إلى موافقتهم للخوارج في مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة في الآخرة، ولذلك قيل أنهم مخانيث الخوارج[٢]: كما أشار إلى تأثرهم بالقدرية - خاصة في بدايات ظهور المعتزلة - من خلال زعيمهم الأول واصل بن عطاء[٣]، وأكد على ذلك في ختام حديثه عنهم فأطال وحمل كثيراً من الآثار الواردة في ذم القدرية على أنها واردة أيضاً في حقهم[٤].

الجدير بالذكر هنا أنه ألمح إلى تأثيرهم في الرافضة وانتحال بعض الرافضة لمذهب بعض شيوخ المعتزلة، حيث يقول - وهو بصدد الحديث عن بدع واصل بن عطاء -: "وليس العجب من المعتزلة حين بايعوه وافتخروا به وبما يقوله، بل العجب من الروافض حين افتخروا بقوله وانتحلوا مذهبه"[٥]، ومن ذلك إشارته إلى أن الصاحب بن عباد كان يدعو إلى مذهب أحد شيوخهم[٦].

وفي هذا الإطار أوْمَأ إلى اقتداء بعض زعماء المعتزلة بالباطنية[٧].

وقد كان أيضاً يقارن بعض أقوال زعمائها بأقوال بقية المعتزلة ويبيِّن مخالفته أو موافقته لها في ذلك[٨].

٤ - دقته في نسبة الآراء والأقوال إلى الزعماء دون سائر الفرقة من أتباعها، لذلك نجده عند عرضه لآراء وأقوال الفرقة بعد التعريف بزعيمها يصدِّر تلك الآراء

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ٧١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٦٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٦٧ – ٦٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٩١ – ٩٥.

(٥) المرجع السابق ص ٦٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق ص ٨٦.

وللتوسع في مدى التأثير والتأثر بين هاتين الفرقتين ينظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص ٤٠١ وما بعدها، أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د.عائشة المناعي ص ٤٤٧ – ٤٥١.

(٧) ينظر: التبصير في الدين ص ٨٧.

(٨) ينظر: المرجع السابق ص ٦٣، ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٧٩.

بنحو: (من فضائحه قوله - وكان يقول - ومن بدعه أنه كان يقول - ومن ضلالته قوله - ومن جهالاته - وكان من أنواع ما ارتكبه من كفره قوله - ومن خرافاته - ...)، وهذا قد يكون أدق من نسبة القول إلى عامة الفرق.

وبذلك يكون عرضه لأقوال هذه الفرقة وما تفرع عنها من فرق متسماً بالدقة، ولعل مما يؤكد ذلك أنه في عرضه لما اتفقت عليه الفرقة من آراء استثنى بعض أعلامهم[1].

إلا أن شيخه البغدادي يعدّ أدق منه في هذا الجانب، لذا نجده يستدرك على الكعبي كثيراً من المسائل التي ادعى إجماعهم عليها ويناقشه فيها ويبين الصواب في ذلك[2].

٥ - ختم حديثه عنهم بحديث عام يشمل جميع فرقهم ذاكراً فيه جملة من الأحاديث في ذمهم، وقد ركز في ذلك على قولهم بخلق العباد لأفعالهم، وبعض المسائل المتصلة به، وما ذلك إلا لكونه من أفظع ما ينتحلونه - على حد تعبيره[3] - وأكد على مشابهتهم في ذلك للمجوس، وكون تلك الأحاديث الواردة في ذمهم بسبب ذلك القول، كما رد عليهم ببعض الآيات والأحاديث[4]، والجديد في ذلك استشهاده بالشعر في الرد عليهم كقول الإمام الشافعي:

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن[5]

وهذه الخاتمة الطويلة التي جاءت في آخر حديثه عن المعتزلة مما يميز الإسفراييني عن شيخه البغدادي إذ لا نجد لدى البغدادي شيئاً من ذلك.

---

(١) ومن ذلك قوله: "ومما اتفق عليه جميعهم غير الصالحي من فضائحهم قولهم...". التبصير في الدين ص ٦٣.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١١٥ – ١١٦.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ٩١.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٨٨ – ٩٥.

(٥) ينظر: ديوان الشافعي ص ١٣٥، وجاء في مناقب الشافعي للبيهقي أن الشافعي سئل عن القدر فقال هذه الأبيات، ينظر: مناقب الشافعي ١/١٠٩، ١/٤١٢.

المطلب الرابع

وقفات عند بعض ما ذكره عن المعتزلة

لعل من أبرز الوقفات والمآخذ التي يمكن للباحث أن يقفها مع ما ذكر الإسفراييني في هذا الباب ما يلي:

الوقفة الأولى: عدم ذكره للأصول الخمسة التي أجمعوا عليها والتي اشتهر عنهم القول بها، إذ لم يصرح بعدِّها والنص عليها، مع العلم بأن كلامه وعرضه لآرائهم يتضمَّن النصَّ على بعضها والإشارة إلى بعضها، لكنه مع ذلك لم يستوعبها، فأصلهم الخامس "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لا نجد له أثراً إطلاقاً لا تصريحاً ولا تلميحاً، خاصة وأن الإسفراييني كان في زمن تبلور فيه مذهب المعتزلة بعد نضجه وإرساء دعائمه، بل قد يكون عايش المذهب وأدركه في رمقه الأخير وذلك في آخر أطواره وهو طور الضعف والسقوط، حيث كانت وفاته سنة (٤٧١هـ) بعد وفاة القاضي عبدالجبار (ت ٤١٥هـ) - الذي يعد الحلقة الأخيرة من الاعتزال الخالص - وذلك بستة وخمسين عاماً! علماً بأن القول بالأصول الخمسة أمر مشهور عنهم إلى حد الاستفاضة، وحكاه عنهم علماء الفرق وغيرهم ممن سبقه بزمن كالمطلي[1] وغيره[2].

الوقفة الثانية: وصفه لبعض أعلام المعتزلة وزعمائهم بالفسق والمجون واتهامهم برقة الدين والغواية، وفي المقابل نجده مع من عرف بالعبادة والزهد منهم إما أن يدعي أن ذلك من باب الترهب كاشتغال رهبان النصارى به، أو يُعرض عن ذكر ذلك وعن عدّه من محاسنه.

وقضية التزام أعلام المعتزلة بتعاليم الشريعة في حياتهم وسيرهم الشخصية من الأمور التي تناقضت فيها آراء المؤرخين للمعتزلة وغيرهم تناقضاً صريحاً، فمنهم من

---

(١) ينظر: التنبيه والرد ص ٤٩.

(٢) ينظر: الانتصار ص ١٢٦.

صوّر بعض أولئك الأعلام على أنهم من الفسقة الذين يتعاطون مختلف المفاسد وينتمي هؤلاء إلى خصوم المعتزلة ومخالفيهم(١). ومنهم من صور بعض أعلامهم على أنهم بلغوا درجة خيالية من الزهد والورع وينتمي هؤلاء إلى المنتحلين للاعتزال أو المتعاطفين معه(٢).

وحقيقة المعتزلة في هذا الخصوص لا نظفر بها عند هؤلاء ولا عند أولئك ؛ لأن تلك الأحكام والأخبار خالطها الهوى عند كلا الطرفين ، ولكننا نظفر بها بعد نظرة نقدية تعتمد بالأخص المصادر المعتدلة المتَّصفة بالحياد.

تشير هذه المصادر إلى نزعة زهدية اتَّصف بها كثير من المعتزلة الأوائل على الأخص وهذا ما تؤكده أخبار كثيرة وردت في سير بعض أعلامهم على مدى تاريخهم(٣).

الوقفة الثالثة: ارتفاع درجة قسوته وشدته أثناء حديثه عن المعتزلة أكثر مما هو عليه الحال مع الفرق الأخرى.

فلئن استطاع الإسفراييني أن يخفف من متابعته لشيخه البغدادي في حِدَّته وقسوته على خصومه ، إلا أنه مع المعتزلة لم يستطع إخفاء ذلك أو التقليل منه ، ولعل من صور ذلك عند الإسفراييني :

- كثرة الحكم عليهم بالتكفير إلى جانب وسمه إياهم بالضلال والابتداع ، وكذلك وصفهم بالخذلان ورقة الدين.
- تعييرهم بأنسابهم وكونهم من الموالي وأبناء السبايا.

---

(١) ويمكن أن يعد من أولئك: ابن قتيبة ، البغدادي، الإسفراييني، الشهرستاني.

(٢) ولعل من أولئك: ابن المرتضي، زهدي جارالله.

ويقول الأخير: كثيرون هم المؤرخون الذين يتعرضون لهذه الناحية من حياة المعتزلة ، إلا أن ابن المرتضي في كتابه المنية والأمل يختلف عن غيره في أنه يحاول أن يبرزها بكل جلاء ووضوح ويصورها للناس تصويراً دقيقاً حتى ليخيل لمن يطالع كتابه أنه يعتمد على ذلك.

ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ٢٢٩.

(٣) ينظر: المعتزلة بين الفكر والعمل ص ٤٧.

ومن أبرز أعلامهم المعروفين بالزهد والورع والتقشف: واصل بن عطاء، عمرو بن عبيد ، أبو سعيد السمَّان، أبو موسى المردار، جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب، ابن الإخشيد ، عبدالله بن إسحاق الإسكافي.

ينظر: المعتزلة لزهدي جارالله ص ٢٢٨ – ٢٤٠ ، المعتزلة بين الفكر والعمل ص ٤٧ – ٤٩.

- اتهامه لبعضهم بالفسق والفجور والسُّكْر.
- السخرية منهم ومن جهلهم وغباوتهم، بل تعدى ذلك إلى السخرية من خِلْقَتِهم كقوله عن الجاحظ أنه كريه المنظر حتى قيل في وصفه:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلا دون قبح الجاحظ

شخص ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ[1]

وهو في ذلك كله متابع لشيخه وأستاذه البغدادي، ومع ذلك فإنه يسير إذا ما قورن بما ذكره البغدادي عنهم، إذ كان حديث البغدادي أكثر من حديث الإسفراييني بما يزيد عن الضعف[2].

الوقفة الرابعة: إيراده لبعض القصص والأحداث التي لم تثبت، ولا تصح من الناحية التأريخية، إذ تنطوي على أخطاء تنفي وقوعها وتدل على تهافتها.
كقصة قتل الواثق[3] لأحمد بن نصر المروزي الخزاعي[4] بإغراء وتحريف من ثمامة بن الأشرس[5] ومن وافقه بسبب طعنه في القدرية وهلك ثمامة ومن وافقه بعد ذلك.

وهذه الحكاية لا تصح لتقدم موت ثمامة على موت المروزي بدهر، فقد كانت وفاة ثمامة سنة ١٧٣هـ، بينما كان وفاة المروزي سنة ٢٣١هـ![6]

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ٨٣.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١١٤ - ٢٠١، بواقع ٨٨ صفحة. التبصير في الدين ص ٦٣ - ٩٥ بواقع ٣٣ صفحة.

(٣) هارون بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد أبو جعفر عرف بالواثق بالله، امتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة وقتل في ذلك أحمد بن نصر بيده، كان في كثير من أموره يذهب مذهب المأمون، مات سنة ٢٣٢هـ.
ينظر: السير ٣٠٦/١٠، الكامل ١٠/٧، تاريخ بغداد ١٥/١٤، تاريخ الخلفاء ص ٣١٥، الأعلام ٦٢/٨.

(٤) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم المروزي الخزاعي أبو عبدالله، من أشراف بغداد، قتل شهيداً في خلافة الواثق لخروجه وامتناعه عن القول بخلق القرآن في أيام المحنة، كانت وفاته سنة ٢٣١هـ.
ينظر: السير ١٦٦/١١، تهذيب التهذيب ٨٧/١، طبقات الحنابلة ص ٤٥، الأعلام ٢٦٤/١.

(٥) ثمامة بن أشرس النميري البصري أبو معن، متكلم من رؤوس المعتزلة وأحد القائلين بخلق القرآن وزعيم الفرقة الثمامية، من الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، توفي سنة ١٧٣هـ.
ينظر: السير ٢٠٣/١٠، فضل الاعتزال ص ٧٢، لسان الميزان ٨٣/٢، الأعلام ١٠٠/٢.

(٦) ينظر: التبصير في الدين ص ٨٠ - ٨١، وقد نبه على ذلك الكوثري ضمن ترجمة المروزي، ينظر: التبصير في الدين بتحقيقه ص ٧٤.

المبحث الرابع

منهجه في الكلام عن المرجئة

وفيــه مدخل و أربعة مطالب:

- مدخــــل.
- المطلب الأول: منهجه في تعريف المرجئة.
- المطلب الثاني: منهجه في تصنيف المرجئة وذكر فرقهم.
- المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء المرجئة.
- المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن المرجئة.

المبحث الرابع
منهجه في الكلام عن المرجئة

مدخـل:

قبل الولوج في الحديث عن المرجئة والإرجاء ينبغي أن يعلم "أن الانحراف في فهم حقيقة الإيمان، هو أول خلل اعتقادي ظهر في صفوف الأمة، فبدأ هذا الغلو والانحراف الخوارج، ثم ظهرت المرجئة بعكس قولهم، ولاتزال آثار انحرافاتهم في تلكم القضية تؤثر في كتابة وأبحاث كثير من المنتسبين إلى الإسلام"[١].

ولما لها من ضرر بالغ الخطورة وأثر عميق قال الإمام الزهري - رحمه الله -: "ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضر على أهله من هذه - يعني الإرجاء - "[٢].

ونظراً لأهمية هذه المسألة واختلاف وجهات النظر حيالها تناولها كثير من العلماء بالبحث وبيان الحق فيها وكشف زيف الأقوال المخالفة، ومن أولئك أبو المظفر الإسفراييني الذي تناول هذه القضية المهمة وأفرد تيار الإرجاء - وهو أحد التيارات التي حادت عن الحق فيها - بباب مستقل جمعهم تحت مسمى "المرجئة".

إلا أن مما يلفت النظر ويستدعى الانتباه ذلك الغموض والتداخل الذي يكتنف تاريخ هذه الفرقة وأعلامها، ولعل ذلك يعود - والله أعلم - إلى عدة عوامل وأسباب أبرزها: "أن عقيدة الإرجاء قد انتحلتها معظم الفرق وهذه الفرق قد تكون متناقضة فيما بينها في أمور أخرى، ولا أدلّ على ذلك من أن الجبرية قالت بالإيمان بمثل قول كثير من القدرية[٣]، مع أنهما فرقتان متقابلتان مما أدى إلى ذوبان المرجئة في الفرق

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، د. محمد الوهيبي ١/٥.

(٢) الإبانة ٢/٨٨٥.

(٣) أما الجبرية وعلى رأسهم الجهمية فقولهم في الإيمان معروف، أما القدرية فإن من أصناف المرجئة من قال بالإرجاء والقدر، ويقابلهم السابقون الذين قالوا بالإرجاء والجبر، أما الصنف الثالث فهم المرجئة المحضة. =

الأخرى ولم يعد لها استقلال ذاتي في أقوالها بحيث تصرّ على الاستمرار عليها، وتدافع عنها وتكتب في ذلك كتباً وتنازل من نازلها في ميادين الصراعات الفكرية ففقدت أنصارها ومؤيدي فكرتها"(١).

إضافة إلى "أن وجود عقيدة الإرجاء في طوائف متعددة كان سبباً في عدم اهتمام كثير من الكتاب بأسماء المرجئة ومؤلفيهم وتأريخ نشأتهم وأتباعهم والاكتفاء بذكر عقائدهم، لكثرة من قال بها من الفرق الأخرى"(٢).

من ذلك نصل إلى أن "المرجئة ليست فرقة مستقلة، وإن كانت محددة الأصول والمناهج، لكن ليس لها مدارس وفرق كالخوارج والشيعة والجهمية والمعتزلة ونحوها؛ لذا نجدها موزعة في أول نشأتها بين طوائف من الفقهاء وأفراد من المحدّثين، وفي الجهمية وبعض فرق المعتزلة والخوارج والكرامية والصوفية وعليها أكثر الأشاعرة والماتريدية إلى اليوم..."(٣).

ويؤكد على هذه القضية أحد الباحثين فيقول: "لما كان الإرجاء مذهباً غير متكامل، يوجه اهتمامه كله نحو قضية بعينها فإنه لم يكن صالحاً للاستمرار الذاتي، فترك نفسه يذوب بين الفرق والمذاهب ليترك بصماته هنا وهناك وليعيش من خلال الآخرين"(٤).

= وغيلان الدمشق يعدّ أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١، الفَرْق بين الفِرَق ص ٢٠٢، ٢٠٥، التبصير في الدين ص ٩٧، الملل والنحل ١٣٩/١.

(١) ينظر: المرجئة وموقف أهل السنة منهم – رسالة ماجستير – إعداد: محمد بن عبدالعزيز اللاحم، ص ١٨٥، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ – ١٨٦.

(٣) القدرية والمرجئة، د. ناصر العقل ص ٨٤ – ٨٥.

يقول أحد الباحثين: "فالمرجئة المحضة لا وجود لها اليوم، لكن آراءها الأساسية في الإيمان دخلت ضمن آراء الأشاعرة والماتريدية"، أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم – رسالة دكتوراه – سهل بن رفاع العتيبي ٨٢٩/٣.

(٤) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية، يحيى هاشم فرغل ص ٢٦٤.

ولعلي أشير في مستهل الحديث عن منهج الإسفراييني في الكلام عن المرجئة إلى أمرين:

الأول: أن حديثه عن المرجئة يعد نقطة تحول في منهج الإسفراييني في الحديث عن الفرق حيث بدأ ينحى منحى الإيجاز ويميل إلى الاختصار، يظهر ذلك بالمقارنة، فجميع الفرق التي تحدث عنها بعد المرجئة جاء حديثه عنها مختصراً موجزاً بما فيها المرجئة، بخلاف الفرق التي تحدث عنها قبلها وهي الشيعة والخوارج والمعتزلة التي اتَّسم منهجه فيها بالطول بالنسبة لغيرها من الفرق.

الثاني: أن حديثه عن المرجئة بعد الخوارج والمعتزلة يعد ترتيباً متسلسلاً ومترابطاً يأخذ بعضه برقاب بعض؛ لأن المتأمِّل في الظروف التي نشأت فيها هذه الفرقة والوسط الذي ترعرعت فيه يدرك أنها أشبه ما تكون في بعض صورها بِرَدَّةِ فعلٍ وموقفٍ مضاد للخلاف في حقيقة الإيمان[1]، وتحديد معناه بشكل عام، والكلام عن حكم مرتكب الكبير بشكل خاص، ولا يخفى على أحد الموقف الوعيدي المغالي لكل من الخوارج والمعتزلة في هذه القضية والخلاف فيها، ووسط هذا الجو المشحون بالخلاف جهرت هذه الفرقة بموقفها الوعدي الذي غلَّبت فيه جانب الإرجاء والوعد على جانب الخوف والوعيد!

وسيكون كلامنا عن منهج الإسفراييني في حديثه عن المرجئة من خلال الجوانب التالية:

---

(١) يراجع في هذا: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ٢٠٥/١ - ٢٠٧.

المطلب الأول

منهجه في تعريف المرجئة

لم ينص الإسفراييني على تعريف محدد للمرجئة ولكن ذكر ما يمكن اعتباره تعريفاً في مطلع حديثه عنهم، فبعد أن بيَّن أن المرجئة ثلاث فرق قال: "يقولون بالإرجاء في الإيمان"(١). فكأنه عرَّف فرق المرجئة أو أصنافها بذلك التعريف الموجز الذي يجمعهم(٢)، إلا أنه لم يكتف بهذا القدر بل أردف ذلك بمزيد من الإيضاح من خلال بيان ما يلي:

- أن المراد بالإرجاء في اللغة التأخير.
- أن تسميتهم بالمرجئة بسبب تأخيرهم العمل عن مسمى الإيمان.

وفي ذلك يقول: "واعلم أن الإرجاء في اللغة هو التأخير، وإنما سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل من الإيمان"(٣)، ثم أفصح عن المعنى المراد بذلك مباشرة فقال: "على معنى أنهم يقولون: "لا تضر المعصية مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر"(٤).

من هذا يظهر أن الإسفراييني لم يستكمل معاني الإرجاء في اللغة، فالإرجاء كما أنه يأتي لغة بمعنى التأخير والإمهال كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾(٥) أي أخره وأمهله، فإنه يأتي بمعنى إعطاء الرجاء أي الأمل الذي هو ضد اليأس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾(٦)(٧).

---

(١) التبصير في الدين ص ٩٧.

(٢) البعض عرَّف المرجئة اصطلاحاً بأنهم "طائفةمن أهل الكلام وغيرهم، وهم متفاوتون، منهم الغالي، ومنهم دون ذلك. وسموا بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن النية والقصد، ويجمعهم القول بأن الأعمال ليست من الإيمان" أعمال القلوب ٨٢٧/٣.

(٣) المرجع السابق ص ٩٧، هكذا في النسخ المطبوعة، ولعل الصواب "عن" بدلاً عن "من"، أو "يخرجون" بدلاً عن "يؤخرون".

(٤) المرجع السابق، ص ٩٧.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٣٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٧) ينظر: مادة "رجا" في: معجم مقاييس اللغة ٤٩٤/٢ - ٤٩٥، القاموس المحيط ٥١ - ٥٢، مختار الصحاح ص ١٣٧.

ولعل الصواب – والله أعلم – أن المرجئة لزمهم هذا اللقب للأمرين، كما يرى ذلك الشهرستاني[١]، فمع ذكره لعدة معان تصل إلى أربعة تقريبا[٢]، إلا أن الذي يظهر من عرضه أن المعنيين السابقين أرجح لديه من الأخرى[٣].

لكن بيان الإسفراييني للمعنى المراد بتأخير العمل عن مسمى الإيمان – والذي ذكره آنفا – فيه إيماء وإشارة إلى المعنى اللغوي الثاني الذي لم يورده، بالإضافة إلى أن فيه إخراجا لمرجئة الفقهاء ومن وافقهم ممن جاء بعدهم من دائرة المرجئة، لأنهم – كما هو معلوم – وإن قالوا بإخراج العمل عن مسمى الإيمان وأخروه عنه فهم لا يقولون بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

فهذا النوع من الإرجاء ليس مذموما بإطلاق؛ لأن مرجئة الفقهاء ومنهم الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – أخروا العمل عن الركنية في الإيمان، لكنهم لم يهملوه كما أهمله المرجئة[٤]، بذلك يتضح أن أكثر التنازع – وليس جميعه – بين الأئمة ومرجئة الفقهاء لفظي وأنه في الأسماء دون الأحكام، كما أن خلافهم هذا لا يترتب عليه في الأصل أثر عملي[٥]. لكنه يعد – مع ذلك – من بدع الألفاظ لعدولهم عن الألفاظ المطابقة للكتاب والسنة[٦].

وبناء على ما سبق من كلام يظهر أن الإسفراييني لا يعد مرجئة الفقهاء ضمن فرق المرجئة الذين وقعوا في بدعة الإرجاء أو الإرجاء البدعي كما يسميه البعض[٧].

---

(١) ينظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين، د. أحمد عطية الغامدي، ص ٨٦.

(٢) ينظر: الملل والنحل ١/١٣٩.

(٣) ينظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٨١ – ٤٨٢.

(٤) ينظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين، ص ١٠٦.

(٥) ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عن السلف، د. محمد الوهيبي ١/١٧٤، وينظر كذلك: الإيمان حقيقته وآثاره – رسالة ماجستير – محمد العجلان ص ٥٧ –٠ ٦٧.
المرجئة وموقف أهل السنة منهم – رسالة ماجستير – محمد اللاحم ص ٢٣٨ – ٢٤٩.

(٦) وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام، ينظر: الإيمان ص ٣٧٧، ولذلك فإن الأسلم والأصح أن لا يقال: إن الخلاف صوري أو لفظي بإطلاق، فضلاً عن أن يقال: إن هذا الخلاف لا محذور فيه أو لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والله أعلم.
ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية ١/١٧٤، مسألة الإيمان دراسة تأصيلية د. علي الشبل، ص ٥٤ – ٥٧.

(٧) ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٣ – ١٢٤.

وضمن تعريف الإسفراييني بالمرجئة نراه عندما عـدَّد أصنافهم يشير إلى نماذج من أعلام أحد تلك الأصناف، فالمرجئة القدرية على سبيل المثال ذكر ثلاثة من أعلامهم الذين وافقوا القدرية في القول بالقدر إلى جانب قولهم بالإرجاء(١).

أما مرجئة الجبرية فقد بيَّن أن فريقاً منهم وافقوا الجهمية وذلك بقولهم بالجبر(٢).

وبالنسبة للمرجئة المحضة فقد كان هذا الباب مُخصصاً - في الأصل - لتفصيل الحديث عنهم، لذلك ذكر فرقهم وعرَّف بكل فرقة منها بإيجاز.

---

(١) والثلاثة هم: غيلان الدمشقي، أبو شمر المرجئ، محمد بن شبيب البصري.
ينظر: التبصير في الدين، ص ٩٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٧.

المطلب الثاني

منهجه في تصنيف المرجئة وذكر فرقهم

من الأولى قبل الحديث عن منهج الإسفراييني في ذكر فرق المرجئة بيان المنهج الذي سار عليه في تصنيفهم وتقسيمه لهم.

فقد جعلهم ثلاثة أصناف:

١ - **مرجئة القدرية**: الذين وافقوا القدرية في القول بالقدر.

٢ - **مرجئة الجبرية**: الذين وافقوا الجهمية فجمعوا بين دعوى الجبر والإرجاء.

٣ - **المرجئة المحضة**: الذين لا يقولون بالجبر ولا بالقدر(١).

وقد ذكر تصنيفه هذا في مستهل حديثه عن المرجئة فكان بمثابة توطئة بيَّن فيها أصناف الواقعين في الإرجاء ليمهد للحديث عن المرجئة المحضة التي خصص هذا الباب للحديث عنها وعن فرقها، حيث لم يفصّل الحديث عن الأصناف الأخرى.

تجدر الإشارة إلى أن تصنيفه وتقسيمه هذا سبق وأن أفصح عنه في أول كتابه عند عرضه لفرق الأمة على الجملة في الباب الثاني حيث قال: "وثلاث فرق هم المرجئة: فريق منهم يجمعون بين الإرجاء في الإيمان وبين القول بالقدر... فهؤلاء مرجئون قدريون، وفريق منهم يجمعون القول بالإرجاء في الإيمان وبين قول جهم... فهؤلاء مرجئون جهميون، وفريق جوزوا القول بالإرجاء ولا يقولون بالجبر ولا بالقدر..."(٢).

بناء على ذلك يكون تصنيفه لفرق المرجئة موافقاً – من حيث المبدأ – لتعريفه لهم، حيث قصره على القول بالإرجاء في الإيمان دون غيره من أنواع الإرجاء.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٤.

هذا ما يمكن تسميته بالتقسيم العام للمرجئة والذي يمكن من خلال تأمله أن نصل إلى ما يلي:

- أن المرجئة كما يراهم الإسفراييني لا يخرجون عن صنفين ولا يخلون من حالين:

أ - **مرجئة غير خالصة**: جمعوا مع الإرجاء بدعا أخرى وهؤلاء عنده فريقان مرجئة قدرية، ومرجئة جهمية.

ب - **مرجئة خالصة** - أو **محضة** -: لم يجمعوا مع الإرجاء بدعا أخرى.

وهذا التقسيم هو ما عليه جمع من مصنفي كتب الفرق عند التأمل فيما ذكروه عن المرجئة[1].

- أنه مع سيره على ذلك التقسيم والتصنيف لهم لم يستوعب كل من وقع في الإرجاء أو في أحد معانيه.

فلم يشر في القسم الأول إلى مرجئة الخوارج[2] والذين عُدّوا عند البعض من القائلين بنوع من الإرجاء فأوصل فرق هذا القسم على ذلك إلى ثلاث فرق، لكن قد يُرَدّ على ذلك بأنه قَصَر حديثه عن الإرجاء في الإيمان، ومع ذلك يبقى الإشكال قائماً إذ لم يتطرق في حديثه إلى مرجئة الفقهاء! فإن كان يرى أنهم غير داخلين في هذه الدائرة من باب أن مراده بالمرجئة فيه من كان منهم من أهل البدع والأهواء، وهذا ما يدل عليه سياق كلامه خاصة في تفسيره لمعنى تأخير العمل عن مسمى الإيمان، لكن يرد عليه عدم ذكره للكرامية وقولهم في الإيمان مع كونهم من القائلين بالإرجاء.

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٢، الملل والنحل ١/١٣٩، الخطط ٢/٣٥٠، المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٤٢٧.

(٢) مرجئة الخوارج مثل: الشبيبية، التي برئت منها الخوارج ولقّبوها بهذا اللقب؛ لتوقفهم في الحكم على بعض مخالفيهم والتبرؤ منهم.

ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٠٢ - ٢٠٣، الفَرْق بين الفِرَق ص ١٠٩، الملل والنحل ١/١٢٨، ١٢٩.

بيد أن هناك تقسيماً أفضل – أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية – يمكن به حصر المرجئة – وذلك حسب قولهم في الإيمان – بجعلهم ثلاثة أصناف:

١ – **القائلون بأن الإيمان مجرد ما في القلب**: وهؤلاء منهم من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر المرجئة، ومنهم من لا يدخلها فيه ويرى أنه مجرد المعرفة بالقلب فقط وهو قول جهم ومن وافقه.

٢ – **القائلون بأن الإيمان مجرد قول اللسان**: وهو قول لا يُعْرَفُ لأحد قبل الكرامية.

٣ – **القائلون بأن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان**: وهو قول مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة وغيره[١].

هذا بالنسبة لما يتعلق بتصنيفه للمرجئة وفرقها، أما المرجئة المحضة الذين خصَّص هذا الباب للحديث عنهم وعن فرقهم فقد أوصل فرقهم إلى خمس فرق[٢]، وهو في ذلك متابع لشيخه البغدادي[٣]، وتابعهما بعض من جاء بعدهما ولكن زاد عليهم[٤].

وحديثه عن تلك الفرق كان موجزاً ومختصراً وذلك بالاقتصار بعد ذكر اسم الفرقة على الإشارة إلى زعيمها الذي تنسب إليه، ثم بيان قولها الذي قالت به ومالت إليه في الإيمان، كما قد يشير إلى قول الفرقة فيما يتعلق ببعض مسائل الإيمان.

وعموماً فإن حديثه عن تلك الفرق لا يختلف عن منهجه في الحديث عن غيرها من الفرق الأخرى التي تناولها بالحديث.

---

(١) ينظر: الفتاوى ١٩٥/٧. وهناك من توسع وفصَّل في تقسيم أقوال الطوائف في الإيمان فأوصلها إلى تسعة أقوال بما فيهم قول أهل السنة والجماعة. ينظر: التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، علي محمد سوف ص ٣٠ – ٤١، وآخرون جعلوهم سبعة دون ذكر لأهل السنة ضمنهم، ينظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) وهي: اليونسية، الغسانية، التومنية، الثوبانية، المريسية، ينظر: التبصير في الدين ص ٩٧ – ٩٩.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ٢٠٢ – ٢٠٥، الملل والنحل للبغدادي ص ١٣٨ – ١٤١.

(٤) ينظر: الملل والنحل ١٤٠/١ – ١٤٦.

وقصارى ما يؤخذ عليه في هذا الشأن عدم ذكره لفرقة الكرامية أو الإشارة إلى قولهم المشهور الذي تفردوا به في الإيمان - كما سبق - .

وإن كان قد يلتمس له العذر في ذلك بعدِّه إياها ضمن أصول الفرق وأمهاتها، وإفرادها بالحديث في باب مستقل، هو الباب الحادي عشر[(١)].

لكن يرد على ذلك أنه ذكر مرجئة الجبرية - الجهمية - ومرجئة القدرية مع أنه أفرد كلاً منهم ببحث مستقل فكان حريّاً به - والحالة كذلك - أن يذكر الكرامية أو يشير إليهم على أقل تقدير، أو أن يترك الإشارة إلى الجميع ليسير على منهج واحد وطريقة موحدة.

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١١١ - ١١٧.

المطلب الثالث

منهجه في عرض آراء المرجئة

لّما كانت المرجئة ليست بفرقة ذات كيان مستقل كغيرها من الفرق، وإنما تتكون من مجموعة من الفرق جمعها اتفاقها على رأي معين يعدّ هو القاسم المشترك بينها هو الإرجاء، فإن الحديث عن آرائها سيكون مضبوطاً ومحصوراً في زاوية محددة.

وهذا ما سار عليه الإسفراييني كغيره ممن عرض لهذا الموضوع.

لذلك كان تناوله للآراء في هذا الباب منصبّاً في ذلك الاتجاه، وهو قولهم بالإرجاء في الإيمان المتضمن إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

كما أن الإسفراييني عرض لبعض المسائل المنبثقة من ذلك الأصل وتلك النقطة وبيَّن الآراء فيها ومن تلك المسائل:

(زيادة الإيمان ونقصانه، وارتكاب الكبيرة سواء بترك خصلة من خصال الإيمان أو جميعها، أو فعل ما ينافي الإيمان).

وقد كان عرضه للآراء في المسائل متَّسماً بالاختصار والإيجاز، سواء كان ذلك في حديثه المجمل عن عموم الفرقة أو عن فرق المرجئة المحضة.

ولعل أبرز ما يلاحظ على منهجه في عرضه للآراء في هذا الباب:

- عدم استخدامه لأسلوب المقارنة، وتضمين علاقة التأثير والتأثر في ذلك كما هي عادته، فلم يشر إلى أقوال الطوائف الأخرى من غير المرجئة في الإيمان كالوعيدية والخوارج وأهل السنة، ولعله رأى الاستغناء عن ذلك بذكر قول كل فرقة منها عند حديثه عنها.
- إهماله التعقيب على الآراء التي ساقها، مكتفياً بعرضها فقط. وهذا جريٌ منه على خلاف عادته.

ولذلك لا يكاد يُعثر له في هذا الصدد إلا ما ذكر بأن القول بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم[١]، إضافة إلى إيراده لحديث في ذم القدرية والمرجئة بعد ذكره لمرجئة القدرية وهو: "أن القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبياً"[٢][٣].

- أنه عندما ذكر آخر فرق المرجئة المحضة وهي المريسية[٤] لم يشر إلى أي قول لهم في الإيمان أو مسائله المتعلقة به، ولا إلى السبب الذي من أجله جعلهم ضمن فرق المرجئة، وفي المقابل تحدث عنهم بما ليس له علاقة بالموضوع الأهم وهو الإرجاء في الإيمان، فأشار إلى مذهب زعيمهم في الفقه وقوله بخلق القرآن، ومناظرته للشافعي وما إلى ذلك[٥].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) أورده الإسفراييني في كتابه في عدة مواضع بعدة روايات متقاربة غير الصيغة المذكورة هنا مثل: "لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً"، "القدرية والمرجئة لعنتا على لسان سبعين نبياً".
ومهما يكن فالحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة عن معاذ بن جبل ١٤٤/١ رقم ٣٢٥، ٤٦٢/٢، رقم ٩٥٢، وقال عنه الألباني في تحقيقه: إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري في تهذيب الآثار عن أبي أمامة ٦٥٧/٢ رقم ٩٧٤، وذكره ابن بطة في الإبانة ص ١٩٧، رقم ٢٣٨، بالإضافة إلى: ابن حبان في المجروحين ٣٦٢/١، والهندي في كنز العمال ١٢٠/١، وحكم عليه بالوضع السيوطي في اللآلى المصنوعة ٢٦٢/١، كما نفى صحته ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٤٩/١.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ٩٧.

(٤) المريسية: أصحاب بشر المريسي وهم مرجئة بغداد، كان يتكلم على مذهب أبي يوسف القاضي، ولكنه خالفه بقوله إن القرآن مخلوق، وهو الذي ناظر الشافعي يرحمه الله في أيامه، كانوا يزعمون أن السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر.
ينظر: المقالات ٢٢٢/١، الفرق بين الفرق ص ١٥٣، التبصير ص ٩٩، البرهان ص ٣٦.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ص ٩٩.

المطلب الرابع
وقفات عند بعض ما ذكره عن المرجئة

على الرغم من أن حديث الإسفراييني عن المرجئة كان في غاية الاقتضاب والإيجاز غير أن بالإمكان أن نقف بعض الوقفات العجلى عند بعض ما ذكره عنهم ومن أهمها:

١ - بروز ظاهرة الاضطراب والتكرار والتي أدت إلى اختلال العدد الذي كان الإسفراييني ينشد الوصول إليه من خلال تقسيم وتحديد الفرق وعدّها فنأى به ذلك عن الدقة والضبط.

فقد أشار إلى أن مجموع فرقها سبع فرق، ثلاثة هي الأصول (المرجئة القدرية، المرجئة الجبرية، المرجئة المحضة) وهي تعد أصنافاً للمرجئة، ثم إن الأخيرة منها هي عبارة عن مجموعة من الفرق يمكن تقسيمها إلى خمس فرق، وبالتالي يكون المجموع سبع فرق، هذا العدد يشكل حلقة من الحلقات التي أراد من خلالها الإسفراييني أن يوصل عدد الفرق إلى العدد الوارد في الحديث.

وهنا أمور:

- إن مرجئة القدرية الذين عدّ من رؤوسهم: غيلان الدمشقي ليست من فرق المرجئة في الأصل بل هم فرقة القدرية التي تعد سابقة لمدرسة الإرجاء والتي ترجع نشأتها الأولى إلى بعد سنة (٦٣هـ) وذلك على يد: معبد الجهني (ت ٨٠هـ) وأتباعه ممن أتى بعده كغيلان الدمشقي (ت ١٥٠هـ) [(١)]، لكن غيلان لم يقتصر على مقولات معبد في القدر بل تكلم في الصفات والإيمان والقدر ببدع أخرى كانت فيما بعد من أصول المعتزلة والجهمية والمرجئة[(٢)]، وعلى التسليم بما قال الإسفراييني واعتبارها من فرق المرجئة فإنهم ليسوا فرقة واحدة بل هم مجموعة

---

(١) وتسمى هذه المرحلة الأولى من مراحل القدرية، ينظر: القدرية والمرجئة ص ٢٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٣٣.

من الفرق تصل إلى خمس فرق تقريبا[١].

- إن مرجئة الجبرية قد يكون المقصود بهم "الجهمية" كما هو معروف، فكيف تعد ضمن فرق المرجئة وتحسب فرقة من الثلاث والسبعين، ثم تعد وتحسب كذلك فيما بعد فرقة من أمهات الفرق الثلاث والسبعين أيضا!! وتفرد بباب مستقل!

وعلى اعتبار أنه قصد بها إحدى فرق المرجئة وأن فرقة الجهمية ليست هي المقصودة بذلك، فإن مرجئة الجبرية ليست فرقة واحدة بل مجموعة من الفرق تصل إلى ثلاث تقريبا تشترك كلها في الانضواء تحت لواء هذا المسمى.

ولا يفوتني هنا أن أؤكد على أنه ليس وجه الخطأ تقسيم وتصنيف فرق المرجئة على النحو الذي سار عليه المؤلف، لكن الخطأ يكمن في عد تلك الفرق حسب ذلك التقسيم ضمن فرق الأمة الثلاث والسبعين، مع أن منها من يجمع أكثر من بدعة إلى جانب القول بالإرجاء فتذكر بعض الفرق لأجل ذلك في أكثر من موضع.

كما أن من الخطأ أيضا ألا نشير إلى جميع الفرق والمذاهب التي وقعت في الإرجاء.

٢ - عدم الشمولية والاستيعاب لكل جزئيات هذا الموضوع، فمع أنه أفرد المرجئة بهذا الباب - وهو السادس - وخصصه لهم، إلا إنه لم يستوعب فيه كل من قال بالإرجاء كالكرامية، ومرجئة الفقهاء، هذامن ناحية.

ومن ناحية أخرى لم يشمل حديثه عنهم ذكر جميع الأقوال في الإيمان، فلا نجد ذكرا لمن يرى بأن الإيمان هو المعرفة فقط - كما تقول الجهمية - علما بأنه قد ذكر مرجئة الجبرية - الجهمية - !، لكن لم يذكر قولهم في الإيمان، وكذلك الحال مع مرجئة القدرية.

---

(١) ينظر: المرجئة وموقف أهل السنة منهم ص ٢٠٧ - ٢٢٠.

كما لا نجد الإشارة إلى قول من جعل الإيمان مجرد النطق باللسان فقط ! وهو أحد الأقوال المشهورة في مسألة الإيمان.

أما فيما يتعلق بفرق المرجئة المحضة التي ذكرها نلاحظ أنه لم يستقص جميع أقوال الفرقة المتعلقة بالإيمان كما يظهر من خلال مقارنة ما كتبه عن كل واحدة منها بما كتبه علماء هذا الفن ومؤلفو كتب المقالات والفرق.

٣ – وقوعه في شيء من الخلط عندما تحدث عن فرق المرجئة المحضة، حيث أدخل فرقة "المريسية" وهي من فرق مرجئة الجبرية – إن صح هذا التعبير – ومعلوم أن "بشر المريسي" الذي تنسب إليه المريسية يعدّ من الجهمية ورؤوسهم، علماً بأنه لم يدرك الجهم، ولكنه أخذ بمقالته واحتج بها ودعا إليها.

وقد نبّه أحد الباحثين إلى غلط الإسفراييني هذا ومتابعته للبغدادي في ذلك لجمعهم بدعاً وضلالات مع الإرجاء، كالقول بالجبر وغيره فلا يكونون بذلك خالصة(١).

بناءً على ذلك يكون الصواب في تعداد فرق المرجئة المحضة أنهم أربع فرق فقط(٢)، وليس خمساً كما توهم الإسفراييني وغيره(٣).

---

(١) ينظر: المرجئة وموقف أهل السنة منهم ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٧٩، أما فرقة العبيدية فمع أن البعض قد عدّهم من المرجئة المحضة كالشهرستاني في الملل والنحل ١/١٤٠، إلا أنه بتأمل في آرائها وأقوالها يتضح أنها ليست من المرجئة المحضة، ولذلك فإن أكثر كتاب الفرق والمقالات لم يذكروها في عداد فرق المرجئة الخاصة. ينظر: المرجع السابق ص ٢٠٤.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ٩٩، الفرق بين الفرق ص ٢٠٤ – ٢٠٥، الملل والنحل للبغدادي ص ١٤١.

وممن ذكر المريسية ضمن فرق المرجئة الأشعري وغيره، ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٢٢، البرهان ص ٣٦، عقائد الفرق الثلاث والسبعين ١/٢٧٦ – ٢٧٨.

المبحث الخامس

منهجه في الكلام عن الجهمية

وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

- مدخل
- المطلب الأول: منهجه في تعريف الجهمية.
- المطلب الثاني: منهجه في عرض آراء الجهمية.
- المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن الجهمية.

المبحث الخامس

منهجه في الكلام عن الجهمية

مدخل:

تعد الجهمية ضمن الفرق الكلامية التي تنتسب للإسلام، وقد كان ظهورها منعطفاً خطيراً في حياة الأمة الإسلامية أدى بها إلى انحراف لاتزال الأمة تعاني منه وتئن عقيدتها من شدة وطأته، حيث جمعت هذه الطائفة بدعاً شتى تناولت عدة جوانب من أركان الإيمان.

فلم يقتصر انحرافها على الركن الأول - وهو الإيمان بالله - بل تعداه حتى وصل إلى الإيمان بالملائكة واليوم الآخر والقدر - كما سيأتي بيانه -.

وتعود في نسبتها إلى "الجهم بن صفوان" فهو مؤسسها وحامل لوائها، ولكن ينبغي العلم بأن "الجعد بن درهم"[1] هو أول من بذر بذرة هذه الفرقة وتعهدها حتى نبتت.

فقد كان الجعد أستاذاً للجهم، ومؤدباً لمروان بن محمد[2] آخر ملوك بني

---

(١) يرى بعض الباحثين أنه بالتأمل في سيرة الجعد بن درهم وأقواله وبدعه التي بثها يمكننا أن نصل إلى الشك في سلامة نوايا هذا الرجل، وأنه قد يكون من أصحاب النوايا المشبوهة التي تصطاد في الماء العكر، خاصة إذا ما علمنا أنه أخذ مقالته بخلق القرآن ونفي الصفات عن مصادر مشبوهة. ليس لها غرض إلا أن تفسد على المسلمين دينهم.

ينظر: القضاء والقدر في الإسلام ١٥١/٢، وينظر للاستزادة: مقالة التعطيل والجعد بن درهم للتميمي.

(٢) مروان بن محمد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، آخر خلفاء بني أمية، يعرف بالجعدي نسبة إلى مؤدبه "الجعد بن درهم" كما يعرف بالحمار لجرأته وصبره في الحروب، كان شجاعاً داهية، قتل سنة ١٣٢هـ وهو فار إلى مصر في بلدة تسمى "بوصير".

ينظر في ترجمته: البداية والنهاية ٢٢/١٠، الكامل لابن الأثير ١١٩/٥، سير أعلام النبلاء ٧٤/٦، الأعلام ٢٠٨/٧.

أمية[١] ومن هذا يتبين لنا أن أول ظهور للجهمية كان في زمن بني أمية.

ومما أخذه الجهم عن معلمه من المسائل: نفيه للصفات الإلهية، وقوله بخلق القرآن، ثم تبناها وأظهرها ودعا إليها فنسبت إليه[٢].

لكن جهماً لم يكتف بما ورثه عن شيخه، بل زاد بدعاً أخرى كان لها بالغ الأثر، حيث استشرت جرثومة الجهم في جسد الأمة فتأثرت بها فرق أخرى فضلّت وأضلت، لذا قال بعض السلف في الجهم:

"ما ذكرتُه ولا ذُكِرَ عندي إلا دعوتُ الله عليه، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم"[٣].

وقال عنه الذهبي: "المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة"[٤].

وترمذ[٥] هي أول مكان أظهر جهم فيه مذهبه، ثم انتقل بعدها إلى بلخ وأقام فيها، وكان يصلي خلال فترة إقامته مع "مقاتل بن سليمان"[٦] المفسر المشهور في

---

(١) ينظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢٣/١، نقله من كلام الإمام السيوطي في كتاب الأوائل.

(٢) ينظر في هذا: الفتاوى ٢٠/٥، بيان تلبيس الجهمية ١٢٧/١.

(٣) ينظر: الجهمية والمعتزلة للعقل ص ٣١ – ٣٧، والمقصود بالعظيم هنا: العظيم في خطره وأثره الفاسد، لذلك يقول الذهبي عنه أيضاً: "ولكنه زرع شراً عظيماً"، ميزان الاعتدال ٤٢٦/١، سير أعلام النبلاء ١٤٢/٢.

(٤) تاريخ الإسلام ص ١٢١.

(٥) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي، ينسب إليها جماعة من العلماء، منهم أبو عيسى الترمذي صاحب السنن.
ينظر: معجم البلدان ٤٤١/٢.

(٦) مقاتل بن سليمان البلخي، المفسر أبو الحسن، أصله من بلخ، ويقال له الخرساني المروزي، وهو أزدي بالولاء، اتهمه كثير من الأئمة بالكذب والضعف في الرواية والنكارة في الحديث والجسارة على الكذب، اشتهر بتفسير القرآن، كما اتهم بالقول بتشبيه الرب بالمخلوقات، والأخذ من اليهود والنصارى. توفي سنة ١٥٠هـ.

ينظر: ميزان الاعتدال ١٧٣/٤ – ١٧٥، لسان الميزان ٢٨١/١٠، المجروحين لابن حبان ١٤/٣، الكامل ٢٤٢٧/٦، السير ٢٠١/٧.

مسجده ويتناظر معه حتى نُفِي إلى ترمذ. فقد كان جهم كثير الجدال والخصومات والمناظرات، غير أنه لم يكن صاحب بَصَرٍ وعلم بالحديث، ولم يكن من المهتمين به إذ شغله علم الكلام عن ذلك، ومما يؤكد ذلك مناظرته المشهورة لبعض السمنية(١) في الله - جل وعلا - وتلك المناظرة كانت مما أثر على إيمانه(٢).

وقد كان فصيحاً مفوَّها لذلك اتخذه "الحارث بن سريج"(٣) كاتباً له أثناء قيامه بخراسان، فكان يخرج ويقاتل معه ويحمل السلاح ضد بني أمية حتى قتل سنة ١٢٨هـ(٤).

وإذا كان الجعد بن درهم هو أول من جاء ببدع الجهمية ووضع أصولها، فإن الجهم هو الذي أظهرها ونشرها فنسبت إليه.

بعد ذلك جاء "بشر بن غياث المريسي" الذي قعَّد لهذا المذهب وأصلّه وناظر عليه(٥).

وقد جاءت عبارات السلف تؤكد عمق العلاقة بين أقطاب ذلك المذهب، يقول ابن كثير: "أخذ الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم، وأخذ بشر المريسي عن

---

(١) السمنية: هم طائفة في الهند، تقول بتناسخ الأرواح وقدم العالم، وينفون النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، والسمنية: نسبة إلى "سومنان" بلدة بالهند، ينظر: التبصير في الدين ص ٨٩، الفرق بين الفرق ص ٢٥٣، المغني في ضبط أسماء الرجال ص ١٣٩، المعجم الوسيط ص ٤٥٢، لسان العرب ٢٢٠/١٣.

(٢) ينظر تلك المناظرة في: الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٠٢ - ١٠٤، وينظر ما علق به ابن تيمية على كلام جهم في: الفتاوى الكبرى ٤٠/٥.

(٣) الحارث بن سريج كان والياً لبني أمية على خراسان، ثم خرج وقاتل أمير خراسان نصر بن سيار، وكانت له معه مواقف كثيرة، وانضم إلى قائد الترك الكفار وقاتل معه ضد المسلمين واستعان به في مواطن كثيرة، وكان يدل على مواطن ضعف جيش المسلمين، قتل في مرو سنة ١٢٨هـ.
ينظر: الكامل لابن الأثير ٢٩٢/٤ وما قبلها، البداية والنهاية ٢٦/١٠.

(٤) ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١٠٢ - ١٠٣، البداية والنهاية ٢٦/١٠، الكامل لابن الأثير ٢٩٢/٤، تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٦ - ٧.

(٥) أشير هنا إلى رسالة علمية تناولت هذه الشخصية من جميع الجوانب بعنوان "بشر بن غياث المريسي وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد"، إعداد: أحلام محمد سعيد باحمدان - رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى ١٤١٤هـ.

جهم، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد[1] عن بشر"[2].

وهذا قريب من قول شيخه ابن تيمية: "أخذ هذا المذهبَ عن الجعد الجهمُ بن صفوان فأظهره وناظر عليه وإليه أضيف قول الجهمية"[3]. وقال أيضاً: "لما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة "الجهمية" بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته"[4]. ومثل هذه النصوص كثير في كتب المتقدمين يَعْضِدُ بعضُها بعضاً[5].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الحديث عن الجهمية وتفصيلاتها والتطورات التي حدثت فيها والتأثيرات التي أوجدتها ليس بالأمر اليسير، بل هو أمر يتسم بالصعوبة والتعقيد لأمور أهمها:

- أن الظهور المبكر لهذه الفرقة وتزامنه مع ظهور غيرها من الفرق الكبار نجدها قد ذابت وانصهرت في فرق أخرى، فاختفاؤها كفرقة مستقلة لها رجالها وكيانها لا يعني اندرس معالمها، فقد بقي الكثير من أقوالها وآرائها عند فرق أخرى تبنتها ودافعت عنها، وقد أشار ابن القيم لهذا بقوله:

ولذا تقسمت الطوائف قوله   وتوارثوه إرث ذي السهمان[6]

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرجير الإيادي القاضي، كان فصيحاً مفوَّها شاعراً، وكان جهمياً مبغضاً للسنة، كان من رؤوسه القائلين بخلق القرآن، وأفتى بقتل الإمام أحمد، وقد ولي القضاء في عهد المعتصم والواثق، توفي سنة ٢٤٠هـ.

ينظر: تاريخ بغداد ١٤١/٤، ميزان الاعتدال ص ٩٧، السير ١٦٩/١١، لسان الميزان ١٧١/١، وفيات الأعيان ٦٣/١ - ٧٥، البداية والنهاية ٣١٩/١٠ - ٣٢٢.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٠/٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٦٧/١٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/٥، للتعرف على أبرز رجال الجهمية ينظر: رسالة آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - الجهمية والمعتزلة - د. يوسف السعيد ٥٨/١ - ٦٧.

(٥) ينظر: سرح العيون لابن نباته ص ١٨٦، الخطط للمقريزي ١٨٤/٤، ميزان الاعتدال ٣٢٢/١.

(٦) شرح النونية لابن عيسى ١١٩/١.

- إن الجهمية أدخلت في الأمة الإسلامية بدعاً وضلالات وأقوالاً شنيعة وجمعتها بشكل لا يكاد يجتمع في فرقة أخرى.

لذا شكلت هذه البدع - بمجموعها - صدمة عنيفة لعقلية الأمة وعقيدتها، كما كانت أيضاً سبباً قوياً من أسباب تزعزع كيانها العقدي وعدم ثبوته بشكل راسخ، كما هو الحال في عهد الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم -.

لا أدل على تلك الصعوبة من ذلك التضارب العريض بين مصنفي كتب الفرق في تصنيفها والحديث عنها، فمنهم من يعدها من أمهات الفرق وأصولها، فيفردها بالحديث كفرقة مستقلة[1]. ومنهم من عدَّ أتباعها كفّار، ولم يذكرها ضمن فرق المسلمين[2]، ومقابل ذلك نجد جمعاً منهم يدرجها ضمن فرق أخرى كالجبرية[3] أو المرجئة[4] أو المعطلة[5]. حتى عدهم بعض العلماء "معطلة جبرية مرجئة"[6]. لأنهم "جمعوا بين الجبر في القدر، وبين التجهم في الأسماء والصفات، وجمعوا إلى ذلك القول بالإرجاء، وأضافوا

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ٦٥/١، التنبيه والرد ص ١١٠، تلبس إبليس ص ١٩، الفرق بين الفرق ص ٢٥، التبصير في الدين ص ٢٥.

(٢) ينظر على سبيل المثال: السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ١٠٤/١، ١٠٩، الإبانة لابن بطة ٩٩/١ - ١١١، ٣٨٠/١، مجموع الفتاوى ٢٢/٥، ٥٣، ١١٠، ٥٠٧/٧، ٥٢٤/١٢.

(٣) ينظر: الملل والنحل ٨٦/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٩، لوامع الأنوار ٩٠/١، الفرق الإسلامية للكرماني ص ٨٩، ويرى الشيخ محمد أبو زهرة "أن النحلة التي ظهر بها الجهمية وشهرتهم وصارت خاصة بهم هي القول بالجبر... وأما الآراء الأخرى فإن غيرهم يشاركهم فيها" تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٥.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ٢١٤/١، الفصل ٧٣/٥، البرهان ص ٣٤، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢٧٣/١، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص ١٣٦.

(٥) ينظر: الفرق وأصناف الكفرة ص ٣٠٦.

(٦) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١٦٢.

إلى ذلك القول بخلق القرآن ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [١] [٢].

قال ابن القيم :

جيم وجيم ثم جيم معهما مقرونة مع أحرف بوزان

جبر وإرجاء وجيم تجهم فتأمل المجموع في الميزان

فاحكم بطالعها لمن حصلت له بخلاصه من ربقة الإيمان[٣]

هنا أصِلُ إلى ختام هذا التمهيد عن الجهمية الذي أطلت فيه لأهمية الإشارة إليه قبل الشروع في ذكر منهج المؤلف في الكلام عنها.

وأختمه بإيراد أبرز آراء وأقوال الجهمية - بإجمال - وهي[٤] :

١ - نفي جميع أسماء الله وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن ذلك القول بخلق القرآن ، وإنكار الرؤية.

٢ - القول بالجبر وأن العبد مجبور على فعله ، فلا استطاعة له ولا اختيار ، وأما نسبة الفعل إليه فعلى سبيل المجاز.

٣ - القول بالإرجاء ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل به.

٤ - عدم الإيمان الكامل بالغيب ، وإنكار كثير من أمور الآخرة مثل : العرش ، والكرسي ، والملائكة ، وعذاب القبر ، والميزان ، والصراط ، والشفاعة.

٥ - القول بفناء الجنة والنار.

---

(١) سورة النور ، الآية : ٤٠..

(٢) لمحة عن الفرقة الضالة للفوزان ص ٤٨.

(٣) شرح النونية لابن عيسى ٢/١١٤ - ١١٦.

(٤) ينظر في آراء الجهمية:

- مقالات الإسلاميين ١/٢١٤.
- التنبية والرد ص ١١٠ - ١٥٤.
- الفرق بين الفرق ص ٢١١ - ٢١٢.
- الفصل ٥/٧٣.
- التبصير في الدين ص ١٠٧ - ١٠٨.
- الملل والنحل ١/٨٦.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٩ - ٩٠.
- شرح العقيدة الطحاوية ٢/٧٩٤.

هذه أبرز ما جاءت بـه الجهمية من الانحرافات التي "أثَّرت في الملة الإسلامية آثاراً قبيحة تولَّد عنها بلاء كبير"[1].

---

(١) الخطط للمقريزي ١٨٥/٤.
وينظر أهم آرائها كما ذكرها جمع من الأئمة في رسالة: "ما ورد من نصوص وآراء في كتب التراث عن ابن أبي حاتم في كتابه المفقود الرد على الجهمية - جمعاً ودراسة - " إعداد: فهد بن أحمد النمري ص (٧١ - ٧٥)، (٧٨ - ٧٩).

المطلب الأول

منهجه في تعريف الجهمية

في تعريف المؤلف للجهمية نجد أن منهجه لا يختلف كثيراً عن منهجه في التعريف بالفرق الأخرى، وبالإمكان حصر منهجه في التعريف بالجهمية في أمرين:

الأول: التعريف بزعيمها الذي تنسب إليه.

الثاني: التعريف بالفرقة.

- فأما الأمر الأول - وهو التعريف بزعيمها - فنجد أن المؤلف يبيّن ذلك ويقول بأن الجهمية: "هم أتباع جهم بن صفوان"[١]. وكأنه بهذا يريد الإشارة إلى الرجل الأول في الجهمية من حيث إظهارها وقيامها لذلك نسبت إليه، ثم يشير بعد ذلك إلى بعض آرائه التي ذهب إليها، لكنه اقتصر على أبرزها دون الدخول إلى تفاصيلها[٢].

إضافة إلى ذلك نجده يتناول بالبيان شيئاً من ملامح شخصيته. فيعرض لنا بعض المواقف من حياته - والتي ترسم لنا صورة عن شخصيته ومعالمها - فنجده يشير إلى أنه "رافق سريج بن الحارث في وقائعه"[٣]، ثم يقول: "وخرج على نصر بن سيّار[٤]"[٥]، وهذه الإشارة تكتسب أهميتها من كونها تبين إحدى البدع التي وقع فيها الجهم وهي الخروج على السلطان وتعاطي السلاح لقتاله.

---

(١) التبصير في الدين ص ١٠٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٨.

هكذا ذكر المؤلف اسمه، والصواب: الحارث بن سريج في جميع نسخ الكتاب، ولعله التباس حصل للمؤلف، أو تصحيف من أحد النساخ.

(٤) أبو الليث نصر بن سيّار بن رافع الكناني، والي خراسان لبني أمية، خرج عليه أبو مسلم حتى تغلب على خراسان وكان نصر قبل ذلك يحذر بني أمية وينذرهم وهو صاحب الأبيات المشهورة التي مطلعها:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

توفي سنة ١٣١هـ.

ينظر: السير ٥/٤٦٣، البيان والتبيين ١/٢٨، الأعلام ٨/٢٣.

(٥) التبصير في الدين ص ١٠٨.

وفي نهاية تعريفه بالجهم أشار إلى نهايته بالقتل، فذكر إحدى الروايات الواردة في ذلك[١] وهي الرواية المشهورة أن قتله كان على يد "سلم بن أحوز المازني"[٢]، وأن زمن قتله كان في آخر أيام المروانية[٣] - أي في آخر أيام بني أمية - .

- أما الأمر الثاني - وهو التعريف بالفرقة - فإنا نجد المؤلف يقتصر على إشارات مختصرة توضح بعض معالم تلك الفرقة.

فنراه يرشد إلى مكان ظهور هذه البدعة أول ما ظهرت وإلى الأماكن التي يتواجد أتباعها فيها وذلك بقوله: "وأكثر أتباعه اليوم بنواحي ترمذ"[٤].

فقط هذه العبارة هي أبرز وأصرح ما ذُكر في تعريفه للفرقة وإلا فيمكننا أن نتوصل من كلامه، إلى أن هذه الفرقة كان لها نفوذ قوي بخراسان. فقد ذكر المؤلف - كما سبق - أن الجهم خرج مع الحارث بن سريج على نصر بن سيّار، ومعلوم تاريخياً أن نصر بن سيار كان أميراً على خراسان من قبل بني أمية في أواخر عهدهم.

نصل من هذا إلى أن المؤلف لم يول التعريف بالفرقة وزعيمها ذلك الاهتمام فضلاً عن الاهتمام بأصولها وجذورها وتطورها التاريخي ومواقع انتشارها وأماكن نفوذها.

وهنا يمكننا أن نقف مع المؤلف هذه الوقفات:

١ - هناك أمر بالغ الأهمية فيما يتعلق بنشأة الجهمية وقد كان محط عناية واهتمام من قبل كثير ممن تناول الجهمية بالحديث. ألا وهو: بيان أصل مقالتها وجذورها وأول من ابتدع مقالاتها وأشعل فتيل نارها.

---

(١) ومنها: أن رجلاً طعنه في فمه فقتله وذلك في المعركة بين جيش أمير خراسان وجيش الحارث بن سريج، وكان جهم في جيش الحارث.

ينظر تفاصيل مقتله في: البداية والنهاية ١٠/٢٦.

(٢) سلم بن أحوز، أمير الشرطة في خلافة مروان بن محمد، أسر الجهم بن صفوان وأمر بقتله فقتل، توفي سنة ١٢٨هـ.

ينظر: البداية والنهاية ١٠/٢٦ - ٢٧.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٨.

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يعد من أبرز فرسان هذا الميدان ، حيث كان من أكثر الناس معرفة بمثل هذه الأمور ، فقد اطلع على كتب المتقدمين من السلف في الرد عليهم[1] ، ورأى - بحكم تأخره - تطور تلك الفرقة ، وما كان لها من آثار مريرة على الأمة ، لذا نجده يذكر لنا أصل مقالة التعطيل ويبين أنها ترجع في نهايتها إلى اليهود والصابئة والفلاسفة والمشركين فيقول : "أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلاّل الصابئين"[2].

ثم يزيد ذلك بياناً فيشير إلى الذي أخذ التعطيل من أولئك ونقله إلى الإسلام فيقول : "فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة ، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه"[3].

- وقد سبق الإشارة إلى ذلك - .

٢ - ومن الأمور المهمة ذات العلاقة بالموضوع :

- قصة مناظرة الجهم للسمنية التي أوردها كثير ممن تناولوا هذه الفرقة بالحديث ، ولعلها هي التي قدحت زناد التعطيل لدى الجهم فجعلته يقول بتلك البدع والضلالات. وتتلخص في أن الجهم لقي أناساً من السمنية وحاجُّوه بأنه لا يرى إلهه ولا يسمعه ولا يشمه ولا يحسه. فتحيَّر جهم ولم يدر من يعبد أربعين يوماً

---

(١) يدل على ذلك إيراده لكثير من كتب السلف في الرد على الجهمية. وقد أشار إلى ما تميز به بعضها ، وحدد أبرز جوانب القوة في البعض الآخر ، تماماً كما فعل مع كتاب الدارمي.

ينظر: الفتوى الحموية الكبرى ص ٢٥٨ - ٢٥٩. وللاطلاع على أبرز تلك الكتب ومؤلفيها ينظر: الإبانة لابن بطة بتحقيق الوابل ١/١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٠.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٢٠.

وينظر كذلك: سرح العيون لابن نباتة ص ١٨٦ ، والخطط للمقريزي ٤/١٨٤.

ترك الصلاة فيها ، ثم حاجهم بالروح. وبناءً على ذلك أنكر الأسماء والصفات لله - سبحانه وتعالى -[١].

- كذلك نجد شيخ الإسلام - ابن تيمية - يشير إلى ذلك التطور الذي حدث في صفوف الجهمية بقوله : "ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية ، بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته"[٢].

كما أشار - رحمه الله - إلى تأثير الجهمية على من جاء بعدهم[٣].

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١٠٢ - ١٠٤. وقد أشار إليها أيضاً غيره ينظر:
- التنبيه والرد ص ١١٣.
- مجموع الفتاوى ٤/٢١٧، ٤/٢٢، ١٢/٣٥١.
- عقائد السلف ص ٦٥ - ٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٢.

(٣) ينظر ذلك في: مجموع الفتاوى ٥/٢٣.

المطلب الثاني

منهجه في عرض آراء الجهمية

لقد جاء حديث المؤلف عن الجهمية مقتضباً إلى حد كبير جداً إلا أنه - ومع ذلك الاقتضاب - استطاع أن يحدد أبرز الأطر التي ترسم معالم هذه الفرقة ومالها من آراء.

وكان حديثه عنها منصبّاً على آرائها حيث حظيت بالنصيب الوافر من حديثه، على العكس تماماً من حديثه عن تعريف الفرقة.

لقد أشار إلى أبرز وأهم آرائها حيث أورد قولهم بالجبر ومجمل آرائهم في صفات الله وقولهم بأن علم الله حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وأن كلامه حادث، ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه، وكذلك قولهم بفناء الجنة والنار، ولم يغفل أمراً مهماً غفل عنه بعض من صنف في هذا الفن[1] ألا وهو: ميلهم إلى الخروج على السلطان وتعاطي السلاح[2].

ولا غرو في أن هذه الآراء تشكل غالبية الآراء التي تميزت بها الجهمية واشتهرت عنها.

إلا أن هناك - بالإضافة إلى ما ذكر المؤلف - آراءً ومقولات كانت من صميم اعتقادات الجهمية لا تقل أهمية عن التي ذكرها المؤلف، وإذا أمكننا أن نغض الطرف عن بعضها فلا يمكننا أبداً أن نغض الطرف عن قولها "بالإرجاء" الذي يعد ثالثة الأثافي بالنسبة لهم، إلى جانب قولهم بالجبر ونفي الأسماء والصفات.

---

(١) فالملطي رغم إطالته في عرض ومناقشة آراء الجهم والجهمية لم يشر إلى ذلك كما في كتابه التنبيه والرد ص ١١٠ - ١٥٤. وانظر كذلك: الملل والنحل ٨٦/١ - ٨٨، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٩ - ٩٠.

وفي المقابل نجد أن هناك من تنبه لهذا الأمر وصرح به كالبغدادي حيث يقول: (وكان جهم - مع ضلالاته التي ذكرناها - يحمل السلاح ويقاتل السلطان) الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

والبعض أومأ إلى ذلك إيماءً كالأشعري إذ يقول: "وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٧ - ١٠٨.

فالإرجاء من سمات الجهمية البارزة وهو وصمة عار في جبينها ، يندر أن تجد من تحدث عنها فأهمله. ليس لكون "الإرجاء" من أبرز أقوالها فحسب ، بل لكونها أيضاً أشد طوائف المرجئة إرجاءً ،

فقد جعل الجهمية الإيمان مجرد المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل به[1] ؛ لذا يعد إغفال هذا الأمر وإهماله معيباً[2] بلا شك ، خصوصاً أن شيخه البغدادي - الذي اقتفى المؤلف أثره إلى حد بعيد وحذا حذوه - أشار إلى هذا الأمر ولم يهمله في كتابيه المشهورين في هذا الفن[3]. وقد يلتمس له العذر في صنيعه هذا بأنه سبق وأن أشار إليه عند ذكره لأصناف المرجئة حيث عدَّ منهم صنفاً أو فريقاً وافق الجهمية في القول بالجبر[4]، لكنه - مع ذلك - لم يشر إلى إرجائهم.

كما أنه بالنظر في عرض المؤلف لآراء هذه الفرقة نجد أنه قد أولى بعض الآراء عناية خاصة وأطال في تفصيلاتها وفي الرد عليها بردود مختلفة ومتنوعة كما فعل في حديثه عن قولهم "بالجبر" ، ولعل اهتمامه بهذا نابع من كون قولهم بالجبر هو ذروة السنام بين أقوالها ، أو لأن ذلك مما انفردوا به ولم يشركهم فيه غيرهم.

وبالمقارنة نجد أن كلامه عن هذا الأمر يعادل تقريباً نصف الحديث عنهم أو أكثر ، فقد فصل في عرض رأيهم في الجبر، ثم رد عليهم في ذلك بعدة ردود نوَّع فيها ، حيث ذكر رداً عقلياً ثم أردف بذكر رد نقلي مُسْتَمَد من القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[5]. وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين، الفصل ٣/٢٢٧، الملل والنحل ١/٨٦، مسائل الإيمان لأبي يعلى ص ١٦١.

(٢) وممن وقع في هذا الملطي في كتابه التنبيه والرد ، فمع أنه أوسع من كتب عنهم ورد عليهم من بين كتاب الفرق لكن مع ذلك لم يشر إلى قولهم في الإيمان.

ينظر: التنبيه والرد ص ١١٠ – ١٥٤.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١١ ، الملل والنحل للبغدادي ص ١٤٥.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ص ٩٧.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[1]. ويبين وجه الاستدلال بها والرد عليهم من خلالها، لكن المؤلف في شرحه وبيانه للمراد بالآية الأولى لم يوفق إلى التفسير الصحيح لها، وهو تفسير السلف لها، بل فسرها على أن المراد بها الكسب - كما هو مذهب الأشاعرة - ومعلوم أن الكسب في حقيقته مرده إلى الجبر أيضاً[2]. وفي المقابل نجد أن بقية آراء الفرقة التي ذكرها لم تحظ بهذا الاهتمام والتفصيل، فقد اكتفى المؤلف بتعدادها والإشارة إليها فقط دون تعقبها بالرد أو النقد.

إلا إنه عندما ذكر قولهم في الصفات ألمح إلى السبب الذي أدى بهم إلى تعطيل الصفات ونفيها وهو كون تلك الصفات تطلق على العبيد[3].

ولعل إشارته لهذا السبب والتنبيه عليه يعود لخطورة مذهبهم في الصفات، وما له من انعكاسات وآثار على غيرهم من الفرق.

كذلك كان من منهج المؤلف في عرض آراء هذه الفرقة أن يدعّم بعض ما يذكر من آرائها بأفعالها أو أفعال زعمائها وهذا بلا شك يعد من أقوى الأدلة.

وقد فعل المؤلف هذا عندما أشار إلى أن الجهم بن صفوان كان يرى الخروج على السلطان وحمل السلاح ضده، ثم أعقب ذلك بذكر مرافقته "للحارث بن سريج" في خروجه على السلطان وحمل السلاح عليه[4].

وتأكيده لهذا الأمر قد يكون نابعاً من أمرين:

١ - عدم اشتهار هذا الأمر عنهم، فقولهم بالتعطيل والجبر والإرجاء وجمعهم بينها هو المشتهر عنهم بحيث لا يوجد من يجهل ذلك - تقريباً -، لذا نرى غالب

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) ولعرض هذه القضية وبيان الصواب فيها ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ٣/١٣٣٠ - ١٣٤٨، بحث الكسب عند الأشعرية، د. سالم القرني، مجلة جامعة الإمام، عدد ٣٤، ص ٢١٩.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ١٠٨.

مصنفي كتب الفرق لا يغفلون عنها، أما رأيهم في الخروج على السلطان فقد أهمله بعضهم لاحتمال عدم علمهم به[١].

٢ - احتمال أن يكون قولهم هذا مما أثر في غيرهم من الفرق فأخذوه عنهم، كما هو الحال مع المعتزلة فقد ضمّنوا الأصل الخامس من أصولهم وهو "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" جواز الخروج على الأئمة إذا جاروا[٢].

ولذا أكد عليه المؤلف بذكر الدليل على تطبيقهم له على أرض الواقع. ومعلوم أن الخوارج هم أول من خرج على الأئمة وأصَّلوا هذا الأمر. فمن قال أو عمل به ممن جاء بعدهم يعد متأثراً بهم.

ومما يتعلق بمنهجه في عرض آراء الجهمية في ختام حديثه عنها بيانه لموقف أهل السنة والمعتزلة منهم، حيث حكى اتفاقهم على تكفيرهم، لكنه أشار إلى اختلاف سبب التكفير عند كل منهم.

فـ"أهل السنة يكفرونهم لقولهم بأن علم الله حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وأن كلامه حادث"[٣].

ثم قال بعد ذلك: "وأهل القدر أيضاً يكفرونهم لقولهم بخلق الأفعال"[٤].

هذا أبرز ما يمكن ذكره حول منهج المؤلف في عرضه لآراء الجهمية.

---

(١) ومن أولئك: الملطي في التنبيه والرد ص ١١٠ - ١٥٤، والشهرستاني في الملل والنحل ٨٦/١، والرازي في الاعتقادات ص ٨٩، والسكسكي في البرهان ص ٣٤، واليمني في عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢٧٣/١.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ٧٩٣/٢، المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٢٧٤.

(٣) التبصير في الدين ص ١٠٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٨.

المطلب الثالث

وقفات عند بعض ما ذكره عن الجهمية

ختاماً لهذا المبحث وبعد التأمل في كلام المؤلف عن هذه الفرقة ودراسته يمكننا أن نقف معه الوقفات التالية :

الوقفة الأولى: حديث المؤلف عن الجهمية يعتبر مختصراً بالغ الإيجاز، لا يعدو أن يكون بمثابة إشارات إليها فقط. وهذا – ولا شك – لا يتناسب مع ما لهذه الفرقة من دور مؤثر في فكر وتاريخ الأمة الإسلامية، ولا مع ما لها من تأثير في غيرها من الفرق، حتى عُدّ الجهم رأس مدرسة فكرية كبيرة كان لها أكبر الأثر في التفكير الإسلامي[١]، وزعزعة أركانه ومسلماته العقدية، خاصة وأنه عقد لها باباً مستقلاً.

وهذا مما جعل كلام المؤلف مخلاً ببعض جوانب هذه الفرقة. حيث لم يشر المؤلف لبعض آرائهم المهمة مثل: إنكارهم للأسماء[٢]، إلى جانب إنكارهم للصفات، وأقوالهم الشنيعة في الذات الإلهية، وإنكارهم للرؤية وبعض المغيبات إلى جانب إنكارهم لبعض أمور اليوم الآخر – كما سبق الإشارة إلى ذلك –.

الوقفة الثانيـة: إدراجه للجهمية مع الفرق المنتسبة للإسلام وعدها من الفرق الاثنتين والسبعين يتعارض مع ما نقل من تكفير أهل السنة والمعتزلة لهم، وإذا

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ٢٣٣. وهنا أشير إلى بعض الدراسات المغلوطة التي تناولت شخصية الجهم بن صفوان على أنه من العلماء المتمسكين بالكتاب والسنة، وتصويره بالمجاهد في الدفاع عن تنزيه الله تعالى الواقف في وجه تيارات التجسيم والتشبيه كما فعل: "خالد العسلي" في رسالته: "جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي".

وممن أحسن الظن بالجهم:

- جمال الدين القاسمي في كتابه: "تاريخ الجهمية والمعتزلة" ص ١١ – ١٢.
- د. عبدالحليم محمود في كتابه: "التفكير الفلسفي في الإسلام ١/١٩٥.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض المقارنة بين الجهمية والمعتزلة: "لكن جهماً أشد تعطيلاً؛ لأنه ينفي الأسماء والصفات، والمعتزلة تنفي الصفات"، منهاج السنة ١/٣٤.

أمكننا التغاضي عن الفرق الأخرى التي نقل تكفير خصومهم لهم، فإن الحال مع الجهمية يختلف، حيث اشتد نكير أهل السنة عليهم، ونص جماعة من السلف على تكفيرهم وعدم عدهم من فرق الأمة الثلاث والسبعين، وأقوالهم في هذا الشأن كثيرة جداً منها على سبيل المثال: قول عبدالله بن المبارك[١]: "الجهميّة كفّار"[٢] ومثل هذا اللفظ جاء عن غيره[٣].

وكذلك قال عندما سئل على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: الأصل أربع فرق: الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة. ثم عدَّد فرق هذه الطوائف. فسأله السائل فقال: لم أسمعك تذكر الجهمية؟ فقال: إنما سألتني عن فرق المسلمين[٤].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية كثيراً من أقوالهم وتصريحاتهم الواردة في هذا الشأن[٥]، كما نقل ذلك غيره[٦].

لهذا كان الأحرى بالمؤلف أن يجعل الجهمية ضمن الباب الثالث عشر الذي خصصه للفرق التي تنتسب إلى دين الإسلام ولا تعدّ من زمرة المسلمين وبالتالي لا تكون من جملة الاثنتين والسبعين فرقة[٧]. ولا يدخل في ذلك الحكم على أعيان الجهمية، لأن ذلك لم يؤثر عن السلف[٨].

---

(١) عبدالله بن المبارك بن واضح، الإمام العالم المجاهد الثقة العابد، تفقه على يد سفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك وغيرهم، كان من المجاهدين العالمين والمنفقين، له تصانيف كثيرة وقد أكثر الترحال في طلب العلم والجهاد، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي ١٨١هـ.

ينظر: حلية الأولياء ١٦٢/٨، وفيات الأعيان ٣٢/٣، السير ٣٣٦/٨، شذرات الذهب ٢٩٥/١، تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥.

(٢) ينظر: السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ١٠٩/١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١٠٤/١، نقض عثمان بن سعيد ٥٨٧/١، شرح العقيدة الطحاوية ٧٩٥/٢.

(٤) الإبانة لابن بطة ٣٨٠/١.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٢/٥، ٥٣/٥، ١١٠/٥، ٥٠٧/٧، ٥٢٤/١٢.

(٦) وقد عقد الدارمي في كتابه "الرد على الجهمية" باباً مستقلاً سماه "الاحتجاج في إكفار الجهمية" بين فيه كفرهم وناقش الذين يشككون في كفرهم أو يناقشون فيه كل ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، الرد على الجهمية للدارمي ص ١٩٨، وانظر للاستزادة: الإبانة ٩٩/١ – ١١١، تحقيق د. يوسف الوابل.

(٧) ينظر: التبصير في الدين ص ١٢٣.

(٨) ينظر في ذلك كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٠٧/٧ – ٥٠٨.

المبحث السادس

منهجه في الكلام عن الكرّامية

وفيــه مدخل وأربعة مطالب:

- مدخل.
- المطلب الأول: منهجه في تعريف الكرامية.
- المطلب الثاني: منهجه في ذكر فرق الكرّامية.
- المطلب الثالث: منهجه في عرض آراء الكرامية
- المطلب الرابع: وقفات عند بعض ما ذكره عن الكرّامية.

المبحث السادس

منهجه في الكلام عن الكرامية

● **مدخل:**

الكرامية هم أتباع: أبي عبدالله محمد بن كَرَّام بن عراق بن حزابة بن البراء السجزي السجستاني، لقب بابن كَرَّام، ونسبت إليه فرقة الكرامية[1].

ابتدع ابن كرام بدعاً كان أشهرها إطلاق لفظ "الجسم" على الله - سبحانه وتعالى - حتى أصبحت نسبة ذلك إليه محل إجماع عند أهل العلم[2].

وقبل عرض منهج المؤلف في الحديث عن هذه الفرقة أود الإشارة إلى نقاط مهمة ترتبط بهذه الفرقة وهي على النحو التالي:

أولاً: تعد الكرامية من أشهر الفرق التي رُمِيت بتهمة التجسيم والتشبيه، حتى لا يكاد أحد يذكرها إلا ويشير إلى ما وقعوا فيه من التجسيم والتشبيه، وبالمقابل لا يكاد أحد يتناول التجسيم أو التشبيه من قريب أو بعيد إلا ويتطرق في حديثه إليها، لذا أصبحت الكرامية مع التجسيم والتشبيه - عند مصنفي كتب الفرق - كل منهما صنو للآخر، ولا شك أن هذا يعد من العوامل التي ساهمت في اشتهار الفرق وذيوع صيتها.

---

(١) وقد اختلف في ضبط "كرام" على أقوال يمكن حصر تلك الأقوال في قولين:

أ - تشديد الراء مع فتح الكاف أو كسرها.

ب - تخفيف الراء مع فتح الكاف أو كسرها. والأكثر على فتح الكاف وتشديد الراء.

قيل إنه كان عابداً زاهداً ذائع الصيت كثير الأتباع عامياً لا يقرأ ولا يكتب، بل كان يملي كتبه على أتباعه افتراءً من بنات أفكاره وهم يكتبون عنه ما يسمعون منه.

نشأ بسجستان وطُرِدَ منها وحُبِسَ وخَرَجَ إلى نيسابور فأخرج منها، كل ذلك بسبب بدعته، وقد جاور بمكة خمس سنين، ثم أقام بعد ذلك ببيت المقدس، ثم نفي إلى زعر من بلاد الشام، وبها توفي سنة ٢٥٥هـ، وقيل غير ذلك.

ينظر: لسان الميزان ٣٥٤/٥ - ٣٥٥، طبقات السبكي ٣٠٥/٢، الأعلام ١٤/٧، الوافي بالوفيات ٣٧٥/٤، التجسيم عند المسلمين ص ٥٠ وما بعدها.

(٢) ينظر في ترجمته إضافة إلى ما سبق ذكره:

- البداية والنهاية ٢٣/٦، الكامل في التاريخ ٢١٣/٦، ميزان الاعتدال ٢٢/٤، الأنساب للسمعاني ٣٧٥/١٠.

وبعض المحققين يرى أن ابن كَرَّام وفرقته يعدون من متكلمي أهل الإثبات[١]، ويصنفهم - مع الكُلابية والأشاعرة - من متكلمة الصفاتية[٢]، إلا إن الكرامية بالغوا في الإثبات إلى حد التشبيه والتجسيم[٣].

وهذه المبالغة قد يكون الباعث لها ما ذهب إليه الجهمية - من لدن الجعد بن درهم ومروراً بالجهم ثم ببشر المريسي إلى المعتزلة - من القول بنفي الصفات الإلهية، فقام ابن كَرَّام من بعد للرد عليه وغالى في إثبات الصفات حتى أدى به ذلك إلى التجسيم كما أدى بمقاتل بن سليمان من قبل[٤].

فميلهم إلى التجسيم يمكن أن يكون ردة فعل لتيارات نفي الصفات وعلى رأسها الجهمية.

ومما أكسب الكرامية أيضاً تلك الشهرة قولهم في الإيمان، ومكمن الشهرة نابع من تفردها بقول لم تُسبق إليه، حيث جعلوا الإيمان مجرد القول باللسان فقط[٥]!

ثانياً: أن الكرامية وزعيمها - ابن كرّام - نالهم من الافتراء والجور الشيء الكثير، حيث عمد بعض من مؤلفي كتب الفرق وغيرهم إلى تشويه صورتهم والطعن فيهم وكيل التهم لهم "وإيراد أدلتهم في صورة عكسية أو إيراد الإلزامات عليهم وكأنها آراؤهم"[٦]، بل وعدّوا من بدعهم ما هو في حقيقته قول أهل السنة الموافق للحق.

ووقوع هذا اللبس والخلط حول الكرامية من قِبَل خصومها يعود - ولا شك - لعدة أسباب يتسنم ذروتها: كون هذه الفرقة من الفرق التي لم يصل إلينا شيء من

---

(١) ينظر: درء التعارض ١/١٥٤، مجموع الفتاوى ٦/٥١.

(٢) ينظر: منهاج السنة ١/٢٧٠، درء التعارض ٤/٣١، مجموع الفتاوى ٦/٥١.

(٣) ينظر: درء التعارض ١/٣٠٦.

(٤) التجسيم عند المسلمين ص ١٥ بتصرف يسير.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٧/٢١٩، ٧/٤٤٥، ٧/٥٥٠، لوامع الأنوار ١/٤٢١.

(٦) التجسيم عند المسلمين ص ٦٥، وسيأتي ذكر أمثلة لذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

كتبها ليكون عمدة ومرجعاً في بيان وعرض آرائها[١]. وشيخ الإسلام - ابن تيمية - أشار إلى أمثلة من هذا النوع ومنها:

عند حديثه عن قولهم في الإيمان حيث قال: "وبعض الناس يحكي عنهم أنهم يقولون: من تكلم بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، بل يقولون: إنه مؤمن كامل الإيمان وأنه من أهل النار"[٢].

ويقول أيضاً: "وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين من أهل الجنة وهو غلط عليهم"[٣].

ومما يذكر في هذا الصدد أن كثيراً من أصحاب كتب الفرق يصفونهم بالتشبيه ويسمونهم بالمشبهة، مع أن "الكرامية تنفي تشبيه صفات الله بصفات خلقه"[٤].

لهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بحق أفضل من تكلم عنهم؛ لما تميز به من علم واسع بأهل الملل والنحل وأرباب المقالات مع أمانته في النقل، وإنصافه في الحكم[٥]، فنجده مع الكرامية يَعْرِضُ آراءها ويلتزم مسلك الحياد والمنهج العلمي فينصفهم فيما نقل عنهم، وسار على منهجه هذا تلميذه ابن القيم[٦].

والباحث لا ينبغي له أن يعتمد كلياً على ما كتبه خصوم الفرقة عنها ومن ذلك الكرامية.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن الذين تجنوا وتحاملوا على الكرامية ما كانوا موافقين للسلف تماماً في الصفات وبعض المسائل الأخرى، وأما الذين أنصفوهم - كمن ذكرنا سابقاً - فهم من أتباع السلف المقتفين لآثارهم.

---

(١) ينظر: رسالة موقف ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات لعبدالقادر محمد عبدالله ص ٣٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٥٦/١٣.

(٣) المرجع السابق ٢١٦/٧.

(٤) رسالة التشبيه والتمثيل في الصفات للمري ص ٢٥٧.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٢٥٢.

(٦) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة ٦٤٧/٢، وانظر أيضاً: معارج القبول ٣٧٨/١.

المطلب الأول
منهجه في تعريف الكرَّامية

التعريف بالكرامية كفرقة كلامية كان لها استقلالها ورجالها وآراؤها وتطوراتها، وكفرقة ذات وجود سياسي واجتماعي قوي في حقبة زمنية حرجة وطويلة؛ لم تكن محط عناية واهتمام من قبل المؤلف، فلم يحظ هذا الجانب بتلك العناية المطلوبة، بل إن تناوله لهذا الجانب كان يسيراً يمكن حصره فيما يلي:

- أولاً: **التعريف بمؤسسها وزعيمها:**

وذلك بذكر اسمه، وموطنه، وشيء من صفاته، بالإضافة إلى زمن ظهوره، وأشهر الكتب التي تنسب إليه، والتي عدها أتباعه دستوراً لهذه الفرقة.

هذه هي أبرز الأمور التي أشار إليها المؤلف فيما يتعلق بالتعريف بالمؤسس، فقد ذكر أن اسمه: محمد بن كَرَّام، وأنه كان من سجستان[١]، ويتصف بالعبادة والزهد، ولكنَّ اتصافه بها ظاهري فقط فهو يبطن النفاق من أجل خداع الناس ودعوتهم إلى خرافاته وبدعه وضلالاته، كما بيَّن زمن خروجه وإظهاره لدعوته[٢].

كما أشار إلى أشهر كتبه وهو "عذاب القبر" الذي كان عمدة للكرامية في مذهبهم، وكذلك عمدة لمن كتب عنهم من خصومهم. فهذا الكتاب بعد أن أشار إليه البغدادي[٣] ورجع إليه في بيان آراء هذه الفرقة ونقلَ بعضاً مما جاء فيه تبعه بعض من جاءوا بعده وعلى رأسهم المؤلف[٤]، ولم أجد مَنْ أشار إليه قبل البغدادي.

ومن خلال تعريف المؤلف - الموجز - بابن كَرَّام - فإننا نلمح لغة التحامل فيه، ونشم منه رائحة العداوة والخصومة، وهذا مما يُبْعِد منهج المؤلف في حديثه عن

---

(١) سجستان: ناحية كبيرة، وولاية واسعة، بينها وبين هراة ثمانون فرسخاً، ينظر: معجم البلدان ٤١/٣.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١١١.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، الملل والنحل للبغدادي ص ١٤٩.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ص ١١٢، ١١٤، وينظر: الملل والنحل ١٠٨/١.

الكرامية عن المنهج العلمي المنْصِف والملتزم بالحياد! والذي يظهر من ترجمته - والله أعلم - أنه كان حقاً يوصف بالزهد والعبادة، قال عنه الذهبي: "كان زاهداً عابداً"[١].

- ثانياً: التعريف بالفرقة:

وذلك من خلال ما يأتي:

أ - الإشارة إلى مواطنها وأماكن انتشارها ومواقع نفوذها التي وجد فيها أتباعها، وغالب ما ذكره المؤلف في هذا السياق من بلاد المشرق - بلاد العجم - [٢].

وهذا يوحي بأن أتباعها غالبيتهم من العجم لوجود هذا المذهب في أراضيهم؛ ولكن الصواب أن لها مواطنَ أخرى لم يشر إليها المؤلف موجودة في بلاد العرب ومنها "بيت المقدس"، فقد أشار غير واحد ممن تحدثوا عن الكرامية إلى وجود نفوذ كبير لهذه الفرق في بعض بلاد الشام[٣]، ومنها "بيت المقدس"، وأن ابن كَرَّام لما توفي كان أصحابه "ببيت المقدس" نحو "عشرين ألفاً"[٤].

ويحتمل أن يكون أولئك الأتباع ممن لحق به عندما خرج، حيث روى عنه أنه "لما خرج من نيسابور خرج معه ثمانمائة كتيبة من جل الناس (غير التبع)"[٥].

ب - ذكر بعض أعلام الفرقة المشهورين، والذين كان لهم دور في استمرار وجود الفرقة؛ ولكن مع وجود أعلام مشهورين لهذه الفرقة إلا أن المؤلف يكتفي

---

(١) ذكر ذلك عنه الذهبي في السير ٥٢٣/١١، وينظر: مراجع ترجمته الأخرى.

(٢) ومن البلاد التي ذكرها المؤلف: سجستان، غرجستان، شومين، وافشين، ونيسابور.
ينظر: التبصير في الدين ص ١١١.

(٣) الشام: وفي لغة: الشأم بالهمز، يقال أنها سميت بذلك نسبة إلى سام بن نوح لأنه أول من نزلها فقلبت السين شيناً، وحدودها قديماً من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم، وتمثل الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وجزء من تركيا وجزء من العراق وجزء من مصر وجزء من شمال الجزيرة العربية، كان الغالبية من أهلها قبل الفتوحات الإسلامية على النصرانية.
ينظر: صورة الأرض لابن حوقل ص ١٥٣، معجم البلدان ٣١١/٣ - ٣١٥، مراصد الاطلاع ٧٧٥/٢ - ٧٧٦.

(٤) ينظر: التجسيم عند المسلمين ص ٦١، ٦٢.

(٥) البرهان للسكسكي ص ٣٥، ٣٦.

بالإشارة إلى أحدهم وهو: "إبراهيم بن مهاجر"[١] زعيم فرقة المهاجرية من فرق الكرامية، وأورد المؤلف بعض أقواله وآراءه.

وهنا ينبغي أن يعلم أن المؤلف عندما قصر حديثه على "ابن مهاجر" فإنه بذلك قد أهمل الحديث عن بعض رجالها الأكثر شهرة والأبلغ أثراً، بل كان من ضمن أولئك أحد الذين ساهموا مساهمة كبيرة في بلورة وإعادة النظر في أقوالها وتعديل صياغة آرائها وهو: "ابن الهيصم"[٢] الذي كان "شيخ الكرامية وعالمهم في وقته، وهو الذي ناظره ابن فورك[٣] بحضرة السلطان محمود بن سبكتكين، وليس للكرامية مثله في الكلام والنظر"[٤].

وقبل ختم الحديث عن هذا الموضوع أشير إلى أن المؤلف أهمل أمراً بالغ الأهمية يتعلق بتعريف الفرقة ويندرج تحته وهو "مرحلة التطور والتغيير والتجديد" التي حدثت في صفوفها، والذي مارسه بعض رجالاتها.

---

(١) إبراهيم بن مهاجر إليه تنسب فرقة المهاجرية الكرامية، عاش في نيسابور ونشأ بها، وذلك في القرن الرابع الهجري، وكانت له مناظرات مع البغدادي، من آرائه: أن الله عرضه بعرض العرش، لا يفضل منه شيء، وأن أسماء الله أعراض حالة في جسم، وأن الزاني عرض في الجسم الذي يضاف إليه الزنا".
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٤ – ٢٢٥، التبصير في الدين ص ١٠٤، التجسيم عند المسلمين ص ٩٣ – ٩٤.

(٢) ابن الهيصم: محمد بن الهيصم أبو عبدالله من رؤوس الكرامية، زعيم فرقة الهيصمية وشيخهم وعالمهم في وقته، أخذ عن محمد بن جعفر، وأخذ هو عن المازني، وقيل إنه قرأ بالبصرة على أبي حسين الأجدب، وهو معتزلي من أصحاب أبي القاسم، كان يقول بتكافؤ الأدلة، قال الصفدي: "ليس في الكرامية مثله في الكلام والمناظرة" عاش في القرن الخامس، وقد دارت بينه وبين ابن فروك مناظرات، وكذلك بينه وبين أبي إسحاق الإسفراييني.
ينظر: الملل والنحل ٨٨٨/١، نهاية الإقدام ص ١٠٥، ١١٢، ١١٤٢، الوافي بالوفيات ١٧٥/٥، تاريخ ابن خلدون ٢٣٠/٣، التجسيم عند المسلمين ص ٨٧ – ٩٣.

(٣) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، الإمام المتكلم، من فقهاء الشافعية وأعظم عالم بأصول الدين والكلام على طريقة الأشاعرة، كان ذا زهد وعبادة، وتوسع في الأدب والكلام والوعظ والنحو، يقال أنه مات، ويقال: قتله محمود بن سبكتكين سنة ٤٠٦هـ.
ينظر: العبر ٢١٣/٢، شذرات الذهب ١٨١/٣، وفيات الأعيان ٤٠٢/٣، السير ٢١٤/١٧ – ٢١٦.

(٤) الوافي بالوفيات ١٧٥/٥.

وقد كان من أبرز ذلك ما قام به "ابن الهيصم" حيث سعى لترميم المذهب ورأب صدعه بتقريبه من الصحة والحق ؛ ليكون أدعى للقبول عند الناس وبذل في سبيل ذلك عدة محاولات - هي في نظر بعض الباحثين - التي "جعلته يقترب إلى حد ما من أهل السنة والجماعة ، لأنها كانت محاولات جدية للإصلاح ، حتى سمي "مقارباً" وأطلق على فرقته "المقاربة" لأنها أقرب فرق الكرامية إلى أهل السنة والجماعة"[١]. وقد كان دافعه إلى هذا التجديد أنه "وجد الجميع يتهمون ابن كَرَّام بالابتداع والتجسيم من جراء استخدامه للمصطلحات الفلسفية في التعبير عن آرائه اللاهوتية"[٢].

وقد أشار الشهرستاني وغيره إلى هذا الأمر ولم يهمله ، حيث يقول : "وقد اجتهد ابن الهيصم في إرمام مقالة أبي عبدالله - أي ابن كَرَّام - في كل مسألة حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيما بين العقلاء ، مثل التجسيم فإنه قال : أراد بالجسم : القائم بالذات..."[٣].

كما نقل عنه ما يفيد التبرؤ من التشبيه والتجسيم ، ومن ذلك : "وزعم ابن الهيصم أن الذي أطلقه المشبهة على الله - عز وجل - من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة ونحو ذلك لا يشبه سائر ما أطلقه الكرامية من : أنه خلق آدم بيده ، وأنه استوى على عرشه ، وأنه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق ، وذلك أنا لا نعتقد من ذلك شيئاً على معنى فاسد... وإنما ذهبنا في ذلك إلى إطلاق ما أطلقه القرآن فقط من غير تكييف ولا تشبيه ، وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه كما أطلقه سائر المشبهة والمجسمة"[٤].

---

(١) التجسيم عند المسلمين ص ٩٠.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩.

(٣) الملل والنحل ١٢٢/١.

(٤) المرجع السابق ١١٢/١ ، وينظر كذلك: نهاية الأقدام ص ١٢٢/١ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٨، الوافي بالوفيات ١٧٥/٥ ، وذكر شيخ الإسلام له بعض الآراء التي يوافق فيها منهج السلف في القرآن والإرادة والخلق والمخلوق وغير ذلك اعتماداً على كتابه "جمل الكلام".

ينظر: درء التعارض ٤٧/٢ - ٤٩.

وهذا كما يظهر صحيح، وتسميته مقارباً وفرقة "المقاربة" له حظ من الصحة بناءً على ما سبق.

ولعل العصر الذي عاش فيه "ابن الهيصم" - القرن الخامس - كان أحد العوامل التي ضغطت عليه وجعلته يجتهد في إصلاحاته تلك.

فقد اجتمع في عصره أعلام كبار لكل فرقة من الفرق التي تزامن وجودها مع وجود الكرامية، وكذلك وجد عدد كبير من رؤوس الطوائف والنحل الذين كان لهم كبير الأثر في فرقهم، فالأشاعرة مثلاً اجتمع من أعلامهم المشهورين وكبارهم في هذا القرن ما لم يجتمع في زمن آخر، وكذلك الحال مع بقية الفرق[1].

(١) ينظر إلى ذلك بشيء من التفصيل في الحديث عن الحالة العلمية لعصر المؤلف حيث سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك.

المطلب الثاني

منهجه في ذكر فرق الكرامية

بعد موت "محمد بن كرام" انقسمت الفرقة واختلفت كما هو حال غيرها من الفرق والمذاهب، فأصبحت عدة فرق(١).

والحديث عن فرق الكرامية من الموضوعات التي كانت محل تنازع واختلاف بين من تكلم عنها، سواء في كتب المقالات والفرق أو في غيرها.

ولم يعرف هذا الموضوع قدماً للاستقرار، حتى لا تكاد تظفر باتفاق في أمر من أمورها بين من تناولها بالحديث.

كما أن الاختلاف حول هذا الباب ليس في تعدادها فحسب بل أيضاً في أسمائها، فضلاً عن الاختلاف في أقوالها وآرائها. والسبب في ذلك كله يمكن عزوه إلى "الفرق ذاتها، حيث لم تكن فرقاً مستقلة بكيانها متميزة بآرائها، وإنما هي فرق صغيرة لم يكن الخلاف بينها شديداً، وإنما في مسائل يسيرة لا أثر لها على المذهب ولذا لم تتميز بعضها عن بعض"(٢).

وبتصفح سريع لكتب الفرق والمقالات يدرك القارئ ذلك الاختلاف بينهم في تعدادها وأسمائها(٣).

---

(١) والتنقل وعدم الاستقرار على رأي، سمة من سمات من ابتعد عن منهج السلف وأصبح من أهل الأهواء.

ينظر: مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع، للعقل، ص ٩٠.

(٢) منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٤٥.

(٣) فمن جعلها ثلاث فرق:

البغدادي والإسفراييني: الإسحاقية، والحقائقية، والطرائقية.

وكذلك المقدسي: الصواكية، والمعية، والذمية.

والرازي جعلها ست فرق: الإسحاقية، الطرائقية، الحماقية، العابدية اليونانية، السورمية، الهيصمية.

والشهرستاني ذكر أنهم اثنتا عشرة فرقة وأصولهم ستة هي: العابدية، والتونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، والهيصمية. إلى غير ذلك من الأقوال المبثوثة في ثنايا كتب الفرق.

ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٥، والملل والنحل للبغدادي ص ١٤٩، التبصير في الدين ص ١١١، الملل والنحل ١٠٨/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٨، البدء والتاريخ ١٤٥/٤، وانظر تفصيلاً لذلك: التجسيم عند المسلمين ص ٧٠ – ٧٥.

وفي "التبصير في الدين" نجد أن المؤلف أحد الذين تطرقوا بالإشارة إلى هذا الأمر؛ بل إن ذلك كان أول أمر ذكره المؤلف في حديثه عن الكرامية حيث قال: "وجملة الكرامية ثلاث فرق"[١]. بهذه العبارة افتتح المؤلف كلامه عنها، واقتصر على هذه الفرق الثلاث فقط، دون الخوض في تفاصيل كل فرقة منها.

ويلحظ أن حديثه عنها كان ضمن حديثه عن الفرقة دون أن يفردها بكلام مستقل كما فعل مع بعض الفرق الأخرى التي كان يتكلم عن كل فرقة على حدة ويبين أقوالها وآراءها وما تفردت به عن غيرها.

نستنتج من هذا أن المؤلف لم يول هذا الأمر كبير اهتمام، ولعل هذا راجع لعدم وضوح هذا الأمر لديه، أو لعدم أهميته أو لكثرة الخلاف فيه فكأنه آثر عدم الخوض فيه.

وعقب تقسيمه السابق لهذه الفرقة نجده يعود فيقرر أنهم مع ذلك يعدون فرقة واحدة، معللاً ذلك بكون كل واحدة منها لا تكفر الأخرى فيقول في ذلك:

"ويعد جميعهم فريقاً واحداً إذ لا يكفر بعضها بعضاً"[٢].

هنا نلحظ أن المؤلف قد تابع البغدادي في تعداد فرقهم وعدها فريقاً واحداً وتعليل ذلك بعدم تكفير بعضهم لبعض، حيث كان كلامه نحواً مما ذكره البغدادي، إذ يقول: "وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضهم بعضاً وإن أكفرها سائر الفرق فلهذا عددناها فرقة واحدة"[٣].

وتعليلهم السابق أقرب إلى الصواب والحق مما علل به بعض مصنفي كتب الفرق وبعض الباحثين حيث ذهبوا إلى أن السبب في جعلهم فرقة واحدة هو كون آرائهم وأقوالهم "لم تصدر عن علماء معتبرين، بل عن سفهاء أغتام جاهلين"[٤].

---

(١) والفرق هي: "حقائقية، وطرائقية، وإسحاقية"، ينظر: التبصير في الدين ص ١١١.

(٢) التبصير في الدين ص ١١١.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢١٥، وينظر: الملل والنحل للبغدادي ص ١٤٩.

(٤) ينظر: الملل والنحل ١٠٨/١، الفرق الإسلامية للكرماني ص ٩٤، رسالة الغلو والفرق الغالية للصالحي ٢٥٦/١.

ولا غرو في أن هذا التبرير فيه من القسوة والإجحاف ما يبعده عن العدل والإنصاف.

وإذا ما قارنّا بين ما سطره المؤلف حول هذه الجزئية وما سطره غيره من مصنفي كتب الفرق فستتجلى وتتضح لنا بعض جوانب القصور عند المؤلف.

ويمكن تحديد أبرز جوانب ذلك القصور فيما يلي:

١ - عدم استيفائه للحديث عن فرق الكرامية فقد أغفل المؤلف ذكر بعضها، وكان ضمن تلك الفرق "الهيصمية" التي تعد أشهر فرقها على الإطلاق، والتي كان لها دور بارز في تشكيل هيكلة جديدة للفرقة، ورسم معالم أكثر قبولاً لدى الناس بعد موت المؤسس وهو ما سبق أن أشرنا إليه بتقريب المذهب والابتعاد به عما ينفر الناس منه، مما حدا بأحد الباحثين إلى أن يقول: "والحق أن كلاً من البغدادي والإسفراييني نسيا ذكر فرقة من أهم فرق الكرامية ألا وهي "الهيصمية" أتباع محمد بن الهيصم"[1].

كذلك المؤلف مع ذكره لابن مهاجر وتفصيل الحديث حول آرائه لم يذكر فرقته التي أنشأها والتي تنسب إليه وهي "المهاجرية"، لذا يعد إهماله لهاتين الفرقتين - تحديداً - عيباً ينتقد عليه المؤلف.

٢ - لم يكن في حديث المؤلف عن الكرامية تميز في نسبة الأقوال إلى الفرق، فغالب ما يذكره المؤلف من أقوال يعرضه على أنه قول لجميع الفرقة قالت به جميع فرقها. فنجد من عبارته في نسبة الأقوال والآراء ما يلي:

"ومما ابتدعوه من الضلالات"، "ومما أحدثوه من البدع"، "ومن خرافاتهم"، "ومن حماقاتهم مع ما حكيناه من جهالاتهم في الفروع والأصول"[2].

بهذه العبارات كان المؤلف يصدر حديثه عن آراء الفرقة. ومعلوم ولا شك أن هناك فروقاً تتفاوت بين آراء فرق الكرامية وإلا لم تفترق.

---

(١) التجسيم عند المسلمين ص ٧١.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١١٢ - ١١٦.

ومع ما بينها من التقارب في تلك الآراء كما عرف عنها إلا أن "لكل فرقة رأي، وقد يختلفون"[١].

فنسبة كل رأي أو قول إلى مجموع الفرقة كلها أمر لا ينضبط علاوة على ما فيه من البعد عن الدقة والتحري.

وهنا أشير إلى أنه يُسْتثنى من ذلك حديث المؤلف عن بعض المسائل - كما سيأتي - وكذلك بعض الفرق كالمهاجرية وذلك عند حكايته ونقله لأقوال "إبراهيم بن مهاجر".

(١) موسوعة الفرق والجماعات للحفني ص ٣٢٧.

المطلب الثالث

منهجه في عرض آراء الكرامية

لقد أولَى المؤلف الكرامية بشكل عام، وآراءها بشكل خاص اهتماماً ملحوظاً، حتى إن بعض الفرق الكبار والتي تعد أصولاً لم تحظ بذلك الاهتمام.

وحديثه عنها جاء متوسطاً - من حيث الكم - إذا ما قورن بالفرق الأخرى، كما يعد طويلاً وموسعاً إذا ما قورن بما كتبه غيره من مصنفي كتب الفرق - عدا البغدادي - الذين لا تعدو أن تكون كتاباتهم عنها سوى لمحة موجزة في بضعة أسطر، علاوة على أن حديثهم عنها يكون ضمن فرقة أخرى، فيعدُّونها فرعاً من فروع المرجئة[١] أو المشبهة[٢].

وهنا أنبه إلى أن جعلها ضمن فرق المرجئة أصح وأقرب إلى الصواب من جعلها ضمن فرق المشبهة ؛ لأن قولهم في الإيمان مشهور[٣] استفاضت شهرته، وهو نوع من أنواع الإرجاء، لذا لا يكاد أحد يتكلم عن الإرجاء إلا ويَعدُّ الكرامية من طوائف المرجئة[٤].

أما عدهم من المشبهة فليس بدقيق تماماً، والمتكلمون هم الذين أطلقوا عليهم مشبهة ؛ لأنهم يسمون المثبتين للجسم مشبهة، كما يسمي نفاة الصفات مثبتيها مشبهة ومجسمة[٥].

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ٢٢٣/١، التنبيه والرد ص ١٦٤، الفصل ٧٤/٥، البرهان ص ٣٥، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢٧٥/١.

(٢) ينظر: الفرق وأصناف الكفرة ص ٣٠١، لوامع الأنوار ٩١/١، خبيئة الأكوان ص ٢٤، كشاف اصطلاحات الفنون ٣٦/٤.

(٣) سبق الإشارة إليه في تمهيد هذا المبحث.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ١٩٥/٧، الإيمان لابن تيمية ص ١٣٥، الأصفهانية ص ١٤٣، وكذلك: نواقض الإيمان الاعتقادية ١٧١/١، وسطية أهل السنة ص ٣٣٦، بل عدهم ابن حزم من غلاة المرجئة، الفصل ٢٠٤/٤، التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان ص ٣٦، ٣٧.

(٥) ينظر: درء التعارض ١٤٨/٤.

كما أن هناك تصريحات لأشهر نظارهم بأنهم ينفون التشبيه والتمثيل[١]، "إذا تبين هذا فالكرامية يقال لهم مجسمة لإثباتهم الجسم، ولا يقال لهم مشبهة لأنهم لم يفسروه بالتشبيه الممتنع على الله"[٢].

أما إفرادها بحديث مستقل فلم يكن ذلك إلا عند البغدادي والمؤلف وكذلك تبعهما الرازي[٣].

وما كتبه البغدادي ومن بعده المؤلف يعتبر - في حدود علمي - أوسع الدراسات عن هذه الفرقة بين كتب الفرق؛ لذا يعد ما كتباه مرجعاً لكل من رام الحديث عن الكرامية ممن جاء بعدهما.

ولعل مما يعزز ذلك ويشد من أزره وجود التقارب الزماني بين كل منهما، ومعاصرة كل منهما لعدد من رجالها كما شهدا عصر الكرامية الذهبي - كما يحلو للبعض أن يسميه - الذي ابتدأ من القرن الرابع الهجري[٤].

يؤكد ذلك ما حكاه البغدادي من مناظرته لبعضهم وكذلك ما نقله المؤلف من تلك المناظرات[٥].

---

(١) التشبيه والتمثيل في الصفات للمري ص ٢٥٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٠.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٧ - ٨٨، التبصير في الدين ص ١١١ - ١١٧.

(٤) وذلك بسبب نصرة السلطان محمود بن سبكتكين وابنه محمد لهم، فالدعم السياسي ساعد على نصرة مذهبهم وارتفاع شأنهم. ينظر: التجسيم عند المسلمين ص ٧٥.

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٩، ٢٢٤، التبصير في الدين ص ١١٢، والفصل الخامس من رسالة التجسيم عند المسلمين الذي بعنوان: "مناظرات الكرامية مع الفرق الأخرى" ص (١٥٥ - ١٧٢).
وقد وقعت الباحثة في وهم عندما تحدثت عن بعض مناظرات أبي إسحاق الإسفراييني مع ابن الهيصم ذكرت أن وفاة أبي إسحاق كانت عام ٤٧١هـ والصواب ٤١٨هـ وقد وقع اللبس بينه وبين أبي المظفر الإسفراييني الذي توفي عام ٤٧١هـ.
ولأن الباحثة بَنَتْ على هذا التأريخ نتائج خاطئة نبّهتُ إلى ذلك.
ينظر: التجسيم عند المسلمين ص ٨٧. وينظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٤٦.

ولن نكون مبالغين إذا قلنا أن حديث المؤلف عن الكرامية كان منصباً بشكل كلي تقريباً على عرض آرائها وبسط الكلام عنها كما يظهر لمن رجع إلى كلامه عنها. وقد اتسم منهجه في عرض آرائها بعدة سمات أبرزها:

١ - حسن ترتيبه وجودة تنظيمه في عرضه للآراء وتسلسلها بطريقة أفضل مما هي عليه عند الفرق الأخرى، ففي حديثه عن المسائل العقدية نراه يعرض ما يندرج تحت هذا القسم بشكل منتظم، وقد رتبها على النحو التالي:

- ما يتعلق بذات الله وصفاته(١).
- ما يتعلق بالنبوة والرسالة.
- ما يتعلق بالإيمان.
- ما يتعلق بالإمامة.

بعد ذلك أورد المؤلف في نهاية المطاف - بعد عرضه لمجموعة من مسائلهم الاعتقادية - بعضاً من آرائهم الفقهية فيما يتعلق بالصلاة والطهارة والحج والنية وغسل الميت والصلاة عليه(٢).

٢ - لم يكن من منهج المؤلف العناية بذكر مصادره وموارده التي استقى منها كلامه وأحكامه، لكنه هنا ومع الكرامية يعتمد في عرض جملة من آرائها على أحد مصادرهم ومراجعهم المعتمدة عندهم ألا وهو كتاب "عذاب القبر". وهذا جريٌ منه على غير عادته.

وقد أشار إليه مراراً بما يوحي أنه على معرفة به ودراية، يؤكد ذلك إلماحه إلى موقف بعض فرق الكرامية من هذا الكتاب وإصلاحاتهم التي أدخلوها عليه، حيث قال: "فلحق بهم أقوام مسهم شيء من الفضل في باب الأدب فاستحيوا من إظهار

---

(١) ومن المسائل التي عرضها وناقشها تحت هذا العنصر: إطلاق لفظ الجسم والجوهر، الاستواء، حلول الحوادث، كلام الله، بعض ألفاظهم التي أحدثوها.
ينظر: التبصير في الدين ص ١١٢ – ١١٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١١٦.

كتابه الملقب "بعذاب القبر"، فوضعوا كتاباً آخر سموه بهذا الاسم ونسبوه إليه، وهم يظهرونه وأخفوا أصله الذي صنفه"[١].

علماً بأن البغدادي يعد العمدة والمرجع في هذا الأمر حيث اطلع على الكتاب - كما يظهر من كلامه - بل وحدد بدقة مواضع بعض النقول[٢].

فكل من جاء بعد البغدادي اعتمد على ما حكاه عن هذا الكتاب وما جاء فيه، ومن أولئك المؤلف.

٣ - الدقة والتحري في عرضه لبعض المسائل، ومن ذلك أنه في عرضه لأشهر آرائها وهو إطلاق لفظ الجسم والجوهر على ذات الله نجده يفرق بين قول زعيمهم وقول أتباعه فيها فيقول:

"وقد ذكر - أي ابن كَرَّام - في كتاب "عذاب القبر" أن معبوده أحديّ الذات أحديّ الجوهر، وأطلق عليه اسم الجوهر"[٣]. ثم قال بعد ذلك: "وأتباعه يتبرأون من إطلاق اسم الجوهر ويطلقون عليه اسم الجسم"[٤]. وهذا أمر صحيح وفّق المؤلف في عرضه له.

كما أكد ذلك شيخ الإسلام - ابن تيمية - في بيانه بأن بعض الكرامية يقول إن الله ليس بجوهر[٥].

أما إطلاق لفظ "الجسم" على ذات الله - تعالى - فهو أمر مشهور عنهم[٦].

---

(١) التبصير في الدين ص ١٠٤، بتحقيق الكوثري.
ورجعت هنا إليها لوجود تصحيف في طبعة الحوت ص ١١٤.

(٢) كتحديده بأنّ موضع بعض النصوص كان في خطبة الكتاب، وكإيراده لمسميات بعض أبواب الكتاب.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٦/٢١٩، الملل والنحل للبغدادي ص ١٤٩.

(٣) التبصير في الدين ص ١١١ - ١١٢.

(٤) المرجع السابق ص ١١٢.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/٣٠٢.

(٦) ينظر: رسالة موقف ابن تيمية من الكرامية ص ١١٥.

٤ - المناقشة لبعض الآراء والرد على بعضها، وعدم الاكتفاء بمجرد العرض فقط.
ويكاد يكون هذا المنهج شاملاً لجميع المسائل التي أوردها عنهم، وعلى وجه الخصوص آرائهم فيما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته، ومن تلك المسائل: مماسة العرش، وحلول الحوادث، واشتقاق الأسماء من الأفعال، وتفريقهم بين القول والكلام، وقولهم إنّ الإيمان قول مجرد، إلى غير ذلك من المسائل.

وقد تميز عرضه ومناقشته ورده بالإيجاز والاختصار في ثوب من التهكم والاحتقار.

وكما أنّ مناقشته للمسائل المتعلقة بالله أكثر عمقاً وفيها ميل لأسلوب الحوار والمناظرة، يظهر ذلك جلياً واضحاً في عرضه لمسألة "حلول الحوادث"[(١)].

٥ - مما يلحظ على المؤلف هنا أنه مع قسوته وتحامله - كغيره - على هذه الفرقة فإن ذلك لم يصل به كما وصل بغيره إلى تكفير الكرامية وإخراجهم عن دائرة الإسلام، كما فعل مع بعض الفرق الأخرى.

فإذا كان البغدادي قد نقل تكفير سائر الفرق لها[(٢)]، فإننا نجد المؤلف لا يشير إلى هذا الأمر مخالفاً بذلك شيخه مع شدة تأثره به.

وهنا أذكّر بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عنهم حيث أكد في غير ما نص له في كتبه أنّ الكرامية قريبة من أهل السنة وأنّهم أحسن حالاً من غيرهم من الفرق والطوائف، وله في ذلك عدة نصوص[(٣)].

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٥، الملل والنحل للبغدادي ص ١٤٩.

(٣) ومن ذلك قوله في مجموع الفتاوى ٥٥/٦ أن "فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث". وكقوله عنهم في مسألة الإيمان وجعلهم المنافق مؤمناً، لكنه يخلد في النار قال بعد ذلك: "فخالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم" مجموع الفتاوى ١٠٣/٣.
وكقوله عنهم في مسألة إطلاق لفظ الجسم على الله قال بعد ذلك: "وهم أقرب إلى صحيح المنقول وصريح المعقول من الذين أطلقوا لفظ الجسم من الإمامية" منهاج السنة ١٠٣/٢.

المطلب الرابع
وقفات عند بعض ما ذكره عن الكرامية

تلك هي أبرز السمات التي اتسم بها منهج المؤلف في عرضه لآراء الكرامية ؛ ولكن مع هذا فإن كلامه عنها لم يخلُ من بعض الملحوظات التي نعرض لأبرزها في عدد من الوقفات التي يمكن إجمالها فيما يلي :

الوقفة الأولى: عند الاستعراض السريع لما كتبه المؤلف في هذا الشأن يظهر للوهلة الأولى وقوع المؤلف - كبعض أرباب هذا الفن - فريسة للتعصب المذهبي والتحامل الجائر الذي نأى بالمؤلف ونحّاه عن منهج الحيادية والإنصاف وهما من أركان النقد المنهجي العلمي العظيم الأهداف.

لذلك نجد حديثه عنها قد تخللته نبرة التهكم والسخرية عبر أوتار الطعن والتجريح والدعاء على أتباعها. خصوصاً عند عرضه لآرائها. وقد بالغ في ذلك حتى عُدّ من أشد وأعنف مصنفي كتب الفرق على الكرامية[1].

الوقفة الثانية: بالمقارنة بين ما عرضه المؤلف من آرائها وبين ما عرضه غيره من مصنفي كتب الفرق يتضح لمن يقارن أن بعض جوانب هذا الموضوع لم تكتمل ، وأن المؤلف لم يستقص جميع آراء الفرقة ويحصرها مع إمكانية الإلمام بقدر أكبر مما ذكره وذلك عن طريق شيخه - البغدادي - الذي يعد بحق أبرز وأول من جمع آراء هذه الفرقة وفصّل الحديث عنها ، ومع تأثره الكبير بأستاذه إلا أن نبرة التأثر هنا قد خفتت.

والمسائل التي أهملها المؤلف كثيرة يمكن معرفتها بالمقارنة بين ما كتبه المؤلف وما كتبه غيره بشكل عام ، والبغدادي بشكل خاص[2].

---

(١) ينظر أمثلة لتلك العبارات في: التبصير في الدين ص ١١٢ - ١١٧ وسبق الإشارة إلى بعضها. وينظر كذلك: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٥١.

(٢) ينظر: الاستقامة ١/٧١.

وفي هذا الصدد ألفت الانتباه إلى أن تركيز المؤلف كان منصباً على الآراء التي خالفت الكرامية فيها أهل السنة، دون الإشارة إلى مواطن الاتفاق بينهم.

بينما غيره من أعلام وأساطين هذا العلم كابن حزم - مع ذكره لما خالفوا فيه أهل السنة - نجده يشير إلى موافقتهم لهم في بعض المسائل كالشفاعة[١].

وقد كان هذا من منهج شيخ الإسلام - ابن تيمية - ومما أثِرَ عنه في هذا المسلك قوله عن الكرامية: "وأما في الصفات والقدر والوعيد فهم أشبه من أكثر طوائف الكلام التي في أقوالها مخالفة للسنة"[٢].

الوقفة الثالثة: محاولة ربط كل قول من أقوالها بأقوال غيرها من الديانات الباطلة والعقائد المنحرفة والفرق الضالة في تكلّف واضح، وكأنه بهذا يريد أن يبين أن أصول هذه الفرقة وجذورها تنتمي إلى مصادر بعيدة عن الحق[٣].

وقد تابع في هذا أستاذه البغدادي؛ ولكن البغدادي أكثر توسعاً منه في هذا الجانب[٤].

وتأثر بهما الشهرستاني فسلك هذا المسلك بصورة أخف[٥].

---

(١) ينظر: الفصل ٤/١١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/١٠٣.

(٣) ومن أولئك الذين ربط المؤلف بينهم وبين الكرامية: النصارى، المجوس، الثنوية، الروافض، المعتزلة. ينظر: التبصير في الدين ص ١١١ – ١١٧.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٥ – ٢٢٥.

(٥) ينظر: الملل والنحل ١/١٠٨ – ١١٢.

المبحث السابع

منهجه في الكلام عن المشبهة

وفيــه مدخل وثلاثة مطالب:

- مدخل.
- المطلب الأول: منهجه في ذكر أصناف المشبهة.
- المطلب الثاني: منهجه في عرض آراء المشبهة.
- المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن المشبهة.

المبحث السابع
منهجه في الكلام عن المشبهة

مدخل:

المشبهة هي الفرقة التي ختم بها المؤلف حديثه عن الفرق التي عدّها من الثلاث والسبعين فرقة، كما في الحديث المشهور الذي بنى عليه المؤلف تقسيمه وتناوله للفرق في كتابه. وقبل تناول منهج المؤلف في الكلام عنها أرى من الضروري تسليط الضوء على بعض الجوانب ذات العلاقة بهذا الموضوع، والتي يُعد العلم بها قبل الولوج في الموضوع من الأهمية بمكان، ولعل أبرز تلك الجوانب ما يلي:

أولاً: أنه في طريقنا للحديث عن المشبهة نجد أن ذلك الطريق يكتنفه بعض الصعوبات، ويتخلل مساكله بعض العقبات وهذا عائد إلى "أن المشبهة ليست فرقة كباقي الفرق التي لها أصولها وقواعدها وعلماؤها ومؤلفاتها، وإنما كان وقوع التشبيه أمراً نسبياً، حيث حصل من بعض المنتسبين إلى الفرق الإسلامية وقوع في التشبيه والتمثيل، كما حصل من متقدمي الرافضة وبعض الصوفية والمتفلسفة، وهذا أمر ينبغي أن يفهم"[1].

وتخصيصهم بالحديث وتصنيفهم كفرقة مستقلة ذات كيان ووجود أمر سار عليه جمع من مؤلفي كتب الفرق والمقالات، ومنهج اتبعوه في كتبهم، ومن أشهر أولئك: البغدادي، والشهرستاني، والرازي[2]، وتابعهم في ذلك غيرهم ممن أتى بعدهم[3]. ولعل السبب في ذلك - في نظرهم - هو اتفاقهم على

---

(١) التشبيه والتمثيل في الصفات وموقف الفرق الإسلامية منه - رسالة ماجستير - إعداد: علي بن سالم المري ص ٢٩٩.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٥، الملل والنحل ١٠٣/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨١.

(٣) ينظر: الفرق الإسلامية للكرماني ص ٩٢، الفرق وأصناف الكفرة ص ٢٦٥، لوامع الأنوار ٩١/١، خبيئة الأكوان ص ٩٣، موسوعة الفرق والجماعات ص ٣٥٦، موسوعة الأديان والمذاهب ١٨٩/٢.

التشبيه، سواء كان تشبيهاً للخالق بالمخلوق أو للمخلوق بالخالق[١].

ثانياً: أن كلاً من التشبيه والتمثيل على ما بينهما من التقارب والتداخل فإن معناهما الذي قام الدليل السمعي والعقلي على نفيه هو: اعتقاد ثبوت شيء من خصائص المخلوق لله - سبحانه وتعالى - في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو إثبات شيء مما يختص به الخالق - سبحانه - من الأفعال أو الحقوق أو الصفات للمخلوق، مما يجعل فيه حظاً من الإلهية[٢].

ولفظ التشبيه أو المشبهة هو "الأشهر والمتعارف عليه عند غالب العلماء وكُتّاب المقالات والفرق والباحثين قديماً وحديثاً، أما الأصوب فهو تسميتها "بالممثلة" لأن الله تعالى إنما نفى عن نفسه المماثلة فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٣][٤].

والتجسيم قريب في معناه من التشبيه والتمثيل ومعناه: "اعتقاد مماثلة صفات الله تعالى لصفات المخلوقين، وأنه جسم كالأجسام"[٥].

هذه هي – باختصار – معاني كل من التشبيه والتمثيل والتجسيم عند أهل السنة والجماعة، لأن العلم بها مهم من هذا الجانب. وقلت هنا "أهل السنة والجماعة"، ليُعلم أن إثبات صفات الله – سبحانه وتعالى – التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[٦]

---

(١) وقد أشار إلى هذا الكرماني إذ يقول: "من كبار الفرق الإسلامية المشبهة، اتفقوا على تشبيه الله بالمخلوقات وتمثيله بالحادثات، فلذلك جُعلوا فرقة واحدة، وإن اختلفوا في طريق التشبيه"، الفرق الإسلامية ٩٢.

(٢) ينظر: التشبيه والتمثيل في الصفات ص ٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) الفرق الكلامية للعقل ص ١٤.

(٥) التشبيه والتمثيل في الصفات ص ٤٥.

(٦) هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهي من العبارات المشهورة عنه.
ينظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ٢٦ – ٢٨.

كما يليق بالله – سبحانه وتعالى – لا يعتبر تمثيلاً ولا تشبيهاً ولا تجسيماً كما قد يعتقد بعض أهل الكلام المذموم[١].

ثالثاً: أن كلاً من التشبيه والتمثيل والتجسيم تُعد جميعاً اتجاهاً معاكساً للتعطيل ونفي الصفات، فكل اتجاه منها يقابل الآخر، لذا نجد كثيراً من العلماء يقرن بينهما، ولعل من أوائل من فعل ذلك الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – إذ يقول: "أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطّل، ومقاتل مشبّه"[٢]. كذلك ينقل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن بعض العلماء قوله: "المعطّل يعبد عدماً، والممثّل يعبد صنماً، والمعطّل أعمى، والممثّل أعشى، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه"[٣].

وهذا الكلام يوحي بأن أحد التيارين قد يكون ردة فعل للآخر، إلا أنّ ثمة سؤالاً يطرح نفسه هو: أيهما كان أسبق التعطيل أم التمثيل؟

اختلفت الإجابات عن هذا السؤال.

فهناك من يرى أن التعطيل ظهر أولاً وذلك على يد الجهمية ومن تأثر بهم، وأن المشبهة بالغوا في الرد على المعطلة حتى وصلوا إلى التشبيه ووقعوا فيه، وقد مال إلى هذا الرأي الشهرستاني[٤]. ووافقه في ذلك بعض الباحثين المعاصرين[٥].

وهناك رأي آخر يرى أن نشأة كل من التشبيه والتعطيل قد تزامنتا وذلك بتزامن كل من الجهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان، فقد ثبت تاريخياً معاصرة كل منهما للآخر وأن الجهم كان يصلي مع مقاتل في مسجده وجرت بينهما خلال تلك الفترة مناقشات ومناظرات نُفي على إثرها الجهم إلى ترمذ[٦]، حيث كانا على طرفي نقيض في الصفات كما هو معلوم.

---

(١) سيأتي لذلك مزيد بيان خلال كلامنا في هذا المبحث.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد ١٣/١٦٤، تهذيب التهذيب ٤/١٤٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٢٦١.

(٤) ينظر: الملل والنحل ١/١٠٣ – ١٠٥ بتصرف.

(٥) وذلك كالدكتورة/ سهير مختار في رسالتها التجسيم عند المسلمين ص ١٥.

(٦) ينظر: البداية والنهاية ٩/٣٦٤، والفصل ٥/٧٤.

وهذا الرأي مال إليه عدد من الباحثين[١] حتى قال أحدهم عنه إنّه "هو الأظهر الذي تعضده الأدلة التاريخية"[٢].

ولكني أرى - والله أعلم - أن التفصيل في هذه القضية أقرب إلى الصواب والصحة وذلك على النحو التالي:

- إذا كان المراد بالتشبيه تشبيه المخلوق بالخالق فإن ظهور التشبيه سابق على ظهور التعطيل، يؤكد هذا:

١ - تقدم ظهور التشبيه عند بعض الفرق منذ وقت مبكر كما هو عند السبئية.

٢ - وجود جذور هذا النوع من التشبيه في الديانات السابقة للإسلام يحتمل تأثيرها على بعض الفرق ذات النشأة المبكرة[٣].

- وإن قصد بالتشبيه تشبيه الخالق بالمخلوق فإن التعطيل هنا يُعد سابقاً على التشبيه في هذا الجانب وهذا يمكن تأكيده بأمرين:

١ - أن التعطيل كان ظهوره أولاً قبل هذا النوع من التشبيه، وذلك على يد الجهم بن صفوان.

وكون مقاتل قال بالتشبيه في مقابل آراء الجهم فهذا أمر لم يثبت تماماً، بل إن هناك أدلّةً قويّةً تضعف من إلحاق هذه التهمة بمقاتل بن سليمان[٤].

٢ - إجماع مؤرخي الفكر الإسلامي القدامى - شيعةً وسنةً ومعتزلةً - على أن هشام بن الحكم[٥] هو أول من قال إن الله جسم، وأن مقالة التجسيم في الإسلام

---

(١) وذلك مثل الدكتور النشار في نشأة الفكر الفلسفي ٢٨٩/١. وخالد العلي في جهم بن صفوان ص ٦٠. وينظر: الغلو والفرق الغالية ٢٣٦/١.

(٢) الغلو والفرق الغالية ٢٣٧/١.

(٣) ستأتي الإشارة إلى هذا الأمر.

(٤) ستأتي الإشارة إلى هذا الأمر.

(٥) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي، أبو محمد، متكلم مناظر، كان شيخ الإمامية في وقته، ولد بالكوفة ونشأ بواسط وسكن بغداد، وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي، وإليه تنسب فرقة الهشامية التي اشتهرت بالتشبيه. توفي بعد نكبة البرامكة بمدة، وقيل عاش إلى خلافة المأمون. ينظر: المقالات ١٧٧/١، لسان الميزان ١٩٤/٦، الأعلام ١٨٢/١٩.

إنما تنسب إليه فهو أول من ابتدعها وأدخلها، كما نسب إليه التشبيه أيضاً"[1]، ومما يؤكد هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : "وقال أبو محمد بن حزم وغيره: أول من قال في الإسلام أن الله جسم هشام بن الحكم"[2].

قلت: ومعلوم أن وفاة هشام بن الحكم - وإن اختُلِفَ فيها - إلا أنها بإجماع المؤرخين كانت متأخرة عن وفاة الجهم بوقت ليس باليسير. فالجهم توفي سنة ١٢٨هـ، بينما هشام بن الحكم كانت وفاته بين سنتي (٢٢١ - ٢٣١هـ) كما نقل ذلك عنه الذهبي[3].

---

(١) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢/٢٢٤.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/٢٢٠. وقد نقل صاحب رسالة الغلو والفرق الغالية نصاً قريباً منه وعزاه لمختصر منهاج السنة ولكن لم أعثر عليه هناك!

وأما قول الإمام ابن حزم فلم أعثر عليه بهذا النص، ولكن له كلام قريب منه في الفصل ٥/٤٠، ١٧٥، ١٩٣ - ١٩٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٣.

المطلب الأول

منهجه في ذكر أصناف المشبهة

لعل من الأفضل قبل الكلام عن الفرق التي ذكر المؤلف أنها وقعت في التشبيه، ومنهجه في الحديث عنها أن نشير أولاً إلى ذلك التقسيم لأصناف المشبهة الذي بنى المؤلف كلامه عليه، وبدأ به حديثه عنها فقال: "وجملة المشبهة صنفان: صنف منهم يشبه ذاته بغيره من الذوات. وصنف منهم يشبه صفاته بصفات أغياره"(١).

بهذا كأنّ المؤلف يبين للقارئ أن التشبيه ينقسم إلى قسمين:

- الأول: تشبيه في الذات.

- الثاني: تشبيه في الصفات.

وقد مال إلى هذا التقسيم بعض المصنفين ممن كان قبله وممن جاء بعده(٢).

إلا أن هناك تقسيماً آخر وهو الأكثر ذيوعاً واستخداماً عند الكثير من العلماء وارتضاه كثير من الباحثين وهو تقسيم التشبيه إلى قسمين أيضاً هما:

- الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق.

- الثاني: تشبيه المخلوق بالخالق(٣).

وعند التأمل والتدقيق في كِلاَ التقسيمين يتبين للباحث أنهما متقاربان ويرجع كل منهما للآخر وأن بينهما تداخلاً كبيراً، بحيث يمكن أن ينضوي كل منهما تحت لواء الأخر، فلا فرق في الحقيقة - إذاً - بين التقسيمين.

---

(١) التبصير في الدين ص ١١٩.

(٢) كالبغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ إذ يقول: "أن المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره".
وكابن خلدون في مقدمته في الفصل الخاص بعلم الكلام حيث يقول: "ففريق شبهوا في الذات... وفريق ذهبوا إلى التشبيه في الصفات..." مقدمة ابن خلدون ص ٤١٣.

(٣) كالعراقي حيث يقول: "فأصل دعوتهم مبني على أنهم يشبهون الخالق بالمخلوق" ثم يقول في الجواب عن بعض فرقهم: "فلا يجوز تشبيه الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق" الفرق وأصناف الكفرة ص ٢٦٥، ٢٧٢.
وينظر كذلك: الجواب الصحيح ٣/١٠٠، لوامع الأنوار ١/٩١، الصفات الإلهية عند الفرق الإسلامية عبر العصور التاريخية - رسالة ماجستير - إعداد: سعد بن خلوفة الشهري، ص ٨٠٦، تناقض أهل الأهواء ١/٣٧٩، وسطية أهل السنة ص ٣٠٧، ٣١٧.

فمثلاً من قسمه إلى: (ذات – وصفات)، يمكن أن يدرج ضمن الذات تشبيه الخالق بالمخلوق وكذلك تشبيه المخلوق بالخالق في الذوات، وقل مثل ذلك في القسم الآخر المتعلق بالصفات. وكذلك من قسمه إلى: (تشبيه خالق بمخلوق – وتشبيه مخلوق بخالق)، يمكن أن يدرج ضمن الأول تشبيه ذات الخالق بذات المخلوق، وتشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق، وقل مثل ذلك في القسم الثاني وهو تشبيه المخلوق بالخالق[١].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إلى التقسيم الثاني بقوله: "فاليهود يشبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب – سبحانه – عنها، كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه بخيل، وإنه تعب لما خلق السموات والأرض، والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل، كقولهم: إن المسيح هو الله وابن الله"[٢].

وبالتأمل أيضاً في كلام كل من المؤلف وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – السابقين نجد أنهما لم يحصرا جميع أنواع التشبيه.

فالمؤلف لم يشر إلى تشبيه المخلوق بالخالق مع ذكره لبعض الفرق التي وقعت فيه، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لم يشر إلى تشبيه الذات بنوعيه – الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق – ، ولكنّ شيخ الإسلام – رحمه الله – يصل إلى نتيجة أشار إليها بعد ذكره للتقسيم الذي ذهب إليه، ويمكننا أيضاً تطبيقها على التقسيم الأول الذي سلكه وسار عليه المؤلف وهي: أن من وقع في أحد هذين النوعين من التشبيه فإنه يُعدُّ واقعاً في الحقيقة في النوع الآخر وقائلاً به لا محالة، إذ إن كلاً من النوعين يستلزم الآخر[٣].

---

(١) لم أجد – حسب اطلاعي – من أشار إلى هذا أو عرض له.

(٢) الجواب الصحيح ٣/١٠٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٣/١٠٠ بتصرف يسير.

"وهذه النتيجة التي توصل إليها شيخ الإسلام هي - في الحقيقة - عين الصواب فإنك إذا تأملت فيمن شبه الله بالخلق فأجرى صفات الخلق على الله ـ تعالى ـ وجدته واقعاً في تشبيه الخلق بالله حيث ساوى بين الله وخلقه في الصفات. وإذا تأملت فيمن شبه الخلق بالله - فخلع عليهم صفات الألوهية وجعلهم في مقام الربوبية - وجدت أنه مشبه لله بخلقه حيث جعل المخلوق الناقص مثل الخالق المنزّه عن كل عيب ونقص، فتساويا عنده في الصفات، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً"[(١)].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن المؤلف سلك في تقسيمه هذا للمشبهة منهج من قسمهم حسب نوع الغلو والمجال المغالى فيه، إذ إن هناك - من كُتّاب الفِرَق والمقالات - من قسمهم حسب انتمائهم فجعلهم قسمين:

١ - مشبهة أصحاب الحديث - في نظره -.

٢ - مشبهة الشيعة.

وعلى هذا المنهج سار الشهرستاني في الملل والنحل عندما تحدث عن المشبهة ضمن الصفاتية[(٢)].

كما أن هناك من زاوج بين المنهجين كأبي الحسن الأشعري فقد بوّب باباً في قول الروافض في التجسيم وعدّ منهم ست فرق[(٣)]، وفي باب آخر قال: "باب شرح اختلاف الناس في التجسيم"[(٤)].

---

(١) التشبيه والتمثيل في الصفات ص ٤٧.

(٢) يقول الشهرستاني: "أن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه"، الملل والنحل ١٠٥/١. وتابعه الكرماني حيث يقول في حديثه عن تقسيم المشبهة: "فمنهم مشبهة غلاة الشيعة... ومنهم مشبهة الحشوية".
ينظر: الفرق الإسلامية، ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني ص ٩٢، ويبدو أنه ينقل ويتبع في منهجه الشهرستاني، ينظر: الغلو والفرق الغالية لصالحي ٢٥٠/١ بتصرف يسير.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين ١٠٦/١. ومن الفرق التي عدّها: الهشامية أتباع: هشام بن الحكم، والهشامية: أتباع هشام الجواليقي، واليونسية، وبقية الفرق لم يذكر أسماءها وإنما ذكرها بأقوالها.

(٤) وأشار فيه إلى تشبيه الغلاة من الشيعة وغيرهم، كذكره لتشبيه مقاتل بن سليمان.
ينظر: مقالات الإسلاميين ٢٨١/١ - ٢٨٣.

=

والشهرستاني عند تأمل كلامه عن التشبيه بدقة في جميع كتابه يمكن أن يعدّ ممن زاوج بين المنهجين، فمع تقسيمه لهم حسب انتمائهم - كما سبق بيانه - نجده في حديثه عن الغالية من الروافض وتأثرهم باليهود والنصارى يقول: "إذ اليهود شبهت الخالق بالمخلوق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة"(١).

هذا بالنسبة للتقسيم الذي بنى المؤلف عليه عدّه للفرق، وبعد ذلك أورد المؤلف قائمة من الفرق التي تندرج تحت الصنف الأول من تقسيمه.

ثم ذكر الصنف الثاني - وهم من شبه صفاته بصفات أغياره - وأورد ضمنه قائمة أخرى من الفرق ومما لم يغفله المؤلف في هذا الصدد أنه عندما تناول أول فرق المشبهة بيَّن أن أول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة هم "السبئية" من الروافض(٢).

بهذا يوافق المؤلف كتَّاب الفرق الذين انعقد إجماعهم - تقريباً - على أن أول ظهور لظاهرة التشبيه كان عن طوائف من الرافضة الغلاة، وتحديداً عن السبئية الذين قالوا بألوهية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (٣).

وقد أوصل المؤلف مشبهة الذات إلى عشر فرق - تقريباً -، أما مشبهة الصفات فقد ذكر منهم أربع فرق فقط(٤).

= كما أشار بعض الباحثين إلى أن ممن تابعوا الأشعري في هذا: الباقلاني في أصول الدين.
ينظر: الغلو والفرق الغالية للصالحي ١/٢٥٠.

(١) الملل والنحل ١/١٧٣.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١١٩.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٨٦، التنبيه والرد ص ٢٩، الفرق بين الفرق ص ٢٢٥، الملل والنحل ١/١٧٤، الفرق وأصناف الكفرة ص ١٦٤.

(٤) والفرق التي عدّها من مشبهة الذات: السبئية، البيانية، المغيرية، المنصورية، الخطابية، الحلولية، المقنعية، الهشامية، اليونسية، والكرامية، وأما فرق مشبهة الصفات التي عدها أيضاً: المعتزلة البصرية، الكرامية، والزرارية، والشيطانية.
ينظر: التبصير في الدين ص ١١٩ - ١٢١.

وهو بهذا يخالف غيره من أرباب هذا الفن وفرسانه وعلى رأسهم أستاذه وشيخه البغدادي[١]. حيث أوصل مشبهة الذات إلى أربع عشرة فرقة.

وهنا نجد أن المؤلف في كلامه عن المشبهة لم يجمع كل من قال بالتشبيه من الفرق أو الطوائف، فهناك عدد من الفرق التي وقعت في بدعة التشبيه لا نجد لها ذكراً عند المؤلف، وعلى وجه الخصوص تلك الفرق التي أشار إليها مَن قبله مِنْ مصنفي كتب الفرق[٢].

كذلك فإن منهجه في تسميته لتلك الفرق التي أوردها - عند مقارنته بمنهج غيره - يظهر منه مخالفته لغيره في تسمية بعض تلك الفرق، ولعل غيره كان أكثر دقة منه، يتبين لنا ذلك بذكر بعض الأمثلة:

- "الهشامية"[٣] أطلق المؤلف هذا الاسم على كل من أتباع: هشام بن الحكم، وهشام الجواليقي[٤]، ولا شك أن هذه التسمية تجعل كل من الفرقتين تلتبس بالأخرى مع ما بينهما من أوجه الاختلاف في القول بالتشبيه كما يظهر من كلامه[٥].

بينما نجد غيره يفرق بينهما في التسمية فيسمِّي الأولى "الحكمية"[٦]، والثانية

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ - ٢٣٠.

(٢) كالحلمانية والعزافرة. ينظر: المرجع السابق ص ٢٢٦ - ٢٢٧، والملل والنحل ١/١٧٣ - ١٩٠.

(٣) الهشامية أصحاب الهشامين، هشام بن الحكم، وهشام الجواليقي، وهي أول الفرق الإسلامية التي قالت بالتشبيه، وهي إحدى فرق الشيعة الغالية المشبهة وسيأتي التفصيل عنها قريباً.
ينظر: الملل والنحل ١/٢٩٦، الفرق بين الفرق ص ٦٥، المقالات ١/٨٢، البرهان ص ٧٢.

(٤) هشام بن سالم الجواليقي: يدين بالتشبيه والتجسيم وإثبات الحد والنهاية. رافضي على مذهب الإمامية، زعم أن معبوده على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم بل هو نور ساطع بياضاً، وكان يقول في أفعال العباد أنها أجسام لأنه لا شيء في العالم إلا الأجسام.
ينظر: البرهان ص ٧٢، الفرق بين الفرق ص ٤٣ - ٤٧، الخطط للمقريزي ٢/٣٤٨.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ص ١٢٠.

(٦) الحكمية: هي فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافضي، وهي فرقة من فرق غلاة الشيعة، ويزعم الحكمية أن ربهم على صورة الإنسان، ويمنعون أن يكون جسماً. =

"الجواليقية[١]"[٢] وهذه التسمية تعتبر أكثر دقة وتحرياً.

- بعض الفرق لم يذكرها المؤلف باسمها، وإنما ألمح إلى زعيمها دون الإشارة إلى فرقته التي أشار إليها غيره في كتب الفرق[٣]، ولعله تابع في هذا الأشعري والبغدادي إذ إن كلاً منهما أشار إلى زعيمها وأقواله دون أن يذكر اسماً لفرقته[٤].

ومع ذلك فهناك أمور أحسن فيها المؤلف وأجاد، حيث تلافى التعثر في بعض المنعطفات التي تعثر فيها غيره من أرباب هذا الفن، ويمكن إجمال تلك الأمور في أمرين:

الأول: عدم تصنيفه للسلف وأصحاب الحديث الذين يقوم مذهبهم على إثبات الصفات ضمن من وقع في التشبيه، وعدم وسمهم ووصفهم بالحشوية[٥] كما فعل غيره من مؤلفي كتب الفرق والمقالات كالشهرستاني إذ يقول: "وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه"[٦]. وسماهم في موضع آخر "مشبهة الحشوية"[٧].

= ينظر: الملل ١/١٨٥، مقالات الإسلاميين ١/١٠٨، التبصير في الدين ص ٣٦ - ٣٧، الفرق بين الفرق ص ٦٥.

(١) الجواليقية: هم أتباع هشام بن سالم الجواليقي، ويدينون بالتشبيه والتجسيم وإثبات الحد والنهاية كالحكمية، ويزعمون كذلك أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحماً ودماً.

ينظر: الفرق بين الفرق ص ٦٥، مقالات الإسلاميين ١/١٠٩، الملل ١/١٨٥، التبصير في الدين ص ٣٧.

(٢) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٨٢ - ٨٣.

(٣) كالجواربية أتباع داود الجواربي، ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٤. وينظر: الغلو والفرق الغالية للسامرائي ١٤٠، موسوعة الفرق والجماعات ص ١٦٨.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٨٣، الفرق بين الفرق ص ٢٢٨.

(٥) الحشوية: من الحشو، والحشو من الناس العامة أو الجمهور الذين لا يُعتد بهم، والحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وهو من الألقاب التي أطلقها أهل الكلام كالجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم من النفاة والمتأولة على من يثبت الصفات وعلى رأسهم أهل السنة، وهو إطلاق باطل، ولفظ "مبتدع" أول من أطلقه عمرو بن عبيد الذي كان من كبار المعتزلة حيث قال عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - "إنه كان حشوياً".

ينظر: منهاج السنة ٢/٢٥٠، ٥٢٢، الصفدية ١/٢٩٤، مجمع الفتاوى ٦/١٧٦ - ١٧٧، لسان العرب مادة "حشو" ١٤/١٨٠، المعجم الوسيط مادة "حشو" ١/١٧٧، شرح النونية لابن عيسى ٢/٧٦ - ٧٧، معجم ألفاظ العقيدة ص ١٤٢ - ١٤٣، كشاف اصطلاحات الفنون ١/٥٤٣.

(٦) الملل والنحل ١/١٠٥.

(٧) المرجع السابق ١/١٠٥، وله كلام مشابه لذلك في ١/١٨٧.

وكذلك الرازي بعدَ ذِكْرِهِ لنشأةِ التشبيه عند الشيعة قال: "ثم تهافت في ذلك المحدثون ممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات"[١].

والعراقي أيضاً عدّ من أصناف المشبهة: "الحشوية"[٢] وقال عنهم: "وهذه الطائفة يزعمون أن ما ذهبوا إليه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل[٣] وغيره"[٤].

ولعل السبب في هذا أن "أهل الكلام المذموم حين ظنوا أن إثبات الصفات لله - تعالى - أو بعضها تشبيهاً، فقد وضعوا للتشبيه معنى باطلاً"[٥].

وقد أدى ذلك ببعضهم كالشهرستاني إلى أن يدعي "أن الأئمة من السلف أمثال أحمد ومالك وغيرهما سلكوا مسلك السلامة[٦]، ويعني بذلك مذهب التفويض، وهذا باطل، فالسلف - رضوان الله عليهم - جميعاً أثبتوا الصفات لله - عز وجل - حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، مع إدراك معانيها وجهل كيفياتها"[٧].

الثاني: إعراضه عن ذكر مقاتل بن سليمان في هذا الباب وعدم عدِّه ضمن من قال بالتشبيه، على الرغم من أن هناك جمعاً ذكروه ضمن المشبهة ورموه بالتشبيه والتجسيم في كثير من كتب المقالات والفرق والتأريخ والتراجم.

فالأشعري ذكر من أقواله قوله: "أن الله جسم، وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، وهو - مع هذا - لا يشبه غيره ولا يشبهه"[٨].

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٢.

(٢) الفرق وأصناف الكفرة ص ٢٧١.

(٣) أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي البغدادي، أبو عبدالله، الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، أحد الأئمة الأربعة الأعلام، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، وقد ثبت في وجه فتنة المعتزلة بالقول في خلق القرآن ثبوت الجبال الرواسي، حفظ الله به السنة، توفي سنة ٢٤١هـ.

ينظر: السير ١١/١٧٧، حلية الأولياء ٩/١٦١، طبقات الحنابلة ١/٤، الإعلام ١/٢٠٣.

(٤) المرجع السابق ٢٩٨.

(٥) الفرق الكلامية للعقل ص ١٦.

(٦) ينظر: الملل والنحل ١/١٠٤.

(٧) منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٠٨.

(٨) مقالات الإسلاميين ١/٢٨٣.

وعنه أيضاً يقول ابن حزم: "وكان مقاتل يقول: إن الله جسم لحم ودم على صورة الإنسان"[١].

والشهرستاني عندما أورد قول بعض مشبهة الروافض بأن الله تعالى نور على صورة إنسان رباني، واستدلالهم بما ورد في الخبر "إن الله خلق آدم على صورته"[٢] و"على صورة الرحمن"[٣] قال بعد ذلك: "ويحكى عن مقاتل بن سليمان مثل مقالته في الصورة"[٤].

مع أنه في موضع آخر عدّه من السلف الذين لم يقعوا في التشبيه بل سلكوا طريق السلامة أمثال مالك[٥] وأحمد[٦].

بل ذهب بعض من أهل التاريخ وغيرهم إلى أبعد من ذلك وجعل له فرقة تنسب إليه تسمى المقاتلية[٧].

---

(١) الفصل ٥/٧٤.

(٢) أصل الحديث في الصحيحين بلفظ: "... فإن الله - عز وجل - خلق آدم على صورته" رواه البخاري في كتاب الفتن ح ٢٢٥٩، الفتح ١٨٢/٥، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه ح ٢٦١٢ عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة ٢٦٨/١ ح ٤٩٨، وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٨/١ - ٢٢٩ ح ٥١٧، ٥١٨، وابن خزيمة في التوحيد ٨٥/١ - ٨٦ ح ٤١، ٤٢، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٨/٢، والحاكم في المستدرك ٣١٩/٢، والدارقطني في الصفات ص ٥٦، ٦٤ ح ٤٥، ٤٨. وقد ضعفه الألباني في السلسة الضعيفة ٣١٦/٣ ح ١١٧٦.

وينظر: مواقف العلماء من أحاديث إثبات الصورة في هامش كل من الشريعة للآجري ١١٤٧/٣ - ١١٥١، السنة لعبدالله بن أحمد ٢٦٨/١، وينظر كذلك: دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ عبدالله الدويش، القول المبين في إثبات الصورة لرب العالمين لسليمان العلوان، حديث الصورة - رواية ودراية - د. بندر العبدلي، مجلة الحكمة عدد ٢٧، ص ٩٧ - ١١٦.

(٤) الملل والنحل ١٨٧/١.

(٥) مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله، المعروف بالإمام مالك، ولد في المدينة ما بين ٩٠ - ٩٧هـ، والأرجح ٩٣هـ، كان متحرياً في تلقي العلم وسماع الحديث والفتوى، ينسب إليه المذهب المالكي، توفي سنة ١٧٩هـ، ودفن بالبقيع وعمره ٨٦ سنة.

ينظر: الجرح والتعديل ٢٨/١، السير ١٣٠/٨ - ١٣٥، صفوة الصفوة ٩٩/٢، الأعلام ٢٥٧/٥ - ٢٥٨.

(٦) ينظر: المرجع السابق ١٠٤/١، وصرح باسمه "مقاتل بن سليمان". ينظر كذلك: نشأة الفكر الفلسفي للنشار ٢٨٨/١ - ٢٩١، تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٧ - ٨. كشاف اصطلاحات الفنون ٣٥٤/١.

(٧) ينظر: البدء والتاريخ ١٣٥/٥ - ١٤١، الغلو والفرق الغالية للسامرائي ١٤٤.

وكذلك بعض كتب التراجم جاءت لتؤيد وتؤكد ما رُمي به، ومن أشهر ما ينقلونه فيه قول الإمام أبي حنيفة "أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطّل، ومقاتل مشبّه"[١].

وفي مقابل هذا التيار نرى بعضاً من مصنفي كتب الفرق يُعْرِضُون عن ذكره ويغضون الطرف عن ذلك - كما فعل المؤلف - حيث لم يذكروه ضمن حديثهم عن المشبهة أوالمجسمة كالبغدادي والرازي[٢]، وكذلك المقريزي[٣] يرى أن نسبة التشبيه إلى مقاتل تهمة يُرمى بها ولم يصح هذا القول عنه[٤].

أما السكسكي فمع ذكره لفرقة "المقاتلية" من فرق المرجئة أصحاب مقاتل بن سليمان فإنه قال بعد ذلك: "وليس هو مقاتل بن سليمان صاحب التفسير، وإنما اتفق الاسمان"[٥].

وبالنظر إلى هذه القضية وجميع جوانبها بعين العدل والإنصاف يظهر لنا أن هناك دلائل تضعف هذه التهمة وتلقي بظلال من الشكوك عليها، وتشكك فيها تتجلى لمن بحث هذه القضية بشكل مفصّل وموسع ليس هذا مكان بسطها[٦].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد ١٦٤/١، تهذيب التهذيب ١٤٤/٤، سير أعلام النبلاء ٢٠١/٧، وفيات الأعيان ٢٥٥/٥، ميزان الاعتدال ١٧٣/٤، شذرات الذهب ٢٢٧/١، طبقات المفسرين ٣٣٠/٢.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ - ٢٣٠، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨١ - ٨٦.

(٣) أحمد بن علي بن عبدالقادر، أبو العباس، تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية وأحد أعلامها، أصله من بعلبك، ولد سنة ٧٦٦هـ ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات. توفي سنة ٨٤٠هـ، وقيل ٨٤٥هـ.

ينظر: البدر الطالع ٧٩/١، حسن المحاضرة ١٧٥/٣، الأعلام ١٧٧/١، التبر المسبوك ص ٢١.

(٤) ينظر: الخطط ٣٤٨/٢.

(٥) البرهان ٤٠. والكوثري يرى هذا منه تخليط ظاهر. ينظر: التبصير في الدين بتحقيقه، ص ٩٨، هامش ٢، وقال في مقدمة تحقيقه لكتاب "التنبيه والرد" للملطي: "ومن ظن أن مقاتل بن سليمان المفسر غير مقاتل بن سليمان المجسم القائل باللحم والدم في كتب النحل يكون مصاباً بالحول، فيرى الواحد اثنين غالطاً غلطتين". التنبيه والرد ص ٩.

(٦) ومن تناول هذه القضية بالبحث:

- د. محمد السحيباني في "منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل" ص ٤٠٤ - ٤٠٦.

والمقصود أنه مادام الأمر كذلك فإن من أعرض عن ذكر مقاتل بن سليمان ضمن المشبهة فهو أقرب إلى الصواب ممن ذكره، ومن أولئك المؤلف.

وقد مال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى هذا حيث قال: "وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله، والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد، وقد قال الشافعي: من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة.

ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث - بخلاف مقاتل بن حيان[1] فإنه ثقة - لكن لا ريب في علمه بالتفسير وغيره واطلاعه، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه، فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه، وهي كذب عليه قطعاً، مثل مسألة: الخنزير البري ونحوها، وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب"[2].

- علي المري في "التشبيه والتمثيل في الصفات" ص ٢٤٣ - ٢٥١.

وينظر كذلك:

- تفسير مقاتل بن سليمان، د. عبدالله شحاته ١١٤/٥ - ١١٥.
- الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان، د. عبدالله شحاته ص ٥٠ - ٥٣.
- الفرق الكلامية د. ناصر العقل ص ٢٧ - ٣١.

(١) مقاتل بن حيان، ابن دَوَال دُوْر، الإمام العالم المحدث، الثقة، أبو بسطان النبطي البلخي، الخراز، طوف وجال، وكان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، صاحب سنة، قال يحيى بن معين: ثقة، توفي في حدود ١٥٠هـ.

ينظر: السير ٣٤٠/٦، تقريب التهذيب ص ٩٦٨.

(٢) منهاج السنة النبوية ٦١٨/٢ - ٦٢٠.

المطلب الثاني

منهجه في عرض آراء المشبهة

كان حديث المؤلف منصباً على التشبيه كظاهرة أو انحراف وقعت فيه بعض الفرق وبيان رأيها فيه، دون الخوض في آرائها الأخرى التي لا تمت إلى التشبيه بصلة؛ وما ذلك إلا لأنه تحدث عن تلك الفرق في مواضع أخرى بشكل مستقل.

وهذا فعلاً ما قام به المؤلف في عرضه لآراء تلك الفرق - في نظره - فنجد منهجه هنا يقوم على ذكر الفرقة، ثم الإشارة إلى قولها الذي كان سبباً في إدراجها ضمن الفرق الواقعة في التشبيه[١].

كما أن تناول المؤلف لآراء المشبهة يتسم بخلوه من التعقيبات سواء كانت رداً أو نقداً أو مناقشةً، وكذلك لا نجده يذكر قبل ذلك أي أدلة احتجوا بها، كما كان يفعل أحياناً مع بعض الفرق في الأبواب السابقة كالجهمية والمعتزلة والشيعة، وقد سبق بيان شيء من ذلك عند الحديث عن منهج المؤلف في الكلام عنها، وفي عرضه للآراء هنا لا نرى أثراً لنبرة الذم والتجريح التي كان المؤلف يستخدمها مع بعض الفرق الكلامية[٢].

والمؤلف بعد استعراضه لتلك الفرق وآرائها نراه يختم حديثه في هذا الباب بالإشارة إلى كفر المشبهة وضلالهم فيقول: "ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم وضلالتهم ولم يبق له في ذلك شبهة، فاستغنى بذكرها عن إقامة الحجة عليها"[٣].

وبتدقيق النظر فيما ذكره المؤلف من آراء فرق هذا الباب ومقارنته بما ذكره غيره من أرباب هذا الفن يدرك الباحث أن المؤلف ركّز في عرضه لآراء كل فرقة على أبرز

---

(١) فمثلاً نراه يتحدث عن إحدى الفرق فيقول: "البيانية: أتباع بيان بن سمعان الذي كان يقول إن معبوده نور، صورته صورة إنسان، وله أعضاء كأعضاء الإنسان، وإن جميع أعضائه تفنى إلا الوجه" - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - .
ينظر: التبصير في الدين ص ١١٩.

(٢) أشرت إلى هذا في الحديث عن منهجه في الكلام عن الكرامية وذلك في المبحث السادس من هذا الفصل.

(٣) التبصير في الدين ص ١٢١.

أقوالها في التشبيه بغض النظر عن آرائها وأقوالها الأخرى حتى وإن كانت ذات علاقة وصلة بالتشبيه.

فعلى سبيل المثال يذكر المؤلف عن هشام بن الحكم الرافضي أنه "كان يقيس معبوده على الناس، وكان يزعم أن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه يتلألأ كما تتلألأ النقرة البيضاء[١] من كل جانب"[٢].

هذا فقط ما ذكره المؤلف من آرائه، مع أن له آراء أخرى في التشبيه اشتهرت عنه وذكرها جمع من مؤلفي كتب الفرق والمقالات. منهم من كان قبل المؤلف، فالأشعري ذكر جملة من أقواله، منها قوله: "أن الله جسم محدود عريض عميق طويل، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، نور ساطع له قدر من الأقدار، بمعنى أن له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه في مكان دون مكان، كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، ذو لون وطعم ورائحة، ومَجَسّة لونه هو طعمه، وهو رائحته، وهو مجسته، وهو نفسه، لون ولم يثبت لوناً غيره، وإنه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد..."[٣].

كذلك نرى نحواً من هذا عند البغدادي[٤] وابن حزم[٥].

إلا أنه قد يلتمس للمؤلف في هذا عدة أعذار أهمها:

١ - أن كثيراً من فرق هذا الباب كان المؤلف قد تناولها بالحديث في مواضع أخرى من كتابه بشيء من التفصيل، فالكرامية سبق وأن عقد لها المؤلف باباً مستقلاً[٦].

---

(١) النُّقرة: السبيكة، والجمع نِقار. ينظر (مادة نقر): لسان العرب، ٢٢٩/٥، القاموس المحيط ص ٦٢٦.

(٢) التبصير في الدين ص ١٢٠.

(٣) مقالات الإسلاميين ٢٨١/١.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(٥) ينظر: الفصل ٤٠/٥، ١٩٣/٥ - ١٩٥.

(٦) ينظر: الباب الحادي عشر من التبصير في الدين ص ١١١ - ١١٧. وقد سبق الحديث عن منهج المؤلف في الكلام عن الكرامية، وذلك في المبحث السادس من هذا الفصل.

والمعتزلة الذين جعلهم من مشبهة الصفات كان المؤلف قد عقد لها باباً مستقلاً أيضاً يعد من أضخم أبواب كتابه[1].

أما بقية فرق الروافض فبعضها تحدث عنها المؤلف ضمن حديثه عن تفصيل مقالات الروافض وبيان فضائحهم وهو الباب الثالث[2].

والبقية تحدث عنها المؤلف في الباب الثالث عشر الذي جعله في بيان فرق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون في زمرة المسلمين ولا يكونون من جملة الاثنتين والسبعين فرقة[3].

٢ - أن المؤلف ليس بصدد جمع أقوال كل فرقة في التشبيه، وإنما أراد أن يدلل على تصنيفه لهذه الفرق ضمن المشبهة وكأنه اكتفى من القلادة بما أحاط بالعنق. ولا غبار على ذلك، إذ إن التشبيه وصف لكل من لحقه شيء منه سواء كان ذلك قليلاً أم كثيراً.

فكما أن كل نوع من أنواعه يستلزم الآخر - كما سبق - فكذلك قليله وكثيره كل منهما يستلزم الآخر.

فمن شبه الخالق بالمخلوق في صفة معينة لزمه إلحاق بقية صفات المخلوق الأخرى، وعلى ذلك فقس، وكذلك العكس.

---

(١) ينظر: الباب الخامس من المرجع السابق ص ٦٣ - ٩٥. وقد سبق الحديث عن منهج المؤلف في الكلام عن المعتزلة، وذلك في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) ومن الفرق التي تحدث عنها في هذا الباب:
البيانية ص ٣٢ - ٣٣، الهشامية: أتباع هشام بن الحكم ص ٣٩ - ٤٠، الزرارية واليونسية ص ٤٠، الشيطانية ص ٤٠ - ٤١.

(٣) ومن الفرق التي تحدث عنها في هذا الباب وجاءت في مواضع أخرى من كتابه التبصير في الدين:
السبئية ص ١٢٣ - ١٢٤، البيانية أيضاً ص ١٢٤، المغيرية ص ١٢٥، المنصورية ص ١٢٥ - ١٢٦، الخطابية ص ١٢٦، الحلولية ص ١٣٠، المقنعية ص ١٣٠.

المطلب الثالث

وقفات عند بعض ما ذكره عن المشبهة

من خلال النظر فيما سطره المؤلف في حديثه عن المشبهة يمكننا أن نقف معه هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: ذكره للمشبهة وعدّه لها - بفرقها التي ذكرها - ضمن الفرق الثلاثة والسبعين - فيه نظر - لما يلي:

- أن غالبية الفرق المذكورة في هذا الباب سبق وأن حكم المؤلف عليها في مواضع أخرى بالخروج عن دائرة الإسلام، إما بذكرهم ضمن الفرق التي لا تُعد في زمرة المسلمين ولا تكون من جملة الفرق الاثنتين والسبعين - كما سبقت الإشارة لذلك - وإما بالإشارة إلى ذلك عند الحديث عنهم في أبواب أخرى، كما أنه - بالإضافة إلى ما سبق - نراه يختم هذا الباب الذي نحن بصدد الحديث عنه بالإشارة إلى كفر وضلال المشبهة فيقول: "ومن تأمل قول هؤلاء المشبهة علم كفرهم وضلالتهم"[١].
- أن جميع الفرق التي أوردها في هذا الباب سبق وأن تحدث عنها في مواضع أخرى - وقد سبق بيان هذا - ، وهذا التكرار لا يمكن معه ضبط عدد الفرق!

ويتأكد هذا إذا ما علمنا أنه هنا لا يتحدث عن فرقة مستقلة وإنما عن مجموعة من الفرق، فكيف تُعد كلها فرقة من الفرق الثلاث والسبعين!!

الوقفة الثانية: معلوم أن قضية التشبيه والتمثيل من القضايا الدخيلة على المسلمين، وأن أصولها تعود إلى تيارات سابقة لظهور الإسلام[٢].

---

(١) التبصير في الدين ص ١٢١.

(٢) بعض الباحثين الذين اهتموا بهذه القضية قسموا تلك التيارات إلى قسمين:

١ - تيارات دينية: ويدرجون اليهودية والنصرانية تحت هذا القسم.

٢ - تيارات وثنية وفلسفية: ويمثلون للوثنية: بالمجوسية وطوائفها (المانوية، والمزدكية، والديصانية). وبالهندوسية وبالصابئة.

وللفلسفية: بالفلسفة الرواقية أتباع "زينون".

=

وهنا لم يتناول المؤلف - في هذا الباب - الحديث عن جذور التشبيه ومنابعه الأولى، وكيفية وصول هذه الظاهرة النشاز إلى بعض الفرق الإسلامية، ولم يشر المؤلف إلى ذلك ولو من طرف خفي، على الرغم من اهتمامه بالربط والمقارنة.

ولعل عذره في ذلك أنه كانت له في عدة مواضع من كتابه إلماحات إلى أصول التشبيه وجذوره، وأنها تعود إلى الديانة اليهودية. من ذلك ما جاء في حديثه عن السبئية عندما تحدث عنهم ضمن الفرق التي لا تُعد في زمرة المسلمين، وأورد الكلام عن قَتْل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: "وتوهمت الناس أنه قتل كما توهم اليهود والنصارى أن المسيح قتل"[1].

ثم قال بعد ذلك: "واعلم أن ابن السوداء كان رجلاً يهودياً وكان قد تستر بالإسلام، أراد أن يفسد الدين على المسلمين"[2].

كما أشار إلى التأثير النصراني في أقوال ابن كرام وأنه أطلق اسم الجوهر كما أطلقه النصارى[3].

هذا بالنسبة للتيارات الدينية (اليهودية والنصرانية).

كذلك نجد لديه إشارات إلى تأثير التيارات الوثنية في حديثه عن الكرامية عندما أورد قولهم في التجسيم، بيّن بعد ذلك أنهم قالوا "كما قالت الثنوية[4] في معبودهم

= ينظر: الصفات الإلهية عند الفرق الإسلامية ص ٨٠٨ - ١١٥، التجسيم عند المسلمين ص ١٠٧ - ١٤٣.
وبعض الباحثين يفصل في ذكر تلك التيارات ويجعلها أربعة تيارات على النحو التالي:
١ - اليهودية. ٢ - النصرانية. ٣ - الفلسفية. ٤ - الوثنية.
ينظر: التشبيه والتمثيل في الصفات ص ٦٩ - ١٠٠.

(١) التبصير في الدين ص ١٢٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٢٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١١٢.

(٤) الثنوية: فرقة من الفرق القديمة، سموا بذلك لقولهم: بإثبات أصلين اثنين هما النور والظلمة، وبالفارسية "يزدان وأهرمن" وأنهما أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا: إن الظلمة حادثة مخلوقة.
ينظر: الملل والنحل ٦١٨/١، اعتقادات فرق المسلمين ص ١٢١، الفهرست ص ٤٤٢.

أنه نور منتهاه من الجانب الذي يلي الظلام"[١].

كما أورد تأثرهم بالمجوس في قولهم بحلول الحوادث فقال: "ولم يجد هؤلاء في الأمم من يكون لهم القول بحدوث الحوادث في ذات الصانع غير المجوس فرتبوا مذهبهم على قولهم. وذلك أن المجوس قالوا: تفكر "يزدان"[٢] في نفسه أنه يجوز أن يظهر له منازع ينازعه في مُلكه، فاهتم لذلك فحدثت في ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة فخلق منها الشيطان. فلما سمعت الكرامية هذه المقالة بنوا عليها قولهم بحدوث الحوادث في ذاته - تعالى الله عن قولهم -"[٣].

ولعل المؤلف قد اعتمد في سكوته هذا عن جذور التشبيه على إشارته إليها في عدة مواضع أخرى، وذلك خشية التكرار أو الإطالة التي ذكر أنه سيصون كتابه عنها، خاصة وأنه يُعدّ إلى حد كبير مختصراً في هذا الفن، لكن - على الرغم من ذلك - كان الأحرى بالمؤلف أن يشير إلى جذور هذا التشبيه وروافده خلال حديثه عن المشبهة، فذلك هو المكان المناسب لذكر مثل هذا الأمر إذ الباب خاصٌ بهذه الظاهرة الطارئة على الأمة الإسلامية.

كما أنوه هنا إلى أن غيره من كتاب الملل والمقالات تابعوه في الإشارة لهذه الجذور ولكنهم أشاروا إليها عندما تحدثوا عن المشبهة - وهذا المنهج أفضل بلا شك - فالشهرستاني يقول في حديثه عن أدلة المشبهة: "وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع"[٤].

---

(١) التبصير في الدين ص ١١١.

(٢) يزدان: إله الخير عند المجوس وهو النور عندهم مقابل الظلمة إله الشر - أهرمن - وهو عندهم أزلي قديم، وإله الخير عندهم فعله الخير والصلاح.
ينظر: الملل والنحل ٢٣٣/١ وما بعدها، التبصير في الدين ص ٩١، ١٤٢.

(٣) التبصير في الدين ص ١١٣، علماً بأن مسألة "حلول الحوادث" قد يكون أثر الفلسفة اليونانية في إدخالها إلى المسلمين أبلغ وأكثر وضوحاً.

(٤) الملل والنحل ١٠٦/١.

وقال عن مشبهة الشيعة الغلاة: "وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية[١]، ومذاهب التناسخية[٢]، ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة"[٣].

والرازي في مطلع كلامه عن المشبهة قال: "اعلم أن اليهود وأكثرهم مشبهة"[٤].

---

(١) الحلولية: هم الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حل في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء، وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
وهي في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الله وهو مذهب قديم في معظم الديانات، ومن القائلين به: غلاة الشيعة وكذلك الصوفية.
ينظر: الفتاوى ١١١/٢ - ١٨٠، المقالات ٨٢/١ - ١٠٥، الفرق بين الفرق ص ١٩٣ - ٢٠١، البرهان ص ٨٠ - ٨٥.

(٢) التناسخية: هم القائلون بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلى شخص، وما يلقى من الراحة والتعب والنصب والدعة، فمرتب على ما أسلفه قبل، وهو في بدن آخر، جزاءً على ذلك.
ينظر: الملل والنحل ٨٩/١، ٣٦٩، ٦٤٩، الغلو والفرق الغالية للسامرائي ص ١٢٩، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ٦٣/٢ - ٦٥.

(٣) الملل والنحل ١٧٣/١.

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨١.

المبحث الثامن

منهجه في الكلام عن بقية الفرق

وفيــه مدخل وأربعة مطالب :

- مدخــــل.
- المطلب الأول : منهجه في تعريف فرق هذا المبحث.
- المطلب الثاني : منهجه في ذكر فرق النجّارية.
- المطلب الثالث : منهجه في عرض آراء فرق هذا المبحث.
- المطلب الرابع : وقفات عند بعض ما ذكره عن فرق هذا المبحث.

المبحث الثامن

منهجه في الكلام عن بقية الفرق

مدخل:

في هذا الباب يتواصل الحديث عن بقية الفرق التي عدّها المؤلف من الفرق الثلاث والسبعين الواردة في حديث الافتراق المشهور والفرق هي:

النجارية - والضرارية - والبكرية.

ولعل السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ هنا هو: ما السبب في جمع هذه الفرق للحديث عنها في مبحث واحد مع إفراد كل واحدة من الفرق السابقة بمبحث مستقل؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

هناك جملة من الأسباب جعلتني أسير على هذا التقسيم - وهو جمع هذه الفرق الثلاث في مبحث مستقل - وأهمها ما يلي:

١ - أن هذه الفرق لا تُعد من فرق الأمة الأصول، وإن عدّها البعض كذلك، فإن الغالبية ممن عُني بعدّ أصول الفرق لم يذكروها ضمنها، فمن جعلها أربع فرق كبعض أئمة السلف وعلماء الملل وغيرهم الذين تكلموا في أصول الفرق لم يذكروا فرق هذا المبحث من تلك الفرق[١].

وكذلك الحال مع الذين أوصلوها إلى خمس فرق [٢].

---

(١) وهم: يوسف بن أسباط، وعبدالله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل، والطرطوشي، وأبو محمد اليمني، والسكسكي، واليافعي، والمقدسي، وابن حجر، والشهرستاني.

والفرق الأربع التي جعلوها أصولاً للفرق هي:

الرافضة والخوارج والقدرية والمرجئة. ولم يخالف من هؤلاء إلا الشهرستاني حيث استبدل الصفاتية بالمرجئة. وكذلك ابن حجر حيث استبدل الجهمية بالمرجئة أيضاً.

ينظر في هذا: السنة لأبي عاصم ص ٤٤٩، الحديث رقم ٩٥٣، الحوادث والبدع ص ٩٧، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١٠، البرهان ص ١٧، ٣٣، ٤٩، ٦٥، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٢٢، أحسن التقاسيم ص ٣٨، فتح الباري ٣٥٧/١٣، الملل والنحل ١٥/١.

(٢) والفرق الخمس الأصول هي: الخوارج، والمعتزلة، والشيعة، والمرجئة، وأهل السنة والجماعة، وممن ذهب إلى هذا: ابن حزم، والمقريزي، وصديق حسن خان. =

وكذلك فعل الذين قالوا بأن الأصول ست فرق[١] أو سبع[٢].

٢- أن هذه الفرق لا تشكل ثقلاً في ميزان الفرق والافتراق ولا تحتل حيزاً أو مساحة كبيرة على خارطة الطوائف، وكذلك ليس لها قدر كبير من الاهتمام عند الكثيرين من المهتمين بالفرق والمقالات. فالنجارية وإن كان لها فرق تفرعت عنها فإن أشهرها ثلاث. أما البكرية والضرارية فكل واحدة منهما تعد فرقة واحدة، وليس لهما كثير من الأشياع والأتباع، فضلاً عن اشتهار كتبهم ومصنفاتهم.

٣- أن المؤلف لم يول هذه الفرق كبير اهتمام وعناية كما فعل مع غيرها من الفرق التي لا تعد عند الكثير من أرباب هذا الفن من فرق الأمة الأصول كما فعل مع الكرامية.

وفي كتاب "التبصير في الدين" نجد أن المؤلف قد جعل كل واحدة من هذه الفرق الثلاث من الفرق الأصول. ولم يكن بدعاً في هذا التقسيم، بل سار عليه قبله البغدادي[٣]، وهناك من سبقه بجعل فرقة النجارية من الأصول كالأشعري[٤]،

= ينظر في هذا: الفصل ٢/٢٦٥، الخطط ٤/١٦٤، خبيئة الأكوان ص ١٤.

(١) ذهب إلى هذا ابن الجوزي وجعل الفرق الأصول هي: الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية.
ينظر: تلبيس إبليس ص ١٩.

(٢) وذهب إلى هذا الخوارزمي والأصول عنده هي: المعتزلة والخوارج وأصحاب الحديث والمجبرة والمشبهة والمرجئة والشيعة.
ينظر: مفاتيح العلوم ص ١٩٧.

(٣) وقد كان المؤلف تابعاً له في التقسيم العام، لكن البغدادي جمع كلاً من الجهمية والضرارية والبكرية في باب واحد، وأفرد النجارية بباب، أما المؤلف فقد جعل كل واحدة منها في باب.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٧، ٢١١، التبصير في الدين ص ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩.

(٤) وقد ذكر الفرق الأصول وسماها أمهات الفرق وجعلها عشرة أصناف هي: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والضرارية، والحسينية، والبكرية، والعامة، وأصحاب الحديث، والكلابية.
ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٦٥، ويقصد بالحسينية: النجارية كما أفصح بذلك وبينه عند الحديث عنهم.
ينظر: المرجع السابق ١/٣٤٠. =

وغيره[١]. أما الآخرون الذين لم يجعلوا هذه الفرق أو بعضها فرقاً مستقلة فقد تباينت واختلفت مرئياتهم وتصوراتهم في تصنيف هذه الفرق.

فبالنسبة للنجارية والضرارية: يصنفهم معظم علماء الفرق ضمن الجبرية. ولعل السبب في هذا اعتقادهم أن كلا الفرقتين توافق الجبرية في قولها بخلق أفعال العباد.

وقد أشار إلى هذا الرازي[٢] فقال عن النجارية: "يوافقون الجبرية في خلق الأعمال والاستطاعة"[٣]. وقال عن زعيم الضرارية: "كان في بدو أمره تلميذاً لواصل بن عطاء[٤]، ثم خالفه في خلق الأعمال"[٥].

ومعلوم أن كلاً من المعتزلة والجبرية في مسألة خلق الأعمال على طرفي نقيض.

= وقد أخطأت إحدى الباحثات عندما عرفت النجارية عند ذكرها باسم الحسينية فقالت بأنهم قوم من الرافضة قالوا بإمامة الحسين بن أبي منصور بوصية من أبيه أبي منصور له. وهذا لبس وقع بسبب تشابه اسم الفرقتين.
ينظر: عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في كتابه الفرق بين الفرق عرضاً وتقويماً، ص ١٠٨.

(١) ينظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٤١٤، والاعتصام للشاطبي ٢/٢٠٦. وكل من الإيجي والشاطبي جعل أصول الفرق ثمانية هي: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة، والنجارية، والجبرية، والمشبهة، والناجية.
وممن وافقهم في هذا التقسيم السفاريني في لوامع الأنوار ١/٩٢، وكذلك التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون ٤/١٩٦.

(٢) محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري، أبو عبدالله، فخر الدين الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ، كان فقيهاً، أصولياً عالماً، رياضياً، فيلسوفاً، كان إماماً في الفلسفة وعلم الكلام، كان صاحب مال وأبهة، ونبرة حسنة وحظوة عند السلاطين، وكان من كبار المتكلمة في زمانه، توفي سنة ٦٠٦هـ.
ينظر: الأعلام ٦/٣١٣، الوفيات ١/٤٧٤، لسان الميزان ٤/٤٣٦، البداية والنهاية ١٣/٥٥ - ٦٦، شذرات الذهب ٥/٢١.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠.

(٤) واصل بن عطاء، أو حذيفة أبو الجعد، ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ، وارتحل إلى البصرة وأقام بها، وهو مؤسسة فرقة المعتزلة، كانت له قدرة بيانية حيث إنه كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً فكان يتجنب حرف الراء، لقب بالغزال لتردده على سوق الغزل، تنسب إليه فرقة الواصلية من المعتزلة.
ينظر: وفيات الأعيان ٢/٢٢٤ - ٢٢٦، ميزان الاعتدال ٤/٣٢٩، فوات الوفيات ٢/٣١٧، لسان الميزان ٦/٢١٤ - ٢١٥.

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١.

كما أكد ذلك ابن الجوزي(١) عندما عدّ النجارية من الجبرية ثم قال عنها: "زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم"(٢)، وهذا بعينه قول الجبرية(٣).

وهذه العلة التي ذكروها والمبرر الذي أوردوه بعيد عن الصحة؛ لأن كلاً من النجارية والضرارية عندما خالفوا المعتزلة لم يقولوا بالجبر وإنما مالوا إلى قول الأشاعرة في هذا الباب وقالوا بالكسب كما قال به الأشاعرة. لذلك نجد كلاً من البغدادي والمؤلف يذكر موافقتهم للأشاعرة، فالبغدادي يقول عن النجارية: "وقد وافقوا أصحابنا في أصول ووافقوا القدرية في أصول وانفردوا بأصول"(٤).

وجاءت عبارته أصرح مع الضرارية إذ يقول عن زعيمهم: "الذي وافق أصحابنا في أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأكساب للعباد"(٥).

وأما المؤلف فقد أشار إلى موافقتهم لأهل السنة - يقصد الأشاعرة - في جملة من الأقوال منها خلق الأفعال(٦).

ولعل مما يؤكد ذلك أن الأشعري أشار إلى مثل هذا، فمثلاً يحكي عن الضرارية قول زعيمهم: "أن أعمال العباد مخلوقة، وأن فعلاً واحداً لفاعلين، أحدهما خلَقَه وهو الله، والآخر اكتسبه وهو العبد، وأن الله - عز وجل - فاعل لأفعال العباد حقيقة، وهم فاعلون لها حقيقة"(٧).

---

(١) جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي، الإمام العلامة الحافظ المفسر، يصل نسبة إلى أبي بكر الصديق، الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف الكثيرة، له عبادة ونسك وجمال طلعة وحسن معشرة وطيب مظهر، توفي رحمه الله سنة ٥٩٧هـ.

ينظر: سير النبلاء ٣٦٥/٢١، العبر ١١٨/٣، البداية والنهاية ٢٨/١٣.

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٢.

(٣) وممن عدهم من الجبرية أيضاً: ابن النديم في الفهرست ص ٢٢٣.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٥) المرجع السابق ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٦) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠١ - ١٠٥.

(٧) مقالات الإسلاميين ٣٣٩/١.

ومال بعض الباحثين إلى أنهم في القدر على مذهب قريب من قول أهل السنة[١].

وهناك من صنف النجارية ضمن فرق المرجئة، والضرارية ضمن فرق المعتزلة.

فالأشعري جعل النجارية الفرقة السادسة من المرجئة وعدّ بعضاً من أقوالها في الإيمان ومسائله ثم قال بعد ذلك: "وهذا قول الحسين بن محمد النّجار[٢] وأصحابه"[٣].

وتابعه على ذلك جملة من مؤلفي كتب المقالات والفرق[٤].

أما الضرارية فقد صنفهم الأشعري وابن حزم والسكسكي[٥] وغيرهم ضمن المعتزلة.

يقول الأشعري في هذا الصدد معنوناً لحديثه عنها: "ذكر أقوال الضرارية أصحاب "ضرار بن عمرو"[٦] ما فارق به المعتزلة"[٧].

---

(١) يقول الدكتور عبدالرحمن المحمود: "ومن الفرق التي ينسبها كتاب المقالات إلى مذهب الجبرية فرقة "النجارية" و"الضرارية"، والعجيب أنه بعد الاطلاع على رأي هؤلاء في القدر تبين أن كلامهم لا يدل على أنهم على مذهب الجبرية... وظاهر أقوالهم لا تدل على أنهم جبرية، بل على أنهم في القدر على مذهب قريب من قول أهل السنة"، القضاء والقدر ص ٢٠٦ - ٢٠٧ بتصرف.

وقال عنهم في موضع آخر بعد وصفه لمن جعلهم جبرية بأن كلامه غير دقيق: "وإنما هم يقولون بالقدر على مذهب المثبتين له من أهل السنة". المرجع السابق ص ٣٠٥.

(٢) هو الحسين بن محمد بن عبدالله النجّار الرازي، أبو عبدالله رأس الفرقة النجارية من أهل قم، له مناظرات مع النّظام، وهو من متكلمة الجبرية.

ينظر: الأعلام ٢/٢٧٦، الفرق بين الفرق ص ١٥٥ - ١٥٨.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٢١٦.

(٤) ينظر: البرهان ص ٣٩. عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٢٨١، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص ١٤١.

(٥) عباس بن منصور بن عباس، أبو الفضل السكسكي، فقيه يماني من الشافعية، ولي القضاء في تعز، ولد سنة ٦١٦، وتوفي سنة ٦٨٣هـ. أشهر مؤلفاته: كتاب البرهان.

ينظر: هدية العارفين ١/٤٣٧، الأعلام ٣/٢٦٨، معجم المؤلفين ٣/٦٥. وينظر ترجمة موسعة له في: أبو الفضل السكسكي وكتابه البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص ٢٤ - ٦٧..

(٦) ضرار بن عمرو، من رؤوس المعتزلة، كان منكراً لعذاب القبر، ولخلق الجنة والنار الآن، ويجوّز أن يكون جميع الأمة في الباطن كفاراً، لجواز ذلك على كل فرد منهم، وله تصانيف تدل على ذكائه وكثرة اطلاعه، وقد توفي في زمن الرشيد.

ينظر: السير ١/٥٤٤ - ٥٤٦، الفرق بين الفرق ص ٢١٣ - ٢١٥، ميزان الاعتدال ٢/٣٢٨ - ٣٢٩، لسان الميزان ٣/٢٠٣.

(٧) مقالات الإسلاميين ١/٣٣٩.

ولا شك أن عبارته هذه توحي بأنه يجعل الضرارية من فرق المعتزلة سيما وأنه عندما ذكر اختلاف المعتزلة في صفات الله الأزلية وذكر قول بعض أعلام المعتزلة ذكر ضمن تلك الأقوال قول "ضرار"(١).

ولعل مما يؤكد ذلك أن حديثه عن الضرارية جاء بعد حديثه عن المعتزلة ولم يفصل بينهما إلا ببضعة أسطر عن الجهمية(٢).

وابن حزم عند ذكره لشنع المعتزلة نراه يردد: "قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار..."(٣)، وكذلك نجده يذكر أقوال ضرار ضمن أقوال المعتزلة(٤).

والسكسكي جعل الضرارية ثاني فرق المعتزلة من بين ثمان عشرة فرقة(٥). وقد تابعهما في هذا بعض من مصنفي كتب الفرق(٦).

وجميع ما ذُكر هنا عن النّجارية والضراريّة يؤيد ما سبق الإشارة إليه وهو استبعاد كون هاتين الفرقتين فرقتان مستقلتان وجعلهما من أصول الفرق.

أما البكرية فلم تبلغ من الشهرة ما بلغته النجارية والضرارية؛ لذا نجد بعضاً من مصنفي كتب الفرق يهملون الحديث عنها، فلا نجد لها ذكراً في كتبهم، وعلى رأس أولئك الشهرستاني الذي يُعدُّ بكتابه من أشهر فرسان مضمار هذا الفن(٧)، ولهذا كان إهماله لها من المآخذ التي أخذت عليه(٨).

---

(١) ينظر: المرجع السابق ٢٤٦/١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢٣٥/١ – ٢٣٨، ٢٣٩/١.

(٣) الفصل ٥٧/٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٦١/٥.

(٥) ينظر: البرهان ص ٥٢.

(٦) ينظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٣٢٨/١، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين ص ٥٢، تلخيص البيان ص ٨٦.

(٧) باستعراض كتاب الملل والنحل لا نجد بين جنباته تناولاً أو حديثاً عن فرقة البكرية!!
وقد تابعه في هذا: السكسكي، والعراقي، واليافعي. فلا نجد في كتاب كل منهم حديثاً عن البكرية!!

(٨) ينظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٦٧٤.

والذين تحدثوا عن هذه الفرقة نراهم مختلفين في تصنيفها فمنهم من عدهم من الجبرية(١).

ومنهم من أدرجهم ضمن فرق الخوارج(٢).

وذهب البعض إلى جعلها فرقة مستقلة وعدّها من فرق الأمة الأصول، كما هو الحال عن المؤلف ومن قبله البغدادي، إلا إن المؤلف تميّز عنه بإفرادها في باب مستقل، أما البغدادي فمع جعله لها فرقة مستقلة، وعدّها من أمهات الفرق إلا أنه جعلها في حديثه إلى جانب الجهمية والضرارية وجمعهم في فصل مستقل(٣).

ومهما يكن من أمر فإن المنهج الذي سلكه المؤلف في هذا الأمر -بلاشك- يعدّ أفضل وأمثل من المنهج الذي سلكه البغدادي؛ لأن اتفاق بعض الفرق في وقت الظهور وعدم تشعبها إلى فرق متعددة ليس مسوغاً لجمعها في فصل واحد مع ما بينها من الاختلاف الكبير في الأقوال والآراء، خاصة مع عدّ كل منهما من الفرق الأصول، لكن الأفضل من ذلك كله إرجاع كل فرقة منها إلى أصلها الذي انبثقت منه وهي إحدى الفرق الأصول بلا ريب.

---

(١) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١.

(٢) ومن أولئك: ابن حزم، وأبو محمد اليمني، والفخري.
ينظر: الفصل ٥/٥٦، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٣٩، تلخيص البيان ص ٦٨.

(٣) ولعل الدافع الذي جعل البغدادي يلجأ لهذا هو: ظهور هذه الفرق في وقت متقارب جداً، أو لكون ظهور كل منها تزامن مع ظهور الأخرى، وقد أشار إلى ذلك في أول كتابه إذ يقول: وظهر خلاف البكرية من بكر ابن أخت عبدالواحد بن زياد - والصواب زيد - وخلاف الضرارية من ضرار بن عمرو، وخلاف الجهمية من جهم بن صفوان، وكان ظهور جهم وبكر وضرار في أيام ظهور واصل بن عطاء في ضلالته". الفرق بين الفرق ص ٢٢، وقد يكون من أسباب ذلك: عدم تشعب هذه الفرق الثلاث إلى فرق أخرى، وكون كل واحدة منها تعد فرقة واحدة فقط، كما أشار إلى ذلك أيضاً فقال: "وأما البكرية والضرارية فكل واحدة منهما فرقة واحدة ليس لها تبع كثير، والجهمية أيضاً فرقة واحدة". الفرق بين الفرق ص ٢٥.
ينظر: التبصير في الدين ص ١٠١، ١٠٥، ١٠٩، الفرق بين الفرق ص ٢١١ - ٢١٥.

ولعل الصواب - والله أعلم - أن كلا من هذه الفرق تعود في أصل نشأتها إلى فرق أخرى، وأنها ليست سوى فروع لتلك الفرق الكبار، ولكنها خالفتها في بعض المسائل فانفصلت عنها، وهذا الانفصال لا يجعلها فرقا مستقلة لوجود الخلاف والتنازع بل والتكفير والتضليل من أتباع الفرقة الواحدة بعضهم لبعض.

ولأن اتفاق الفرقة بجميع طوائفها المتشعبة عنها على كل كبيرة وصغيرة أمر متعذر، بل قد يكون مستحيلا.

بل إن السبب في وجود تلك التشعبات والفرق الصغيرة المندرجة تحت تلك الفرق الكبير هو: وجود الاختلاف والتنازع في عدد من المسائل.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن التنقل وعدم الاستقرار على رأي معين سمة لأهل الأهواء والبدع.

فهم متقلبون لا يستقر لهم قرار أو رأي في مسألة ما. وهذا راجع إلى كثرة الجدل والمراء والخصومات وترك الاعتماد على مصادر اليقين، (الكتاب، والسنة، وما كان عليه سلف الأمة الصالح)[1].

يشهد لذلك قول أحد السلف: "من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل"[2].

بناءً على ما سبق فقد اجتهدتُ في البحث والمقارنة والترجيح بين تصنيف أرباب هذا الفن لهذه الفرق، لإرجاع كل منها إلى أصلها الذي انبثقت منه، وتبين لي - والله أعلم - ما يلي:

أولاً: أن "البكرية" ترجع إلى الخوارج، وهي فرقة من فرقها الكثيرة وذلك لأسباب هي:

أ- أن الغالبية من مؤلفي كتب الفرق ممن تطرقوا للبكرية في كتبهم جعلوها من الخوارج وعدُّوها من فرقهم. وقد سبق الإشارة إلى شيء من هذا[3].

---

(١) ينظر: مناهج أهل الأهواء ص ٩٠.

(٢) الشرح والإبانة ص ١٤٣، نقلاً عن المرجع السابق ص ٩٠، ونسبه لعمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه -.

(٣) وممن عدهم من فرق الخوارج: ابن حزم، وأبو محمد اليمني، والفخري، وقد سبقت الإشارة إلى مواضع ذلك في كتبهم.

ب - أن أقوالهم وآراءهم أقرب إلى أقوال وآراء الخوارج من أي فرقة أخرى، ومنها على وجه الخصوص قولهم في مرتكب الكبيرة، وهو أن كل ذنب صغير أو كبير... شرك بالله، والفاعل كافر مشرك مخلد في النار[١].

وكذلك موقفهم من بعض الصحابة حيث قالوا: إن بعضهم أذنبوا ذنوباً كفروا بها وصاروا مشركين[٢]، بالإضافة إلى تقارب بعض آرائهم في الفقه[٣].

جـ - أن الخوارج من الفرق التي اشتهرت بكثرة فرقها وتشعبها، وهذه الظاهرة تميزت بها أكثر من غيرها. فليس بعيداً أن تكون البكرية إحدى تلك الفرق العديدة[٤].

ثانياً: أن الضرارية تُعد من فرق المعتزلة. وذلك لأسباب:

أ - كثرة من نسبها إلى المعتزلة من مصنفي كتب الفرق وعلى رأسهم الأشعري، وابن حزم، وتبعهما جمع ممن جاء بعدهما وقد سبقت الإشارة إلى هذا[٥].

أما الذين صنفوها ضمن فرق أخرى غير المعتزلة فقلة[٦].

ب - إشارة بعض أعلام المعتزلة إلى كون ضرار بن عمرو زعيم الضرارية كان أحد المعتزلة. كما أشار إلى ذلك غيرهم.

---

(١) ينظر في الإشارة إلى هذا: الفصل ٥٦/٥، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٣٩/١.

(٢) ينظر: الفصل ٥٦/٥، التبصير في الدين ص ١٠٩، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٣٩/١.
ويقصدون طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام.

(٣) وقد كان من سمات الخوارج قلة الفقه في الدين وضعف الحصيلة من العلم الشرعي، وهذا ما نلمسه من آراء البكرية، فمن آرائهم في الفقه: تحريم الثوم والبصل، وأنه متى ما تحرك ريح في الجوف وجب به الطهارة.
ينظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام ٣٨، التبصير في الدين ص ١١٠، الفرق بين الفرق ص ٢١٣.

(٤) لتأكيد هذا الأمر ينظر: الخوارج تأريخهم وآراؤهم الاعتقادية ص ١٩٤، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ٥٢.

(٥) ينظر: مقالات الإسلاميين ٣٣٩/١، الفصل ٥٧/٥، البرهان ص ٥٢، عقائد الفرق الثلاث والسبعين ٣٢٨/١، ذكر مذاهب الثنتين والسبعين فرقة ٥٢، تلخيص البيان ص ٨٦.

(٦) وذلك كتصنيفهم من الجبرية من قبل الرازي وابن الجوزي.
ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١، تلبيس إبليس ص ٢٢.

يقول القاضي عبدالجبار في معرض حديثه عن واصل بن عطاء: "وكان من جملة من يختلف إليه ويأخذ منه ضرار بن عمرو، ثم خذل من بعد واعتقد الجبر"[١].

كما يقول أحد أعلام المعتزلة وهو يتحدث عن أتباعها: "حتى إن من خالفهم أخذ عنهم فتسمى رئاسة لم يدركها فخالفهم فطردتهم المعتزلة فصاروا رؤساء في غيرهم، فأذناب المعتزلة ومن دونهم رؤساء سائر الفرق كضرار بن عمرو أخذ عنهم ثم خالفهم فكفَّروه وطردوه"[٢].

وكذلك من غير المعتزلة نرى بعض العلماء يعدّون ضراراً من المعتزلة كالذهبي إذ يقول عنه: "ومن رؤوس المعتزلة ضرار بن عمرو شيخ الضرارية"[٣].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الضرارية في الأصل من فرق المعتزلة، إلا أنها خالفتها في بعض المسائل فافترقوا عنهم فعدهم البعض فرقاً مستقلة أو نسبهم إلى فرق أخرى.

ثالثاً: النجارية هي أكبر الفرق الثلاث، ونسبتها إلى إحدى الفرق الأصول أمر يبدو أكثر صعوبة، لموافقتها لأكثر من فرقة في أقوالها، ولأن ضخامة الفرقة بتعدد فرقها يوحي بأنها إحدى الفرق الكبيرة التي لها كيانها المستقل وآراؤها الخاصة.

ومع ذلك فقد يكون الأقرب إلى الصواب - والله أعلم - أنها تعد من فرق المعتزلة، وذلك لعدة أسباب:

أ- موافقتها للمعتزلة في بعض أقوالها كالقول بخلق القرآن، ونفي الرؤية ونفي بعض الصفات التي تنفيها المعتزلة، والقول بقول المعتزلة في التوحيد إلا في باب الإرادة والجود[٤].

---

(١) فضل الاعتزال ص ١٦٣.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩١ - ٣٩١، وقائله: الحاكم الجشمي المعتزلي.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٤، وينظر: ميزان الاعتدال ٢/٣٢٨، لسان الميزان ٣/٢٠٣.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٨ - ٢٠٩، التبصير في الدين ص ١٠١ - ١٠٢، مجموع الفتاوى ١٤/٣٥١ - ٣٥٢، مقالة التعطيل ص ٤١.

وسيأتي لهذا الكلام مزيد بيان[١].

ب - أن كثيراً من مصنفي كتب الفرق وغيرهم يقرنون في حديثهم بين الضرارية والنجارية لوجود العديد من أوجه التقارب والتماثل بين الفرقتين، فالبعض يجعلهما من فرق الجبرية[٢]، والإسفراييني تحدث عن النجارية ثم أردف بعد ذلك مباشرة بالحديث عن الضرارية[٣].

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: وكان الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية هم خصوم أهل السنة زمن فتنة القول بخلق القرآن[٤].

جـ - ما عرف به النجّار من كثرة التآليف والمناظرات، وهذه الخصلة من الخصال التي تميز بها المعتزلة واشتهرت عنهم أكثر من غيرهم[٥].

د - أن النجّار كان نظيراً لأحد أعلام المعتزلة ثم خالفه وخالفهم وقال بخلق الأفعال[٦].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا - كما سبق مع الضرارية - أن النجّارية - والله أعلم - كانت في الأصل إحدى فرق المعتزلة ولكنها خالفتها في بعض المسائل فاقتربت بذلك من أهل السنة وابتعدت عن المعتزلة، يشهد لذلك قول ابن حزم: "وأقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد النجّار، وبشر بن غياث المريسي ثم أصحاب ضرار بن عمرو"[٧].

وكذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "والنجّارية والضرارية وغيرهم يقربون من جهم في مسائل القدر والإيمان مع مقاربتهم له أيضاً في الصفات"[٨].

---

(١) وذلك عند الحديث عن منهج المؤلف في عرض الآراء ضمن هذا المبحث.

(٢) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ - ٩١.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠١، ١٠٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٣٥١ - ٣٥٢.

(٥) ينظر: ما ذكره ابن النديم عنه وعن مؤلفاته: الفهرست ٢٢٣.

(٦) ينظر: الفهرست ص ٢٢٣، ونظيره هذه هو: حفص الفرد.

(٧) الفصل ٢/٢٢٦.

(٨) مجموع الفتاوى ٣/١٠٣.

ومعلوم أن الجهمية ينفون الصفات، وكذلك المعتزلة موافقون لهم في ذلك.

وقال في موضع آخر بعد ذكره لعدد من أعلام المعتزلة: "وكذلك أتباع من هو أقرب إلى السنّة من هؤلاء كأتباع الحسين النجّار وضرار بن عمرو..."(١).

ومما يزيد ذلك تأكيداً قول الشهرستاني عندما ذكر النجّارية وزعيمهم: "وأكثر معتزلة الريّ(٢) وما حواليها على مذهبه"(٣).

---

(١) درء التعارض ١/١٥٣ – ١٥٤.

(٢) الري بفتح أوله، وتشديد ثانيه، من المدن المشهورة قديماً، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين، وإليها ينسب أبو زرعة الرازي، وأيضاً فخر الدين الرازي وغيرهم، وهي الآن تقع شمال إيران وجنوب بحر قزوين.
ينظر: معجم البلدان ٣/١١٦ – ١٢٢، مراصد الاطلاع ٢/٦٥١.

(٣) الملل والنحل ١/٨٨.

المطلب الأول

منهجه في التعريف بفرق هذا المبحث

منهج المؤلف في التعريف بفرق هذا المبحث لم يتغير عن منهجه في التعريف بالفرق الأخرى، فنجده يواصل السير على منهجه السابق الذي لم يول فيه كبير عناية واهتمام بشأن التعريف بالفرق. فهاهو يكتفي بذكر زعيم الفرقة الذي تنسب إليه، دون الإطالة والتفصيل في الحديث عنه والتعريف به، وكأنه بهذا المنهج يبيّن للقارئ بأن تلك الشخصية هي مؤسسة تلك الفرقة، ويبيّن له أيضاً سبب تسمية الفرقة بذلك الاسم وأن ذلك نسبة إلى مؤسسها.

يقول عن النجّارية: "وهم أتباع الحسين بن محمد النجّار"(١).

ويقول عن الضرارية: "وهم أتباع ضرار بن عمرو"(٢). وقال مثل ذلك عن البكرية(٣).

ولهذا تعد هذه الفرق من الطوائف التي اشتهرت وتميزت باسم رجالها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذا الشأن: "إن الطائفة إنما تتميز باسم رجالها أو بنعت أحوالها، فالأول كما يقال النّجدات والأزارقة والجهمية والنجّارية والضرارية ونحو ذلك"(٤).

وقد سار المؤلف على المنهج نفسه عندما تحدث عن الفرق التي تندرج ضمن فرق النجّارية(٥).

---

(١) التبصير في الدين ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩.

(٤) منهاج السنة النبوية ٥١٩/٢.

(٥) فالبرغوثية أشار إلى أنهم أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث. والزعفرانية أشار إلى أنهم أتباع الزعفراني.

ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٢.

عدا فرقة واحدة من فرقها حيث سلك في تسميتها مسلكاً آخر ، فلم ينسبها لشخص معين بل ميزها بحال من أحوالها ، وهي المستدركية[١] فقد ذكر عن أتباعها أنهم "سموا بهذا الاسم ؛ لأنهم زعموا أنهم استدركوا على أسلافهم ما خفي عليهم"[٢]. وهذا هو المنهج الثاني في تمييز الفرق الذي أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في نصه الذي نقلناه عنه.

وبالنظر في كلام مصنفي كتب الفرق والمقالات عن هذه الفرق والتعريف بها وبيان سبب تسميتها نجد أن المؤلف موافق فيما ذكره لمن جاء قبله وتابعه على ذلك جمع ممن أتى بعده[٣].

إلا أنه أهمل ذكر بعض الأسماء التي عرفت بها بعض هذه الفرق.

فالنجّارية على سبيل المثال عرفت باسم آخر هو "الحسينية" وهو أيضاً نسبة إلى زعيمها الحسين النجّار فهي تارة تنسب إلى اسمه الأول وتارة إلى اسمه الأخير.

وقد أورد هذا الاسم الأشعري حيث عدّ الحسينية - بهذا اللفظ - من أمهات الفرق في أول كتابه[٤] ، ثم أكد على هذا الاسم فقال : زعم الحسين بن محمد النجّار وأصحابه وهم الحسينية[٥].

---

(١) المستدركية: هم قوم من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم؛ لأن أسلافهم منعوا إطلاق القول بأن القرآن مخلوق، وزعمت المستدركة أنه مخلوق، ثم افترقوا فيما بينهم.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٠، التبصير في الدين ص ١٠٢، ميزان الاعتدال ١/٥٤٦، الملل والنحل ص ٨٩.

(٢) التبصير في الدين ص ١٠٢.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٧، ٢١٢ - ٢١٣. الملل والنحل ١/٨٨، ١/٩٠، الفرق وأصناف الكفرة ٢٤٦، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠، ٩١. البرهان ص ٣٩، ٥٢. عقائد الفرق الثلاث والسبعين ١/٢٨١، ٣٢٨. ذكر مذاهب الفرق ص ١٤١، ٥٢.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٦٥.

(٥) المرجع السابق ١/٣٤٠. وأشار إلى هذه التسمية الدكتور/ عبدالمنعم الحفني في موسوعة الفرق والجماعات ص ٣٩٠.

ولكن هذه التسمية لم تكن مشهورة عند مصنفي كتب الفرق، فلعل هذا هو السبب الذي جعل المؤلف يُعْرِضُ عن هذه التسمية، إضافة إلى أن التسمية بالحسينية يجعل الفرقة تلتبس مع فرق أخرى، فهناك أكثر من فرقة تعرف بهذا الاسم[١]. فلعل المؤلف حرص على ألا يشوش على القارئ بذكر هذه التسمية للنجارية فيؤدي ذلك إلى الوقوع في اللبس مع فرق أخرى.

وفي إطار التعريف بالفرق نرى المؤلف قد يوسع دائرة تعريفه ببعض الفرق فيشير - بإيجاز - إلى زمان المؤلف ووقته الذي عاش فيه. كقوله عن بكر[٢] زعيم البكرية: "وكان في أيام النّظام[٣]...".

كما قد يعرّج في تعريفه ببعض الفرق فيذكر مكان ظهور زعيم الفرقة وكأنه بهذا يشير إلى مواقع نفوذها وأماكن تواجدها. كقوله عن زعيم من زعماء فرق النجّارية أنه كان بالري.[٤]

وكقوله عن النجارية قبل ذلك في أول الكتاب عندما ذكر بيان فرق الأمة على الجملة فكان مما قال عنهم: "النجارية المقيمون بالري ونواحيها..."[٥].

---

(١) ومن تلك الفرق: أ – الحسينية: إحدى فرق الرافضة الذين قالوا بإمامة الحسين بن أبي منصور بوصية من أبيه، وهي إحدى فرق الإمامية.

ينظر: مقالات الإسلاميين ٩٩/١. الغلو والفرق الغالية للسامرائي ص ٩٩.

ب – الحُسينية: فرق من فرق الخوارج رئيسهم رجل يعرف "بأبي الحسين".

ينظر: مقالات الإسلاميين ١٩٨/١، معجم ألفاظ العقيدة ص ١٤١. موسوعة الفرق والجماعات ص ١٨٤ – ١٨٥.

جـ – الحسينية: أتباع أحمد بن الحسين الأطرابلسي من فرق الإباضية.

ينظر: دراسات عن الإباضية ص ٢١٣ – ٢١٧، الخوارج وآراؤهم الاعتقادية ص ٢١٥ – ٢١٦.

(٢) سماه صاحب الميزان: بكر بن زياد الباهلي، وذكر عن ابن حبان أنه قال عنه: "دجال، واضع للحديث، وكان يحدث عن ابن المبارك"، وقد اشتهر ببكر ابن أخت عبدالواحد بن زيد.

ينظر: ميزان الاعتدال ٣٤٥/١، المقالات ٣١٧/١، الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

(٣) التبصير في الدين ص ١٠٩.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٢.

(٥) المرجع السابق ص ٢٥.

هذه هي أبرز الجوانب التي تناولها المؤلف فيما يتعلق بالتعريف بفرق هذا المبحث: النجارية والضرارية والبكرية.

وفي حديث المؤلف عن خلاف النجارية في الباب الأول من كتابه الذي تحدث فيه عن بيان أول خلاف ظهر بعد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وفي أيام الصحابة أو قريباً من عهدهم[١]. نجده هناك يجمع بين الأمرين فيشير إلى زمن ظهورهم ومكانه إذ يقول: "ثم ظهر خلاف النجارية في أيام المأمون الخليفة، واستعد جماعة منهم بالري ونواحيها"[٢].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢.

المطلب الثاني

منهجه في ذكر فرق النجارية

سيقتصر الحديث هنا على فرق النجارية دون الضرارية والبكرية ؛ لأنه سبق وأن بُيّن بأن كلتيهما تعد فرقة واحدة ليس لها تبع كثير(١).

أما النجارية فإن الأمر يختلف معها ، فإن لها فرقاً متعددة. وقد فصَّل المؤلف الحديث عنها وتناول في حديثه أشهر فرقها وتكلم عن كل واحدة منها على حدة.

وهذا ما لا يكاد يوجد عند غيره ممن ألفوا في هذا الفن ، ويستثنى من أولئك البغدادي فيُعدّ هو الآخر ممن فصّل الحديث عنها وعن أشهر فرقها.

وعندما نستعرض ما كتبه مصنفو كتب الفرق والمقالات نجد أن كثيراً منهم في حديثه عن النجارية قد أهمل الحديث عن فرقها(٢). ومنهم من اكتفى بتعداد فرقها فقط كالشهرستاني(٣).

وبعض الذين تحدثوا عن فرقها ذكر إحدى فرقها ثم فصّل الحديث عنها كالأشعري(٤).

أما المؤلف فعندما ذكر النجارية في أول الكتاب في عرضه لفرق الأمة على الجملة بيَّن أنها أكثر من عشر فرق فيما بينهم ، وبين كذلك أنهم يعدون فرقة واحدة(٥). لكنه عندما تحدث عنها بالتفصيل في الباب السابع الذي خصصه للحديث عنها تناول سبب

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٥.

(٢) ينظر: الفرق وأصناف الكفرة ص ٢٤٦. البرهان ص ٣٩، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٢٨١، ذكر مذاهب الفرق ص ١٤١.

(٣) الملل والنحل ١/٨٨ - ٨٩، ومثله الرازي، ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ - ٩١.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ١/٣٤١ - ٣٤٢ حيث أشار إلى برغوث زعيم البرغوثية وعدَّد جملة من أقواله وآراءه دون الإشارة إلى فرقها الأخرى.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ص ٢٥.

افتراقهم، وذكر أنه راجع إلى اختلافهم في العبارة عن قولهم بخلق القرآن بعد اتفاقهم على أنه مخلوق، وكذلك اختلافهم في غيره اختلافاً كثيراً[١].

وبعد هذا مباشرة بيّن أن أشهر فرقها ثلاث فرق[٢].

وقد تكلم عن كل واحدة منها على حدة، سالكاً في ذلك المنهج الذي سلكه عندما تحدث عن أصلها وهي النجارية.

فنجده يشير إلى زعيم الفرقة وإلى جملة من آرائها، وقد يتناول - أحياناً - بعض جوانب الموافقة والمخالفة للنجار زعيم الفرقة الأم.

ولنضرب بحديثه عن "البرغوثية"[٣] مثالاً على ما ذُكر حيث يقول عنهم بعد أن نسبهم إلى زعيمهم: "وكان على مذهب الحسين النجار إلا أنه خالفه في قوله أن المكتسب لا يكون فاعلاً على الحقيقة وكان يقول: إن الأفعال المتولدة فعل الله تعالى لا باختيار منه لكنه بإيجاب الطبع والخلقة، وكان يخالف به النجار إذ كان النجار يوافق أهل السنة في قوله: إن الأفعال المتوالدة فعل الله تعالى لا بإيجاب الطبع والخلقة"[٤].

والناظر بدقة فيما ذكره المؤلف عن فرق النجارية وما ذكره غيره من أصحاب هذه الصنعة يرى مدى التقارب بينه وبين البغدادي، ويلاحظ مدى تأثر التلميذ بشيخه، ومع هذا فإن البغدادي عندما تناول هذا الجانب بالحديث كان أكثر توسعاً وأدق

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١ – ١٠٢.

(٢) وهي: البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة.

(٣) البرغوثية: هم أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث، وكان على مذهب الحسين النجار إلا أنه خالفه في تسمية المكتسب فاعلاً، فامتنع منه، وكان يقول: أن الأفعال المتولدة فعل الله تعالى لا باختيار منه لكنه بإيجاب الطبع.

ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٩، مقالات الإسلاميين ٣٤١/١، التبصير في الدين ص ٩٣ – ٩٤، قاموس المذاهب والأديان ص ٥١.

(٤) التبصير في الدين ص ١٠٢.

عبارة، ربما لأنه قد عاصر وناظر بعض المنتمين لهذه الفرق، حيث حكى مناظرته لبعضهم[١]، وتفرد بذكر بعض ما عرف عنهم من حماقات[٢] - على حد تعبيره -.

وفي عدّ المؤلف لفرق النجارية نراه يقتصر على أشهرها التي كاد ينعقد إجماع مصنفي لقب الفرق الذي تحدثوا عن فرقها على عدّها[٣]،

ولعلي هنا أشير إلى فرق النجارية التي ذكرها الرازي، فبالإضافة إلى عدّه للفرقة السابقة المشهورة نراه ينفرد من بين مصنفي كتب الفرق بذكر فرقة لم يعددها أحد ضمن فرق النجارية وهي: "الحفصية"[٤].

وعدم إيرادها ضمن فرق النجارية من قبل أرباب هذا الفن - ومنهم المؤلف - قد يعود إلى عدم شهرتها. وقد يعود إلى كونها مندرجة تحت إحدى الفرق الثلاث المشهورة التي تعد مرجع وأصل فرق النجارية كما ذكر ذلك البغدادي[٥].

---

(١) وقد ختم حديثه عن النجارية وفرقها بإيراد إحدى تلك المناظرات القصيرة، وقد ذكر الإسفراييني كذلك في ختام حديثه عن النجارية وفرقها؛ ولكنه لم يشر إلى أن شيخه البغدادي كان طرفاً فيها.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٠ - ٢١١. التبصير في الدين ص ١٠٣.

(٢) ومن تلك الحماقات: أن الزعفراني أراد أن يشهر نفسه في الآفاق فاكترى رجلاً على أن يخرج إلى مكة يسبه ويلعنه في مواسم مكة ليشتهر ذكره عند حجيج الآفاق.
ومن ذلك: أن أتباعه كان منهم قوم لا يأكلون العنجد - أي الزبيب أو رديئه - حرمة له، ويزعمون أنه كان يحب ذلك. وقالوا: لا نأكل محبوبه.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٠.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠٢ - ١٠٣. وممن وافقه في ذلك البغدادي والشهرستاني.
ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٩ - ٢١١. الملل والنحل ١/٨٨ - ٨٩.

(٤) ولعل هذه الفرقة - والله أعلم - إحدى فرق النجارية المجهولة التي أهملها مصنفو كتب الفرق ومن بينهم المؤلف؛ لأنه اقتصر - حسب كلامه - على أشهرها كغيره.
وقد تكون "الحفصية" أتباع "حفص الفرد" الذي كان نظيراً للنجار، كما في الفهرست ص ٢٢٣.
ومما قد يؤكد صحة هذا الاحتمال قول الحاكم الجشمي المعتزلي: "وكحفص الفرد أخذ عنهم - أي المعتزلة - ثم خالفهم وصار من المجبرة فصار رئيساً في النجارية". فضل الاعتزال ص ٣٩١ - ٣٩٢.
ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١، ولم أقف على الحفصية ضمن فرق النجارية في كتب المقالات المشهورة.

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٥.

المطلب الثالث

منهجه في عرض آراء فرق هذا المبحث

من خلال كلام المؤلف عن فرق هذا المبحث الثلاث نراه قد عرض لجملة من أقوال وآراء كل منها - تماماً كما هو الحال مع ما سبق من الفرق - لكن منهجه في عرض آراء كل من النجارية والضرارية تميّز بميزة لا توجد في عرض آراء غيرها من الفرق بشكل جلي وواضح كما هو مع هاتين الفرقتين، وهي:

- تغليب منهج المقارنة بين الآراء، أي أنه يعقد مقارنة بين آراء الفرقة - سواء كانت النجارية أو الضرارية - وبين آراء فرق أخرى؛ وذلك لبيان مدى التوافق والاختلاف بينها.

وقد جعل المؤلف الطرف الآخر في المقارنة إما الأشاعرة وإما المعتزلة، أو هما معاً.

ولعل السبب الذي جعل المؤلف ينتهج ويسلك هذا المنهج هو أن كلاً من الفرقتين تُعد في الأصل تابعة للمعتزلة - كما سبق بيان ذلك - أو كان المعتزلة أشياخ وأساتذة لأعلام هاتين الفرقتين ثم خالفوهم في عدد من المسائل فاقتربوا بذلك من الأشاعرة، فكأنه أراد بهذه المقارنة تمييز وتمحيص أقوالهم ببيان ما بقوا عليه فوافقوا فيه المعتزلة، وبيان ما خالفوهم فيه فوافقوا فيه الأشاعرة.

وقد يتجاوز المؤلف هذه المرحلة من المقارنة فيقارن بين آراء كل من النجار وضرار - زعيمي الفرقتين - لبيان أوجه التقارب وعدمه بينهما.

ولضرب مثال على النوع الأول من المقارنة نورد أول كلام له عن النجارية إذ يقول عنهم: "وهؤلاء يوافقون أهل السنة - أي الأشاعرة - في بعض أصولهم مثل خلق الأفعال، والاستطاعة، والإرادة، وأبواب الوعيد، يوافقون القدرية - أي المعتزلة - في بعض الأصول مثل نفي الرؤية ونفي الحياة والقدرة، ويقولون بحدوث الكلام"[١].

---

(١) التبصير في الدين ص ١٠١.

ويقول عن الضرارية أيضاً حاكياً أقوال زعيمها: "وهو موافق لأهل السنة - أي الأشاعرة - في القول بخلق الأفعال وفي نفي التولد[١]، وهو موافق لأهل القدر - أي المعتزلة - في قولهم أن الاستطاعة قبل الفعل، لكنه زاد عليهم بأن قال: "يجب أن يكون مع الفعل أيضاً، وفارقهم أيضاً بقولهم: أن الاستطاعة بعض من المطيع"[٢].

ومثال النوع الثاني من المقارنة قوله كذلك عن ضرار: "ووافق النجار في قوله إن الجسم أعراض مجتمعة"[٣].

وقد يجمع بين النوعين فيبيِّن ما تميز به ضرار عن جميع الفرق وعن النجار كقوله: "وزاد على الجميع بأن قال: إن الله يُرى بحاسة سادسة خلاف الحواس الخمس التي هي مستعملة للخلق فيما بينهم"[٤].

ومن منهجه أيضاً في هذا الخصوص:

- ذكره للأصول المشتركة والمتفق عليها عند كل فرقة بذكر أهم أقوالها وأشهرها في المسائل التي خالفت فيها غيرها، والتي كانت محل إجماع عندهم.

- فالنجارية: أورد قولهم في الإيمان الذي وافقوا فيه المرجئة، وقولهم في حقيقة الجسم، وكذلك موقفهم من كلام الله الذي كان أهم أسباب اختلاف صفهم وتفرق كلمتهم[٥].

- وأما الضرارية: فقد ذكر قول زعيمهم في رؤية الله، وحكمه على عوام المسلمين وموقفه المشهور من أسماء الله وصفاته، وإنكاره لقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب[٦].

---

(١) التولّد: مصطلح من مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين ويعنون به الطريق للحصول على الدلالة بعد النظر في الدليل، والتولد شرط صحة النظر.
ينظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ١٠٨.

(٢) التبصير في الدين ص ١٠٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١ – ١٠٣.

(٦) ينظر: المرجع السابق ص ١٠٥.

وهذا المسلك والمنهج اتبعه المؤلف كذلك مع البكرية أثناء الحديث عنهم فبعد ذكر المؤلف لمعلومات مبدئية عنها تناول آراء زعيمها في عدة مسائل منها: مسمى الإيمان، والتولد، والرؤية، ومرتكب الكبيرة، إضافة إلى أقوال أخرى في العقيدة وكذلك الفقه.

ومما يُعدّ تابعاً لهذا المنهج الذي سلكه؛ تفريقه بين ما أطبقت عليه الفرقة - وكان محل إجماع بين أفرادها - وبين ما هو بخلاف ذلك مما كان محل اختلاف بينهم.

ولا شك أن هذا يعدُّ من تمام الدقة والتحري التي اتسم بها منهجه في عدة مواضع؛ لذلك نرى المؤلف ينسب القول إلى الفرقة وينقل أحياناً إجماعهم عليه، وفي حين آخر ينسب القول لزعيمها لاحتمال وجود مخالف له من أتباعه فيما ذهب إليه أو لعدم وجود قرينة تدل على إجماعهم على ذلك القول.

لهذا نجد المؤلف يقول قبل ذكره لبعض أقوال النجارية هذه العبارات:

"ومما أطبق عليه النجارية" "وهؤلاء يوافقون" "ويقولون"[1].

بينما يستخدم أسلوباً آخر مع بعض فرق النجارية ومع الضرارية والبكرية فتجده ينسب القول لقائله فيُكرر لأجل هذا بعض العبارات مثل:

"وكان يقول"، "وكان يخالف"، "وكان يعبر عن مذهبهم بعبارات متناقضة"، "وهو موافق"، "ووافق النجار"، "وزاد على الجميع"، "وكان ينفرد بضلالات"[2].

● اختلاف منهجه عند ذكره وعرضه لبعض المسائل من حيث الإطالة والتفصيل، فبعض المسائل التي تطرق لها المؤلف يلحظ في عرضه لها أنه خصها بمزيد اهتمام وتفصيل، فيضطر للإطالة عند عرضها، ويمكن تفسير لجوئه لهذا الأمر، أن تلك المسائل ذات أثر وأهمية في تاريخ الفرقة كأن تكون سبب انشقاق واختلاف وتباين في الآراء كما هو الحال في مسألة الكلام عند النجارية.

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١ - ١٠٣، ١٠٥ - ١٠٦، ١٠٩ - ١١٠.

فقد بيّن المؤلف ابتداءً موقفهم من مسألة الكلام ، ثم بيّن موطن الاختلاف والاتفاق بينهم في هذه المسألة ، بعد ذلك بيّن أنها سبب اختلافهم وتفرقهم إلى عدة فرق أشهرها ثلاث فرق[١].

وفي حديثه عن فرقها نجده يتناول هذه المسألة وبعض جوانبها وكأنه بهذا يؤكد أنها فعلاً من أقوى أسباب حدوث الاختلاف في صفوف هذه الفرقة[٢].

• سار المؤلف في حديثه عن تلك الفرق على منهجه العام من حيث الاكتفاء بعرض الآراء والأقوال دون التعقيب عليها بأي نوع من أنواع التعقيب سواء كان رداً أو مناقشة أو تعليقاً ، ولكنه كما خرج عن هذه القاعدة مع بعض الفرق فإنه خرج هنا أيضاً عنها في بعض المواضع.

لذلك نراه في نطاق ضيق يعقب على بعض الآراء باختصار ، كتعقيبه على بعضها بمخالفتها للإجماع ، من ذلك أنه عندما عرض لقول ضرار في عوام المسلمين وعدم حكمه عليهم بالإسلام أو الكفر وعدم اعتباره بظاهر حالهم وقوله إن سرائرهم قد تكون شركاً وكفراً[٣] ، قال بعد ذلك : "وهذا خلاف إجماع أهل السنة حيث قالوا : إنّا نقطع أنّ في عوام المسلمين مؤمنين عارفين براء من الكفر والشرك"[٤].

وقد يعقب على بعض الآراء ببيان تناقض قولها كما فعل بعد عرضه لقول النجارية في الجسم والعرض[٥].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١ – ١٠٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٠٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١٠٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٥ – ١٠٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ١٠١.

المطلب الرابع

وقفات عند بعض ما ذكره عن هذه الفرق

تلك هي أبرز سمات منهج المؤلف في حديثه عن كل من النجارية والضرارية والبكرية.

إلا أنه ومع ذلك فلا تزال هناك جوانب يمكن أن تراجع مع المؤلف نجملها في هذه الوقفات:

الوقفة الأولى:

لم يأت حديث المؤلف عن تلك الفرق شاملاً لجميع ما اشتهر عنها، بمعنى أنه لم يحصر أو يستقصِ كل ما ذُكر عنها من آراء وأقوال.

بل يتضح للقارئ عندما يرى ما كتبه المؤلف وما كتبه غيره من مصنفي كتب الفرق أن هناك جملة من أقوال تلك الفرق أهملها المؤلف ولم يعرض لها في حديثه، بل إن منها أقوالاً مشهورة عنها.

فالضرارية: لها قول مشهور في الإمامة تميزت به عن سائر الفرق، وله أهمية خاصة عندها، لكونه مما تفردت به دون غيرها.

لذا نجد جمعاً - ممن تحدث عنها - من أرباب هذا الفن ينقلونه عنها، وهو: "أن الإمامة تصلح في غير قريش حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قُدّم النبطي، إذ هو أقل عدداً وأضعف وسيلة فيمكن خلعُه إذا خالف الشريعة"[1].

---

(١) ينظر: الملل والنحل ٩١/١، الفصل ١٥٢/٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١.

ومعلوم أن القرشية من شروط الإمامة عند جماهير علماء المسلمين قاطبة، وحكي الإجماع عليه من قبل الصحابة والتابعين، وبه قال الأئمة الأربعة. واستدلوا بعدة أدلة صريحة صحيحة من السنة والإجماع.

وقد خالف في هذا بعض الخوارج وقليل من المعتزلة وبعض أعلام الأشاعرة كالجويني والباقلاني كما قال بهذا بعض المُحْدَثين. =

ومن آرائهم أيضاً: رأيهم في عدم قبول أحكام الدين الواردة من طريق الآحاد، وجعلهم الحجة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الإجماع[(١)].

ومن آرائهم التي تعدّ أقل شهرة من غيرها إنكار عذاب القبر[(٢)].

هذه بعض الآراء التي عرفت بها الضرارية، ونسبت إليها.

وعندما نطالع ما ذكره المؤلف عنهم لا نرى لهذه الآراء وجوداً في حديثه عنها.

ولعل عدم ذكره لهذه الأقوال وعدم الإشارة إليها يعود إلى أن من كان قبله من مصنفي كتب الفرق والمقالات لم ينقلوها عنهم، حيث لا نرى لها ذكراً أيضاً عند الأشعري والبغدادي والملطي.

ومما قد يرد على هذا: ذكر ابن حزم لبعض تلك الأقوال؟! سيما أنه متقدم على المؤلف!

وللإجابة عن هذا يقال: إن صعوبة الظروف في ذلك الوقت قد حالت دون اطلاع المؤلف على ما كتبه ابن حزم، كما أن تقارب وفاة كل منهما مما ساهم في الحيلولة دون حصول ذلك التلاقح في الأفكار والمعلومات.

فليس بين وفاة كل منهما سوي "سبعة عشر" عاماً، ولا شك أنها فترة زمنية قصيرة خصوصاً إذا اجتمعت مع ظروف ذلك الزمن، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المؤلف قد سطّر هذا الكتاب ووضعه قبل وضع ابن حزم لكتابه.

وكذلك نجد هذه الملحوظة في حديث المؤلف عن البكرية حيث لم يتناول المؤلف ما ذكره الأشعري عنهم - مع تقدمه عليه وإمامته عنده وعند غيره من الأشاعرة - فقد حكى قول زعيمهم في الإخلاص، وأن الإنسان مأمور بالإخلاص مع

= ينظر في هذا: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٦/١، أحكام القرآن لابن العربي ١٧٢١/٤، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٤. الإرشاد للجويني ص ٧٢٤، الإنصاف للباقلاني ص ٦٩، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجي ص ٢٦٥ – ٣٠٨.

(١) ينظر: الملل والنحل ٩١/١، تلخيص البيان ص ٨٧.

(٢) وقد تفرد بذكر هذا عنهم الرازي. ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩١.

الطبع، وأن الطبع الحائل بينه وبين الإخلاص عقوبة له، وكذلك الإيمان، وحكي كذلك قوله بأن الله بكل مكان، وقوله بأن الاستطاعة قبل الفعل[١].

ولعل عدم إيراده لهذه الآراء مع ذكر أبي الحسن الأشعري لها أن المؤلف في كتابه هذا قد حذا حذو شيخه وأستاذه البغدادي، وتابعه في كثير مما ذكر وترك فلما لم يشر إلى هذه الأقوال السابقة تابعه في عدم الإشارة إليها وعدم ذكرها، أو أنه لم يطلع على ما نقله الأشعري عنهم.

ولعلي هنا أشير إلى رأي بعض الباحثين المعاصرين الذين يرون أن الحسين بن محمد النجار وضرار بن عمرو هما أول من أدخل التفسير السلبي للصفات في الفكر الإسلامي وأنهم سبقوا المعتزلة في هذا المضمار.

فعند ضرار بن عمرو معنى قولنا: الباري تعالى عالم قادر، أي أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكذلك كان يقول في سائر الصفات[٢].

وأما الحسين - النجار - فكان هو الآخر يقول: معنى قولنا: أن الله لم يزل جواداً. أن البخل منفي عنه أزلاً، وأنه لم يزل متكلماً: أي أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام، وأن لم يزل مريداً: أي أنه غير مستكره ولا مغلوب[٣].

وهذا صحيح - بلا ريب - حيث أشار جمع من مصنفي كتب الفرق إلى هذا الأمر، وفي ذلك تأكيد لصحة ذلك الرأي.

يقول الأشعري عن ضرار: "وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكذلك كان يقول في سائر الصفات"[٤].

وقال عن بعض زعماء النجارية: "وكان يزعم أن الله - سبحانه - لم يزل جواداً بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام"[٥].

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ٣٤٢/١ - ٣٤٣.

(٢) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٢٣٦، ٢٣٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٣٦، ٢٣٨.

(٤) مقالات الإسلاميين ٣٣٩/١.

(٥) المرجع السابق ٣٤١/١.

وقد ذكر عنهم مثل هذا الكلام الشهرستاني[١].

بينما البغدادي والمؤلف أشار كل منهما إلى هذا عند الضرارية فقط ولم ينقلوه ضمن حديثهم عن النجارية.

يقول البغدادي في حديثه عن آراء ضرار بن عمرو: "ومنها قوله أن معنى قولنا: "أن الله تعالى عالم حي" هو أنه ليس بجاهل ولا ميت، وكذلك قياسه في سائر أوصاف الله تعالى، من غير إثبات معنى أو فائدة سوى نفي الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه"[٢].

ويقول الإسفراييني عنه: "وكان يقول: إن الله تعالى يسمى حياً، عالماً، قادراً، على معنى أنه ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز"[٣].

الوقفة الثانية:

مجانبة للدقة في تسمية بعض الفرق وفي استخدام بعض المصطلحات خلال حديثه عن فرق هذا المبحث وأثناء عرضه للمقارنة، ومدى موافقة ومخالفة تلك الفرق لغيرها من الفرق، على وجه الخصوص.

من ذلك: أنه سبق وأن سمى المعتزلة بالقدرية عندما تحدث عنهم في الباب الخامس الذي جعله في تفصيل مقالات المعتزلة القدرية وبيان فضائحهم[٤]، وهذا من ألقابهم المشهورة[٥].

---

(١) ينظر: الملل والنحل ص ٨٩، ٩٠.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٥.

(٣) التبصير في الدين ص ١٠٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٦٣.

(٥) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٩٨، تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٥٤ – ٥٥. ومما ذكر ابن قتيبة أن مدعي الشيء لنفسه أحق أن يدعى به.

وهناك من رد على من سمى المعتزلة بالقدرية ودافع عنهم، كالمقبلي في العلم الشامخ ص ٣٥٣ – ٣٥٧.

وينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة ص ٢٣.

فلما تحدث عن النجارية وبيّن موافقتهم للقدرية - أي المعتزلة - في بعض المسائل قال بعد ذلك عن النجارية: "والقدرية يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل"(١).

وهذا قد يلتبس عن من يطالعه، فيتوهم تعارض كلام المؤلف وهو لا يعلم بأنه قد يكون المقصود بالقدرية في كلامه هنا "الجبرية" فيزول هذا اللبس إذا عُلم أن مسمى القدرية يشمل كلاً من المعتزلة والجبرية إذ أن كلاً منهما على طرفي نقيض في مسألة القدر، وكلا الطائفتين تتهم الأخرى بأنها هي القدرية فراراً من هذه التسمية؛ للأحاديث الواردة في ذم القدرية، ومنها قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "القدرية مجوس هذه الأمة..."(٢). وإطلاق هذا الاسم على كلا الطائفتين أمر مشهور.

يقول الشهرستاني: "والقدرية جبرية من حيث نفي الكلام والقول والأمر، والجبرية قدرية من حيث نفي الفعل والكسب المأمور به، فليتنبه لهذه الدقيقة"(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله أن المعتزلة والشيعة القدرية المثبتين للأمر والنهي، والوعد والوعيد، خير ممن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والنبي الصادق والمتنبي الكاذب، وأولياء الله وأعدائه، ويجعلون هذا غاية التحقيق، ونهاية التوحيد وهؤلاء يدخلون في مسمى القدرية الذين ذمهم السلف، بل هم أحق بالذم من المعتزلة ونحوهم، كما قال أبو بكر الخلال(٤) في كتابه السنة: الرد على القدرية وقولهم أن الله أجبر العباد على المعاصي"(٥)، وجاء في شرح الطحاوية: "وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٠١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نهاية الأقدام ص ٣٨٦.

(٤) أحمد بن محمد بن هارون الخلال الحنبلي، أبو بكر شيخ الحنابلة وعالمهم، ولد سنة ٢٣٤، قال البغدادي: "جمع الخلال علوم أحمد وتطلبها، وسافر لأجلها، وكتبها وصنفها كتباً، لم يكن - فيمن ينتحل مذهب أحمد - أحد أجمع لذلك منه" توفي سنة ٣٣١هـ.

ينظر: السير ٢٩٧/١٤، تاريخ بغداد ١١٢/٥، طبقات الحنابلة ١٢/٢، الأعلام ٢٠٦/١.

(٥) مجموع الفتاوى ١٠٣/٨.

=

القدر"[١]. وقد يكون ذلك وقع من باب الخطأ، إما تصحيفاً من أحد النساخ، وإما سهواً من المؤلف، والصواب - والله أعلم - (والقدرية يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه أهل السنة من المسائل) أو: (وأهل السنة يكفرونهم بسبب ما وافقوا فيه المعتزلة من المسائل) وهذا احتمال وارد، بدليل قربه مما ذكره البغدادي عند عرضه لهذه المقارنة حيث قال بعد ذلك: "وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا، وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية"[٢].

الجدير بالإشارة هنا: أن "محققي الكتاب" مرَّ كل منهما على ذلك الكلام وتلك العبارة دون تنبيه أو توضيح أو بيان لا من قريب ولا من بعيد!!

ومما قد يستدل به على عدم دقة المؤلف في استخدام بعض المصطلحات - إضافة إلى ما سبق - ما جاء في مقارنته مع النجارية والضرارية أيضاً من استخدامه لمصطلح "أهل السنة" دون بيان للمراد به.

ولهذا كان البغدادي أدق عبارة في هذا الأمر، حيث كان يقول في مقارنته بقوله: "ووافقوا أصحابنا" وقوله: "ووافقونا"[٣].

ومما يدل على دقته - أي البغدادي - وتلافيه للإشكالين السابقين قوله بعد مقارنته لآراء النجارية بآراء غيرهم: "وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا، وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية"[٤].

= وينظر كذلك: منهاج السنة ٧٦/٣ - ٧٧، درء التعارض ٦٦/١ - ٧٢.

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٨٧٩/٢.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٠٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨، ٢١٢ - ٢١٣.

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٨.

الفصل الثالث

منهجه في الكلام عن غير المسلمين

وفيــه مبحثان:

- المبحث الأول: منهجه في الكلام عن الفرق التي تدعي الإسلام.
- المبحث الثاني: منهجه في الكلام عن مقالات أقوام كانوا قبل الإسلام.

المبحث الأول

منهجه في الكلام عن الفرق التي تدعي الإسلام

وفيـه مدخل وثلاثة مطالب:

- مدخل.
- المطلب الأول: منهجه في ذكر الفرق التي تدعي الإسلام.
- المطلب الثاني: منهجه في عرض آراء الفرق التي تدعي الإسلام.
- المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن الفرق التي تدعي الإسلام.

المبحث الأول

منهجه في الكلام عن الفرق التي تدَّعي الإسلام وليست من زمرة المسلمين

مدخل:

سلك الإسفراييني وقبله البغدادي تقسيماً تميزا به عن غيرهما من أعلام هذا الفن المصنفين فيه، وهو تقسيم البدع إلى قسمين:

- بدع مخرجة عن دين الإسلام ودائرته.
- بدع غير مخرجة عن دين الإسلام ودائرته.

وبناء على ذلك أصبحت الفرق على ضربين:

- فرق خارجة عن دائرة الإسلام فليست من زمرة المسلمين.
- فرق غير خارجة عن دائرة الإسلام فهي من زمرة المسلمين، وداخلة في حديث الافتراق المشهور.

وقد لجأ كل منهما إلى ذلك لئلا يظن المطلع على كتاب كل منهما أن جميع ما يذكر من الفرق في كتابه داخلة في العدد الوارد في الحديث فيقع الخلط، ولا ينضبط العدد، وبالتالي يتحقق الهدف المنشود والغاية المقصودة من وضع الكتاب وهي بيان الفرق الإسلامية الواردة في حديث الافتراق والتفريق بينهم وتمييز الفرقة الناجية من بينها كما هو ظاهر من عنوان الكتابين.

والفرق التي تعدّ من زمرة المسلمين، وبدعها ليست مخرجة عن دين الإسلام، هي التي بدأ حديثه عنها وشغل ما ذكره عنها حيزاً كبيراً من الكتاب من بداية الباب الثاني إلى نهاية الباب الثاني عشر، وقد سبق الحديث عن منهجه في الكلام عن تلك الفرق بالتفصيل في الفصل السابق.

أما الصنف الآخر من الفرق والقسم الثاني من البدع فقد خصص لهم الإسفراييني الباب الثالث عشر من كتابه وجعل عنوانه: "بيان فرق أهل البدع الذين

ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يُعَدون في زمرة المسلمين ولا يكونون من جملة الاثنتين والسبعين"[١].

وقد جاء هذا العنوان مُفْصِحاً عن مراده من عقد هذا الباب ومبيّناً للقاسم المشترك المتفق عليه بين الفرق التي سيذكرها تحته دون النظر إلى الانتماء الفرقي لها وكونها متشعبة من فرقة من الفرق الكبرى.

وقد ولج الإسفراييني في هذا الباب دون مقدمات أو تمهيد يبيّن فيه الإطار العام لهذا الباب وخطوطه العريضة ومنهجه الذي سيسير عليه. ولعله اكتفى بذلك العنوان الطويل في بيان شيء من ذلك، حيث يمكن أن يستنبط منه ما يلي:

١ - أن فرق هذا الباب هي من أهل البدع كغيرهم من الفرق التي حادت عن المنهج القويم والصراط المستقيم، لكنهم وقعوا في بدع شنيعة خرجوا بها عن دائرة الإسلام - من وجهة نظره -.

٢ - أن تلك الفرق ليست من جملة الاثنين والسبعين فرقة الواردة في الحديث ولا تحسب منها؛ لأنها لا تعد من زمرة المسلمين وإنما تنتسب إلى دين الإسلام انتساباً.

٣ - أن هذه الفرق غير منضبطة بعدد معين ومحدد ولذلك قال في ختام عنوان هذا الباب: "وهم أكثر من عشرين فرقة"[٢]، وذلك بخلاف فرق القسم الأول حيث كان يحدد عدد كل فرقة من أمهات الفرق، ثم يصل بعددها من خلال ذلك إلى اثنتين وسبعين فرقة؛ لتكون الفرقة الناجية متممة للعدد الوارد في الحديث، فتصبح هي الفرقة الثالثة والسبعين.

---

(١) التبصير في الدين، ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٣.

المطلب الأول

منهجه في ذكر الفرق التي تدَّعي الإسلام

فرق هذا الباب كما ذكر الإسفراييني في عنوان هذا الباب أكثر من عشرين فرقة، وقد شرع من بداية حديثه في الباب بذكر الفرق دون النظر إلى التيار الذي تنتسب إليه، والأصل الذي تفرَّعت منه، بل بالنظر إلى كونهم يشتركون في خروجهم عن دائرة الإسلام وزمرة المسلمين، وبالتالي فسيضم هذا الباب فرقاً متعددة ذات عقائد مختلفة وانتماءات متنوعة.

وهذا بالفعل هو الملاحظ، فبينما نجد عدداً كبيراً من فرق هذا الباب تعود في الأصل إلى الشيعة، نرى فرقاً أخرى ترجع في نسبتها إلى الخوارج، وأخرى إلى المعتزلة.

- فإحدى عشر فرقة تقريباً هي في الأصل من فرق الشيعة دون ما يندرج تحت بعضها من فرق[1].
- وفرقتان هي من ضمن فرق المعتزلة[2] (أو القدرية كما سماهم).
- وفرقتان هي من ضمن فرق الخوارج[3].
- وإحدى هذه الفرق - إن صح جعلها فرقة - أهل التناسخ كما أطلق عليها، ويشترك في الانتساب إليها طوائف من المعتزلة وغلاة الشيعة[4].
- ومثلها: الحلولية، ومن جملتهم ما ذكر من غلاة الروافض الذين ادعوا حلول الإله في الأئمة[5].

---

(١) وهي حسب ترتيب المؤلف: السبئية، البيانية، المغيرية، الحربية، المنصورية، الجناحية، الخطابية، الغرابية، الشريعية، والنميرية، الخرمية، الباطنية.

(٢) وهما: الخطابية، الحمارية.

(٣) وهما: اليزيدية، الميمونية.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ١٣٦ – ١٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٣٠.

أما بالنسبة لعدد فرق هذا الباب فقد سبق الإشارة إلى أنـه غـير منضبـط ، ولـذا لم يحدد الإسفراييني عدداً معيناً ، وإنما ذكر أنهم أكثر من عشرين فرقة ، ومع ذلك لم يذكر سوى سبع عشرة فرقة فقط ، هذه هي التي صرَّح بعددها ونص عليه دون أن يعدد ما يندرج تحت بعضها من الفرق.

ومما يميز منهجه في هذا الشأن :

١ - أنه سار على منهج مرتب ومنظم نسبياً في حديثه عن فرق هـذا البـاب مـن حيث انتسابها للفرق الكبار التي تعد من أمهات الفرق ، فنجد حديثه عن فرق الشيعة ، ثم فرق المعتزلة ، ثم فرق الخوارج ، كل منها على حدة دون خلط بينها.

ثم ختم حديثه عن الباطنية ، ولعله أرجأ الحديث عنها وأخَّره لطولـه ولاعتبارهـا من أصول فرق الشيعة وكبارها ، وقد عدّها كذلك جمع من العلماء. وهـذا أمر يميز الباطنية عـن غيرهـا مـن فـرق الشيعة المذكـورة في هـذا البـاب. وهـذا الـترتيب والتنظيم جيد لا بأس به.

٢ - أنه عدد من فرق هذا الباب سبع عشرة فرقة فقط ، دون ما يندرج تحت بعضها من فرق ، إذ إن عدد تلك الفرق المتفرعة والتي تحدث عنها اثنتا عشر فرقـة بالإضافـة إلى فرقة أخرى ذكرها لكن لم يتحدث عنها[١].

وبالتالي يصبح عدد الفرق التي ذكرها تحت هذا الباب ثلاثين فرقة.

وقد أشار البغدادي إلى ذلـك ونبَّه إليـه في بـدء حديثه عـن الفـرق الـتي عدهـا خارجة عن دائرة الإسلام حيث قال بعد أن عدَّها : "وربما انشـعبت الفرقـة الواحـدة من هذه الفرق أصنافاً كثيرة"[٢].

تجدر الإشارة إلى أن البغدادي حدد فرق هذا الصنـف بعشريـن فرقة[٣]، ولكنـه

---

(١) وهي فرقة البركوكية ، وعدها ضمن فرق الحلولية لكنه يتحدث عنها كالفرق الأخرى التي ذكرت معها. ينظر: المرجع السابق ص ١٣٠.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣٢.

عندما عددها بأسمائها قبل تفصيل الحديث عنها أوصلها إلى إحدى وعشرين فرقة[١]، وقد خصص لهم الباب الرابع من كتابه، وأفرد كل فرقة منها بفصل مستقل، وعلى ذلك فمن المفترض أن يصل عدد الفصول عشرين فصلاً، ولكنها بلغت سبعة عشر فصلاً حيث كان يجمع أحياناً أكثر من فرقة في بعض تلك الفصول.

وفي الجملة، فحديث البغدادي في هذا الفصل مع ما امتاز به من التفصيل وحسن التمهيد له، إلا إنه لا يخلو من الاضطراب في تعداد الفرق كما سبق، بالإضافة إلى تعيينها وتحديدها فنجد على سبيل المثال أن هناك فرقاً أفردها مع فرقتين أخرى بالحديث في فصل مستقل على أنها من فرق هذا الباب، لكنه لم يعددها أو يذكرها ضمن عرضه العام لفرق هذا الباب[٢]، وكذلك هناك فرق ذكرها في عرضه العام مع كبار فرق هذا الباب، ولكنه عندما فصّل في الحديث عن الفرق أوردها ضمن الفرق المنشعبة من إحدى الفرق الكبار[٣].

٣- أن بعض تلك الفرق لا ينطبق عليها مسمى "الفرقة" بمعناه الاصطلاحي المعروف، وإنما كانت تسميتها نسبة إلى قول ما، أو رأي معين تواطأ عليه مجموعة من الفرق فأدْرِجُوا تحت مسمى واحد، مع أنه قد يوجد بينها اختلاف وتباين في آراء وأقوال أخرى، بل قد يكون كل منها منشعباً من فرقة أخرى مستقلة تماماً عن الأخرى. وذلك مثل: الحلولية - أهل الحلول القائلين به -، والتناسخية - أهل التناسخ القائلين به -.

فالقول بالحلول والتناسخ عقائد موجودة عند ديانات كانت قبل الإسلام، ولكن امتد تأثيرها حتى وصل إلى بعض الفرق المنتسبة للإسلام، وقد أشار إلى ذلك الإسفراييني فقال عن بعض فرق الحلولية وهي الخرمية[٤]: "وهم فرقتان: فرقة منهم

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٢) كفرقة الذمية، ينظر: المرجع السابق، ص ٢٢٣، ٢٥٠.

(٣) كفرق: المقنعية، والرزامية، والحلاجية، والعذافرة. ينظر: المرجع السابق، ص ٢٢٣، ٢٥٦ - ٢٦٦.

(٤) الخرمية فرقتان، فرقة كانت قبل الإسلام وهم أتباع مزدك الإباحي وتدعو إلى الاشتراك في الأموال والأبضاع، وكانت ذات طابع سري امتدت إلى الإسلام وظهرت الفرقة الثانية منها في دولة الإسلام وقد =

كانوا قبل دولة الإسلام: وهم المزدكية[١] كانوا يستحلون المحرمات كلها، وكانوا يقولون: إن الناس كانوا شركاء في الأموال والحرم... والفريق الثاني من الخرمية ظهروا في دولة الإسلام..."[٢].

كما قال أيضاً عن أهل التناسخ: "وهم قوم من الفلاسفة قبل الإسلام وكان سقراط[٣] من جملتهم... وماني[٤] الثنوي قال بالتناسخ في بعض كتبه... وقوم من اليهود أيضاً يقولون بتناسخ الأرواح..."[٥].

= وجدت في التشيع ملجأ لها كالبابكية أتباع بابك الخرمي، واشتد عودها في العصر العباسي، يقولون بإسقاط التكاليف وإباحة الملذات والشهوات والمحرمات.

ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٦٦، الملل والنحل ٢١٦/١. موسوعة الأديان والمذاهب ٤٨/١، قاموس المذاهب والأديان ص ٨٩ – ٩٠.

(١) المزدكية عقيدة ثنوية منبثقة من المانوية، تنسب إلى مزدك بن نافدان، ادعى النبوة وأظهر دين الإباحية والاعتقاد بإلهين اثنين، ظهر في فارس زمن قبّاذ والد أنوشروان، واستطاع أن يقنعه بالدخول في دينه، ولما طلب منه أن يبعث امرأته ليتمتع بها غيره قام قبّاذ بقتله وقتل أتباعه، وارتد عن دينه.

ينظر: التنبيه والرد ص ١٠٧، الملل والنحل ٢٤٩/١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٤١. قاموس المذاهب والأديان ص ١٨٧ – ١٨٨.

(٢) التبصير في الدين، ص ١٣٥.

(٣) سقراط بن صوفر نيسقوس، ولد بأثينا عام ٤٧٠ق م، أحد الحكماء والفلاسفة المشهورين، من تلاميذ فيتاغورس، اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية، أعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وخالف اليونانيين في عبادتهم الأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجاج والأدلة فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم إلى قتله فأودعه الملك الحبس ثم سقاه السم فمات عام ٣٩٩ق م.

ينظر: تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري ص ١٩٨، البعث عند الفلاسفة وموقف الإسلام منه – رسالة دكتوراه – د. عبدالكريم الحميدي، ص ١٨١ – ١٨٤، الفلسفة عند اليونان د. أميرة حلمي ص ١٣٥ – ١٣٧، سقراط، د. مصطفى غالب، ص ١٤٣.

(٤) ماني بن فاتك ولد سنة ٢١٥م، وقيل ٢١٦م، إليه تنسب المانوية أشهر المذاهب المجوسية التي كثر أتباعها، كان له أثر كبير في الآراء الدينية كما كانت تعاليمه مزيجاً من الديانتين المسيحية والزرادشتية، زعم أنَّ صانع العالم اثنان: النور مصدر الخير، والظلمة مصدر الشر، وهما أزليان لم يزالا ولن يزالا، كما قال بتناسخ الأرواح. قتله بهرام بن شابور قيل عام ٢٧٤م.

ينظر: موسوعة الأديان والمذاهب ٤٤/١ – ٤٧، قاموس الأديان ص ١٨٠، معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٥٦.

(٥) التبصير في الدين، ص ١٣٦.

المطلب الثاني

منهجه في عرض آراء الفرق التي تدعي الإسلام

بما أن فرق هذا الباب على طرائق ومشارب قددا فلا شك أن دراسة منهج الإسفراييني في عرض آراء تلك الفرق له أهميته لتعددها ووجود الاختلاف فيما بينها.

ولذا نجد أن الإسفراييني حيال هذا الأمر ركز في حديثه عن كل فرقة على القول أو الرأي الذي خرجت بسببه عن دائرة الإسلام، أو التي أخرجها هو بسببه عن دائرة الإسلام ونطاق المسلمين، هذا الأمر يأتي في الدرجة الأولى بالنسبة لعرضه للآراء، إلا أنه إلى جانب ذلك قد يذكر أثناء حديثه عن بعض الفرق شيئاً من آرائها الأخرى.

وبالنظر إلى مجموع آراء الفرق التي ذكرها نظرة فاحصة تأمليَّة نجد أن أبرز الآراء التي ركز عليها والتي كانت وراء إخراجه للقائلين بها عن دائرة الإسلام وحظيرة المسلمين هي:

- تأليه المخلوقين واعتقاد الألوهية فيهم، بأي شكل كان ذلك، سواءً كانوا من الصحابة أو من غيرهم، وهذا خاص بفرق الشيعة، والتي يطلق عليها البعض اسم "الغُلاة".
- القول بالحلول، وأن روح الإله حلَّت في بعض الأئمة. وقد قام بجمع الفرق التي وقعت في هذه البدعة تحت مسمى فرقة واحدة سماها "الحلولية".

وهذه البدعة تعد مندرجة ضمن الأولى؛ إذ هي جزء منها وشكل من أشكالها، كما تعد الثانية عند بعض الفرق سبباً للأولى. وهي كذلك عند فرق الشيعة الغلاة.

- القول بالتناسخ أي تناسخ الأرواح. وهذه البدعة يشترك فيها مع الشيعة المعتزلة كما دل على ذلك كلام الإسفراييني حيث يقول: "وكان في دولة الإسلام من أهل التناسخ فريقان: فريق من جملة القدرية، وفريق من غلاة الروافض"[1].

---

(١) التبصير في الدين، ص ١٣٦.

ولكن المؤلف عندما فصَّل الحديث عن أهل التناسخ بعد أن ذكر جذوره في الديانات القديمة السابقة للإسلام، حصر حديثه على القائلين به من المعتزلة، ولم يشر إلى بعض القائلين به من الشيعة، سوى إشارته عند حديثه عن أحد أعلام المعتزلة بأنه "كان في الظاهر ينتسب إلى القدرية والرافضة وأنه وضع كثيراً من الأحاديث اغتر بها الروافض..."[١]، بخلاف البغدادي الذي عدد القائلين بالتناسخ من الشيعة، ثم ذكر أن هؤلاء يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[٢].

وقد بيّن الإسفراييني أن أهل التناسخ هؤلاء "بينهم خلاف كثير في معنى التناسخ"[٣].

- نسبة شيء من الخلق والتدبير إلى غير الله - سبحانه وتعالى - وقد ركز على ذلك في حديثه عن فرق المعتزلة التي صنفها ضمن فرق هذا الباب.

ولذلك قال بعد أن أورد قول إحدى فرق المعتزلة في ذلك: "وقولهم في هذا شر من قول الثنوية حين أضافوا الأفعال إلى فاعلين اثنين"[٤].

إضافة إلى ما سبق فإن هناك أقوالاً وآراءً قالت بها بعض الفرق، فرأى المؤلف إخراجها عن الإسلام وبالتالي جعلها ضمن فرق هذا الباب، ومن ذلك:

قوله عن اليزيدية[٥] من الخوارج بأن زعيمهم كان يقول: "إن الله تعالى يبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً ينسخ به شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان يقول: أتباعه يكونون في الصابئة المذكورة في القرآن"[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) التبصير في الدين ص ١٣٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٥) اليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة، إحدى فرق الإباضية من الخوارج، زعم يزيد أن الله سيبعث رسولاً من العجم ينسخ شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويكون على ملة الصابئة، وقال: إن كل ذنب كبير أو صغير شرك، ولهذه الأقوال أخرجه بعض العلماء عن الإسلام.
ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٤٨، الفرق بين الفرق ص ٢٧٩، الملل والنحل ١/١٣٦، الفصل ٤/١٨٨.

(٦) ينظر: التبصير في الدين، ص ١٤٠.

ومثل ذلك الميمونية[١] من الخوارج حيث ذكر بأن زعيمهم كان على مذهب العجاردة[٢]، ثم خالفهم ورجع إلى مذهب القدرية في باب القدر والإرادة والاستطاعة ثم اختار من دين المجوس استحلال بنات البنات... وكان ينكر سورة يوسف ويقول إنها ليست من القرآن"[٣].

والملاحظ أن عرضه للآراء اتسم بسمات لعل من أهمها:

١ - تصريحه بجملة من مصادره التي رجع إليها وعليها أحال، إضافة إلى ذكره لكتب بعض الفرق أثناء حديثه عنها، والتي وضعها زعماؤها وكبارها[٤].

ويظهر ذلك بجلاء أثناء حديثه عن الباطنية، ومن ذلك إشارته لإحدى رسائلهم المشهورة والتي نقل منها نصا طويلا يبين طريقتهم في التعامل مع مخالفيهم أيا كانوا، وما يضمرونه لهم من الحقد الدفين لإبعادهم عن المذهب الحق وتشكيكهم فيه، وسلخهم من الدين سلخا، ومن ثم إيقاعهم في براثن مذهبهم الباطل[٥].

٢ - تركيزه على آراء وأقوال الفرقة التي تدل على خروجها عن حياض الإسلام أو التي أخرجها بسببها عن زمرة المسلمين.

---

(١) الميمونية أتباع ميمون بن خالد إحدى فرق العجاردة من الخوارج وتفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من العبد، وإثبات الفعل للعبد خلقا وإبداعا والاستطاعة قبل الفعل والقول بأن الله يريد الخير دون الشر، وليس له مشيئة في معاصي العباد، وأباحوا نكاح بعض المحارم.

ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٧٨، الفرق بين الفرق ص ٢٨٠، الملل والنحل ١/١٢٩، التبصير في الدين ص ١٤٠.

(٢) العجاردة من فرق الخوارج أصحاب عبدالكريم بن عجرد، وافق النجدات في بدعهم، وقيل: كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرد بالقول بأنه تجب البراءة عن الطفل حتى يدعي الإسلام، ويجب دعاؤه إذا بلغ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ويكفرون بالكبائر، وينكرون أن تكون سورة يوسف من القرآن، انقسمت فيما بينها إلى فرق كثيرة اختلف أهل المقالات في عددهن لكثرة تفرعهم.

ينظر: مقالات الإسلاميين ١/١٧٧ - ١٧٨، الفرق بين الفرق ص ٩٣ - ٩٤، الملل والنحل ١/١٢٤، التنبيه والرد ص ١٨٩، التبصير في الدين ص ٥٤ - ٥٨.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٤٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٤١.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٤٧.

وقد صرح البغدادي باسم تلك الرسالة التي لم يصرح بها الإسفراييني واسمها "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم" وهي رسالة عبيدالله بن الحسين القيرواني، ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٩٤.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن البغدادي امتاز عنه في هذا الجانب ببيانه سبب إخراجه لكل فرقة عن فرق الإسلام، ولذا جعل ذلك في عنوان كل فصل تحدث فيه عن فرقة من فرق هذا الصنف، فبعد ذكر اسم الفرقة يقول: "وبيان خروجها عن فرق الإسلام"[١]. أو "فرق الأمة"[٢]، أو "جميع أو جملة فرق الإسلام"[٣]، أو "ملة الإسلام"[٤].

---

(١) وهذه أكثر الصيغ وروداً على لسانه، ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٧٧، ٢٧٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٨١.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٢٣٣.

المطلب الثالث

وقفات عند بعض ما ذكره عن الفرق التي تدعي الإسلام

كلام الإسفراييني ومنهجه في الحديث عن فرق هذا المبحث كغيره من المباحث لم يخل من وجود مواضع يمكن للباحث أن يقف عندها مع المؤلف لبيان بعض الثغرات والملحوظات التي حواها كلامه.

ولعل من أبرز تلك الوقفات:

الوقفة الأولى: أنه مع تخصيصه هذا الباب للفرق التي عدّها خارجة عن الإسلام وعن زمرة المسلمين لم يبيّن السبب الذي من أجله أخرج تلك الفرق من تلك الدائرة فضلاً عن أن يبين الضابط الذي سار عليه ووضعه في تصنيفه لتلك الفرق.

وهذا بخلاف ما هو عليه الحال عند البغدادي الذي يعدّ أدق وأضبط في هذا الجانب حيث بدأ بذكر الخلاف فيمن يعد من أمة الإسلام وملته، وذكر القول الراجح في ذلك[١]، بالإضافة إلى أننا نجده في حديثه عن كل فرقة يبين سبب خروجها عن ملة الإسلام - كما مرّ آنفاً -.

كذلك "قسم هذا الباب إلى سبعة عشر فصلاً وفي كل فصل يذكر فرقة من هذه الفرق أو أكثر، ثم يشرع في الرد عليها، وبيان خروجها عن جملة فرق الإسلام"[٢].

الوقفة الثانية: وجود التكرار والتداخل، أما التكرار فقد سبق أن تحدث عن بعض تلك الفرق وأشار إلى بعضها في مواضع سابقة، لذلك يقول في حديثه عن بعضها: "وقد ذكرنا من مقالتهم طرفاً، ونزيدها شرحاً وبياناً"[٣]. أو: "وقد ذكرناهم قبل"[٤]، بل سبق وأن تكلم عن بعض الفرق ضمن فرق الصنف الأول التي عدها داخلة في زمرة المسلمين ثم كرر الحديث عنها في هذا الباب، ولكن تحت مسمى آخر[٥].

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٣٠ – ٢٣٢.

(٢) عبدالقاهر البغدادي ومنهجه في الفرق بين الفرق ص ٨٦.

(٣) التبصير في الدين ص ١٢٣.

(٤) المرجع السابق ص ١٢٤.

(٥) وهي فرق المحمدية تكلم عنها ضمن فرق الإمامية من الشيعة، ثم تحدث في هذا الباب تحت مسمى المغيرية حيث قال عندما تحدث عن المغيرية: وتعرف اليوم بمحمدية الروافض لقولهم بإمامة محمد بن عبدالله=

وأما التداخل فقد جمع جملة من الفرق تحت مسمى أهل التناسخ وأهل الحلول، وعَدَّ كل منها من فرق هذا الباب ثم نجده يتحدث عن بعض تلك الفرق تفصيلاً ويعدها أيضاً فرقاً مستقلة من فرق هذا الباب، كما فعل مع الخابطية(١)، فقد تداخل حديثه عنها ضمن فرق أهل التناسخ(٢)، ثم تحدث عنها بشكل مستقل وعدّها فرقة مستقلة(٣).

الوقفة الثالثة: الإطالة والاستطراد في الحديث عن بعض الفرق، بل إن بعضها يعدّ من الفرق المتفرعة عن بعض فرق هذا الباب(٤). وأوضح مثال لهذا الأمر إطالته في الحديث عن الباطنية إذ شغل حديثه عنها قرابة ربع هذا الباب أو أكثر(٥).

الوقفة الرابعة: وقوع الوهم له في حديثه عن بعض الشخصيات والفرق ومن ذلك توهمه أن "ابن السوداء" شخصية أخرى غير "عبدالله بن سبأ" مع العلم بأنهما اسمان لشخص واحد وهذا هو الصواب الذي ذهب إليه بعض المؤرخين، ورجحه بعض الباحثين بعد البحث والدراسة(٦).

كما وقع له الوهم كذلك في تسمية بعض الفرق بناء على توهمه في تسمية زعمائها(٧).

= ينظر: المرجع السابق ص ٣٥ – ٣٦، ١٢٥.

(١) الخابطية: أتباع أحمد بن خابط، تطرفت في أقوالها فتبرأ منها المعتزلة، قالوا بخالقين قديم هو الله. وحديث هو المسيح – عليه السلام – كما قالوا بالتناسخ، ولهم أمور خالفوا فيها الأمة فعدهم البعض من الخارجين عن ملة الإسلام.

ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٧٩، الملل والنحل ٦١/١ – ٦٣، الانتصار ص ١٤٩، البرهان ص ٥٩.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١٣٦ – ١٣٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١٣٨ – ١٣٩.

(٤) ومن أمثلة ذلك حديثه عن: المقنعية، والحلاجية، ينظر: المرجع السابق ص ١٣٠ – ١٣٤.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ١٤٠ – ١٤٧.

(٦) ينظر في ذلك: ابن سبأ ودوره في أحداث الفتنة، د. سليمان العودة.

(٧) ومن ذلك: الربيعية أتباع أبي ربيع، والصواب: البزيغية أتباع بزيغ.

وكذلك: العمروية أتباع عمرو بن بيان العجلي، والصواب: العميرية أتباع عمير بن بيان العجلي.

ينظر: التبصير في الدين ص ١٢٧ – ١٢٨، الفرق بين الفرق ص ٢٤٨ – ٢٤٩، مقالات الإسلاميين ٧٨/١.

المبحث الثاني

منهجه في الكلام عن مقالات أقوام كانوا قبل الإسلام

وفيـــه مدخل وثلاثة مطالب

- مدخل.
- المطلب الأول: منهجه في الكلام عن أهل الكتاب.
- المطلب الثاني: منهجه في الكلام عن غير أهل الكتاب.
- المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن مقالات الأقوام الذين كانوا قبل الإسلام.

المبحث الثاني

منهجه في الكلام عن مقالات أقوام كانوا قبل الإسلام

مدخل:

مما ينبغي أن يعلم أن كتاب "التبصير في الدين" هو كتاب في مقالات الفرق الإسلامية بالدرجة الأولى. ومع ذلك فقد خصص الإسفراييني أحد أبواب كتابه للحديث عن ديانات وملل غير المسلمين من الأمم والأقوام الذين كانوا قبل الإسلام.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن "أبا المظفر الإسفراييني" يعدُّ - والإمام ابن حزم - من أوائل علماء المقالات والملل التي وصلت إلينا كتبهم الذين أفردوا عقائد غير المسلمين من أتباع الديانات الأخرى بحديث مستقل ثم سار على ذلك بعض من جاء بعده كالشهرستاني، ولكن بشيء من التوسع والتفصيل والترتيب.

فالسابقون للإسفراييني من علماء هذا الفن لم يسلكوا هذا المنهج ويتّبعوه في مصنفاتهم إذ إن كتبهم إما أن تكون خاصة بالفرق الإسلامية فحسب كما هو الحال عند الأشعري، أو يكون ذكرهم لبعض ملل ونحل غير المسلمين عرضاً في سياق المقارنة والتشبيه وبيان مدى التأثير والتّأثر، دون إفرادهم بحديث خاص أو أبواب مستقلة كما هو الحال عند البغدادي والملطي في الجزء الذي وصل إلينا من كتابه[(١)].

لذلك يعد هذا الأمر مما تميز به كتاب "التبصير في الدين" عن "الفَرْق بين الفِرَق" مع ما بينهما من كبير التشابه وعميق التأثر - كما سبق - [(٢)] وقد جاء كلام الإسفراييني عن هذه الملل والديانات في الباب الرابع عشر من كتابه، وجعل عنوانه: "في بيان

---

(١) وقد سبق الإشارة إلى ذلك تفصيلاً عند الحديث عن أشهر المؤلفات في المقالات في المبحث الثالث من التمهيد.

(٢) والتأكيد على هذا الأمر جاء ضمن الحديث عن بيان منزلة الكتاب بين كتب المقالات في المبحث الرابع من الفصل الأول من البحث.

مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام والله أعلم بعددهم، وإنما نذكر منهم ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات"[١].

هكذا عنون لذلك الباب، ولعل العنوان في الأصل يتركز على قوله: "بيان مقالات قوم كانوا قبل دولة الإسلام" وأما ما عدا ذلك إنما هو زيادة ألحقت بالعنوان للبيان والتوضيح.

وقد اتَّسم كلام الإسفراييني في هذا الباب بالاختصار والإيجاز إلى حدٍّ كبير، ولعل السبب وراء ذلك هو كون ما ذُكر تحته خارجاً عن موضوع الكتاب الرئيس، إذ إن موضوعه الأصلي كما هو ظاهر من عنوانه خاص بالفرق الإسلامية، وتمييز الناجية منها عن الهالكة، كما أن ذلك العنوان يفصح عن الهدف الذي من أجله وضع الكتاب وهو أيضاً مقتصر على الفرق الإسلامية دون غيرها من الديانات والملل والنحل والأهواء الأخرى.

(١) التبصير في الدين ص ١٤٩.

المطلب الأول

منهجه في الكلام عن أهل الكتاب

استحوذ كلام الإسفراييني عن أهل الكتاب - اليهود والنصارى - على الجزء الأكبر من هذا الباب أي بما يعادل ثلثيه تقريباً. وقد تحدث عن اليهود ثم النصارى وذلك على النحو التالي:

أولاً: اليهود

تمحور حديث الإسفراييني عنهم في جملة من الأمور:

- استفتاحه بنقل خبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن افتراقهم إلى إحدى وسبعين فرقة كما في حديث الافتراق المشهور[1].
- ذكره لسبب تفرقهم الذي من أجله وقع الخلاف بينهم حتى صاروا إلى ما صاروا إليه من التشرذم والشتات وبلغ من انقسامهم أن وصلوا إلى إحدى وسبعين فرقة كما أخبر الصادق المصدوق[2].
- إيراده لبعض التقسيمات العامة لطوائفهم وفرقهم، فقد قسمهم بالنسبة إلى موقفهم من نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبين أنهم في ذلك على فريقين "قوم منهم ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوم لا ينكرون يقولون أنه كان نبياً؛ ولكن كان مبعوثاً إلى العرب دون العجم وهم العيسويون[3]

(١) سبق ذكره وتخريجه وبيان مواقف الناس حياله.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) العيسوية: أتباعها العيسويون أصحاب أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل اسمه: "عوبديا" كان في زمن المنصور، وبدأ دعوته أيام مروان بن الحكم، وادعى أنه نبي وأنه المسيح المنتظر، فاتبعه خلق كثير، وكان يقول بنبوة عيسى، ونبوة محمد إلى العرب، قتله بالري مع أصحابه جنود المنصور. ينظر: الفصل ١٧٩/١، الملل والنحل ٢١٥/١ - ٢١٦، موسوعة الأديان والمذاهب ١٨٧/١، الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٢٤٤.

يكونون بأصفهان"[١].

كما قسمهم في أصل التوحيد إلى فريقين أيضاً "فريق منهم المشبهة وهم الأصل في التشبيه. الفريق الثاني منهم: هم القدرية ينكرون الرؤية ويقولون: إن الحيوانات يخلقون أفعالهم"[٢].

ومما يلاحظ على منهجه في حديثه عن اليهود تركيزه وتأكيده على بيان أثرهم وتأثيرهم على بعض الفرق المنتسبة للإسلام، مدعّماً ذلك ببعض الأحاديث الواردة التي فيها الدلالة على ما ذهب إليه ورام تأكيده.

فبعد أن ذكر قولهم في التشبيه وأنهم هم الأصل في ذلك قال: "وكل من قال قولاً في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم، وأخذ مقاله من مقالهم الروافض وغيرهم، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الروافض يهود هذه الأمة"[٣]؛ لأنهم أخذوا التشبيه من اليهود[٤].

كما أنه بعد أن ذكر قول الفريق الثاني وهم القدرية قال بعد ذلك: "وأكثر الأمم كان فيما بينهم جماعة من القدرية ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً"[٥]، والقدرية الذين ظهروا في دولة الإسلام أخذوا طريقتهم من قدرية اليهود..."[٦].

أما فيما يتعلق بمنهجه في ذكر فرق اليهود إلى جانب ما سبق، فإننا نجد أنه لم يصرِّح باسم فرقة منها سوى العيسوية، كما أشار أيضاً إلى فرقة

---

(١) التبصير في الدين ص ١٥١.

(٢) المرجع السابق ص ١٥١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) التبصير في الدين ص ١٥١.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) التبصير في الدين ص ١٥١.

السامرة[1] في ختام الباب، ولعله استدرك ذلك بعد أن فاته الإشارة إليها حيث فصل بينها وبين حديثه عن اليهود بالكلام عن النصارى، لذا نصّ على أنهم من جملة اليهود ولكنهم خالفوا في أشياء[2].

ثانياً: النصارى

جاء حديث الإسفراييني عن النصارى تالياً لحديثه عن اليهود مباشرة، وكما هو عن اليهود جاء كلامه عن النصارى أيضاً مرتكزاً على عدد من المحاور هي:

- ذكره لما جاء في حديث الافتراق من الأخبار عن تفرقهم، وأنهم سيفترقون على اثنتين وسبعين فرقة، وقد كانوا متمسكين بدين عيسى - عليه السلام - بعدما رفع إلى السماء إحدى وثلاثين سنة[3].
- بيانه لكيفية نشوب الخلاف ووقوعه فيما بينهم، وما كان لليهود فيه من أثر عن طريق "بولس"[4] اليهودي الذي كان له دورٌ كبيرٌ في ذلك، بإظهاره الدخول في النصرانية بعد أن أبطن الكيد لها، حتى أفسد عليهم دينهم[5].

---

(١) السامرة: اختلف في أصل السامرة وتاريخهم فقيل: إنه نسبة إلى بلدة السامرة، وقيل غير ذلك، وبينهم وبين اليهود عداء شديد، ولا يؤمنون إلا بالتوراة التي بين أيديهم، وهي مغايرة لما عند اليهود، ولا يرون لبيت المقدس حرمة ولا تعظيماً، وغالب آرائهم وعقائدهم مخالفة لعقائد اليهود.

ينظر: الملل والنحل ٥١٨/١ – ٥١٩، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ١٨٨/١، الفكر الديني اليهودي ص ٢٠٥.

(٢) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١٥١.

(٤) بولس: يسمى بولس الرسول واسمه العبري شاول، لكنه عرف عند الأمم باسم "بولس الكريم" ولد في السنة العاشرة من التاريخ الميلادي "بطرطوس" وكانت مركزاً كبيراً للثقافة، ثم انتقل إلى أورشليم وتربى بها، وكان أستاذه فيها غمالائيل عضو السنهدريم عارض النصرانية في بداية أمره واضطهد أتباعها، ثم تحول إلى النصرانية وساهم في تحريفها وانحرافها، وصار هو كل شيء في النصرانية، ينشئ الكنائس، ويخط الرسائل، قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في سياق حديثه عن ابن سبأ: "فأظهر الإسلام وأراد فساد دين الإسلام، كما أفسد بولص دين النصارى".

ينظر: الفتاوى ٥١٨/٤، ٤٨٣/٢٨، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ص ٨٤ – ٨٦، الصواعق المرسلة ٣٥٩/١.

(٥) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥١ – ١٥٢.

- إشارته لبعض فرق النصرانية الكبيرة والمشهورة خلال عرضه لما قام به "بولس" من دور أدى بالنصرانية إلى ما هي عليه الآن من الانحراف والاختلاف وعدم الائتلاف، وجاءت إشارته إلى ثلاث فرق من كبار فرقها وهي : النسطورية[١]، اليعقوبية[٢]، الملكائية[٣].

ثم بيّن بعد ذلك أنهم لم يزالوا يختلفون حتى بلغ عدد فرقهم مثل ما نطق به الخبر[٤].

ولم يكتف بهذا فقط، بل أكد ذلك بأن تلك الخلافات آلت بدينهم حتى أصبح مزيجاً من عدة مذاهب وأديان وأمور مبتدعة حيث قال : "وكان مذهبهم مذهب أصحاب الهيولي[٥]، وكانوا في بعض دينهم مع اليهود وفي بعض مع النصارى، وابتدعوا من عند أنفسهم أموراً كثيرة تخالف الفريقين"[٦].

---

(١) النسطورية: فرقة من فرق النصارى، تنسب إلى نسطور الحكيم، الذي تصرف في الأناجيل، وقد زعم أن الكلمة اتحدت بجسد عيسى كإشراق الشمس في كوة على بلورة... وقد ذكر شيخ الإسلام أن النسطورية خالفوا وانحرفوا عن مبادئ نسطور.

ينظر: الفصل ١/١١١، الجواب الصحيح ٣/٣٢، الملل والنحل ١/٢٢٤ - ٢٢٥، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ١/٢٣٧.

(٢) اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البرذعاني، وكان من أنشط الدعاة إلى المذهب، وكان يعقوب يقول بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا... (إن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده. بل هو هو. وتنتشر اليعقوبية في مصر والنوبة والحبشة.

ينظر: الملل والنحل ١/٢٢٥ - ٢٢٦، الجواب الصحيح ٣/٤٠٨، الفصل ١/١١١، تلبيس إبليس ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) الملكائية وقيل: الملكانية نسبة إلى الملك، وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها، وتعتبر هذه الفرقة من أعظم فرق النصارى وبها كان يدين جميع ملوك النصارى (عدا الحبشة والنوبة) وانتشرت في أفريقيا وصقلية والأندلس والشام.

ينظر: الملل والنحل ١/٢٢٢ - ٢٢٤، الفصل ١/١١٠، الموسوعة الميسرة ٢/١٧٤٢.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥٢.

(٥) الهيولي: لفظ يوناني، بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هو: جوهر في الجسم قابل لما تعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية.

ينظر: درء التعارض ٧/٢٣٣، ١٠/٣٠٢، كشاف اصطلاحات الفنون ٤/٣٩٩ - ٤٠١، التعريفات ص ٨٢، مفاتيح العلوم، الخوارزمي ص ٨٢.

(٦) التبصير في الدين ص ١٥٢.

المطلب الثاني
منهجه في الكلام عن غير أهل الكتاب

في الباب الرابع عشر من كتاب "التبصير في الدين" كان الإسفراييني قبل كلامه عن اليهود والنصارى قد تحدث عن أقوام يدينون بديانات متعددة وملل ونحل مختلفة.

منهم أقوام صرح بأسمائهم التي عرفوا واشتهروا بها، وآخرون ذكرهم بأفعالهم وعباداتهم التي ميزتهم أو كانت شعاراً لما يدينون به، وهذا الصنف الأخير هم الذين استهل الحديث بهم، وهم إما أنهم كانوا يعبدون أصناماً أو أشخاصاً أو صوراً أو حتى بعضاً من الحيوانات، وإما أنهم كانوا يعبدون بعض الكواكب والنجوم أو الملائكة، لكن - كما سبق - لم يُسمّ صنفاً منهم باسم يعرف به أو يطلق عليه، وإنما ذكرهم بما كانوا يعبدون.

أما الصنف الأول فقد ذكرهم بعد الصنف السابق وذكر كل قوم منهم باسمهم الدال عليهم والذي اشتهروا به وأصبح عَلَماً على ديانتهم أو نحلتهم.

وقد ذكر لكل نحلة منها مقالاتها التي تميزها والسمة الفارقة بينها وبين غيرها، لذلك نراه يقول: "ومنهم قوم كانوا قبل دولة الإسلام يُدْعَون سفسطائية ينفون الحقائق، وقوم يقال لهم السمنية ينفون النظر والاستدلال ويقولون بقدم العالم، وقوم يقال لهم الدهرية يقولون بقدم العالم وينكرون الصانع"(١)، كما يقول أيضاً: "ومنهم قوم يقال لهم البراهمة ينكرون جميع الأنبياء، ولكنهم يقولون بحدوث العالم وتوحيد الصانع"(٢).

---

(١) التبصير في الدين ص ١٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٠.

وقد ينتهج طريقة ذكر قول إحدى تلك النحل ثم يذكر أقوال بعضهم الأخرى المخالفة لما ذهب إليه الأولون ومُرَكِّزاً على القضية الجوهرية عندهم كما فعل مع الفلاسفة وقولهم بقِدَم العالم وبعض ما يتعلق بهذه المسألة[1].

كما أن هناك منهجاً آخر سلكه مع بعض الأقوام وذلك بالاكتفاء بتعداد أشهر فرق تلك الديانة أو النحلة ثم يردف ذلك بذكر القول الجامع لهم الذي يشتركون في القول به. وهذا ما فعله مع المجوس، فبعد أن بيَّن أنهم أربع فرق وعدّدها[2] قال عقب ذلك: (وهؤلاء كلهم على مذهب المجوس يقولون "بيزدان" و"أهرمن")[3].

وأحياناً يربط أو يقارن في حديثه عن بعض الديانات بغيرها من النحل والأديان الأخرى والتي سبق وأن تحدث عنها. كما هو الحال مع الصابئة إذ اكتفى في حديثه عنهم بأن قال: "ومنهم قوم يقال لهم الصابئة، وهؤلاء قوم ينتحلون مذهب أصحاب الهيولي كما وصفناه"[4]، لكن مما تجدر الإشارة إليه ونحن بصدد الحديث عن الصابئة أن الإسفراييني تحدث عن بعض فرق الصابئة أو أصنافهم ضمن حديثه عن الصنف الذين لم يصرح بأسمائهم وهم "أصحاب الروحانيات" الذين ينقسمون إلى فريقين:

١ - الذين يعبدون الكواكب وهم أصحاب الهياكل.

٢ - الذين يعبدون الأوثان وهم أصحاب الأشخاص[5].

وقد اشتمل حديثه على كلا الفريقين دون تسميتهم كما سبق[6]، ولعل ذلك يعود إلى اشتراك غيرهم معهم في ذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٩ – ١٥٠.

(٢) ولم يستوعب فرق المجوس حيث لم يذكر منها سوى أربع فرق هي: الزروانية، المسخية، الحزم دينية، البه آفريدية.

(٣) التبصير في الدين ص ١٥٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٥) ينظر هذا التقسيم في: الملل والنحل ٤٩/٢ - ٥١. موسوعة الأديان والمذاهب ١٢٤/١ – ١٢٥.

(٦) ينظر: التبصير في الدين ص ١٤٩.

علماً بأن هناك قسماً من الصابئة على خلاف أصحاب الروحانيات وهم الحرانيون[١]، ولكن لم يذكرهم أو يشر إليهم.

ولعل الجدير بالذكر والإشارة هنا أن الإسفراييني ختم هذا الباب ببيان حكم أولئك الأقوام الذين عقد ذلك الباب للحديث عنهم، وبيّن كذلك اختلاف أحكامهم في الشريعة الإسلامية، حيث قال: "واعلم أن جميع من ذكرناهم في هذا الباب من الفرق كفّار، إلا أن أحكامهم في كفرهم مختلفة في الشريعة كما نذكره في كتب الفقه"[٢].

---

(١) الحرانية: أتباعها الحرانيون. عدهم البعض من الصابئة، بينما يرى آخرون أنهم قد انتحلوا اسم الصابئة الوارد ذكرهم في القرآن بعد وفاة المأمون، وأنه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة قبل ذلك التاريخ، ولعل هذا يؤكد أن الحرانية دين قديم أراد أصحابه الإبقاء عليه فانتحلوا اسم الصابئة.
ينظر: الملل والنحل ٥٤/٢، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، عبدالرزاق الحسيني، ص ٣١ – ٣٢، موسوعة الأديان والمذاهب ١٢٦/١.

(٢) التبصير في الدين ص ١٥٢.

المطلب الثالث

وقفات عند بعض ما ذكره عن مقالات الأقوام الذين كانوا قبل الإسلام

لقد كان حديث الإسفراييني عن فرق هذا الباب في غاية الإيجاز والاقتضاب، بل لا يعدو ما كتبه سوى إشارات سريعة لا تفي بالغرض ولا تقدم تصوراً مجملاً أو عاماً عن تلك الديانات والملل؛ لذلك اشتمل كلامه عنها على عدد من الملحوظات واحتوى في طياته بعض المآخذ نشير إلى أهمها وأبرزها من خلال هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: عدم الاستقصاء والشمول لما يذكره من الديانات والفرق التابعة لها.

ففي حديثه عن اليهود أشار إلى بعض التقسيمات التي أدرج تحت كل منها بعض فرقهم، لكن لم يذكر أو يشر إلى بعض فرق اليهود الكبرى والمشهورة، حيث لم يشر في هذا السياق إلا إلى العيسوية، وكذلك السامرة فقط، علماً بأن هناك فرقاً يهودية أشهر وأشد قرباً إلى اليهودية من السامرة التي بينها وبين اليهود اختلاف كبير وعداء شديد[1].

وكذلك الحال مع النصارى، فمع ذكره لثلاثة من أشهرها أهمل تعداد بعض فرقها التي تعد متقدمة من حيث الوجود والنشأة على الفرق التي ذكرها[2].

---

(١) ومن تلك الفرق: فرقة الصدوقيين، والفريسيين، والأسيين، والربانيين، والقرائيين، إضافة إلى: العنانية، والمقاربة وغيرها.

ينظر: الملل والنحل ٢١٥/١ – ٢١٨، اليهودية، د. أحمد شلبي ص ٢٢٦ – ٢٣٣، موسوعة الأديان والمذاهب ١٨٦/١ – ١٩٨، الفكر الديني اليهودي، ص ٢١٤ – ٢٤٧، دراسات في الأديان. د. الخلف ص ١١٨ – ١٢٢.

(٢) وفرق النصرانية القديمة ذات مشارب مختلفة ونزعات متنوعة، منها ما ينزع إلى التوحيد وأخرى إلى التثليث، ولكن من أشهرها: فرقة أريوس، فرقة بولس الشمشاطي، فرقة مقدنيوس، وفرقة مرقيون، وكذلك الأليانية، والبربرانية، والمارونية.

ينظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٣٧ – ١٤٧، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. الأعظمي ص ٤٦١ – ٤٦٣، موسوعة الأديان والمذاهب ٢٣٤/١ – ٢٤١.

أما ديانات الفرس فمع أنه لم يذكر منها إلا المجوسية فقط[١]، لكن مع تعداده لأربع من فرقها لم يشر إلى فرق مجوسية أخرى بعضها أشهر من تلك التي ذكرها[٢]، وقل مثل ذلك مع أديان الهند الكبرى حيث اكتفى الإسفراييني منها بالبراهمة تاركا ديانات أخرى أشهر منها وأكثر انتشارا واتباعا[٣].

الوقفة الثانية: إهماله لعرض الآراء والكلام عنها وعدم اهتمامه بها، إذ لم يولها ما تستحق من العناية والبيان على الرغم من أهميتها.

فمع أهل الكتاب لا نجده يذكر أو حتى يشير إلى أبرز عقائد كل من اليهود والنصارى، وإنما انصب اهتمامه عندما تحدث عنها على النقاط السابق ذكرها والتي كانت محور حديثه في ذلك.

كما أنه لم يتطرق إلى كتبهم - التوراة والإنجيل - والتي تعد في أصلها من الكتب السماوية قبل أن تطالها يد التحريف والتبديل - كما هو معلوم -.

وقريبا من ذلك كلامه عن ديانات ونحل غير أهل الكتاب، فنراه عندما يعرض لإحداها يكتفي بعرض رأي من آرائها أو قول من أقوالها قد لا يكون هو أشهرها أو أبرزها، وقد يكون محل خلاف بين أتباعها أو ربما اشترك معها في القول به أقوام آخرون، أو تكون رياح التغيير قد عصفت به، فضلا عن أن يعطي تصورا دقيقا أو واضحا عن تلك النحلة أو الديانة.

---

(١) ومن أديان الفرس المشهورة إلى جانب المجوسية: الزرادشتية، والمانوية، والمزدكية، والخرمية، والتناسخية، علما بأن بينها كثير من التداخل.

ينظر: الملل والنحل ١/٢٣٣ - ٢٥٤، نشأة الفكر الفلسفي ١/١٨٩ - ١٩٧، موسوعة الأديان والمذاهب ١/٣١ - ٤٩.

(٢) وذلك مثل: الديصانية، والكيومرثية، والسيسانية، والمرقونية.

ينظر: الملل والنحل ١/٢٣٣، ٢٥٠ - ٢٥٢، نشأة الفكر الفلسفي ١/١٩٠، ١٩٤، موسوعة الأديان والمذاهب ١/٤٠ - ٤٣.

(٣) كالهندوسية، والبوذية، والجينية، والسيخية.

ينظر: أديان الهند الكبرى ص ٤٣ - ١٧٩، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص ٥١٩ - ٦٩٨، مقارنة الأديان الديانات القديمة لأبي زهرة ص ٢١ - ٧٩، موسوعة الأديان والمذاهب ١/٥٦ - ٨٧.

وبناء على ذلك كان حديثه في جانب الآراء وعرضها مشوباً بالنقص ومفتقراً إلى مزيد من العرض والتوضيح.

الوقفة الثالثة: أنه لم يسر في حديثه عن مقالات هذا الباب - الرابع عشر - على منهج محدد أو تقسيم معين، فلا نجد لديه مراعاة للتسلسل التاريخي والترتيب الزمني لتلك المقالات. كما أنه لم يقسمها وفق تقسيم يضبط كل ملة أو نحلة أو أكثر في إطار معين، كتحديد أهل الكتاب - كاليهود والنصارى -، ومن لهم شبهة كتاب - كالمجوس والثنوية - أهل الأهواء والنحل - كالفلاسفة والصابئة - وأديان أهل الهند، وآراء العرب في الجاهلية، ومثل هذا التقسيم سار عليه بعض من جاء بعده كالشهرستاني، ولذلك تميز كتابه بحسن الترتيب وجودة التنظيم، ورفع ذلك من أسهم شهرة الكتاب وانتشاره والاستفادة منه.

الوقفة الرابعة: تركه الإشارة إلى بعض الديانات والنحل التي كانت سابقة للإسلام، فمع أنه بيّن فيما عنون به لذلك الباب بأنه سيذكر مقالات قوم كانوا قبل الإسلام وأنه سيذكر ما اشتهر من جملتهم عند أرباب التواريخ وأصحاب المقالات[1]، لكن كلامه خلا من ذكر بعض من ينطبق عليهم ذلك، ومن تلك الأديان:

- ديانات الصينيين أو أديان الصين الكبرى[2].
- ديانات قدماء المصريين[3].

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٤٩.

(٢) ومن أشهرها "الكنفوشيوسية"، ينظر في ذلك: مقارنة الأديان الديانات القديمة ص ٨٠ – ١١١، موسوعة الأديان والمذاهب ١/٩٥ – ١٠٠، قاموس المذاهب والأديان ص ١٧٠.

(٣) ينظر في ذلك: مقارنة الأديان ص ٥ – ٢١، قاموس المذاهب والأديان ص ٢٣٥.

الفصل الرابع

منهجه في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيـــه تمهيد ومبحثان:

- التمهيد.
- المبحث الأول: منهجه في توحيد الله.
- المبحث الثاني: منهجه في بعض مسائل الاعتقاد

التمهيد

التعريف بمصطلح أهل السنة والجماعة ونشأة التسمية به وإطلاقه على الأشاعرة

وفيـــه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: التعريف بأهل السنة والجماعة.
- المطلب الثاني: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.
- المطلب الثالث: إطلاق لقب أهل السنة والجماعة على الأشاعرة.
- المطلب الرابع: منهجه العام في الكلام عن الفرقة الناجية.

المطلب الأول

التعريف بأهل السنة والجماعة

١- تعريف السنة في اللغة:

السُّنة - بضم السين، وفتح النون المشددة - في اللغة: الطريقة والسِّيرة.

جاء في لسان العرب: والسُّنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، ومنها قول الشاعر:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها ... فأول راضٍ سُنّة من يسيرها

وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده، قيل: هو الذي سنّه[١].

ومنه الحديث: "من سنَّ في الإسلام سُنّة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[٢].

"والسنَّة: السّيرة، وسنّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيرته"[٣].

يقول ابن الأثير[٤]: "وقد تكرر في الحديث ذكر "السنَّة" وما تصرف منها، والأصل فيها الطريقة والسِّيرة"[٥].

والبعض قيدها بالخير[٦]، حتى صار لفظ السنة يطلق على ما كان محموداً،

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة "سنن" ٢٢٥/١٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ٨٤/٧، ورقمه ١٠١٧، ورواه النسائي في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة ٧٦/٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٦٠/٣ – ٦١.

(٤) المبارك بن محمد بن عبدالكريم الجزري الشافعي أبو السعادات، ولد سنة ٥٤٤هـ، محدث فقيه وعلاّمة بارع بليغ، كان ورعاً عاقلاً، صاحب جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث والأثر، توفي سنة ٦٠٦هـ.
ينظر: السير ٤٨٨/٢١، طبقات السبكي ٣٦٦/٨، وفيات الأعيان ٢٨٩/٣، شذرات الذهب ٢٢/٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة "سنن" ٢٢٣/٢.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، مادة "سنن" ٢٩٨/١٢ – ٢٩٩.

فمعنى فلان من أهل السنة أي: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[(١)].

٢- تعريف السنة في الاصطلاح:

يختلف معنى السنة في الاصطلاح من علم إلى علم، ولذا جاء للسنة تعريفات متعددة عند أصحاب الفنون المختلفة، فلها تعريف عند المحدثين، والفقهاء، والأصوليين.

ومردّ هذا الاختلاف في المعنى الاصطلاحي للسنة إلى اختلافهم في الأغراض التي يعنى بها كل فئة من أهل العلم[(٢)].

والاصطلاح الذي يعنينا هنا هو الاصطلاح المتعلق بجانب الاعتقاد.

فقد جاءت السنة في النصوص الشرعية بمعنى: طريقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطريقة الصحابة من بعده، ومنهجهم في الاعتقاد والعمل. وضد السُّنة بهذا المعنى البدعة[(٣)]، ويقابل أهل السنة فيه أهل البدع والأهواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: "ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام وفي الاعتقادات، وهذا كقول ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وأبي الدرداء[(٤)] رضي الله عنهم: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة"[(٥)(٦)].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ١٢/٢٩٨ – ٢٩٩، لسان العرب ١٣/٢٢٦.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، ص ٤٨.

(٣) ينظر: الموافقات للشاطبي ٤/٤.

(٤) عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء، من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحكيم هذه الأمة، إمام قدوة، قاضي دمشق، توفي سنة ٣٢هـ.
ينظر: طبقات ابن سعد ٧/٣٩١، الاستيعاب ٤/٥٩، السير ٢/٣٣٥، الإصابة ٣/٤٥.

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/٥٥، برقم ١٤، ١/٨٨ برقم ١١٤، والحاكم في المستدرك ١/١٠٣، وصححه ووافقه الذهبي، والدارمي – المقدمة – باب في كراهية أخذ الرأي – برقم ٢٢١، وابن عبدالبر في الجامع ٢/١١٧٩ برقم ٢٣٣٤، وذكره البغوي في شرح السنة ١/٢٠٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/١٩.

(٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٧٧.

ولذا نرى كثيراً من أئمة السلف وعلمائهم يطلقون لفظ السنة على مسائل الاعتقاد، ويصنفون كتبهم فيها باسم "السنة"[١].

٣- تعريف الجماعة في اللغة:

قال ابن فارس[٢]: "الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضامّ الشيء يقال: جمعت الشيء جمعاً"[٣].

وجمع الشيء عن تَفْرقة يَجْمعه جَمْعاً وجَمّعه وأجمعه فاجتمع. والاجتماع ضد التفرُّق[٤].

والجماعة: مأخوذة من الجمع وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع[٥].

والجماعة العدد الكثير من الناس... وهي أيضاً: الطائفة من الناس يجمعها غرض واحد[٦].

والجماعة: هي الاجتماع، وضدها: الفرقة، وصار لفظ الجماعة اسماً لنفس القوم المجتمعين[٧].

---

(١) وممن ألف في ذلك باسم السنة الإمام أحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، والأثرم، وأبو داود صاحب السنن، وابن أبي عاصم، وابن أبي حاتم، وعبدالله بن أحمد بن حنبل، والخلال، والطبراني، والبربهاري وغيرهم كثير.

ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية ص ٩٦ - ٩٩، وسطية أهل السنة بين الفرق. ص ٣٧.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي أبو الحسين، اللغوي المحدث العلامة، ولد سنة ٣٢٩هـ. كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقه مالك، متكلماً على طريقة أهل الحق، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٣٩٥هـ.

ينظر: السير ١٧/١٠٣ - ١٠٦، ترتيب المدارك ٧/٨٤ - ٨٥، بغية الوعاة ١/٣٥٢ - ٣٥٣، وفيات الأعيان ١/١٠٠ - ١٠١، الأعلام ١/١٩٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة "جمع" ١/٤٧٩.

(٤) ينظر: لسان العرب ٨/٥٣ وما بعدها.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٩٦.

(٦) ينظر: المعجم الوسيط ١/١٣٥.

(٧) ينظر: الفتاوى ٣/١٥٧.

٤- تعريف الجماعة في الاصطلاح:

ذهب العلماء في المقصود بالجماعة التي جاء الأمر بلزومها وتحقيق نجاتها إلى أقوال أهمها[١]:

١ - السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢ - جماعة العلماء المجتهدين.

٣ - الصحابة على الخصوص.

٤ - جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر (الإجماع).

٥ - جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

٦ - جماعة الحق وأهله.

وكل تلك المعاني التي ذكرها أهل العلم لا تعارض بينها إذ هي من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، بدليل: إن بعض من قال بأحد تلك الأقوال إذا أراد أن يفسر ما اختاره يفسره بقول يكون قولاً آخر من الأقوال الستة. مما يدل على أنهم ما كانوا يرون الاختلاف في ذلك.

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نخلص إلى أن أهل السنة والجماعة أو الفرقة الناجية هم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيكون مدار تعريف الجماعة على أنها الحق وأهله[٢].

بقي أن نشير إلى أن أهل السنة والجماعة ليسوا محصورين في فئة معينة أو جماعة معينة، أو بلد أو زمن دون آخر، إذ كل من اتصف بسمات وصفات أهل السنة وكان على منهجهم فهو داخل في دائرة أهل السنة والجماعة[٣].

---

(١) انظر: الاعتصام ٢/٢٦٠ - ٢٦٦، تنبيه أولي الأبصار، د. صالح السحيمي ص ٢٦٩ - ٢٧٢.

(٢) ينظر: تنبيه أولي الأبصار، ص ٢٧٢.

(٣) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص ١٤٨ - ١٤٩.

المطلب الثاني

نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة

اتضح مما سبق أن مذهب أهل السنة والجماعة هو ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وبالتالي فإن نشأتهم ومبدأ ظهورهم يكون من عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن استخدام هذا اللقب لم يكن معروفاً آنذاك، حيث لم يكن لهم في تلك الفترة اسم ولا لقب غير اسم الإسلام ولقبه كما قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وإنما نشأة التسمية به وإطلاقه على جماعة معينة تقابلها طائفة مبتدعة ضالة عندما وقعت الفتن وحدثت البدع وظهرت بعض بوادر الفرقة والافتراق، وذلك في أواخر عهد الصحابة أيام الفتنة - فتنة قتل عثمان - رضي الله عنه، وما تلاها مما حدث بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - حيث احتيج إلى تمييز اتباع الفرق الضالة عن غيرهم خاصة عند أهل الأثر والرواية، ويدل على ذلك ما جاء عن محمد بن سيرين[2] أنه قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، الإمام الحجة مولى أنس بن مالك، ولد في أواخر خلافة عمر - رضي الله عنه - من التابعين، أدرك نحو ثلاثين صحابياً، كان ورعاً ذا عبادة، وإماماً في العلم والفضل، توفي سنة ١١٠هـ.

ينظر: تهذيب الأسماء واللغات ٨٢/١ - ٨٤، السير ٦٠٦/٤، التاريخ الكبير ٩٠/١ - ٩٢، وفيات الأعيان ٣٢١/٣ - ٣٢٢.

(٣) صحيح مسلم، المقدمة ١٥/١.

وقد ذهب البعض إلى خلاف ذلك: فالدكتور محمد باكريم في رسالته "وسطية أهل السنة بين الفرق" ص ٤١، يرى أن إطلاق هذه اللفظة يرجع إلى عصر النبوة، ويستدل بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦)، قال: "فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة"، وهذا =

ثم تتابع على ألسنة الناس استعمال هـذا الاسـم والوصـف للملـتزمين بالسـنة، والمتبعين لآثار الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتناقلوه مقابلين به أهـل البـدع على اختلاف مشاربهم.

= فيه نظر، لأن هذا الأثر لا يصح. فقد أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٢/١ ورقم ٧٤. وقال السيوطي: "أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نصر في الإبانة، والخطيب في تاريخه، واللالكائي في السنة" الدر المنثور ٦٣/٢.

والأثر في إسناده مجاشع بن عمر، قال فيه ابن معين: قد رأيته أحد الكذابين، وقال العقيلي: حديث منكر، وقال البخاري، عنه: منكر مجهول. ينظر: ميزان الاعتدال ٤٣٦/٣، وقد روي مرفوعا، كما أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، وقد ذهب الدكتور/ ناصر العقل في "مفهوم أهل السنة والجماعة" ص ٤٢ - ٤٣، وعثمان ضميرية في "مدخل لدارسة العقيدة الإسلامية" ص ٩٥، إلى أن نشأة التسمية بهذا الاسم إلى زمن محنة الإمام أحمد بن حنبل وارتباطه به لتجديده ما اندرس من مذهب أهل السنة عندما راجت عقائد الفرق والطوائف الضالة.

ولعل إرجاع نشأة التسمية إلى أواخر عهد الصحابة أقرب لتقدمها، وهو ما مال إليه عدد من الباحثين منهم:

د. عبدالرحمن المحمود في "موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٤٣/١ - ٤٨، خالد بن عبداللطيف في "منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى" ٢٤/١ - ٢٥، وعبدالرحيم السلمي في "حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين" ص ٣٥ - ٣٦.

المطلب الثالث

إطلاق لقب أهل السنة والجماعة على الأشاعرة

لما قرر أبو المظفر الإسفراييني أن فرقة الأشاعرة التي ينتمي إليها هي الفرقة الناجية المقصودة في حديث افتراق الأمة المشهور، جعل أتباعها أهل السنة والجماعة دون غيرهم.

وبالتالي أصبح مصطلح كل من الأشاعرة وأهل السنة والجماعة والفرقة الناجية عنده دالة على معنى واحد، وكأنها من قبيل الترادف(١).

لذا كان لابد من بيان حكم إطلاق لقب "أهل السنة والجماعة" على الأشاعرة.

ولعل مما يحسن بيانه ابتداءً أن مصطلح أهل السنة أصبح يطلق ويراد به أحد معنيين(٢):

الأول: معنى عام يشمل جميع الفرق التي يجمعها إثبات أحقية خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين مقابل من ينكر خلافة الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - وهم الرافضة، فيقال هذا رافضي وهذا سنِّي، وهذا اصطلاح العامة؛ ولهذا يدخل فيه الأشاعرة وغيرهم من الفرق التي خالفت.

الثاني: معنى خاص، يراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، وعلى ذلك فلا يدخل فيه أهل البدع والأهواء الذين خالفوا ما كان عليه السلف الصالح، كالأشاعرة.

وهذا اصطلاح حقيقي شرعي وهو مدار المدح والذم وكذلك الثواب والعقاب.

---

(١) وقد جاء ذلك على لسان كثير من الأشاعرة، وكذلك الماتريدية، ينظر في ذلك: نواقض الإيمان الاعتقادية ١/١٨ - ١٩.

(٢) وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .
ينظر: الفتاوى ٤/١٥٥، ٣/٣٧٥، منهاج السنة ٢/٢٢١.

ولما امتاز به أهل السنة من الخصائص والأخبار الواردة في فضلهم، وأنهم الفرقة الناجية، أخذت بعض الفرق تدعي أنها الفرقة الناجية، وأن أتباعها هم أهل السنة والجماعة(١)، ومن أشهر من عرف عنه ذلك فرقة "الأشاعرة"، خاصة ما قام به "البغدادي" الذي يعد من أشهر أعلامهم وأئمتهم الذين كان لهم أثر ودور في المذهب، ومن المعالم البارزة التي امتاز بها منهجه والتي كان لها أثر فيمن جاء بعده: "صياغته لمذهب الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة، حتى كاد يستقر في أذهان كثير ممن ينتسب إلى الفقه والعلم أن أقوال الأشاعرة تمثل المذهب الصحيح الذي هو مذهب السلف"(٢).

وكان ممن تأثر به في ذلك تلميذه "أبو المظفر الإسفراييني" فقرر في كتابه "التبصير في الدين" عقيدة أهل السنة والجماعة وفق المذهب الأشعري، كما قررها البغدادي في "الفرق بين الفرق".

وفي سبيل ذلك حرص الإسفراييني - كما حرص البغدادي من قبله - على تأكيد ذلك بعدة طرق منها: أن شيوخهم وأئمتهم في ذلك هم الأئمة المتقدمون لأهل السنة ونسبة المذهب إليهم خاصة الأئمة الأربعة(٣)، بل عد البغدادي أبا حنيفة والشافعي من متكلمي أهل السنة(٤)!

بل إن ما ذكروه في بيان عقيدتهم الأشعرية فيه كثير من المخالفة لما أثر وثبت عن أولئك الأئمة الذين أثبتوا جميع صفات الله التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، تلك الصفات التي سامها أولئك تأويلا ونفيا! فاشتركوا بذلك مع الجهمية في

---

(١) ينظر نحوا من هذا الكلام: الفتاوى ٣/٣٤٦.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٥٧٨.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٨٢ - ١٨٥.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٣٦٤.

نفي بعض الصفات ؛ ولذلك عدوا في الدرجة الثالثة من درجات الجهمية[1] التي تعتبر أخفها وأقربها إلى الحق.

مع العلم بأن الأشاعرة على الرغم من كونهم في هذه الدرجة ، إلا أنهم متفاوتون فيها على مراتب يمكن حصرها في مرتبتين :

● **المرتبة الأولى منهم**: الذين يقرون بالصفات الواردة في الأخبار في الجملة مع نفيهم وتعطيلهم لبعض ما ثبت بالنصوص ، وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن تبعه بعد ذلك كأبي الحسن الأشعري ، والباقلاني والبيهقي.

● **المرتبة الثانية**: تنتسب إلى أهل المرتبة الثانية إلا أنهم قاربوا المعتزلة الجهمية أكثر في النفي وخالفوا من انتسبوا إليه ، وفيهم من يتقارب نفيه وإثباته مع كثرة تناقضهم ، ومنهم الرازي والغزالي والجويني.

وبالتالي نخلص إلى أنه بالنظر إلى معنى اصطلاح أهل السنة العام - أي ما يقابل الشيعة - فالأشاعرة من أهل السنة والجماعة لقولهم بخلافة الأربعة - رضي الله عنهم - ، وأما بالنظر إلى المعنى الأخص - أي السنة المحضة - فهم على ثلاث مراتب : فمن كان منهم على اعتقاد الأشعري في مرحلته الأخيرة السنية فمعدود من أهل السنة والجماعة.

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الجهمية على ثلاث درجات هي - باختصار - كما يلي:

الدرجة الأولى: الجهمية الغلاة ، وهم الذين ينفون أسماء الله وصفاته ويجعلون إطلاق الأسماء من باب المجاز.

الدرجة الثانية: الجهمية الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ويجعلون كثيرا منها على المجاز ، وينفون صفات الله ، وهذا النوع من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم ، وهم الجهمية المشهورون.

ولا خلاف بيننا وبين الأشاعرة في عدم عد هؤلاء من أهل السنة والجماعة.

الدرجة الثالثة: طائفة من الصفاتية المثبتين المخالفين للجهمية ، ولكن فيهم نوع من التجهم. وأطلق عليهم: الجهمية لاشتراكهم في رد طائفة من الصفات.

ينظر: التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٦/٢٧٠ - ٢٧٢.

ومن كان أكثر إثباتا وإنما أثر عنه نفي يسير كالبيهقي[1] مثلا فهو أقرب إلى أهل السنة.

ومن لم يقل بذلك وأظهر مع ذلك مقالة تناقض اعتقاد الأشعري في آخر مراحله فهو إلى الجهمية أقرب منه إلى أهل السنة المحضة[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق حديثه عن الجهمية ودرجاتها ومراتب بعضها: "أقرب هؤلاء الجهمية: الأشعرية... وأما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة، ولكن الانتساب إلى الأشعرية بدعة لاسيما وذلك يوهم حسن الظن بكل من انتسب هذه النسبة. وينفتح بذلك أبواب شر"[3].

---

(١) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي أبو بكر، ولد سنة ٣٨٤هـ، من أئمة الحديث. أشعري المعتقد، قال الجويني: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه، له مصنفات كثيرة.
ينظر: السير ١٨/١٦٣، طبقات السبكي ٤/٨ - ١٦، تذكرة الحفاظ ٢/١١٣٢، شذرات الذهب ٣/٣٠٤، وفيات الأعيان ١/٧٥، الأعلام ١/١١٦.

(٢) ينظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ١/٤٧ - ٤٩.

(٣) الرسالة المدنية، ص ٣٦ - ٣٩.

المطلب الرابع

منهجه في الكلام عن الفرقة الناجية

لقد تدرج الإسفراييني في كتابه - طبقا لطريقة "السبر والتقسيم" - في إخراج كثير من الفرق عن مسمى الفرقة الناجية بعد حصرها ليصل إلى النتيجة وتعيين الفرقة الناجية ولذلك جاء الحديث عنها في الباب الأخير من كتابه وهو الباب الخامس عشر الذي خصصه **لبيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم** - كما عنون له -، ويقع هذا الباب في فصول ثلاثة هي على النحو التالي:

- **الفصل الأول: في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة**[١]:

وقد قرر فيه مذهب الأشاعرة في أبواب التوحيد التي تحدث عنها، وفي مسائل الاعتقاد التي أوردها.

وسار على منهج إفراد كل مسألة أو موضوع يريد الكلام عنه في فقرة مستقلة حتى وصل عدد فقرات هذا الفصل إلى سبع وأربعين فقرة شاملة لكثير من مسائل الاعتقاد المهمة، ولذا طال حديثه في هذا الفصل فشغل بذلك حيزا كبيرا من ذلك الباب.

والملاحظ أن ترتيبه لتلك المسائل في الجملة جاء كترتيب الأشاعرة لمسائل الاعتقاد في كتبهم، حيث بدأ بإثبات وجود الله بالاعتماد على دليل الحدوث، ثم الحديث عن توحيد الأسماء والصفات، بعد ذلك عرج على بعض المسائل العقدية كالرؤية والمعجزة والإيمان بالرسل وأمور اليوم الآخر، والقول في الصحابة إلى غير ذلك من المسائل.

كما أن من منهجه الاهتمام بالاستدلال على ما يذكره، واستخدام الأدلة العقلية والشرعية.

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥٣ – ١٨٥.

وقد أشار إلى ذلك منوها بمراده من ذلك فقال:

"واعلم أن جميع ما ذكرناه من صفات عقائد الفرقة الناجية يجب معرفته في صحة الإيمان، وقد شرحناه وقرنا كل واحد منها بدليل عقلي وآخر شرعي ليورد من أحكمه على الخصم المقر بالشريعة الأدلة الشرعية، وعلى الخصم المنكر للشريعة من طبقات الملحدين الأدلة العقلية فيقوى على الفريقين بما جمعناه من الطريقين، ولا تكاد تنفذ عليه حيل أهل الإلحاد والبدعة والخدعة عن الديانة"[١].

ثم أكد في ختام الفصل على أن ما ذكره من اعتقاد أهل السنة والجماعة لا خلاف في شيء منه بين أئمة المسلمين وعلمائهم.

وما ذلك إلا ليؤكد مارام الوصول إليه من أن ما ذكره هو اعتقاد الفرقة الناجية - من وجهة نظره - وسيأتي الحديث تفصيلا عن غالب ما ذكره تحت هذا الفصل.

- **الفصل الثاني: في طريق تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة في العاقبة**[٢]:

وذكر فيه الأمور التي حققت لهم النجاة في العاقبة، وكان ذكره لها بإيجاز، وقد أوصلها إلى سبعة أمور تقريبا، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

١ - المحبة لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - المستلزمة للمتابعة.

٢ - نقلهم الأخبار والآثار عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة - رضي الله عنهم - وعدم الطعن فيهم.

٣ - أنهم الجماعة.

٤ - استعمالهم لجميع الأدلة الشرعية - الكتاب والسنة والإجماع والقياس - والاحتجاج بها.

٥ - اجتماعهم وعدم تكفير بعضهم لبعض.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٥.

٦ - أن فتاوى الأمة تدور على مذهبهم ؛ لأن معظم الأئمة ينتحلون مذهبهم ويجتمعون على طريقتهم.

٧ - تمسكهم بدينهم، واجتماعهم عليه وعدم تفرقهم فيه[١].

● **الفصل الثالث: في بيان أهل السنة والجماعة وبيان ما اختصوا به من مفاخرهم[٢]:**

بين فيه أن ما من خصلة من الخصال التي تعدّ في المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم وأنواع الاجتهادات إلا ولأهل السنة والجماعة في تزيينها القدح المعلى والسهم الأوفر[٣].

ثم شرع في ذكر العلوم تفصيلاً، فيذكر العلم ويعدِّد من برع فيه من علماء أهل السنة وأئمتهم، ويؤكد على أنه لم يكن لأهل البدع من سائر الفرق من نبغ، واشتهر فيه ووصل إلى ما وصل فيه علماء أهل السنة والجماعة.

وجاء ترتيبه للعلوم على النحو الآتي :

١ - اللغة، ويشمل الأدب والنحو. ٢ - تفسير القرآن.

٣ - السنة النبوية وما يتعلق بها. ٤ - الفقه.

٥ - المغازي والسير والتواريخ. ٦ - التصوف والإشارات.

٧ - أصول الدين[٤].

ثم أكد في نهاية المطاف على أن أنواع الاجتهادات الفعلية مدارها على أهل السنة والجماعة، وختم بذلك الكتاب[٥].

وسيأتي الحديث عن ذلك بشيء من التفضيل خلال المباحث التالية.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٥ - ١٨٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٧ - ١٩٥.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩٥ - ١٩٦.

المبحث الأول

منهجه في الكلام عن توحيد الله

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: منهجه في الكلام عن توحيد الربوبية.
- المطلب الثاني: منهجه في الكلام عن توحيد الأسماء والصفات.
- المطلب الثالث: وقفات عند بعض ما ذكره عن توحيد الله.

المطلب الأول

منهجه في توحيد الربوبية

من الملاحظ على كتب كثير من أهل الكلام - ومنهم الأشاعرة -التي تناولوا فيها تقرير وبيان العقيدة أنها ذات نزعة كلامية، فتبتدئ بتفصيل المقدمات العقلية والمنطقة والطبيعية، ثم تعرض لما يسمى بالإلهيات، وأول ما تبتدئ به من ذلك إثبات وجود الله، وبيان أن ما سواه محدَثٌ مخلوق، ثم تعرض بعد ذلك لوحدانية الخالق وصفاته.

وفي أثناء ذلك تعرض لعدة مسائل كأول واجب على المكلف، ودليل حدوث الأجسام وغيره من الأدلة، ومعنى التوحيد، وغيرها من المسائل التفصيلية.

هذه الأمور تكاد تكون سمة عامة لغالب كتب الأشاعرة[1].

و"أبو المظفر الإسفراييني" كغيره من الأشاعرة نراه في تقريره لمعتقد أهل السنة والجماعة - في نظره - سلك هذا المسلك وانتظم في ذلك العقد الأشعري الكلامي.

فكان في منهجه موافقاً لمنهج غيره من أعلام الأشاعرة في الجملة، وبالتالي جاء كلامه في باب التوحيد يحوي بين طياته عدداً من المآخذ كما هو الحال مع أهل الكلام الذين صار كلامهم في ذلك مشتملاً على قليل من الحق وكثير من الباطل.

فالتوحيد عند الأشاعرة ثلاثة أقسام هي:

١ - أن الله واحد في ذاته لا قسيم له.

٢ - أنه واحد في صفاته لا شبيه له.

٣ - أنه واحد في أفعاله لا شريك له[2].

---

(١) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٩٣٣/٣.

(٢) ينظر في ذلك كتب الأشاعرة ومنها: الاعتقاد للبيهقي ص ٦٣، أصول الدين للبغدادي ص ١٢٣، الإرشاد ص ٥٢، الاقتصاد في الاعتقاد ص ٤٩، نهاية الأقدام ص ٩٠.

وقد ذكر هذه الأقسام وناقشها وبين ما فيها من حق وما حوته من نقص وباطل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في عدة مواضع من كتبه منها: درء التعارض ٢٢٥/١، التدمرية ص ١٧٩، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٨/١، التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ص ٢٠٣.

فمن حقق هذه الأقسام فقد حقق غاية التوحيد.

ولا شك أن هذه الأقسام الثلاثة إن حققها العبد لم يكن محققاً لتوحيد الله وموحداً له حتى يحقق توحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية.

وقد عرّج الإسفراييني على هذه الأقسام وعرض لها دون أن ينص عليها، حيث أشار إلى أن خالق العالم واحد[١]، وأن الخالق لا يشبه الخلق في شيء[٢]، كما جاء في مجموع كلامه الذي قرر فيه أن الله سبحانه هو الخالق وأن ما سواه مخلوق، ما يتضمن بعض تلك الأقسام وخاصة عند الحديث عن أدلة إثبات وجود الله تعالى عندهم.

هنا ينبغي الإشارة إلى أن القسم الثالث وهو أن الله واحد في أفعاله لا شريك له، هو أشهرها وأهمها عندهم لما تضمنه من تقرير وإثبات لتوحيد الربوبية الذي اهتم به الأشاعرة كغيرهم من أهل الكلام اهتماماً بالغاً حتى جعلوه غاية التوحيد الذي دعت إليه الرسل مهملين بذلك توحيد الألوهية وهذا خطأ ولا شك[٣].

وقد فسروا به معنى "لا إله إلا الله" فالإله عندهم هو: القادر على الاختراع والخلق، وعلى ذلك فالألوهية هي: القدرة على الاختراع والخلق، ويكون معنى "لا إله إلا الله" أي: "لا خالق إلا الله"[٤].

ولشدة عنايتهم بهذا التوحيد - توحيد الربوبية - سلكوا في إثبات الصانع أو إثبات وجود الله[٥] عدة طرق، واستخدموا فيها أنواعاً من الأدلة، وكان الإسفراييني

---

(١) ينظر: التبصير في الدين، ص ١٥٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) وسيأتي الحديث عن ذلك ضمن الوقفات.

(٤) ينظر في ذلك:
أصول الدين ص ١٢٣، الملل والنحل ١/١٠٠، نهاية الأقدام ص ٩١.

(٥) يرى أحد الباحثين أن موضوع "إثبات وجود الله تعالى" الذي يبحثه المتكلمون في مقدمة حديثهم عن التوحيد قد اعتبره البعض من توحيد الربوبية. =

أحد أولئك، فقد كان من منهجه في الحديث عن توحيد الربوبية استخدام الأدلة التي دَرَجَ على ذكرها أهل الكلام، وقد كان من أشهر ما استخدمه في هذا الجانب ما يلي:

١- إثبات وجود الله تعالى (دليل حدوث الأجسام)[1]:

يقول الإسفراييني في ذلك: "إن العالم بجميع أركانه، وأجسامه، وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الأفعال، والأقوال، والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول، حادث بعد أن لم يكن شيئاً ولا عيناً، ولا ذاتاً، ولا جوهراً، ولا عرضاً، والدليل على حدوثها أنها تتغير عليها الصفات وتخرج من حال إلى حال، وحقيقة التغيرات أن تبطل حالة وتحدث أخرى، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة، وما كان ضرورياً لم يفتقر إلى الاستدلال عليه، ولا يجوز أن يقال أنها انتقلت من باطن الجسم إلى ظاهره لاستحالة الانتقالات على الصفات.

وأما الحالة التي بطلت لو كانت قديمة لم تبطل، فبطلانها يدل على حدوثها؛ لأن القديم لا يبطل وإنما قلنا أن القديم لا يبطل لأن خروج الذات عن صفة واجبة له في حال محال، لأنها لو جاز خروجها عن تلك الصفة لصارت جائزة الوجود، وما كان واجب الوجود لا يصير جائز الوجود، كما أن جائز الوجود لا يصير واجب

= ثم يقول: ولا شك أن دخوله في توحيد الربوبية غير صحيح، لأن التوحيد هو الانفراد والاختصاص وليس في إثبات الوجود ما يلزم منه الانفراد والاختصاص، ولكن إيراد الكلام عنه في توحيد الربوبية لتعلقه بقضية أساسية – عندهم – وهي أن أول واجب على المكلف هو النظر، ولقولهم هذا أثر في إهمال توحيد الألوهية، وتعظيم توحيد الربوبية.

ينظر: حقيقة التوحيد بيان أهل السنة والمتكلمين، عبدالرحيم السلمي ص ١٢٩ – ١٣٠.

(١) قد يسمى عند المتكلمين "دليل حدوث العالم"، ويفسرون الحدوث: بأنه الوجود بعد العدم كما يفسرون العالم: بأنه كل موجود سوى الله، أما الأجسام فهي جمع جسم والجسم عندهم: المؤلف المركب من جزئين فصاعداً.

ينظر في ذلك: الأربعين للرازي ص ٣، ٤، ٧، الإنصاف للباقلاني، ص ١٦، الإرشاد للجويني ص ١٧.

الوجود بحال لأنهما صفتان متناقضتان: وإذا تقررت[(١)] هذه الجملة "أن صفات الأجسام مخلوقة" ثبت "أن الأجسام مخلوقة" لأن ما لا يخلو من الحوادث لا يستحق أن يكون محدِثاً (بالكسر) وما لا يستحق أن يكون محدثاً كان محدَثاً (بالفتح) مثلها"[(٢)].

ثم استدل على ذلك بقصة الخليل فقال: "وقد نبه الله تعالى في كتابه على تحقيق هذه الدلالة وأثنى عليها وسمّاها حجة، ومنّ على الخليل إبراهيم - عليه السلام - بإلهام هذه الدّلالة إيّاه وجعلها سبباً لرفع درجته حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾. إلى قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[(٣)]: استدل بالتغير على حدوث الكواكب والشمس والقمر.

ثم إن الله تعالى نبّه على هذه الطريقة من الاستدلال والاحتجاج فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٤)]. وقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾. إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٥)]"[(٦)].

وهذا الدليل - حدوث الأجسام - هو المسلك المشهور للمعتزلة وأخذه عنهم جمهور الأشاعرة والماتريدية، وهو الغالب على كتب الأشاعرة قديماً وحديثاً، ومع أن الأشاعرة وأهل الكلام القائلين به مختلفون في كثير من تفاصيله إلى جانب أن بعضهم صرحوا ببطلان مسالك أئمتهم وإخوانهم في تقريره وآخرون ذموه[(٧)].

---

(١) في الأصل "تقرر" ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) التبصير في الدين، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٣) سورة الأنعام، الآيات ٧٥ - ٨٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٥) سورة البقرة، الآيات: ١٦٣ - ١٦٤.

(٦) التبصير في الدين، ص ١٥٤.

(٧) ينظر: مواقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/٩٨٤ - ٩٩١ بتصرف.

وهذا الدليل باطل لوجوه:

أ - أنه دليل طويل، كثير المقدمات التي لا يفهمها كثير من الناس.

ب - أنه دليل مبتدع في دين الله لم يدع إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أصحابه من بعده، ولا أئمة السلف، وإنما هو قولٌ مبْتَدع، حدث بعد المائة الأولى وانقراض عهد التابعين.

جـ - أنه يلزم عليه لوازم فاسدة، من نفي صفات الله، ونفي قدرته على الفعل، والقول بأنه فعل بعد أن كان الفعل ممتنعاً عليه، وأنه يرجح أحد المقدورين على الآخر بلا مرجح، وكل هذا خلاف المعقول الصحيح، وخلاف الكتاب والسنة.

د - أن هذا أوجب تسلط الفلاسفة على المتكلمين في مسألة حدوث العالم. إلى غير ذلك من الوجوه[1].

أما استدلاله بقصة الخليل، فقد رد شيخ الإسلام في مواضع من كتبه على من استدل بها وذلك من عدة أوجه تبين بطلان ما ذهبوا إليه وليس هذا مكان بسط الحديث عنها لطوله[2].

وفي سياق إثباته لوجود الله تعالى عرض الإسفراييني لبعض المسالك الأخرى التي يُستدل بها على ذلك إلى جانب دليل حدوث الأجسام ومنها:

- الاستدلال بإمكان الأجسام[3]، ويسمى "دليل الإمكان" وهو عمدة الفلاسفة كابن سينا

---

(١) نقلاً عن: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٩٩١/٣ - ٩٩٢، وينظر ما سبق في: مجموع الفتاوى (٥٤١/٥ - ٥٤٥)، ودرء التعارض ٩٧/١ - ٩٩، ١٠٥، ٣٠٨ - ٨١٠، ٧١/٧، ٢٤٢، ٢٤٥، ١٧٠/٩ - ١٧١، ١٣٥/١٠، ومنهاج السنة ١٩٩/٢ - ٢١٢.

ولتفصيل عرض هذا الدليل ونقده ينظر: حقيقة التوحيد ص ١٨٦، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة ٣٥٤/١ - ٣٦٦.

(٢) لمعرفة مواضع نقده لهذا الدليل ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٩٩٢/٣ - ٩٩٥، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبداللطيف ٣٦٥/١ - ٣٦٦.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥٤.

وأمثاله، وهو الذي اعتمد عليه الرازي والآمدي[١] والإيجي[٢] وغيرهم من المتأخرين[٣].

- والاستدلال بإمكان الصفات، وهو المبني على أن الأجسام متماثلة، ومن ثم فتخصيص بعضها بالصفات دون بعض يفتقر إلى مخصص[٤].

هذه هي أبرز الأدلة والمسالك التي انتهجها في التدليل على إثبات الصانع، لكن الدليل الأول - وهو حدوث الأجسام - يعدّ أشهر وأكثرها استعمالاً، كما أن هناك مسالك أخرى لم يعرض لها أو يشر إليها مثل:

- الاستدلال بحدوث الصفات والأعراض.
- الاستدلال على علم الله تعالى بما في العالم من الإحكام والاتقان، والذي يدل على علمه يدل على ذاته من باب أولى[٥].

٢- إثبات وحدانية الله تعالى (دليل التمانع):

المراد بالوحدانية: أن رب العالم واحد، ومعلوم أن الأشاعرة قد اصطلحوا على تسمية "توحيد الربوبية"، بتوحيد الذات والأفعال، فهم يثبتون وحدانية في الذات والصفات والأفعال، والوحدانية الأولى والثالثة هما المرادتان بتوحيد الربوبية[٦].

---

(١) علي بن أبي محمد بن سالم سيف الدين الآمدي، أبوالحسن، ولد سنة ٥٥١هـ، من رؤوس الأشاعرة، نسب إليه فساد العقيدة لغلوه في الفلسفة، له في الأصول: الإحكام في أصول الأحكام. وفي علم الكلام: غاية المرام، وأبكار الأفكار، توفي سنة ٦٣١هـ.
ينظر: السير ٣٦٤/٢٢، طبقات السبكي ٣٠٦/٨، أخبار العلماء للقفطي ص ١٦١، وفيات الأعيان ٢٩٣/٣.

(٢) عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار الإيجي، عضد الدين، من أهل إيج بفارس، كان عالماً في العلوم العقلية والمعاني والبيان والنحو والفقه، جرت له محنة فمات مسجوناً، من أبرز تلاميذه: الكرماني، والتفتازاني، توفي سنة ٧٥٦هـ.
ينظر: طبقات السبكي ٤٦/١٠، الدرر الكامنة ٣٢٢/٢، البدر الطالع ٣٢٦/١، الأعلام ٢٩٥/٣.

(٣) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٠١٤/٣، توحيد الربوبية بين السلف ومخالفيهم من الفرق الإسلامية - رسالة ماجستير - إعداد: سعيد بن علي العمري ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٤) ينظر: التبصير في الدين ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٥) وممن ذكر هذه الأدلة والمسالك الرازي، وقد ساقها شيخ الإسلام ورد عليها في درء التعارض ٧٢/٣ - ٨٧. كما عرض تلك الأدلة وردود شيخ الإسلام عليها بإيجاز الدكتور/ عبدالرحمن المحمود في: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٠١٣/٣ - ١٠٢١.

(٦) ينظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ٣٠٨/١.

وقد قرره علماء الأشاعرة جميعا بدليل التمانع [1] المشهور، ويرون أن أصل هذا من القرآن هو قول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2].

وهو دليل من الأدلة العقلية الافتراضية، وربما أطلق عليه المتكلمون: "برهان التمانع".

وصورته: لو افترض أن للعالم ربين صانعين، وكان لهما إرادتان متناقضتان تجاه مراد واحد، كأن يريد أحدهما تحريك جسم، ويريد الآخر تسكينه، أو أن يريد أحدهما إحياءه، ويريد الآخر إماتته، فلا يخلو الأمر من وجوه ثلاثة:

- أن تنفذ إرادتهما معا.
- أن لا تنفذ إرادتهما معا.
- أن تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر.

والأول: ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثاني: مثله؛ لأنه يستلزم رفع النقيضين، ولأنه يدل على عجزهما، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها. فلم يبق إلا الثالث: وهو أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فهو الإله الحق.

هذا مجمل ما قرره جمهور الأشاعرة[3].

وقد قرر الإسفراييني وحدانية الله تعالى وأثبتها بدليل التمانع هذا حيث قال: "إن خالق العالم واحد؛ لأنه لو كان اثنين ولم يقدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كانت قدرتهما ناقصة متناهية، وإن قدر أحدهما على كتمان شيء من صاحبه كان علم كل واحد منهما ناقصا متناهيا، ومن كان علمه أو قدرته متناهيا

---

(١) والتعريف دليل التمانع وتفصيل الكلام عنه ينظر: روح المعاني للألوسي ٢٥/١٧، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي ص ٣١٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٣) ينظر: مفهوم قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ د. حمد التويجري، بحث بمجلة جامعة الإمام، عدد ٣٠، ص ١٧ – ١٨، والكلام عنه مبسوط في كثير من كتب الأشاعرة، ومنها: اللمع ص ٢٠، التمهيد للباقلاني ص ٤٥، الإنصاف ص ٥٠، الإرشاد ص ٥٣، الاقتصاد ص ٥٠، المواقف ص ٢٧٨، لمع الأدلة ص ٩٩، الأربعين ص ٢٢١، نهاية الأقدام ص ٩١.

ناقصا لم يكن إلها صانعا، بل كان مخلوقا مصنوعا، وقد نبه الله على هذه الدلالة بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

ولم يكتف بهذه الآية فقط بل استدل بعدها أيضا بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3].

كما قال أيضا: "وفي تحقيق التوحيد وردت سورة الإخلاص إلى آخرها"[4].

ومما يلاحظ على طريقة عرض الإسفراييني لدليل التمانع وجود النقص في عرضه، حيث لم يكمل أوجه الدليل واحتمالاته الثلاثة المشهورة[5]، بل أشار إلى أحدها، ثم أشار إلى وجه رابع وهو اتفاق إرادة كل منهما.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا الوجه في الحقيقة أظهر في العجز، إذ لا يمكن لأحدهما مخالفة الآخر[6].

وهذا الاحتمال أو الوجه الرابع لم يذكره المتقدمون من الأشاعرة، وإنما أورده بعض المتأخرين كالجويني، والشهرستاني، والرازي، وردوا عليه من طرق عديدة لكنهم أجابوا بوجوه عارضهم فيها غيرهم[7].

وعلى هذا يكون الإسفراييني من أوائل الأشاعرة الذين أشاروا إلى هذا الوجه وذلك الاحتمال.

---

(١) التبصير في الدين ص ١٥٥ – ١٥٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٨.

(٤) التبصير في الدين، ص ١٥٦.

(٥) ينظر في ذلك: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، ص ٣١٣ – ٣١٨، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ٣٦٧/١ – ٣٧٠.

(٦) ينظر: منهاج السنة ٣٠٥/٣ – ٣٠٦.

(٧) ينظر: المرجع السابق ٣٠٥/٣ – ٣٠٦، ولمزيد من التفصيل حيال هذا الأمر وأقسام الأشاعرة فيه يراجع: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٠٢٣/٣ – ١٠٢٤.

ولعل السبب في وجود ذلك القصور والنقص أنه لم يحسن اختيار المثال الذي يوضح صورة الدليل، فخالف بذلك كثيرا من الأشاعرة الذين يمثلون على ذلك بالإيجاد والعدم، أو الإحياء والإماتة، أو الحركة والسكون.

يتبين ذلك من خلال مقارنة ما ذكره المؤلف بما ذكره غيره، كأبي الحسن الأشعري إذ يقول: "فإن قال قائل: لم قلتم إن صانع الأشياء واحد؟ قيل له: لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولابد أن لا يلحقهما العجز أو واحداً منهما، لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنساناً وأراد الآخر أن يميته، لم يخل أن يتم مرادهما جميعاً، أو لا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر. ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا، لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيّاً ميتاً في حال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعاً وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً، وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب العجز لمن لم يتم مراده منهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً فدلّ ما قلناه على أن صانع الأشياء واحد، وقد قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فهذا معنى احتجاجنا آنفاً"[1].

ومن خلال النظر والتأمل فيما ذكره الإسفراييني عن توحيد الربوبية والاستدلال له يلاحظ أنه لم يتعمق في تقريره، ولم يتوسع في إثباته.

كما أن ما أورده ينم عن عدم إجادة لتفاصيل تقرير هذا النوع من التوحيد وإثباته بطرقه الكلامية، ومباحثه الفلسفية على نحو منظم ومتسلسل.

لذلك نراه يهمل كثيراً من الجوانب والنواحي الدقيقة لتلك الأدلة التي أوردها واعتنى بها غيره من الأشاعرة الذين يعدون أكثر إجادة منه في صياغة أدلة هذا النوع من التوحيد وتقريره كما مثلنا آنفاً عند ذكر دليل التمانع.

ومما يؤكد ذلك تركه لبعض الأدلة والمسالك والمسائل التي أوردها غيره في هذا الشأن، علماً بأن بعضها من الأهمية بمكان لدى المتكلمين - على اختلافهم - كمسألة

---

(١) اللمع ص ٢٠ - ٢١.

أول واجب على المكلف، ومسألة حوادث لا أول لها - وهي مسألة التسلسل المشهورة.

ولعل ميله إلى التفسير والاهتمام بالأدلة السمعية النقلية قلل من عنايته بعلم الكلام وأدلته العقلية، يشهد لذلك ويقويه كثرة إيراده واستدلاله بالآيات القرآنية على ما يذكره، بخلاف متكلمي الأشاعرة ممن سبقه وممن تلاه.

المطلب الثاني

منهجه في توحيد الأسماء والصفات

الدراسات السابقة لمنهج الإسفراييني في توحيد الربوبية قد لا تكشف النقاب عن عقيدته بدقة ؛ لأن طريقة تقرير هذا النوع من التوحيد وأدلته تكاد تكون أمراً مشتركاً بين المتكلمين على اختلاف مشاربهم - معتزلة كانوا أو أشاعرة أو غير ذلك - فأوجه التوافق بينهم في هذا الجانب متعددة.

أما الحديث عن منهجه في توحيد الأسماء والصفات فسيُظهر انتماءه العقدي وتوجهه الفِرَقِي ويؤكد كونه في العقيدة على مذهب الأشاعرة ، وهذا ما سيتضح من خلال هذا المطلب.

وهنا أنبه ابتداءً إلى أن الإسفراييني في كلامه عن هذا النوع من أنواع التوحيد أطال وأسهب ، ولو استقصى الباحث جميع جزئيات هذا الجانب وتناولها بالعرض والمناقشة لطال الكلام وكان كفيلاً بتكوين بحث مستقل ، ولكني سأقتصر على المسائل المهمة والقضايا الجوهرية التي تكفي في تناول جوانب هذا الموضوع المختلفة.

ومنهج الإسفراييني يظهر في توحيد الأسماء والصفات من خلال ما يلي :

١ - إثبات الصفات السبع التي أثبتها الأشاعرة:

لقد أثبت الإسفراييني الصفات السبع التي تسمى عند الأشاعرة "صفات المعاني" أو "الصفات المعنوية" فقال :

"إن صانع العالم حي ، قادر ، عالم ، مريد ، متكلم ، سميع ، بصير"[(١)].

ثم يؤكد على ذلك فيقول أيضاً : "إن له حياة ، وقدرة ، وعلماً ، وإرادة ، وكلاماً ، وسمعاً ، وبصراً ؛ لأن من كان موصوفاً بهذه الأوصاف ثبتت له هذه

---

(١) التبصير في الدين، ص ١٦٣.

الصفات. ولا يجوز أن يكون غير الموصوف بها موصوفاً بهذه الصفات، كما لا يجوز أن توجد الصفات من غير أن يكون الموصوف بتلك الأوصاف موصوفاً بها"[١].

ولم يكتف بذلك فقط، بل بين طرق إثبات تلك الصفات فقال بعد كلامه الأول: "لأن من لم يكن بهذه الصفات كان موصوفاً بأضدادها، وأضدادها نقائض وآفات تمنع صحة الفعل. فصحت ثبوت هذه الصفات له من وجهين:

أحدهما: دلالة الفعل، والثاني: نفي النقائص"[٢].

من ثمَّ شرع في ذكر جملة من الآيات القرآنية للدلالة على ما ذهب إليه، وما جاء فيها دالاً على صفات أخرى - غير السبع التي أثبتها - فإنه يؤولها بما يتوافق مع ما ذهب إليه من إثبات الصفات السابقة، حيث قال: "وقد دلت على إثبات هذه ظواهر نصوص القرآن. وردت جميعها في الأسماء التسعة والتسعين التي استفاضت بها الأخبار في أسماء الرب جل جلاله.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[٣] وقال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[٤]. وقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾[٥]. وقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ﴾[٦]. وقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٧]. وقال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[٨]. ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٩]. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[١٠]. والحكيم من وقع[١١] أفعاله على موافقة إرادته. وجاء في

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٥) سورة طه، الآية: ١١١.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٨) سورة سبأ، الآية: ٤٨.

(٩) سورة سبأ، الآية: ٣.

(١٠) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

(١١) هكذا جاءت في نسخ الكتاب، ولعل الصواب "وقعت" أو "أوقع".

صفته، الرحمن، الرحيم، والغفار، والغفور، والكريم، والتواب. وكل ذلك يرجع إلى إرادته للتوبة والنعمة، والمغفرة ويدل على إرادته. ومما يدل على إثبات كونه متكلماً قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[١]. والإذن من صفات الكلام، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[٢]. و﴿صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾[٣]. وشكره للعباد مدحه إياهم على طاعته وذلك من صفات الكلام، وورد في أسمائه "المجيب" وذلك يتم بالكلام. ومن أسمائه "الباعث" وذلك مما يدل على الكلام، ولا يتم بعث الرسل إلا بالكلام وكذلك "الشهيد" معناه أنه يشهد أنه أرسله بالصدق يوم القيامة. وذلك لا يتم إلا بالكلام. وكذلك "المؤمن" ومعناه أنه يصدق أنبياءه ولا يتم ذلك إلا بالكلام. وورود "السميع، والبصير" في الكتاب والسنة أظهر من أن يخفى"[٤].

ويواصل فيقول: "وقد ورد في إثبات العلم له آي كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾[٥]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾[٦]. ﴿قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[٧]. وورد في إثبات القدرة له: ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾[٨]. والقوة والقدرة واحدة في العربية. وورد في إثبات الإرادة: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٩]. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[١٠]. فيه دليل على إثبات الإرادة والمشيئة"[١١].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٠.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٣ – ١٦٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٧) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٨) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٩) سورة البروج، الآية: ١٦.

(١٠) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(١١) المرجع السابق، ص ١٦٤.

أشير هنا - والحديث لايزال عن هذه القضية الجوهرية والعلامة الفارقة والمميزة للأشاعرة عن غيرهم - إلى أن الأشاعرة مع اتفاقهم على إثبات تلك الصفات السبع اختلفوا في صفة البقاء(١).

لكن أبا المظفر انضم إلى القائلين بثبوتها، حيث أشار إلى إثباتها في موضع وأكده في آخر، فقال بعد تقريره للصفات التي أثبتها: "إن صانع العالم باق لأنا قد دلّلنا على أنه قديم، ولا يكون القديم إلا باقياً. وقد ورد في أسمائه البديع الباقي، وورد في أسمائه الحي القيوم، والقيوم مبالغة من القيام، وذلك يتضمن كونه باقياً"(٢).

وقد أكد ذلك بقوله: "وأن تعلم أن له بقاء لأن ما وصف بكونه باقياً ثبت له البقاء، وما لا بقاء له لا يكون باقياً بحال؛ لأن الموجود لو كان باقياً بلا بقاء لكان مستغنياً عن القدرة، ولوجب منه أن يكون كل موجود في أول حال وجوده قديماً، والمحدث لا يجوز أن يكون قديماً بحال، وينبه على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (٣)"(٤).

يلاحظ على منهجه فيما سبق أن الإسفراييني في إثبات ما أثبته من الصفات لدلالة العقل عليها، ولمّا وجد السمع موافقاً للعقل استدل به أيضاً، وهذا أمر دَرَجَ عليه كثير من الأشاعرة، وهو مخالف - بلا شك - لمنهج السلف الصالح، ولذا قال شيخ الإسلام رادّاً على هذا المنهج وهذه الطريقة فقال: "إن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفات ليس موقوفاً على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم

---

(١) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٠٣٤/٣.

(٢) التبصير في الدين، ص ١٦٤.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٤) التبصير في الدين، ص ١٦٤.

نعلم ثبوته بعقولنا. ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[١]. ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمناً بالرسول، ولا متلقياً عنه الأخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك، أو لم يخبر به، فإن ما أخبر به إذا لم يعلمه لا يصدق به، بل يتأوله أو يفوضه، وما لم يخبر به إن علمه بعقله أمن به وإلا فلا" [٢].

ولئن كان من منهج الإسفراييني الإجمال في عرض الصفات التي أثبتها فقد سلك منهجاً آخر مع بعضها وهو منهج البسط والتفصيل والتوسع.

ومن الصفات التي توسع في الحديث عنها: العلم والقدرة والإرادة والكلام ولم يخل كلامه حول الصفات السبع التي أثبتناها من المآخذ - يستوي في ذلك التي أجمل الحديث عنها أو فصّله - وذلك لتقريره إيَّاها وفقاً لما عليه الأشاعرة في مذهبهم، كتخصيص القدرة بالمقدورات[٣]، وأن كلام الله معنى واحد وليس بحرف ولا صوت[٤].

٢ - نفي الصفات وتأويلها:

أ - نفي الصفات الاختيارية:

الصفات الاختيارية هي: "الأمور التي يتصف بها الرب - عز وجل - فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل كلامه، وسمعه وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) شرح الأصفهانية ص ٣٠ - ٣١.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٦٦ - ١٦٧، ولذا تكرر على لسانه قول: "إن الله على ما يشاء قدير". ينظر: المرجع السابق ص ١٧، ١٦٦، والصواب قول: "إن الله على كل شيء قدير" كما جاءت بذلك الآيات.

(٤) ينظر: التبصير في الدين، ص ١٦٧، وفي عرض الشبه حول هذا الموضوع ومناقشتها ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢٥٦/٣ - ١٢٩٧، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ٥٢٤/٢ - ٥٤٠.

ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة"(١).

ومعلوم أن مسألة الصفات الاختيارية، أو الفعلية، هي التي يسميها المعتزلة والأشاعرة مسألة حلول الحوادث، وأهم ما يميزها بالنسبة للمذهب الأشعري إجماع متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم على نفيها، لأنها كانت الأساس الذي قام عليه المذهب الكلابي، ثم الأشعري. وهذا بخلاف الصفات الخبرية، أو العلو، فإن الخلاف فيها قائم بين المتقدمين والمتأخرين (٢).

يقول الإسفراييني في ذلك: "إن الحركة، والسكون، والذهاب، والمجيء، والكون في المكان، والاجتماع، والافتراق، والقرب، والبعد من طريق المسافة، والاتصال، والانفصال، والحجم، والجرم، والجثة، والصورة، والحيز، والمقدار، والنواحي، والأقطار، والجوانب، والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى لأن جميعها يوجب الحد والنهاية. وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى"(٣).

كما يقول أيضاً: "إن كل ما دل على حدوث شيء من الحد، والنهاية، والمكان، والجهة، والسكون، والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى؛ لأن ما لا يكون محدَثاً لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث"(٤).

وفي معرض كلامه السابق يلاحظ نفيه لبعض الصفات الخبرية "كالصورة"، وكأنه يومئ إلى نفي الصفات الخبرية الأخرى التي لم يصرّح بذكرها كالعين والوجه واليد وذلك على مذهب متأخري الأشاعرة الذين يتأول كثير منهم جميع الصفات الخبرية(٥).

---

(١) الفتاوى ٢١٧/٦.

(٢) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢٠٠/٣.

(٣) التبصير في الدين، ص ١٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦١.

(٥) ينظر: موقف الأشاعرة حيال الصفات الخبرية في: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢٢٤/٣ – ١٢٢٧.

هذا هو المنهج الذي سلكه الإسفراييني حيال الصفات الاختيارية بشكل عام، ولكنه خصّ صفة الاستواء - من بينها - بنوع من البيان والإيضاح.

ويمكن اعتبارها مثالاً يُقاس عليه الصفات الأخرى المقاربة لها في المعنى، كالنزول والمجيء والإتيان[1].

وقد أوَّل الاستواء كما أوَّله الأشاعرة قبله وبعده، ومعلوم أن لصفة الاستواء عندهم تأويلان هما:

- تأويله بالاستيلاء، وهذا تأويل نفاة العلو.
- تأويله بأنه فعل فعله الله في العرش سماه استواءً، وهذا قول الأشعري وكثير من أصحابه الذين يثبتون العلو ولن ينفون قيام الصفات الفعلية به. وقولهم هذا ليس خاصّاً بالاستواء، بل يشمل جميع الصفات الدالة على هذا المعنى كالنزول والمجيء والإتيان[2].

وقد ذكر الإسفراييني في معرض حديثه عن الاستواء تأويلين دون أن يرجح واحداً منهما حيث قال: "معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[3]. معناه قصد إلى خلق العرش كما قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾[4]. ويكون معنى على في هذا الموضع بمعنى إلى، أو يكون العرش في هذه الآية بمنزلة المملكة كما يقال: ثل عرش فلان إذا زال ملكه، وكما قال الشاعر:

قد نال عرشاً لم ينله نائل　　　جن ولا إنس ولا ديار[5]

---

(١) وقد أفردت بعض تلك الصفات بمؤلفات ورسائل مستقلة، فالنزول: ألَّف فيه جمع من الأئمة من أشهرهم شيخ الإسلام في "شرح حديث النزول" ضمن مجموع الفتاوى ج/٥، وقد حققه د: محمد الخميّس في رسالة علمية مطبوعة، وهناك دراسة علمية في "صفة النزول ورد الشبهات حولها، رسالة ماجستير مطبوعة، إعداد: عبدالقادر الغامدي.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، شرح حديث النزول ٤٣٧/٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٥) التبصر في الدين، ص ١٥٨ - ١٥٩.

وتجدر الإشارة إلى أن أشهر حجة للأشاعرة في نفي الصفات الاختيارية هي: "دعوى نفي حلول الحوادث".

وملخصها: أن هذه الصفات لو قامت بالله سبحانه لم يخل منها ومن أضدادها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث.

ونصّ على هذه الشبهة الإسفراييني بقوله: "إن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته؛ لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدَثاً مثلها. ولهذا قال الخليل - عليه الصلاة والسلام - : "لا أحب الآفلين" بيَّن به أن من حلّ به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدَثاً لا يصح أن يكون إلهاً"[1].

ب - صفة العلو:

بعد الفراغ من الكلام عن منهج الإسفراييني في الصفات الاختيارية وصفة الاستواء على وجه الخصوص ننتقل لنعرِّج على صفة "العلو" لترابطهما الوثيق وعلاقة كل منهما بالأخرى.

وأنوه أولاً بأن أهل السنة والجماعة كما يؤمنون بأن الله - سبحانه وتعالى - مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، يؤمنون - كذلك - بعلو الله وأن ذلك ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول.

وأن الله له العلو المطلق: علو الذات وعلو القهر وعلو الشأن[2].

وأن الكتاب والسنة والعقل والفطرة دلت على علوه، كما أجمع على إثباتها سلف الأمة وأئمتها.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) ينظر: الفتاوى ٢/٢٩٧، ٥/٢٣١، شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٨٨، شرح النونية للهراس ١/٢٠٠، وقد أشار إلى ذلك الشيخ حافظ الحكمي في منظومته فقال:

علو قهر وعلو الشـأن ... جل عن الأضداد والأعوان

كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية

ينظر: معارج القبول ١/١٣٦.

أما متأخرو الأشاعرة ومن وافقهم - كالجهمية والمعتزلة - فإنهم لم يثبتوا صفة العلو لله، وقالوا بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له ولا حال فيه، فنفوا بذلك الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود من أحدهما[١].

وحجتهم في ذلك ما يترتب على إثباتهما من لزوم الجهة والتجسيم والتركيب والتناهي والحد والتحيز[٢].

وقد كان الإسفراييني من خلال عرضه لهذا الموضوع موافقاً لهم في ذلك، وألمح إلى ذلك تلميحاً فقال: "أن خالق العالم لا يجوز عليه الحد والنهاية، لأن الشيء لا يكون مخصوصاً بحد إلا أن يخصه مخصص بذلك الحد ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه، والصانع لا يكون مصنوعاً ولا محدوداً ولا مُخصصاً وأصله في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٣] مع قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[٤]. ومع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥]. ولو كان مخصوصاً بحد ونهاية وجملة لم يجز أن يكون منسوباً إلى أماكن مختلفة متضادة، وكان لا يجوز أن يكون مع كل واحد، وأن يكون على العرش وأن يأتي ببنيان قوم سلط عليهم الهلاك. فجاء من الجمع بين هذه الآيات تحقيق القول بنفي الحد والنهاية، واستحالة كونه مخصوصاً بجهة من الجهات، وفي الجمع بين هذه الآيات دليل على أن معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٦]. إنما هو بمعنى العلم بأسرارهم.

---

(١) ينظر: الفتاوى ٢٩٨/٢، ١٢٢/٥، ٢٢٧.

(٢) وقد ناقش شيخ الإسلام قولهم الباطل في العلو وبين بطلان حججهم، ودحض براهينهم وذلك في عدة مواضع من كتبه منها على سبيل المثال: درء التعارض ٢٨٩/٦ - ٣٤٤، ٢٦/٧ - ٣٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(٥) سورة طه، الآية: ٥.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٧.

ومعنى ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي خلق في بنيان القوم معنى من زلزلة ورجف يكون ذلك سبب خرابه كما قال: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾[1] [2].

ومما جاء عنه في هذا الشأن أن بعد كلامه عن تأويل الاستواء قال: "ولو كان له حد ونهاية استحال كونه في جهتين مختلفتين. فتقرر به استحالة الحد والنهاية، وأن جملة الملكوت تحت سلطانه وقدرته وعلمه ومعرفته. وأن تعلم أن القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر؛ لأن الجسم يكون فيه التأليف، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال، وكل ما كان له الاتصال أو جاز عليه الاتصال يكون له حد ونهاية. وقد دللنا على استحالة الحد والنهاية على الباري - سبحانه وتعالى - وقد ذكر الله تعالى في صفة الجسم الزيادة فقال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[3]. فبين أن ما كان جسماً جازت عليه الزيادة والنقصان ولا تجوز الزيادة والنقصان على الباري سبحانه"[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(٢) ينظر: التبصير في الدين، ص ١٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٤) التبصير في الدين، ص ١٥٩.

المطلب الثالث

وقفات عند بعض ما ذكره عن توحيد الله

لقد اشتمل كلامه في تقرير كل من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات على جملة من الملحوظات أشرت إلى بعضها آنفا، والوقوف عند كل واحدة منها أو حتى عند بعضها يطول فيه الكلام، وتتوسع به دائرة هذا البحث، وتخرجه عن نطاقه، وتثقل كاهله، بل يحتاج عرضها ودراستها إلى بحث مستقل.

ولكن حسبي أن أقف - بإيجاز - مع بعض الملحوظات العامة على مجموع ما ذكره عن هذا الموضوع من خلال هذه الوقفات السريعة:

الوقفة الأولى:

عدم كلامه عن توحيد الألوهية أو حتى الإشارة إليه، وليس ذلك غريبا فهذا دأب أهل الكلام ومنهم الأشاعرة، فهم يتحدثون دائما عن التوحيد العلمي القولي أو توحيد المعرفة والإثبات الذي يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات[1]. ويبالغون في تقرير توحيد الربوبية الذي يسمونه توحيد الذات والأفعال، ويجلبون بخيل حججهم ورجل براهينهم لإثباته حتى جعلوه هو التوحيد فقط، مع أن معرفته والإقرار به أمر فطري فطر الله عليه الخلق حتى المشركين كانوا يقرون به ولا ينكرونه.

وفي المقابل نجدهم لا يعتنون بتوحيد الألوهية، فلم يعرفوه ولم يبينوه، علما بأنه التوحيد الذي أرسلت من أجله الرسل، ودعت إليه وأنزل الله به الكتب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض رده عليهم في تقسيمهم للتوحيد - السابق - : "والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهو

(١) تقسيمات التوحيد المعروفة عند أهل السنة والجماعة وإن لم ترد في الكتاب والسنة بتلك الألفاظ إلا أن معناها صحيح وحق لا شك فيه.
ينظر أقسام التوحيد عند أهل السنة وأدلتها في: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص ٨٧ - ١١٦.

المذكور في الكتاب والسنة، وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول، فهم مع زعمهم أنهم الموحدون، ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله، بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة"[١].

وقد توصل أحد الباحثين من خلال بحثه لهذه القضية إلى أن الأشاعرة في الحقيقة لا يعتبرون توحيد الألوهية نوعاً من أنواع التوحيد ودلل على ذلك بأمور أهمها:

الأول: أن الأقسام المشهورة لديهم هي الأقسام الأولى التي لم يذكروا فيها الألوهية.

والثاني: أنهم فسروا الإله بالقادر على الاختراع، وهذا التفسير يدل على أنهم يرون أن توحيد الألوهية هو بعينه توحيد الربوبية.

والثالث: أن الأشاعرة مرجئة في باب الإيمان، والإرجاء هو تأخير العمل عن الإيمان، والإيمان يشمل الدين كله بما في ذلك التوحيد.

والرابع: أن المتأخرين من أهل الكلام صرحوا بأنه لا يوجد ما يسمى بتوحيد الألوهية[٢].

ومما سبق يمكننا أن نخلص إلى أن أبرز الأسباب التي أدت بهم إلى إهمال هذا النوع من التوحيد – توحيد الألوهية – الذي هو أهم أنواع التوحيد سببان:

١ – الإرجاء.

٢ – تفسير "الإله" بالقادر على الاختراع[٣].

---

(١) نقض التأسيس، ١/٤٧٨.

(٢) ينظر: حقيقة التوحيد ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٣) ينظر تفصيل ذلك في: حقيقة التوحيد ص ٤٤٩ – ٤٧٧.

الوقفة الثانية:

إجماله في الإثبات وتفصيله في النفي.

فقد سار الإسفراييني خلال حديثه عن توحيد الأسماء والصفات على طريقة المتكلمين القائمة على الإثبات المجمل والنفي المفصّل.

وهذه الطريقة مخالفة لطريقة الرسل التي جاءت بها والمبنية على الإثبات المفصّل، والنفي المجمل، وهي الطريقة التي جاء بها القرآن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن ذلك: "والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصح له من التشبيه والتمثيل"(١).

وأشار بعد ذلك إلى طريقة المتكلمين وغيرهم فقال: "وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب، والجهمية ونحوهم، فإنهم على ضد ذلك، فإنهم يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل"(٢).

---

(١) التدمرية ص ٨.

(٢) التدمرية، ص ١٢ - ١٥، وللتوسع في نقد هذه الطريقة ينظر: منهج أهل السنة ٥٥٥/٢ - ٥٥٨.

المبحث الثاني

منهجه في بعض مسائل الاعتقاد

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: الرؤية.
- المطلب الثاني: المعجزة.
- المطلب الثالث: مسائل متفرقة.

المبحث الثاني

منهجه في بعض مسائل الاعتقاد

تناول الإسفراييني في بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة بعض مسائل الاعتقاد وقرّرها كما قرر التوحيد بشقيه اللذين ذكرهما - الربوبية والأسماء والصفات - ولِمَا للتوحيد من أهمية ولكونه أعظم مسائل العقيدة وأكثرها تفريعاً فقد أطال النَفَس في الحديث عنه. أما ما ذكره من مسائل العقيدة الأخرى فقد جاء كلامه عنها موجزاً، ولذلك سيكون الحديث عن منهجه فيها بإيجاز أيضاً.

وأبرز المسائل التي أوردها هي:

المطلب الأول: الرؤية[1]

القول برؤية الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة هو مذهب سلف الأمة وأئمتها وجماهير المسلمين، لثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، ووافقهم على ذلك الأشاعرة بمن فيهم الإسفراييني - كما سيأتي - .

وإنكارها مذهب الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، وقولهم باطل مردود[2].

يقول الإسفراييني عن ذلك: "إن القديم سبحانه يُرى وتجوز رؤيته بالأبصار، لأن ما لا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات"[3].

---

(١) مسألة الرؤية والنصوص الواردة فيها حفلت به كتب العقائد والأحاديث والآثار إلى جانب كتب التفسير وهي مسألة في غاية الأهمية، ولذا أفردها كثير من أهل العلم بالتأليف لبيان الحق فيها وجمع أدلتها ودحض شبه المنحرفين فيها، فجاءت مصنفاتهم عنها كثيرة جداً.

ينظر بعض تلك المصنفات في: الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة، عبدالرحمن العلوي ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) ينظر: الفتاوى ٣٣٧/٢، مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١، شرح الطحاوية ٢٠٧/١، مختصر الصواعق المرسلة ص ١٤٣.

(٣) التبصير في الدين ص ١٥٧.

ثم شرع في إيراد أدلته بعد أن بيّن أن دلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة[١] وكان من منهجه في هذا الأمر التعقيب على كل دليل ببيان وجه الدلالة منه أو ما يفسره ويؤكده من السنة، ولذا كان استدلاله على النحو التالي:

١ - قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[٢]. واللقاء إذا أطلق في اللغة وقع على الرؤية خصوصاً[٣].

٢ - قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤][٥].

٣ - قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦]، ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الرب جل جلاله. وقد ورد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تفسير هذه الآية بذلك أ.هـ[٧].

ولا شك أن مراده الأحاديث الواردة في ذلك ومن أشهرها حديث صهيب - رضي الله عنه - قال: قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٨] قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيِّض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فَيَكْشِفُ الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة"[٩]. والأحاديث الواردة في تفسير الزيادة في هذه الآية وغيرها كثيرة جداً[١٠].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٥٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٤.

(٣) التبصير في الدين ص ١٥٧، وينظر: معالم التنزيل للبغوي ٣٦٠/٦، شرح الطحاوية ٢٢١/١.

(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٥) التبصير في الدين ص ١٥٧.

(٦) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٧) التبصير في الدين ص ١٥٧.

(٨) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٩) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى ٣٩٢/١، رقم ٢٩٧٠، ٢٩٨٠، وأحمد ٣٣٢/٤، ٣٣٣، والترمذي ٦٨٧/٤.

(١٠) ينظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها، د. أحمد بن ناصر آل حمد ص ٢١٠ - ٢١٤.

٤ - قوله تعالى في قصة موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[١] ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة، وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى قال في جوابه: "لن تراني" ولم يقل لن أرى، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى؛ لأنه لو كان لا يصح رؤيته لكان يقول لن أُرى، ولـمَا خصَّ نفي الرؤية به[٢].

٥ - قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[٣] يبين أن جميع الأبصار لا تدركه، مفهومه أن بعضها يدركه، ثم بين الله سبحانه من يدرك ومن لا يدرك. فقال: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[٤]. وأن الوجوه الباسرة محجوبة عنه كما فرق بين الفريقين في قوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾[٥]، فالوجوه السود محجوبة عنه، والوجوه البيض الناضرة ناظرة إليه، ثم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خصّ لأصحابه هذه الحالة. فقال: "إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون ولا تضارون في رؤيته". وفي الحديث قيد تحمل عليه آية الرؤية فكأنه قال: لا تدركه الأبصار في غير القيامة وتدركه يومئذ فإن المطلق يُحمل على المقيَّد"[٦].

وتفسيره الأول للآية "بأن جميع الأبصار لا تدركه مفهومه أن بعضها يدركه"، لم أجد من وافقه على ذلك التفسير.

أما تفسيره الثاني فهو صحيح، لكن لم يشر إلى تفسير آخر اختاره وذهب إليه جماعة من مثبتي الرؤية من السلف وغيرهم، كبعض الأشاعرة، ليس هذا فحسب بل جعلوا الآية دليلاً على إثبات الرؤية بخلاف ما توهم نُفاتها وقالوا بأن الآية على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها[٧].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) التبصير في الدين، ص ١٥٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٦) التبصير في الدين، ص ١٥٧.

(٧) ينظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

ويتلخص تفسيرهم في أن الآية إنما نفت الإدراك دون الرؤية، والإدراك الذي هو الإحاطة بالمرئي دون الرؤية إذ هو قدر زائد على الرؤية، فالله يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما[١].

من خلال ما سبق يظهر موافقة الإسفراييني لمذهب سلف الأمة في أصل إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، بيد أن ثمة مسألة مهمة ذات صلة بهذا الموضوع وهي مسألة "الجهة".

فالأشاعرة تعارض إثباتهم للرؤية مع نفي المتأخرين منهم لصفة العلو والاستواء، فوقعوا في التناقض! حيث أثبتوا الرؤية ونفوا لازمها. وخروجا من هذا المأزق قالوا بنفي الجهة، وأن الله يرى لا في جهة لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته[٢].

وبالتالي فالأشاعرة وإن أثبتوا الرؤية إلا أنهم اشترطوا شروطا وقيودا سلبية في مسألة الرؤية حتى جعلوها من قبيل المستحيلات، وأتوا بعقيدة لا يقرها عقل ولا نقل ولا لغة ولا عرف، وخالفوا إجماع الفريقين من أهل السنة وأهل البدع"[٣]. ففساد ما ذهبوا إليه معلوم بالضرورة[٤].

والإسفراييني رغم أنه لم يشر إلى تلك المسألة في أثناء حديثه عن الرؤية، إلا أنه صرح في مواضع أخرى بما يدل على نفيه للجهة، ومما قاله في هذا الشأن: "والجهات كلها لا تجوز عليه..."[٥] وقوله: "وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة..."[٦].

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٢٢٨ – ٢٢٩، الشريعة ١٠٤٨/٢، مفاتيح الغيب ١٢٥/١٣، شرح الطحاوية ٢١٥/١، روح المعاني ٢٤٤/٧.

(٢) ينظر: الاعتقاد للبيهقي ص ١٣٦. الاقتصاد ص ٤٢، الإرشاد ص ١٨٠، الغنية ص ١٤٢، المواقف ص ٢٩٩.

(٣) ينظر: مذهب الماتريدية والأشعرية في رؤية رب البرية، د. محمد الخميِّس، بحث بمجلة جامعة الإمام عدد ٢٣ ص ١٦.

(٤) ينظر: الفتاوى ٨٤/١٦.

(٥) التبصير في الدين، ص ١٦٠.

(٦) ينظر: المرجع السابق ص ١٨٥، ١٦٠، ١٦١، بعضها في أكثر من موضع.

المطلب الثاني

المعجـزة

تحدث الإسفراييني عن المعجزة وجاء كلامه فيها موافقاً لما عليه الأشاعرة حذو القذة بالقذة.

فالأشاعرة حصروا دلائل النبـوة بـالمعجزات، وهـذا مـا مـال إليـه الإسـفراييني حيث يقول: "إن الدليل على صدق المدعي للنبوة هو المعجزة"(١).

كما جاء تعريفه للمعجزة موافقاً لتعريفهم لهـا، فقـد عرفهـا بأنـهـا "فعـل يظـهر على يدي مدعي النبـوة بخلاف العـادة في زمـان التكليـف موافقـاً لدعـواه وهـو يدعـو الخلق إلى معارضته ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجـزوا عنـه فيبيّـن بـه صـدق مـن يظـهر على يده"(٢).

وهذا تماماً مذهب الأشاعرة في تعريف المعجزة وأنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهر على يد نبي، سالم من المعارضة.

يتبين مما سبق أن كلام "أبي المظفر الإسفراييني" عن المعجزة يرجع إلى أمرين:

١ ـ حصر دلالة صدق النبي في المعجزة.

٢ ـ تعريفه للمعجزة.

وكلا الأمرين فيهما مخالفة للحق الذي عليه أهل السنة والجماعة.

أما الأمر الأول فلا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبـوة الأنبيـاء وبيـان صدقهم، لكن الدليل غـير محصـور في المعجـزات(٣)، فـالقول بـأن النبـوة لا تُعـرف إلا بالمعجزات قول غير صحيح؛ لأن معرفة صدق النبي بغير المعجزة أمر ممكن إذ التمييز

---

(١) التبصير في الدين ص ١٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية ت مخلوف ص ٨٩، شرح الطحاوية ١/١٤٠.

بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة ليست محصورة في طريق واحد[١]، وكذلك فإن تمييز الناس بين الصادق والكاذب في الأمور الدنيوية أمر ميسور كما هوالحال مع مدعين الصناعات فكذلك الحال في الأمور الدينية[٢].

كما أن النبوة مشتملة على علوم وأعمال لابد أن يتصف بهما الرسول وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب[٣].

وهناك أوجه أخرى تؤكد على صدق النبوة وليس المعجزة فقط[٤].

أما الأمر الثاني فالرد عليه من وجوه:

أ - أن جعل الفرق بين المعجزة وبين السحر والشعوذة هو فقط عدم المعارضة، وكونها جاءت على يد مدعي النبوة فرق ضعيف؛ لأن بعض من ادعى النبوة لم يُعارَض، فلو أنه أتى بسحر وكهانة وادعى النبوة فما الفرق بينه وبين معجزة الأنبياء[٥].

ب - لا يعتبر في تحقيق شرط خرق العادة مجرد عادة المدعوين فقط، بل عادة غيرهم من جميع المخلوقات الإنس والجن وفي ذلك يقول شيخ الإسلام: "إن ما تأتي به السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن، وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾"[٦][٧].

---

(١) ينظر: شرح الأصفهانية ت مخلوف ص ٨٩، النبوات ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢) ينظر: شرح الأصفهانية ت مخلوف ص ٩١، شرح الطحاوية ١٤٣/١.

(٣) ينظر: شرح الأصفهانية ت مخلوف ص ٩١، شرح الطحاوية ١٤٣/١.

(٤) ينظر: شرح الأصفهانية ت مخلوف ص ٩١ وما بعدها، شرح الطحاوية ٨٤٣/١، النبوات ص ٣٣٩.

(٥) ينظر: النبوات ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٧) النبوات ص ٤٢٥.

المطلب الثالث

مسائل متفرقة

سبق وأن عرضنا لبعض مسائل وقضايا العقيدة المهمة وبيان موقف أبي المظفر الإسفراييني حيالها ومدى موافقته ومخالفته للمذهب الحق - مذهب أهل السنة والجماعة - الذي كان عليه سلف الأمة الصالح.

وسنعرض هنا مسائل أخرى ذكرها وقرّرها الإسفراييني.

ولعل الجامع للمسائل التي سنورد الحديث عنها هنا أن الإسفراييني قد وُفّق في بيانها وفق منهج أهل السنة، فاقترب بذلك من مذهب السلف الصالح كقرب أتباع المذهب الأشعري منه في هذه المسائل.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - عندما بيّن موافقتهم للسلف في بعض المسائل التي خالفت فيها الجهمية والمعتزلة والخوارج والشيعة مذهب أهل السنة: "وهؤلاء من أقرب الطوائف إلى السلف وأهل السنة والحديث"(١).

فالأشاعرة موافقون لأهل السنة فيما يتعلق بالسمعيات كالمعاد والحشر والحوض والصّراط والجنّة والنار وعذاب القبر ونحو ذلك، وكذلك في الإمامة والتفضيل وما يتعلق بهما، كما وافقوهم أيضاً في أنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار(٢).

ولما كانت تلك المسائل هي التي تكلم عنها الإسفراييني فأصبحت مناط الحديث في هذه الفقرة، ولم يخالف فيما ذكره مذهب السلف بل جاء حديثه عنها موافقاً لهم فسأكتفي بعرض رأيه في كل مسألة بإيجاز ثم بالإشارة إلى موضع كلامه عنها.

تجدر الإشارة إلى أن أبا المظفر في عرضه للمسائل التي ذكرها حشَد كثيراً من الآيات والأحاديث على كل مسألة؛ ولذلك اشتمل حديثه في هذا الجانب على كمٍّ

---

(١) النبوات، ص ١٩٨.

(٢) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/١٣٨٣.

كبير من الآيات والأحاديث، مما يؤكد اهتمامه بالأدلة السمعية النقلية وأن صبغة المفسر قد غلبت عليه كما غلبت على شيخه صبغة المتكلم، وقد سبق الإلماح إلى ذلك.

وأبرز تلك المسائل ما يلي:

١ - الشفاعة:

أثبت الشفاعة العظمى، وشفاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأهل الكبائر من أمته، وشفاعته لبعض من دخل النار أن يخرج منها، وشفاعة غيره من المؤمنين[(١)].

ولكنه لم يستوعب أنواع الشفاعة الأخرى، كما أنه لم يشر أيضاً إلى شفاعة الملائكة والنبيين والقرآن والصيام[(٢)].

ولعله أراد الاقتصار على أهمها وما وقع فيها الخلاف منها.

٢ - الميزان، الحوض، والصّراط:

أثبتها كلها وبيَّن أن كلاً منها حق، وأشار إلى بعض صفات الميزان والحوض وفْقَ مذهب السلف، وذلك بإيراد جملة من الآيات والأحاديث الواردة في ذلك.

أما الصّراط لم يذكر في وصفه شيئاً على الرغم من ورود الأدلة الدالة على بعض صفاته وكيفية عبور الناس على متنه[(٣)].

٤ - عدم تكفير مرتكب الكبيرة وعدم خلوده في النار:

بيّن أن المؤمن لا يكون بالمعاصي كافراً، ولا يخرج بذلك من الإيمان.

كما بين أنه لا يكون خالداً مخلداً في النار أحد من المؤمنين، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٤)]. وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ

---

(١) ينظر: التبصير في الدين ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) ينظر في ذلك: شرح الطحاوية ٢٨٢/١ - ٢٩٠، الشفاعة عند أهل السنة، د. ناصر الجديع ص ٢٧ - ٦٨.

(٣) ينظر: التبصير في الدين ص ١٧٤ - ١٧٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨..

﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾(١). وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان"(٢)(٣).

٥ - عذاب القبر:

أثبت إحياء الموتى في قبورهم، وأن فيهم من يُعذَّب في قبره، كما أشار إلى سؤال الملكين(٤)، كما ردَّ على بعض شبه المخالفين التي أوردوها حول الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾(٥)(٦).

٦ - الصحابة:

بدأ بذكر العشرة المبشرين بالجنة، وحكى الإجماع على خلافة الخلفاء الأربعة بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأكد على أنهم لم يكتموا شيئاً من القرآن والشريعة، بل ساروا أحسن سيرة، ووفقوا بحسن السعي في تثبيت المسلمين على الدين(٧).

وأورد من الآيات ما يدل على فضل الصحابة عموماً ثم ما ورد في فضل الخلفاء الأربعة الراشدين، وكان ترتيبه لهم موافقاً لترتيب السلف لهم(٨)، ثم أورد بعض الأحاديث الواردة في فضل بعضهم إلى أن قال: "والأخبار في فضل الصحابة - رضي الله عنهم - أكثر من أن يحتمله هذا المختصر والمقصود ههنا أن تعلم أن الخلفاء الراشدين كانوا على الحق، وأن جملة أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، والنسائي في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) التبصير في الدين ص ١٧٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٦) ينظر: التبصير في الدين ص ١٧٧.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ص ١٧٨ - ١٧٩.

كانوا محقين، مؤمنين، مخلصين، صادقين، وكان تقديمهم لمن قدموه، وتقريرهم من قرروه حقاً وصدقاً، وكلهم كانوا يقولون لأبي بكر - رضي الله عنه - يا أمير المؤمنين، وكانوا يخاطبون عمر، وعثمان، وعلياً[١]، وكذلك علي - رضي الله عنه - كان يخاطبهم بذلك وكان يخاطب بمثله في أيامه"[٢].

(١) يبدو أن هناك كلمة ساقطة، لعلها "بذلك" بعد "يخاطبون" أو بعد "علي"!.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٠.

الخاتمــة

الحمـد لله الـذي بنعمتـه تتـم الصالحـات، وتُبلَـغ الغايـات، وتُـدرك المكرمـات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسالات، وبعد:

فقد منّ الله علـيّ بإتمـام هـذا البحـث بعـد رحلـة علميـة ماتعـة في ريـاض كتـاب "التبصير في الدين" الناضرة، عرَّجت فيها على حياة أبي المظفر الإسفراييني بجوانبـها المختلفـة، ثـم تنـاولـت فيـها منهجـه في كتابـه بـالعرض والدراسـة، وخلصـت في نهايـة المطاف إلى جملة من النتائج أجمل أهمها - باختصار - في الأمور التالية:

١ - أن أبـا المظفـر الإسـفراييني (ت ٤٧١هـ) أحدُ مصنفـي كتـب المقـالات، وكـان ذا مذهـب شـافعي ومعتقـد أشـعري، كمـا كـان مـن علمـاء الأشـاعرة الذيـن تتلمـذوا على يد أحد كبار علمـاء وأئمـة المذهـب ممـن كـان لهـم أثـر ودور كبـير فيـه - وهـو البغدادي - .

٢ - أن أبـا المظفـر الإسـفراييني - إلى جـانـب اهتمامـه بعلـم المقـالات ومـا يتعلـق منـها بمقالات الفرق بشكل خاص - كان مهتماً أيضاً بعلم التفسير ومن البارزين فيه، ولتمكنه من ناصية اللغة الفارسية إلى جانب العربية، فقد وضـع كتابـه في التفسـير باللغة الفارسية وهو: "تـاج الـتراجم في تفسـير القـرآن للأعـاجم" والـذي يعـدّ مـن أوائل التفاسير الكاملة للقرآن الكريم، باللغة الفارسية وأشهرها. وقد كـان لذلـك أثر ظاهر في كتابه **"التبصير في الدين"**.

٣ - تميّز كتاب "التبصير في الدين" بسمات عامة كان من أهمها:

أ - **المتابعة لشيخه البغدادي والتأثُّر** به من خلال كتابه "الفَرْق بـين الفِرَق" بدرجـة كبيرة يكاد يكون معها التبصير في الديـن ملخصـاً "للفَـرْق بـين الفِرَق"؛ لكـن مـع ذلك كانت هناك فروق مهمّة بين الكتابين.

ب - **ميله إلى الإيجاز والاختصار** في كتابه بشكل عام، فوفّى بما كان قد اشترطه في بداية كتابه من الاقتصار والاعتدال والبُعد عن الإكثار والإملال.

جـ - **عنايته بالمقدمات والخواتيم** سواء على المستوى العام للكتاب أوعلى المستوى الخاص بكل باب من الأبواب أو فرقة من الفرق.

٤ - أنه مع تأثره بكتاب "الفَرْق بين الفِرَق" جاء كتابه "التبصير في الدين" حاوياً بين طياته إضافات وتقسيمات ميّزته عنه وظهرت بها شخصية الإسفراييني مما أضفى على الكتاب قيمة علمية من عدة نواحٍ، وأبرز أوجه الاختلاف هي:

أ - **المنهج المتبع في الرد والاستدلال**: فالبغدادي يعتمد كثيراً على الأدلة والمصطلحات الكلامية، أما الإسفراييني فاهتمامه بالأدلة السمعية النقلية أكثر، ولعل ذلك راجع إلى أن الأول يغلب عليه صفة العالِم المتكلّم، بينما الغالب على الثاني وصفه بالعالم المفسِّر.

ب - **الحديث عن الملل والديانات**: فقد عقد الإسفراييني لها باباً مستقلاً أفرده للكلام عنها وأورد فيه عدداً كبيراً منها، وهذا ما لا نجده لدى البغدادي الذي جاء حديثه مقتصراً على بعضها وفي معرض مقارنته لبعض آراء الفرق بتلك الديانات والملل دون إفرادها بحديث مستقل في باب أو فصل معين.

جـ - **الهيكل العام للكتاب من حيث تقسيم أبوابه وفصوله.**

د - **الحيادية في عرض الآراء**: فالبغدادي في كتابه سلك منهجاً يتسم بالشدة والقسوة على خصومه، والتعصب على مخالفيه. أما الإسفراييني فقد ابتعد عن ذلك المنهج في غالب كتابه.

٥ - أن منهجه في تقسيم الكتاب وترتيبه يتلخص فيما يلي:

أ - **اعتماده على حديث الافتراق** وبناء الكتاب على أساسه، فوقع نتيجة ذلك في التكلف في حصر الفرق بالحديث الوارد.

ب - **اختياره لطريقة التقسيم على الفرق**، وذلك بوضع الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم إيراد مذهب كل فرقة. وهذه الطريقة "أضبط للأقسام، وأليق بأبواب الحساب".

جـ - **تقسيم الفرق إلى قسمين:** فرق داخلة في دائرة الإسلام وهي المقصودة في حديث الافتراق، وفرق أخرى خارجة عن دائرة الإسلام، وجاء ذلك تبعاً لتقسيمه للبدع حيث جعلها على قسمين:

- بدع غير مخرجة من دائرة الإسلام.
- بدع مخرجة عنها.

٦ - أن منهجه في عرض الآراء اتّسم بعدة أمور أهمها:

أ - **الدقة والموضوعية** في عرضه لكثير من الآراء في الجملة، وذلك بالتفريق في نسبة الآراء إلى عموم الفرقة أو إلى قائل معين سواء كان زعيماً للفرقة أو لا، وبالتمييز بين ما اتفقت عليه الفرقة وما كان محل اختلاف بينها.

ب - **الاهتمام بالمقارنة والربط بين الآراء** سواء كان ذلك على مستوى الفرق الإسلامية، أو حتى على مستوى الديانات والملل الأخرى.

جـ - **إيراده أحياناً لبعض أدلة** الآراء التي استدل بها أصحابها على اختلافها دون استيفاء أو استقصاء.

د - **تراوح منهجه في عرض المقالات بين الإسهاب والإيجاز**، حيث بلغ ذروة الإطناب في الكلام عن المعتزلة، أما حديثه عن الشيعة والخوارج والكرامية فعلى الرغم من طوله إلا أنه دون ذلك، أما بقية الفرق فقد سلك معها أسلوب الاختصار.

٧ - لم يكن من منهجه الالتزام بالرد على ما يذكر من آراء ونقدها، إذ لم يولِ هذا الجانب كبير عناية واهتمام، ولكنه يكتفي أحياناً بالتعقيب على بعضها، وقد تنوعت تعقيباته في هذا الشأن: فكثير ما يكون التعقيب سمعياً بمخالفة الكتاب أو السنة أو الإجماع، وتارة يكون عقليّاً عن طريق القياس والإلزام والإطراد، وقد يحكم بالكفر إما على الفرق أو على صاحب المقالة. وأحياناً يكون أسلوبه في عرض الرأي يتضمن انتقاده.

ويلاحظ عليه اختلاف تلك التعقيبات كمّاً وكيفاً من فرقة إلى أخرى، فبينما ارتفعت وتيرتها مع المعتزلة، نراها تتلاشى مع فرق أخرى، ولا شك أن بعض تلك الردود مفيدة لأهل السنة في الرد على بعض الطوائف المبتدعة.

٨ - أنه أفرد باباً مستقلاً من أبواب الكتاب للحديث عن المقالات التي كانت قبل الإسلام. وذكر فيها ديانات وملل ونحل مختلفة ومتعددة عرض لكثير منها في إلماحة سريعة وبإيجاز شديد.

ويعد بذلك كتابه من أوائل كتب الفن التي وصلتنا وقد تناولت أديان وملل ونحل غير المسلمين بالحديث استقلالاً، لكن مع ذلك يبقى "التبصير في الدين" كتاباً في مقالات الفرق بالدرجة الأولى.

٩ - أن الفرقة الناجية في نظر المؤلف هي فرقة الأشاعرة التي جاء الحديث دالاً على نجاتها، وأن ما عداها هالك، وقد ترتب على ذلك عدة أمور:

أ - إبراز الأشاعرة على أنهم أهل السنة والجماعة المستحقون لهذا اللقب.

ب - تقريره لمعتقد الأشاعرة عند بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية والأسماء والصفات وغيرها من مسائل الاعتقاد.

جـ - ادعاؤه أن كثيراً من أئمة الإسلام وعلماء أهل السنة والجماعة بما فيهم الأئمة الأربعة كانوا على مذهب الأشاعرة.

د - خلو الكتاب من بيان عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة بحق، والذين هم أولى الناس بوصف الفرقة الناجية.

هذا ما استطعت حصره من أبرز نتائج البحث سردتها في النقاط السابقة، وتفاصيل ذلك إضافة إلى النتائج الفرعية الأخرى مبسوطة في ثنايا البحث، آمل أن أكون قد وُفقت فيها للصواب.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد. وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة			
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	البقرة	١٦٤	٤٨٠
﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ...﴾	البقرة	٢٤٧	٤٩٦
﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾	البقرة	٢٥٥	٤٨٩
سورة آل عمران			
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ...﴾	آل عمران	١٠٦	٢١٣
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	آل عمران	١٩٠	٤٨٠
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	آل عمران	٢	٤٨٨
سورة النساء			
﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾	النساء	١٦٦	٤٨٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾	النساء	٤٨	٥٠٨
سورة المائدة			
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .	المائدة	٤٨	٢٤
سورة الأنعام			
﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ ...﴾	الأنعام	٦٥	٤٨٨
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	الأنعام	٧٥-٨٣	٤٨٠
﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	الأنعام	١٠١	٤٨٨
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ...﴾	الأنعام	١٠٣	٥٠٣
﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ ...﴾	الأنعام	١٢٤	٤٩١
سورة الأعراف			
﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ...﴾	الأعراف	١٤٣	٥٠٣

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ... ﴾ .	الأنبياء	٧٨- ٧٩	٣٢
﴿ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ ... ﴾	الأنبياء	١٠٨	٤٨٤
سورة الحج			
﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ... ﴾	الحج	٧٨	٤٦٧
سورة النور			
﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ... ﴾	النور	٤٠	٣٤٩
سورة الفرقان			
﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ... ﴾	الفرقان	٥٨	٤٨٨
سورة القصص			
﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ ... ﴾	القصص	٥٠	٦٥
سورة الروم			
﴿ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾	الروم	٣٠	٣٢
سورة لقمان			
﴿ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾	لقمان	٣١	٤٨٩
سورة الأحزاب			
﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ ... ﴾	الأحزاب	٤٤	٥٠٢
سورة سبأ			
﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ... ﴾	سبأ	٣	٤٨٨
﴿ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾	سبأ	٤٨	٤٨٨
سورة فاطر			
﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾	فاطر	٣٠	٤٨٩

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

فهرس الفرق والأديان والطوائف

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المراجع والمصادر

● أولاً: المخطوطات والرسائل والبحوث الجامعية غير المطبوعة

١- الأبيوردي - حياته وشعره - إعداد: محمود إسماعيل عبدالقادر عمار - رسالة دكتوراه - قسم الأدب، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام، ١٤٠٩هـ.

٢- آراء أبي إسحاق الإسفراييني الأصولية - جمعاً وتوثيقاً ودراسة - إعداد: عبدالله بن زيد المسلم - رسالة دكتوراه - قسم أصول الفقه، كلية الشريعة، جامعة الإمام ١٤١٤هـ.

٣- آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - الجهمية والمعتزلة - إعداد: يوسف بن محمد السعيد، قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤١٩هـ.

٤- آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها - الباطنية - إعداد: حمود بن غزاي الحربي - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٢٠هـ.

٥- آراء الفرق الإسلامية في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في عرضها - الخوارج والشيعة - إعداد: محمد ناصر السحيباني - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ.

٦- أعمال القلوب، حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، إعداد: سهل بن رفاع العتيبي - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاهرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢٣هـ.

٧- الإيمان، حقيقته وآثاره، إعداد: محمد بن إبراهيم العجلان - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٠٠هـ.

٨- ابن حزم الأندلسي ومنهجه في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، إعداد: علي جابر مفرح - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٠٤هـ.

٩- الافتراق وأصول الفرق في القرن الأول الهجري، إعداد: حمود بن غزاي الحربي - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤١٠هـ.

١٠- بشر بن غياث المريسي وآراؤه الاعتقادية - عرض ونقد - إعداد: أحلام محمد سعيد باحمدان - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة، جامعة أم القرى ١٤١٤هـ.

١١- البعث عند الفلاسفة وموقف الإسلام منه، إعداد: عبدالكريم بن محمد الحميدي - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام.

١٢- البهائية وموقف الإسلام منها، إعداد: دخيل الله الأزوري - رسالة ماجستير - قسم العقيدة، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

١٣- "التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين" أبو المظفر الإسفراييني، مخطوط مصور بمكتبة جامعة الإمام برقم (٥٠٧٠) عن المخطوط الأصلي بمكتبة الفاتح ورقم المخطوط فيها (٢٩٠٥).

١٤- "التبصير في الفرق" تأليف الإمام أبي المظفر محمد الإسفراييني، مخطوط مصور على الميكروفيلم بمكتبة جامعة الإمام برقم (١٠٣٤) عن المخطوط الأصلي بمكتبة الأسكوريال، ورقم المخطوط فيها (١٤٧٣).

١٥- تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، مناهجه ومصنفاته من بداية القرن الرابع (٣٠١هـ) إلى نهاية القرن السادس (٦٠٠هـ)، إعداد: يوسف بن علي الطريف - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٢٢/١٤٢٣هـ.

١٦- التشبيه والتمثيل في الصفات وموقف الفرق منه، إعداد: علي بن سالم المري - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢١هـ.

١٧- التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها، إعداد: فضل الهادي وزين محمد عمر - رسالة دكتوراه - قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ.

١٨- توحيد الربوبية بين السلف ومخالفيهم من الفرق الكلامية، إعداد: سعيد بن علي العمري - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢١هـ.

١٩- جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها، القرن الخامس الهجري، إعداد: علي بن حسين بن يحيى بن موسى حسن - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤١٩هـ.

٢٠- الخلل في العقيدة وأثره على الأمة الإسلامية، محمد بن عوض الشهري، بحث مقدم لمسابقة جامعة الإمام في البحوث، العام الجامعي ١٤١٦/١٤١٧هـ.

٢١- الخوارج في العصر الأموي، إعداد: سليمان السويكت - رسالة ماجستير - قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، ١٣٩٨هـ.

٢٢- دراسة وتحيق كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي. إعداد: صالح بن عبدالرحمن الدخيل - رسالة ماجستير - قسم العقيدة - الجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ.

٢٣- الشيخ عبدالرحمن بن حسن وجهوده في تقرير العقيدة مع إخراج كتاب القول النفيس في الرد على داود بن جرجيس. إعداد: ناصر عبدالعزيز الغنيم - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام.

٢٤- الصفات الإلهية عند الفرق الإسلامية عبر العصور التأريخي، إعداد: سعد بن خلوفة الشهري - رسالة ماجستير - قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية ١٤٠٩/١٤٠٨هـ.

٢٥- ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، إعداد: محمد عبدالحكيم حامد - رسالة ماجستير - قسم والمذاهب المعاصرة الجامعة الإسلامية.

٢٦- عبدالقادر البغدادي ومنهجه في كتابه "الفَرْق بين الفِرَق" عرضاً وتقويماً، إعداد: هند بنت أحمد العصيمي - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٢١/١٤٢٠هـ.

٢٧- علم الملل، أهميته وضوابطه الشرعية، إعداد: أحمد عبدالله جود - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤١٩/١٤١٨هـ.

٢٨- العمل وعلاقته بالإيمان عند الفرق الإسلامية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، إعداد: شريفة أحمد الحازمي - بحث ماجستير - قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ.

٢٩- غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية - عرضاً ونقداً - إعداد: ثامر بن ناصر الغشيان - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام.

٣٠- الغلو وأثره في عقائد الرافضة، إعداد: جازي بخيت الجهني - رسالة ماجستير - قسم العقيدة ، الجامعة الإسلامية.

٣١- الغلو والفرق الغالية في العقيدة الإسلامية، إعداد: علي بن سليمان الصالحي - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام.

٣٢- فرق الخوارج، نشأتهم، واقعهم المعاصر، أهم آرائهم العقدية، إعداد: د. محمد بن عبدالله الوهيبي، بحث محكم.

٣٣- القاسمي ومنهجه في تفسيره "محاسن التأويل"، إعداد: إبراهيم بن علي الحسن - رسالة ماجستير - قسم القرآن وعلومه - جامعة الإمام.

٣٤- كتاب الفرق وأصناف الكفرة، للعراقي، تحقيق: عبدالله بن سليمان العمر - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٠٩هـ.

٣٥- كتاب "لباب الإعراب" لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، دراسة وتحقيق، إعداد: بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن - رسالة ماجستير - قسم النحو والصرف، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام ١٤٠١/١٤٠٢هـ.

٣٦- ما ورد من نصوص وآراء في كتب التراث عن ابن أبي حاتم في كتابه المفقود "الرد على الجهمية" - جمعاً ودراسة -، إعداد: فهد بن أحمد النمري - بحث

ماجستير - قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود، ١٤٢٤/١٤٢٣هـ.

٣٧- المجوسية وأثرها في العالم الإسلامي، إعداد: عقل بن عبدالكريم العقل - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٠٧هـ.

٣٨- المرجئة وموقف أهل السنة منهم، إعداد: محمد بن عبدالعزيز اللاحم - رسالة ماجستير - قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٠٧هـ.

٣٩- منهج ابن حزم في الرد على أهل الكتاب - دراسة وتقويم - إعداد: حسين بركات حسين - رسالة دكتوراه - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤١٤هـ.

٤٠- المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية - دراسةً وتقويماً - إعداد: مفرح بن سليمان القوسي - رسالة دكتوراه - قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام، ١٤٢٠هـ.

٤١- موقف ابن تيمية من الكرامية في الإلهيات، عبدالقادر محمد عبدالله - رسالة ماجستير - قسم العقيدة، جامعة أم القرى.

٤٢- الهندوسية عرض ونقد، إعداد: محمد عبدالعزيز العلي - رسالة ماجستير - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ١٤٠٨هـ.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

٤٣- الأباضية بين الفرق الإسلامية: علي يحيى معمر، مطبعة وزارة التراث القومي، عمان، ١٤١٥هـ - ١٩٦٤م.

٤٤- الأباضية عقيدة ومذهباً: الدكتور صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت.

٤٥- الأباضية في موكب التاريخ: علي يحيى بن معمر، تعليق: أحمد بن سعود السيابي، طبعة الأكوان الحديثة - ١٩٨٨م.

٤٦- الأباضية: عبدالعزيز العبداللطيف.

٤٧- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق د. فوقية حسين محمود، ط الأولى، ١٣٩٧هـ، دار الأنصار، القاهرة.

٤٨- أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم): صديق بن حسن القنوجي، إعداد عبدالجبار زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٨م.

٤٩- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين: تصنيف: محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٠- آثار البلاد وأخبار العباد، تصنيف: زكريا بن محمد القزويني، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ.

٥١- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: ليوليوس فلهوزن، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٥٢- أحسن التقاسيم: محمد بن أحمد المقدسي، ليدن ط٢، ١٩٠٦م.

٥٣- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي: دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٣٩٢هـ.

٥٤- أخبار العلماء بأخبار الحكماء: لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، عُني بتصحيحه محمد أمين الخانجي، طبع بمطبعة السعادة، مصر.

٥٥- أخبار القضاة، لوكيع محمد بن خلف بن حبان، عالم الكتب، بيروت.

٥٦- أدب الخلاف: عوض محمد القرني، دار الأندلس الخضراء، جدة.

٥٧- أدب الدنيا والدين: الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٥٨- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: سعود العريفي، دار عالم الفوائد، ط١ ١٤١٩هـ.

٥٩- أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي، ط الثامنة، ١٩٨٦م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٦٠- الأديان دراسة تاريخية مقارنة: (القسم الأول) د. رشدي عليان، وسعدون الساموك، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.

٦١- آراء الخوارج الكلامية، د. عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨هـ.

٦٢- آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: هدى ناصر الشلالي، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ.

٦٣- الأربعين في أصول الدين: فخر الدين الرازي، دائرة المعراف، حيدرآباد، الهند.

٦٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة: لأبي المعالي عبدالله الجويني، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ.

٦٥- الإرشاد: محمد بن النعمان الملقب بالمفيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

٦٦- أسباب اختلاف الفقهاء: الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٨هـ.

٦٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبي الحسن ابن الأثير، المكتبة الإسلامية.

٦٨- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: لمقاتل بن سليمان البلخي، دراسة وتحيق: د. عبدالله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

٦٩- الإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دار السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٨هـ.

٧٠- أصول الإسماعيلية: دراسة تحليل نقد، د. سليمان السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ط١/١٤٢٢هـ.

٧١- الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية: الدكتور عبدالفتاح فؤاد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٧٢- أصول الدين: عبدالقاهر البغدادي، مطبعة الدولة، استانبول، ط١، ١٣٤٦هـ، ط أخرى، بيروت ط١، ١٩٨٧م.

٧٣- أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية: الدكتورة عائشة يوسف المناعي، دار الثقافة، الدوحة - قطر، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٤- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، د. ناصر بن عبدالله القفاري، دار الرضا، مصر، ط٣، ١٤١٨هـ.

٧٥- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: الحافظ عمر بن علي البزار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ.

٧٦- أعلام الموقعين: لابن القيم، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيورت، ط١، ١٤١١هـ.

٧٧- الإعلام بوفيات الأعلام، الذهبي، تحقق: رياض مراد، عبدالجبار زكّار، دار الفكر، بيروت ودمشق.

٧٨- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٨٤م.

٧٩- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٨٠- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٨١- الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة: الحسن بن عبدالرحمن العلوي، دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ.

٨٢- الإمام الكوثري: أحمد خيري، سلسلة مطبوعات أحمد خيري، ط١، ١٣٧٢هـ.

٨٣- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: عبدالله بن عمر الدميجي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٨٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لابن تيمية، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٨٥- الأنساب لأبي سعد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، ط: الأولى ١٤٠٨هـ، دار الجنان، بيروت.

٨٦- الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف: لولي الدين الدهلوي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٨٧- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: عمادالدين حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٨٨- أهم الفرق الإسلامية، محمد الطاهر النيفر، الشركة التونسية، ١٩٧٤م.

٨٩- الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ.

٩٠- إيثار الحق على الخلق: لابن عبدالله بن المرتضى اليماني، تصحيح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أخرى، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٩١- الإيمان بين السلف والمتكلمين، د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩٢- الإيمان: لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦م.

٩٣- ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية، علي بن علي الحربي، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ.

٩٤- ابن تيمية والتصوف: الدكتور مصطفى حلمي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

٩٥- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ، د. عبدالحليم عويس، دار الاعتصام - دار النصر للطباعة الإسلامية.

٩٦- ابن حزم حياته وآراؤه الفقهية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٩٧- ابن حزم خلال ألف عام، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٩٨- ابن حزم ومنهجه في دارسة الفرق والعقائد الإسلامية، د. مجيد خلف منشد، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩٩- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان: د. محمود علي حماية، ط الأولى، ١٩٨٣م، دار المعارف، القاهرة.

١٠٠- ابن حزم وموقفه من الإلهيات: الدكتور أحمد ناصر الحمد، شركة العبيكان، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٠١- ابن فارس اللغوي منهجه وأثره في الدراسات اللغوية، د. أمين محمد فاخر، جامعة الإمام، ١٤١١هـ.

١٠٢- اتباع الهوى مظاهره وخطره علاجه: د. سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٧هـ.

١٠٣- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبدالرحمن الرومي، الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ.

١٠٤- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، للحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق عواد عبدالله المعتق، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٠٥- الاستقامة : لابن تيمية ، تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ.

١٠٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : يوسف بن عبدالبر، دار العلوم الحديثة ، مصر، ط ١ ، ١٣٢٨هـ.

١٠٧- الاشتقاق : أبو بكر بن دريد ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مؤسسة الخانجي ، مصر ١٣٧٨هـ.

١٠٨- الاعتصام : أبو إسحاق الشاطبي ، تحقيق أ.د. مصطفى سليمان الندوي ، دار الخاني ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦هـ.

١٠٩- الاعتقاد للبيهقي : تحقيق : أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

١١٠- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : فخر الدين الرازي ، تعليق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١١١- الاقتصاد في الاعتقاد : أبو حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ.

١١٢- اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٤ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١١٣- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد : لأبي الحسين عبدالرحيم بن محمد الخياط ، بيروت ، ١٩٨٧م/١٩٨٨م.

١١٤- الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، شرح أحمد شاكر، تعليق الألباني، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

١١٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأخبار للأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

١١٦- البحث العلمي: د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١١٧- البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، د. زوقان عبيدات وزملائه، دار أسامة، الرياض، ١٤٠٣هـ- ١٩٩٣م.

١١٨- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، تحقيق عبدالستار أبو غدة، ط ١.

١١٩- البدء والتاريخ، المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، وهو للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

١٢٠- البداية والنهاية: للحافظ أبي الفداء عماد الدين ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١ ١٩٦٦م.

١٢١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

١٢٢- بدع الاعتقاد: محمد حامد الناصر، مكتبة السوادي، ط ١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٢٣- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبدالله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٢٤- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: الدكتور بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار. الأردن، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٥- بصائر للمسلم المعاصر، عبدالرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد، لابن تيمية، تحقيق: موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٢٧- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

١٢٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٩- بلدان الخلافة الشرقية، كي. لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

١٣٠- البهائية: هاشم عقيل عزوز، دار القبلة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣١- بيان تلبيس الجهمية: لابن تيمية، تصحيح: محمد بن عبدالرحمن بن القاسم، مكة ١٣٩٢هـ.

١٣٢- بيان مذهب الباطنية وبطلانه، محمد بن الحسن الديلمي، دار ابن قتيبة، الكويت.

١٣٣- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٤٨ - ١٩٥٠م.

١٣٤- البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة ابن تيمية، ط ٤، ١٤١٣هـ.

١٣٥- تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، عبداللطيف بن عبدالقادر الحفظي، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط ١، ١٤٢١هـ.

١٣٦- تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة الدينوري، ط دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٣٧- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ

١٣٨- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر.

١٣٩- تاريخ الأدب العربي، السباعي بيومي، مطبعة العلوم.

١٤٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الإمام شمس الدين محمد أحمد الذهبي، تحقيق: الدكتور عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.

١٤١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١٤٢- التاريخ الإسلامي العام، علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

١٤٣- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية الإمام، ١٤١١هـ.

١٤٤- تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٤٥- تاريخ الحكماء والفلاسفة، الشهرزوري.

١٤٦- تاريخ الخلفاء: الإمام جلال الدين السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٤٧- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعكبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٤٨- تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت - لبنان.

١٤٩- تاريخ الفرق وعقائدها، د. محمود سالم عبيدات، ١٩٩٨م.

١٥٠- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد علي أبو ريان، (دار النهضة، بيروت)، ط الثانية، ١٩٧٠م.

١٥١- تاريخ الفلسفة اليونانية، تأليف: يوسف كرم، ط الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

١٥٢- تاريخ الفلسفة في الإسلام، د. ج. دي بور ترجمة د. محمد أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت.

١٥٣- التاريخ الكبير، البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٤- تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٩٦هـ.

١٥٥- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٦- تاريخ حكماء الإسلام، ظهير الدين أبي الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي، عني بنشره وتحقيقه: محمد كرد علي، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٦٥هـ.

١٥٧- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، لأبي المظفر الإسفراييني، تعليق محمد زاهد الكوثري، عني بنشره: عزت العطار الحسيني، الطبعة الأولى، ١٣٥٩هـ، مطبعة الأنوار.

١٥٨- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرقة الهالكين، لأبي المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب.

١٥٩- التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان: علي بن أحمد بن سوف، ط١، ١٤٢١هـ.

١٦٠- تبيين كذب المفتري، لأبي القاسم ابن عساكر، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ١٤٢٠هـ.

١٦١- تجريد الصحابة: الحافظ شمس الدين أبي عبدالله الذهبي، دار المعرفة، بيروت.

١٦٢- التجسيم عند المسلمين، مذهب الكرامية، تأليف: سهير محمد مختار، ط الأولى، ١٩٧١م، شركة الإسكندرية للطباعة.

١٦٣- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٤- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبدالله الترجمان، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

١٦٥- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لمحمد بن أحمد البيروني، عالم الكتب، بيروت، ١٣٧٧هـ.

١٦٦- تدريب الراوي: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط ٢، ١٤١٥هـ.

١٦٧- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة وحتى القرن السادس الهجري، د. وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٦٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى البحصبي، تحقيق: الدكتور أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٦٩- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

١٧٠- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٤١٣هـ.

١٧١- تفسير القرآن العظيم: الحافظ: ابن كثير، مؤسسة الريان، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ.

١٧٢- التفسير الكبير: الفخر الرازي، المطبعة البهية، مصر، ط ١، ١٣٥٧هـ.

١٧٣- التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبدالحليم محمود، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٧٤- تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، إبراهيم عقيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ.

١٧٥- تلبيس إبليس: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، عناية: محمود استنابولي، ١٣٩٦هـ.

١٧٦- تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان، علي بن محمد الفخري، تحقيق: د. رشيد البندر، دار الحكمة، ط ١، ١٤١٥هـ.

١٧٧- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد بن حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط.

١٧٨- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف بنت حسن مختار، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ.

١٧٩- تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، د. صالح بن سعد السحيمي، مطبعة السفير، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.

١٨٠- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.

١٨١ - التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين، أبو محمد البطليوسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٨٢ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسن محمد بن أحمد الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهر الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٨هـ.

١٨٣ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. لأبي الحسين الملطي، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ.

١٨٤ - التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز بن ناصر الرشيد، ط ٣، ١٣٨٩هـ.

١٨٥ - تنقيح المقال في أحوال الرجال: عبدالله المامقاني، طهران.

١٨٦ - تهذيب الآثار، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

١٨٧ - تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين النووي، إدارة الطباعة المنيرية.

١٨٨ - تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة عن الطبعة الهندية ١٣٢٦هـ، دائرة المعارف العثمانية، صورتها دار صادر بيروت.

١٨٩ - تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرين، القاهرة، ١٩٦٤م - ١٩٦٧م.

١٩٠- التوحيد: لابن خزيمة، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩١- التوراة واليهود في فكر ابن حزم، إبراهيم الحاردلو، جامعة الخرطوم، ١٩٨٤م.

١٩٢- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين الدمشقي، حققه: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٤هـ.

١٩٣- تيارات الفكر الإسلامي، محمد عمارة.

١٩٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف، مصر.

١٩٥- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي: دار المعرفة، بيورت.

١٩٦- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ٢، ١٣٨٨هـ.

١٩٧- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٨- جذوة المقتبس: أبو عبدالله بن فتوح الحميدي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٥هـ.

١٩٩- الجرح والتعديل، للإمام الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بالهند سنة ١٣٧١هـ.

٢٠٠- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تأليف: السيد نعمان خير الدين الألوسي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

٢٠١- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد لوح، دار ابن عفان ط ١، ١٤١٨هـ.

٢٠٢- الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي: خالد العسلي، المكتبة الأهلية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م.

٢٠٣- الجهمية والمعتزلة، د. ناصر عبدالكريم العقل، دار الوطن ط ١، ١٤٢١هـ.

٢٠٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية، تحقيق: الدكتور علي بن حسن بن ناصر، والدكتور عبدالعزيز إبراهيم العسكر، والدكتور حمدان محمد الحمدان، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٠٥- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن القيم، مكتبة المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.

٢٠٦- حاشية العلامة البناني على شرح الجلال: تاج الدين عبدالوهاب بن السبكي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٢٠٧- الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.

٢٠٨- حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة: الصنعاني، تحقيق: سعد بن عبدالله السعدان، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.

٢٠٩- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، ط الثانية، ١٤٠٦هـ، مكتبة الأقصى، الأردن.

٢١٠- الحركات السرية في الإسلام: د. محمود إسماعيل، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

٢١١- حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العصر الأموي: د. لطيفة البكاي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢١٢- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، طبع بمطبعة الموسوعات، مصر.

٢١٣- حقيقة البدعة وأحكامها: سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤١٤هـ.

٢١٤- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: عبدالرحيم السلمي، دار المعلمة، ط ١، ١٤٢١هـ.

٢١٥- حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٦- الحوادث والبدع: لأبي بكر الطرطوشي: تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١٧- الحور العين، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق كمال مصطفى، ط الأولى، عام ١٣٦٧هـ، مكتبة الخانجي.

٢١٨- حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي: عماد الدين خليل، دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢١٩- خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان، لمحمد صديق حسن خان، ط الأولى، عام ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية.

٢٢٠- الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت.

٢٢١- الخلاف بين العلماء وأسبابه وموقفنا منه، محمد بن صالح العثيمين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٢٢- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.

٢٢٣- الخوارج الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم: د. مصطفى حلمي، توزيع دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣١٧هـ- ١٩٣٧م.

٢٢٤- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها: د. غالب عواجي، مكتبة لينه، ط ١، ١٤١٨هـ.

٢٢٥- الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر بن عبدالله السعوي، دار المعراج الدولية، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٢٦- الخوارج عقيدة وفكرة وفلسفة: الدكتور عامر النجار، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٨م.

٢٢٧- الخوارج في العصر الأموي: الدكتور نايف معروف، دار الطليعة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ.

٢٢٨- الخوارج وآراؤهم: د. شوقي إبراهيم علي عبدالله، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

٢٢٩- دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها: مجموعة من المستشرقين، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.

٢٣٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

٢٣١- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٢٣٢- دراسات عن الإباضية: د. عمرو خليفة النامي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣٣- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: د. سعود بن عبدالعزيز الخلف، دار أضواء السلف، ط ٣.

٢٣٤- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبدالحميد، ط الأولى، عام ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٣٥- دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، د. حسام الدين الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٣٦- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٣٧- الدرر السنة في الأجوبة النجدي، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٣٨- دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن، عبدالله الدويش، دار العليان، ط١، ١٤١١هـ.

٢٣٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: ابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٠- الدين: د. محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٣٩٠هـ.

٢٤١- ديوان الأبيوردي، تحقيق: د. عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة.

٢٤٢- ديوان الشافعي، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ٦، ١٤٢٢هـ.

٢٤٣- ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٤٤- الذيل على طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.

٢٤٥- رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها، د. أحمد بن ناصر آل حمد، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١١هـ.

٢٤٦- الرحيق المختوم: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار المؤيد، ١٤١٥هـ.

٢٤٧- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، لأبي حامد الغزالي، تحقيق، د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار أمية، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٤٨- الرد على الجهمية والزنادقة: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن عميرة، دار اللواء، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٤٩- الرد على الجهمية: الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٢٥٠- الرسالة المدنية: ابن تيمية، تحقيق: الوليد الفريان، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٥١- رسالة في الرد على الرافضة، لأبي حامد محمد المقدسي، تحقيق عبدالوهاب خليل الرحمن، ط الأولى، عام ١٤٠٣هـ، الدار السلفية، بومباي.

٢٥٢- الرسالة: الإمام محمد بن إدريش الشافعي: تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٥٣- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الدعوة السلفية، ط ١٤١٣هـ.

٢٥٤- روح المعاني، لأبي الفضل محمود الألوسي، دار الفكر.

٢٥٥- الروض المعطار في أخبار الأقطار، محمد بن محمد بن عبدالمنعم، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٥٦- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، لمحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، صححه: محمد علي الرضاواني، ط الثانية.

٢٥٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥٨- روضة الناظرين في مآثر علماء نجد وحوادث السنين: محمد بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي، مصر، ط ٣، ١٤١٠هـ.

٢٥٩- الزمن العباسي: د. مصطفى علم الدين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٦٠- الزندقة والزنادقة، عاطف شكري أبو عوض، دار الفكر، الأردن.

٢٦١- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ابن نباته المصري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، ١٣٨١هـ.

٢٦٢- سقراط: مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال. بيروت، ١٩٨٥م.

٢٦٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، من منشورات المكتب الإسلامي.

٢٦٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.

٢٦٥- السنة لابن أبي عاصم: تحقيق: الدكتور عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٢٦٦- السنة للإمام عبدالله بن حنبل الشيباني: تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٦٧- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط ٤، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٦٨- سنن أبي داود: مراجعة وضبط: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة.

٢٦٩- سنن ابن ماجة، حققه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة مصورة، دار الفكر، بيروت.

٢٧٠- سنن الترمذي: الإمام أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة ١، ١٣٥٤هـ.

٢٧١- سنن الدارمي: للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، عناية: محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية.

٢٧٢- السنن الكبرى: للبيهقي، وبذيله الجوهر النقلي لابن التركماني، دار الفكر.

٢٧٣- سنن النسائي: المطبعة المصرية، القاهرة، ط ١٣٤٨هـ.

٢٧٤- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٦، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٧٥- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ.

٢٧٦- السيرة النبوية لابن هشام: تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٧٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح بن عبدالحي العماد الحنبلي، دار الآفاق، بيروت.

٢٧٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسين الطبري اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط ٢.

٢٧٩- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، تعليق: أحمد بن الحسن بن أبي هاشم، تحقيق: الدكتور عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٨٠- شرح السنة، للإمام البغوي، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط الثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

٢٨١- شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدم له: حسين محمد مخلوف، دار الكتب الحديثة.

٢٨٢- شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، تحقيق د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، ط الثانية، عام ١٤١١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٨٣- شرح القصيدة النونية: لابن القيم، شرح الدكتور محمد خليل هراس، دار الفاروق، مصر، ط أخرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٨٤- شرح القصيدة النونية: لابن القيم، شرح: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ.

٢٨٥- شرح المواقف: الشريف الجرجاني، مطبعة السعادة، مصر.

٢٨٦- شرح حديث النزول، ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. محمد عبدالرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٨٧- شرح لمعة الاعتقاد: لابن قدامة المقدسي، تأليف الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٨٨- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الأجري: تحقيق: د. عبدالله بن عمر الدميحي، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.

٢٨٩- الشفاعة عند أهل السنة والمخالفين والرد على المخالفين فيها: د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، دار أطلس، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.

٢٩٠- شيخ الإسلام لم يكن ناصبياً، سليمان بن صالح الخراشي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٢٩١- الشيعة والتشيع: لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٩٢- الصابئون في حاضرهم وماضيهم. بقم عبدالرزاق الحسني، ط الرابعة، ١٣٩٠هـ، مطبعة العرفان، صيدا.

٢٩٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المؤسسة المصرية العامة.

٢٩٤- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم: الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٩٥- الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري: الدكتور محمد عمارة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦م.

٢٩٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٢٩٧- صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار الخير، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٦هـ.

٢٩٨- الصفات: الدارقطني، تحقيق: علي بن محمد مصطفى، ط ١، ١٤٠٣هـ.

٢٩٩- صفة الغرباء، لسلمان بن فهد العودة، ط الولى، ١٤١١هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

٣٠٠- صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها: عبدالقادر بن محمد الغامدي، مكتب دار البيان، ط ١، ١٤٢١هـ.

٣٠١- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٤١٣هـ.

٣٠٢- الصفدية: لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ القاهرة.

٣٠٣- صفوة الصفوة: لابن الجوزي، دار الداعي، حلب، ط ١، ١٣٨٩هـ.

٣٠٤- الصلة: أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٣٠٥- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٠٦- صورة الأرض لابن حوقل، ط: فؤاد بيان وشركاه، لبنان، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٠٧- ضحى الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٨.

٣٠٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٠٩- طائفة النصيرية تاريخها، وعقائدها: الدكتور سليمان الحلبي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١٠- طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣١١- طبقات الحنابلة: محمد بن محمد بن أبي يعلى، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧١هـ.

٣١٢- طبقات الشافعية : لابن السبكي ، تحقيق : محمود الطناجي ، عبدالفتاح الحلو ، ط ١ ، ١٩٨٣م.

٣١٣- طبقات الشافعية ، ابن هداية الله ، تحيق : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

٣١٤- طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ، تحقيق : د. الحافظ عبدالعليم خان ، ١٤٠٧هـ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت.

٣١٥- طبقات الفقهاء الشافعيين ، لابن كثير ، الدمشقي ، تحقيق وتعليق وتقديم د. أحمد عمر هاشم ، د. محمد زينهم محمد عزب ، مكتب الثقافة الدينية ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣١٦- طبقات الشافعية ، لجمال الدين عبدالحليم الإسنوي ، تحقيق : عبدالله الجبوري ، ط ١ ، ١٤٠١هـ دار العلوم.

٣١٧- طبقات الفقهاء الشافعية ، محمد بن أحمد العبادي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

٣١٨- طبقات الفقهاء الشافعية ، ابن الصلاح ، تحقيق : محي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٣هـ.

٣١٩- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ط ١٤٠٥هـ ، دار صادر ، بيروت.

٣٢٠- طبقات المعتزلة : أحمد بن يحيى المرتضى ، تحقيق وتعليق : د. علي سامي النشار وعصام الدين محمد ، دار المطبوعات ، ١٩٧٢م.

٣٢١- طبقات المفسرين ، للحافظ محمد بن علي الداودي ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط الأولى ، ١٣٩٢هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة.

٣٢٢- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي : الدكتور سفر الحوالي، مكتبة الطيب، مصر، ط ١، ١٤١٧هـ.

٣٢٣- ظهر الإسلام، لأحمد أمين، ط الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٢٤- عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٢٥- عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام : سليمان العودة، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٣٢٦- العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد زغلول، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١هـ.

٣٢٨- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، محمد بن موسى الحازمي، تحقيق وتعليق : عبدالله كنون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٣٢٩- عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية، . ناجي معروف، وزارة الإعلام، بغداد، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م..

٣٣٠- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب : محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٣١- عقائد الثلاث والسبعين فرقة : لأبي محمد اليمني، تحقيق : محمد عبدالله الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ.

٣٣٢- عقائد السلف للأئمة : أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة والدارمي ، جمع : علي سامي النشار ، عمار جمعة الطالبي ، مكتبة الآثار السلفية الإسكندرية.

٣٣٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، أبو الطيب الفاسي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٣٣٤- العقد الفريد ، لابن عبدربه الأندلسي ، شرحه : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٣٥- عقيدة الدروز عرض ونقد ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمّان ، ط١ ، ١٤٠٠هـ.

٣٣٦- عقيدة المسلمين : صالح بن إبراهيم البليهي ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ.

٣٣٧- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، ابن الجوزي ، تحقيق : إرشاد الحق الأثري ، دار الكتب الإسلامية ، باكستان ، لاهور ، ١٣٩٩هـ.

٣٣٨- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ، مع كتاب الأرواح النوافخ ، تأليف : صالح بن مهدي المقبلي اليماني ، مكتبة دار البيان ، دمشق.

٣٣٩- علم الملل والنحل تقاليد المقالات والأحكام في ثقافة الإسلام : د. ميثم الجنابي ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، نيقوسيا ، ط١ ، ١٩٩٤م.

٣٤٠- العلم والبحث العلمي "دراسة في مناهج العلوم" : حسين عبدالحميد رشوان ، المكتب الجامعي ، الإسكندرية.

٣٤١- علماء الملل والنحل ، د. نجاح محمود الغنيمي ، الأولى ١٤٠٧هـ ، دار المنار للنشر والتوزيع ، مصر.

٣٤٢- علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكتبة النهضة بمكة، ط ١، ١٣٩٨هـ.

٣٤٣- عنوان المجد في تاريخ نجد: عثمان ابن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف، دارة الملك عبدالعزيز، ط ٤، ١٤٠٢هـ.

٣٤٤- العواصم من القواصم: أبو بكر بن العربي، ط المكتبة العلمية.

٣٤٥- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، عيسى بنشره، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣٤٦- غريب الحديث: لأبي عبيد القاسم بن سلام للهروي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٦م.

٣٤٧- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٤٨- الغلو في الدين، نشأته، موقف الإسلام منه، مسائله، آثاره: علي بن عبدالعزيز الشبل، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ

٣٤٩- الغلو والفرقة الغالية في الحضارة الإسلامية، عبدالله سلوم السامرائي، بغداد، وزارة الإعلام، ١٣٩٢هـ.

٣٥٠- الغنية في أصول الدين: المتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٣٥١- الفائق في غريب الحديث: الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧١م.

٣٥٢- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تقديم: حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت.

٣٥٣- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب وتحقيق: محمد عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة، ط ١، ١٣٩٩هـ.

٣٥٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط الرابعة، ١٤٠٨هـ، المكتبة السلفية، القاهرة.

٣٥٥- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، تعليق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٥٦- الفتوحات المكية: محي الدين بن عربي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٥٧- الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية، تحقيق: حمد بن عبد الحسن التويجري، دار الصميعي، ط ١، ١٤١٩هـ.

٣٥٨- فجر الإسلام: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٠، ١٩٦٩م.

٣٥٩- الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني، تحقيق: سليمة عبدالرسول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٣م.

٣٦٠- الفرق الإسلامية، إسحاق بن عقيل عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٣٦١- فرقة الأحباش، نشأتها عقائدها آثارها، سعد بن علي الشهراني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٦٢- فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء، بيروت، ط ٣، ١٢٠٤هـ، ط أخرى، تعليق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٩هـ - ١٣٥٩هـ، ط ثالثة، ط كربلاء.

٣٦٣- الفرق الكلامية الإسلامية: الدكتور علي عبدالفتاح المغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٦٤- الفرق بين الفرق، للبغدادي بتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

٣٦٥- الفَرْق بين الفِرَق، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.

٣٦٦- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: د. غالب عواجي، دار لينه، دمنهور، ط ٣، ١٤١٨هـ.

٣٦٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل: تقديم: عبدالرحمن خليفة، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٦٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبدالرحمن عميرة، ط ١٤٠٥هـ، دار الجيل، بيروت.

٣٦٩- فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

٣٧٠- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تأليف: أبي القاسم البلخي، القاضي عبدالجبار، الحاكم الجشمي، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٣هـ.

٣٧١- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى: د. عبدالمجيد الشرفي، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٦م.

٣٧٢- الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، الثانية، ١٤٠٧هـ، دار القلم، دمشق.

٣٧٣- الفلسفة عند اليونان: د. أميره حلمي مطر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١م.

٣٧٤- الفهرست لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

٣٧٥- الفهرست: محمد بن الحسن الطوسي، تعليق: محمد صادق، المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٢، ١٣٨٠هـ.

٣٧٦- الفهرست، لابن خير الإشبيلي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣٧٧- فوات الوفيات، والذيل عليه، تأليف: محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٣٧٨- في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، د. أحمد محمود صبحي، ط الخامسة عام ١٤٠٥هـ، دار النهضة العربية، بيروت.

٣٧٩- القائد إلى تصحيح العقائد: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.

٣٨٠- القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، تحقيق: مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ

٣٨١- قاموس المذاهب والأديان، د. حسين علي حمد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

٣٨٢- القدرية والمرجئة، د. ناصر عبدالكريم العقل بن عبدالكريم، دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ.

٣٨٣- القضاء والقدر في الإسلام، الدكتور/ فاروق الدسوقي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٨٤- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه: د. عبدالرحمن المحمود، دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤١٨هـ.

٣٨٥- قضايا عقيدة معاصرة: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.

٣٨٦- قواعد أساسية في البحث العلمي: د. سعيد بن إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٣٨٧- القول المتين في إثبات الصورة لرب العالمين، سليمان العلوان، دار الأنصار، بريدة، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٨٨- الكامل في التاريخ: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٧م.

٣٨٩- كتاب القرامطة، لابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط ٣.

٣٩٠- كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٩١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جارالله الزمخشري، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الريان، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ط أخرى، دار الفكر.

٣٩٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى عبدالله "حاجي خليفة"، بيروت، ط أخرى، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٩٣- الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي، تقديم: محمد التيجاني، دار التراث العربي.

٣٩٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال، علاء الدين البرهان نوري، صححه: بكري حياني، صفوة السقا، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ط ١، ١٣٩١هـ.

٣٩٥- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٩٦- اللباب في تهذيب الأنساب، عزالدين ابن الأثير الجزري، ط ١٤٠٠هـ، دار صادر، بيروت.

٣٩٧- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٤١٤هـ.

٣٩٨- لسان الميزان. للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى من دائرة المعارف العثمانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ.

٣٩٩- لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤٠٠- لمحة عن الفرق الضالة، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، تعليق وتخريج: شباب الراجحي، دار السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.

٤٠١- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: عبدالملك الجويني، تحقيق: الدكتورة فوقية حسين محمود، المؤسسة المصرية، ط ١، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٤٠٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: الشيخ: محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٤٠٣- الماتريدية دراسة وتقويماً: أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٣هـ.

٤٠٤- الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات: شمس الدين الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٤٠٥- مبادئ الفلسفة، أ.س. رابوبوت، ترجمة: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٠٦- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للحافظ محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت.

٤٠٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط الثانية، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

٤٠٨- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مجموعة من علماء نجد: تصوير دار العاصمة بالرياض، سنة ١٤١٢هـ.

٤٠٩- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، مجموع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٤١٠- محاضرات في النصرانية، تأليف: محمد أبو زهرة، ط ١٤٠٤هـ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٤١١- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية - محمد الخضري.

٤١٢- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الحديث، ط ١، ١٤٢١هـ.

٤١٣- مختصر التحفة الأثنى عشرية: شاه عبدالعزيز الإمام ولي الله أحمد عبدالرحيم الدهلوي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ.

٤١٤- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن القيم الجوزية، اختصار: محمد الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٤١٢هـ.

٤١٥- مختصر كتاب الفَرْق بين الفِرَق، عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني تحقيق: فيليب حتى، مكتبة الهلال.

٤١٦- مداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م، شكري جرار، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١١هـ.

٤١٧- مدارج السالكين: لابن القيم، تحيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٤١٨- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، تأليف العميد عبدالرزاق محمد أسود، ط الأولى ١٤٠١هـ، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

٤١٩- المدخل إلى كتاب الملل والنحل، تأليف محمد بن فتح الله بدران.

٤٢٠- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: عثمان ضميرية، مكتبة السوادي، جدة، ط ١، ١٤١٤هـ.

٤٢١- مذاهب الإسلاميين: الدكتور عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٣م.

٤٢٢- مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين: عبدالله بن أسعد اليافعي، تحقيق: موسى بن سليمان الدويش، دار البخاري، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٠هـ.

٤٢٣- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، ط الأولى، ١٣٧٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.

٤٢٤- المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، طه عبدالرؤوف سعد، ومصطفى الهواري، ط ١٣٩٨هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

٤٢٥- مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، عبدالله بن أسعد اليافعي، تحقيق: محمود محمد نصار، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

٤٢٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط ١٤٠٧هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

٤٢٧- مسألة الإيمان دراسة تأصيلية، د. علي بن عبدالعزيز الشبل، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٤٢٨- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبدالله القفاري، دار طيبة، ط ٤، ١٤١٦هـ.

٤٢٩- مسائل الإيمان: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.

٤٣٠- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي، مكتبة المعارف بالرياض.

٤٣١- المستشرقون، نجيب العفيفي، ط الثالثة، ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر.

٤٣٢- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ط الخامسة، ١٤٠٥هـ، وبهامشه المنتخب من كنز العمال، المكتب الإسلامي.

٤٣٣- مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبدالرحمن بن عبداللطيف، دار اليمامة، الرياض، ط ١، ١٣٩٢هـ.

٤٣٤- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، عبدالله محمد الحبشي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٣٥- المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ.

٤٣٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف: حافظ بن أحمد حكمي، بعناية: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن حزم، بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ.

٤٣٧- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط ٤، ١٤١٧هـ.

٤٣٨- معتزلة البصرة وبغداد، رشيد الخيون، دار الحكمة، لندن، ط٢، ٢٠٠٠م.

٤٣٩- معتزلة اليمن - دولة الهدي وفكره - علي محمد زيد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ودار الدعوة، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.

٤٤٠- المعتزلة بين الفكر والعمل: علي الشابي، أبو لبابة حسن، عبدالمجيد النجار، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٤١- المعتزلة بين القديم والحديث: محمد طارق عبدالحليم، دار الأرقم، برمنجهام، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٤٢- المعتزلة تاريخ عقائد فرق أعلام، سليمان سليم علم الدين، مؤسسة نوفل، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٤٣- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبدالله المعتق، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار العاصمة، الرياض.

٤٤٤- المعتزلة: تأليف: زهدي حسن جارالله، مطبعة مصر، ١٣٦٦هـ.

٤٤٥- معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف أبو عبدالله عمر عبدالله فالح، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧هـ.

٤٤٦- معجم الأداء، أمل عبدالعزيز محمود.

٤٤٧- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤٨- معجم الأعلام، بسام عبدالوهاب اللجابي، مطبعة الجفان والجابي، قبرص، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤٤٩- معجم السفر، للحافظ أبي طاهر السلفي، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت.

٤٥٠- المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ.

٤٥١- المعجم الفلسفي: الدكتور جميل صليبيا، دار الكتاب العربي اللبناني.

٤٥٢- معجم الكافي، محمد باشا.

٤٥٣- معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥٤- معجم المعربات الفارسية منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، جمعه وشرحه: محمد التونجي، دار الأدهم، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٤٥٥- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية.

٤٥٦- المعجم الوسيط : إخراج الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، مطابع دار المعارف، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤٥٧- معجم طبقات الحفاظ والمفسرين مع دراسة عن الإمام السيوطي ومؤلفاته، عبدالعزيز عزالدين السيروان، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

٤٥٨- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٥٩- المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، محمد طاهر الهندي، دار الكتاب العربي.

٤٦٠- المغني : أبو محمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق : د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، ط ٣، ١٤١٧هـ.

٤٦١- مفاتيح العلوم : للخوارزمي، تحقيق وتقديم : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٤٦٢- مفتاح السعادة ومصباح السعادة في موضوعات العلوم، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٤- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٤٦٥- مقارنة الأديان "المسيحية" د. أحمد شلبي، ط السابعة ١٩٨٢م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٦٦- مقارنة الأديان "اليهودية"، د. أحمد شلبي، ط الخمسة، ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية في القاهرة.

٤٦٧- مقارنة الأديان وأديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، ط السابعة، ١٩٨٤م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٦٨- مقارنة الأديان، الديانات القديمة: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٦٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الثانية، عام ١٣٨٩هـ، مكتبة النهضة المصرية. .

٤٧٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، ط الثالثة، دار إيحاء التراث العربي، بيروت.

٤٧١- المقالات السنية في تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية ورد مفتريات الفرقة الحبشية، عبدالرحمن دمشقية، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٤٧٢- مقالات في المذاهب والفرق: د. عبدالعزيز آل عبداللطيف، دار الوطن، ط ١، ١٤١٣هـ.

٤٧٣- المقالات والفرق: لسعد بن عبدالله أبي خلف الأشعري القمي، صححه وقدم له د. محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، ١٩٦٣م.

٤٧٤- مقالة التعطيل والجعد بن درهم: د. محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، ط ١، ١٤١٨هـ.

٤٧٥- مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع: الدكتور ناصر عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط ٢، ١٤١٧هـ.

٤٧٦- مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٧٧- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبده، طارق عبدالحليم.

٤٧٨- مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية: أ.د. محمد سيد المسير، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٧٩- مقدمة في علم مقارنة الأديان: د. السيد محمد عقيل المهدي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٨٠- الملل والنحل: لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت.

٤٨١- الملل والنحل: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٤٨٢- مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت.

٤٨٣- مناقب الشافعي : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي : تحقيق : أحمد صقر، دار التراث، مصر، ط ١ ، ١٩٧١.

٤٨٤- مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، الشرقاوي.

٤٨٥- مناهج وأساليب البحث العلمي : د. ربحي عليان.

٤٨٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ط الأولى، دائرة المعارف العثمانية.

٤٨٧- الإشارة إلى وفيات الأعلام المنتقى من تاريخ الإسلام : للذهبي، عناية وتحقيق وتعليق : إبراهيم صالح، دار ابن الأثير، بيروت، ط١ ، ١٩٩١م.

٤٨٨- المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معروف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٤٨٩- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٤٩٠- منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة - عرض ونقد : د. أحمد بن عبداللطيف بن عبدالله آل عبداللطيف، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١ ، ١٤١٤هـ.

٤٩١- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبداللطيف محمد نور، مكتبة الغرباء، المدينة، ط ١ ، ١٤١٦هـ.

٤٩٢- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد : للعليمي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار عالم الكتب، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ.

٤٩٣- منهج البحث العلمي عند العرب: جلال محمد عبدالحميد موسى، دار الكتاب العربي، بيروت،، ط ١، ١٩٧٢م.

٤٩٤- منهج البحث العلمي: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٣.

٤٩٥- منهج البحث وإعداده، طلال المجذوب.

٤٩٦- منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل عرض وتقويم، محمد بن ناصر السحيباني، دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ.

٤٩٧- المنية والأمل: للقاضي عبدالجبار، تحقيق د. عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٤٩٨- الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق الشاطبي، شرح: عبدالله دراز، المكتبة التجارية الكبرى.

٤٩٩- المواقف في علم الكلام: عضد الدين الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

٥٠٠- موسوعة الأديان والمذاهب: العميد: عبدالرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

٥٠١- موسوعة الفرقة والجماعات، عبدالمنعم الحفني، ط١، دار ابن زيدون، بيروت.

٥٠٢- الموسوعة الفلسفية: د. عبدالمنعم الحفني، ط الأولى، دار ابن زيدون، بيروت.

٥٠٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٠٤- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية: د. عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، مصر.

٥٠٥- موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، تصحيح وتقديم: عبدالرحمن المعلمي، الدار السلفية، بومباي ١٣٧٩هـ.

٥٠٦- موقف ابن تيمية من الأشاعرة: الدكتور عبدالرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤١٦هـ.

٥٠٧- موقف ابن حزم من المذهب الأشعري كما في كتابه الفصل في الملل والنحل، عبدالرحمن دمشقية، دار الصميعي، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٠٨- موقف المسلم من الخلاف: الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر البراك، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ.

٥٠٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الإمام الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٥١٠- النبوات لابن تيمية: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

٥١١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، ط الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية.

٥١٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي، معهد الدراسات الشرقية، جامعة نابولي، روما، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٥١٣- نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية، يحيى هشام فرغل، مجمع البحوث الإسلامية.

٥١٤- نشأة الشيعة الإمامية، نبيلة عبدالمنعم داود، مطبعة الإرشاد. بغداد ١٩٦٨م.

٥١٥- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور علي سامي النشار، دار المعارف، مصر، ط ٧، ١٩٧٧م.

٥١٦- النظائر: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ.

٥١٧- نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية: د. أحمد محمود صبحي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

٥١٨- نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (٤٤٧- ٥٩٠هـ)، محمد بن مسفر الزهراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

٥١٩- نقض التأسيس لابن تيمية: تصحيح وتعليق: محمد عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩١هـ.

٥٢٠- نقض المنطق: لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه: محمد حمزة وسليمان الصنيع، صححه محمد حامد الفقي، ط الأولى، ١٣٧٠هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

٥٢١- نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، الدارمي: تحقيق: رشيد الألمعي.

٥٢٢- نهاية الإقدام في علم الكلام: الشهرستاني، مكتبة المثنى، بغداد.

٥٢٣- النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدين المبارك بن الجزري (ابن الأثير)، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٢٤- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف: د. محمد بن عبدالله الوهيبي، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.

٥٢٥- نيل السائرين في طبقات المفسرين.

٥٢٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: للحافظ ابن قيم الجوزية، مصطفى أبو النصر الشلبي، ط الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة السودي، جدة.

٥٢٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، مكتبة الإسلامية، والجعفري تبريزي، بطهران، ط الثالثة، ١٣٨٧هـ.

٥٢٨- واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية: سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٩٣م.

٥٢٩- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي، تحقيق: يوسف فان إس، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ.

٥٣٠- وسطية أهل السنة بين الفرق: د. محمد باكريم محمد باعبدالله، دار الراية، ط ١، ١٤١٥هـ.

٥٣١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٥٣٢- اليمانيات المسلولة، زين العابدين الكوراني: تحقيق د. المرابط محمد المجتبى، مكتبة الإمام البخاري، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٥٣٣- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج الله عبدالباري أبو عطالله، دار الوفاء، المنصورة، ط الثانية، ١٤١٢هـ

● ثالثاً: المجلات والدوريات

٥٤١- أبحاث ندوة أدب الاختلاف في الإسلام، برعاية: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية بالتعاون مع جامعة الزيتونة، بحث: أدب الاختلاف لدى الصحابة - رضوان الله عليهم - أحمد محمد هاشم.

٥٤٢- مجلة البيان: عدد ١٥٤، جمادى الأخرى، سنة ١٤٢١هـ، مقال "إشكالية التعامل مع المصادر الأصلية والثانوية للفرق الإسلامية ضوابط منهجية" د. جمال بادي.

٥٤٣- مجلة البيان: عدد ٣٠، مقال: "الشهرستاني وكتابه الملل والنحل"، د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف.

٥٤٤- مجلة جامعة الإمام، العدد ٣٧ محرم ١٤٢٣هـ، بحث: "الأدلة النقلية التي استدل بها أصحاب التناسخ" د/ محمد بن عبدالعزيز العلي.

٥٤٥- مجلة كلية أصول الدين، العدد ٤، عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ، بحث: نشأة الفرق الإسلامية أسبابها وطبيعتها، عبدالرحمن بن صالح المحمود.

٥٤٦- مجلة منار السبيل، عدد ٣، السنة الخامسة، مقال (دراسة الفرق)، د. الحسين شواط.

٥٤٧- مجلة المجمع العربي بدمشق، الجزء الأول والثاني من المجلد الحادي عشر، بحث لمحمد أحمد دهمان.

٥٤٨- مجلة جامعة الإمام، عدد ٣٤، بحث: الكسب عند الأشعرية، للدكتور سالم محمد القرني.

٥٤٩- مجلة الحكمة، العدد ٢٧ ، بحث: حديث الصورة: رواية ودراية، للدكتور بندر العبدلي.

٥٥٠- مجلة جامعة الإمام، العدد ٣٠، بحث: مفهوم قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، للدكتور حمد بن عبدالمحسن التويجري.

٥٥١- مجلة جامعة الإمام، عدد ٢٣ ، بحث: مذهب الماتريدية والأشعرية في رؤية رب البرية، للدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس.

فهرس الموضوعات